

مجلة ثقافية شهرية - العدد ٢٥٩ - المحرم ١٤١٩ هـ - مايو ١٩٩٨ م
ALFAISAL MAGAZINE - ISSUE 259 - MAY 1998



صاحب السمو الملكي
الأمير سلطان بن سلمان بن عبد العزيز
في منتدى الفيصل

تمسك المملكة بالشريعة الإسلامية كان دافعاً لها لترقى وأن تكون من الدول الأسرع نمواً

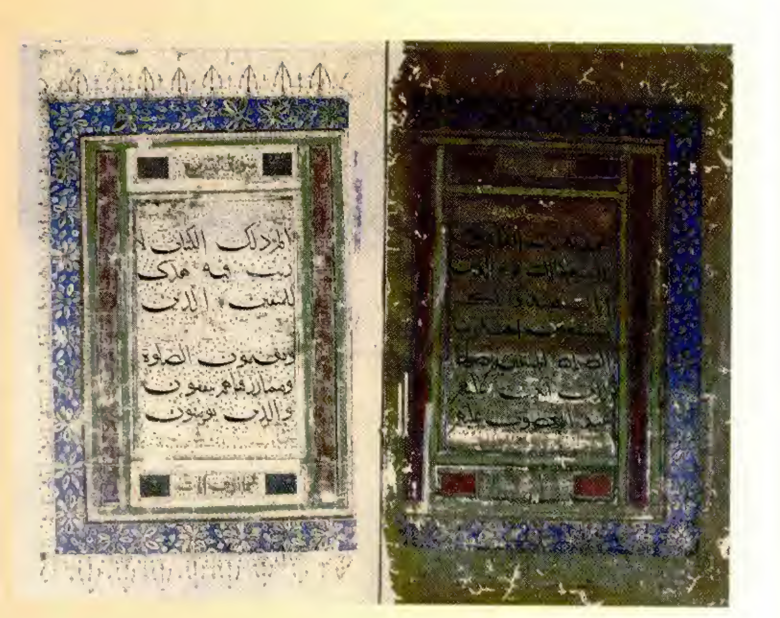
استطعنا في جمعية الأطفال المعوَّقين أن نشكل صورة جديدة للمعوَّق وتوجهاً جديداً للمجتمع

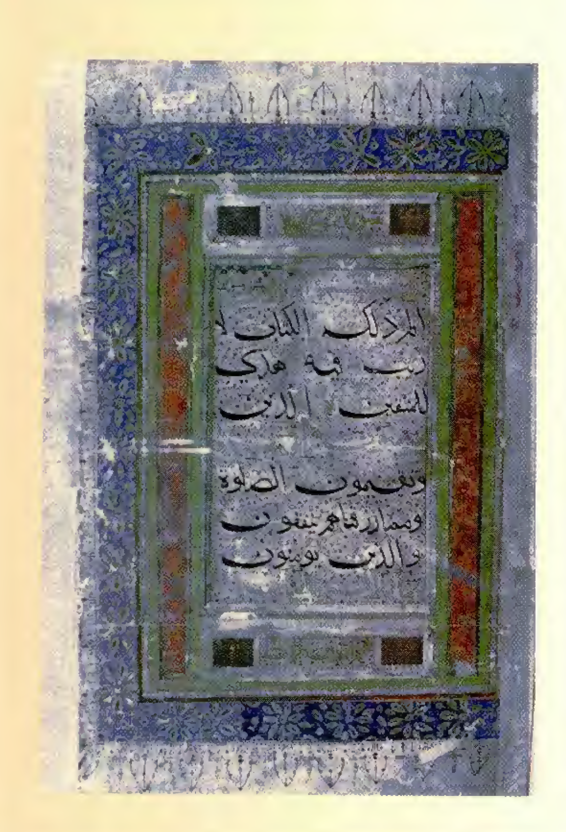
آمل العودة إلى الفضاء، وأن يكون لنا دور حقيقي في برامج الفضاء، ولاسيما المحطات الفضائية

التخاذل - أو التقاعس - ليس سمة عامة لشبابنا، ولكنه الاستثناء، والوقت كفيل بإزالته!

مصحف شريف

كُتب على ورق مشرقي بخط نسخ بهاري (هندي) مشكول في القرن الثامن الهجري.



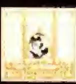


الجزء الأول يبدأ من سورة الفاتحة إلى سورة النحل. صفحاته الأولى مجدولة بالألوان. كُتبت الآيات القرآنية في الصفحتين الأولين من المصحف؛ تارة بالحبر الأسود، وتارة بماء الذهب، يحيط بهما أشكال كالنقط صغيرة ملونة، والفواصل بين الآيات دوائر صغيرة مذهبة. ويعلو الآيات اسم السورة، وأدناها عدد آياتها وذلك بماء الذهب، وتحيط بالآيات جداول مذهبة وملونة، وبداخل الجدول الأخير منها رُسمت ورود وأزهار ملونة على أرضية زرقاء.

أما بقية الصفحات، فقد كُتبت بالحبر الأسود عدا لفظ الجلالة، الذي كُتب بالحبر الأحمر. كما كُتبت بعض الكلمات في الهامش بالحبر الأحمر. أما الهوامش والتعليقات، فقد كُتبت على هيئة متوازي الأضلاع أو المثلث، والأسطر مائلة متصلة بعضها ببعض، وفي الهوامش رُسمت أشكال على هيئة دائرة وسطها مذهب وتحيط بها جداول ملونة، وأشكال على هيئة طرة وسطها دائرة مذهبة تحيط بها جداول ملونة، وبقية الأشكال بالألوان الأخرى. وصفحات المصحف مرممة بأوراق لاصقة شفافة.

الجلد أحمر فاتح اللون عليه غلاف مشمع، ومجدول بجداول بداخلها أشكال هندسية مذهبة، تحوي رسومًا نباتية مذهبة، وفي وسطه ميدالية بيضية مذهبة كُتب بداخلها لفظ الجلالة بماء الذهب، ويعلوها شكل هندسي مذهب كالمصباح.

يقع المخطوط في ٢٤٦ ورقة، ومسطرته ١٥ سطرًا، ومقاسه ٤٩٫٥×٣١سم.



والمصحف المخطوط من مقتنيات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية برقم ٢٨٢٤.

إعداد: فراج عطا سالم

في العدد القادم

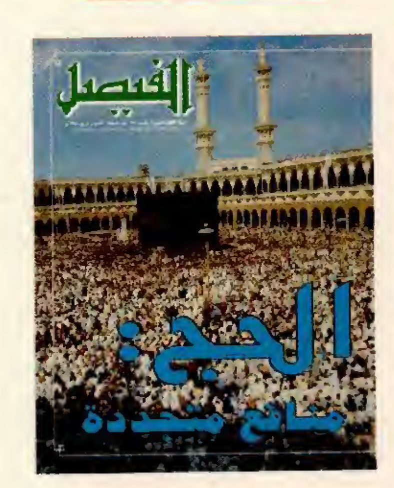
- كيف نربي الفطرة الإنسانية؟
- مقاربة من إشكالية الحداثة والتراث
- المذنَّبات في كتابات بعض المؤرخين

الفيصل

مجلة ثقافية شهرية تصدر عن دار الفيصل الثقافية

رئيس التحرير

د. زيد بن عبدالمحسن الحسين



عن العدد الماضي

من حسن الطالع أن يصل إليّ عدد الفيصل (٢٥٨) في أثناء إجازة الحج السنوية. كنت يومها في مدينة جدة أرقب - كغيري من أبناء بلادي الغالية - توافد الحجاج على المشاعر المقدسة. ولأنني تربوي أتابع كل جديد لذا وقعت بين يدي «الفيصل» المجلة و«الفيصل» الموسوعة، لما تحوي من موضوعات وأبواب وزوايا متنوعة يتابعها القراء، وفي مقدمتها إطلالة الدكتور زيد الحسين، الرجل التربوي الذي يتناول في كل عدد همًا من هموم الأمة الإسلامية ويعالجه بأسلوب متميز، ينم على عمق في الفهم وإدراك للمسؤولية، وإحساس بهموم أمته.

ولم تنس «الفيصل» المناسبة العظيمة: مناسبة الحج، فخصصت لها صفحات عديدة ناقشت فيها جوانب من منافع الحج والدروس المستفادة منه.

ثم إن في متابعة ما يسطره قلم المستشار والمبدع والأديب معالي د. الخويطر باختياراته المتنوعة للقراء متعة ليس بعدها متعة. كما أنني من المعجبين بأسلوب الطرح لأستاذ الجيل د. حسن ظاظا الذي لا يغيب عن قرائه.

إن المتأمل في مسيرة مجلة «الفيصل» يدرك الجهد الذي يبذله جهاز التحرير فيها، وحرصه على تنوع الموضوعات التي ترضي أذواق القراء على اختلاف مشاربهم، فنجد القصيدة والحوار والسياحة والابتكارات، والربط بين «الفيصل» وقرائها عبر البريد والمناقشات والآراء المطروحة.. وكل هذا بأسلوب جذاب. نتمنى للإخوة في الفيصل أن يحققوا ما تصبو إليه آمالهم، وأن يخرج المنتدى المقبل مع «صقر الفضاء» سمو الأمير سلطان بن سلمان حافلاً بإبداعات وتجربة يحكيها للقراء، ونحن منتظرون.

فإلى الأمام، وكل عام وأنتم بخير..

خلف بن علي الصالح

إدارة التوجيه والإرشاد التربوي بمنطقة حفر الباطن التعليمية

ملاحظات عامة :

مع تقديرنا لكل من يسهم في الكتابة في المجلة، فإننا نرجو من كُتّابنا الكرام أن يضعوا في حسبانهم الملاحظات التالية:

١ - أن يتسم الموضوع المقدم للنشر بالجدّة والموضوعية، مع توثيق المراجع إذا اقتضى الأمر ذلك.

٢ - ألا يكون الموضوع منشورًا من قبل، أو مرسلاً إلى أي جهة أخرى ناشرة.

٣ - حين تردّ المجلة على كاتب ما بأن موضوعه «غير مناسب للنشر» فإن هذا لا يعني أنه «غير صالح للنشر» في غيرها، وإنما يعني عدم مناسبته لسياسة النشر فيها.

٤ - أن يرفق الكاتب (الذي لم يسبق له الكتابة في المجلة) مع موضوعه، الاسم والمؤهلات العلمية والإنتاج الفكري - إن وجد - وعنوان المراسلة، في ورقة مستقلة، إضافة إلى صورة ملونة حديثة.

٥ - الموضوعات المنشورة في هذه المجلة تعبّر عن آراء أصحابها، ولا تعبّر بالضرورة عن رأي المجلة.

العنوان ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١ - المملكة العربية السعودية

هاتف ٤٦٥٣٠٢٦ - ٤٦٥٣٠٢٧ - ٤٦٤٧٨٨٤ - فاكسملي: ٤٦٤٧٨٥١

ردمد ١١٤٠-٠٢٥٨ رقم الإيداع ١٤/٠٥٤٢

الاشتراكات السنوية :

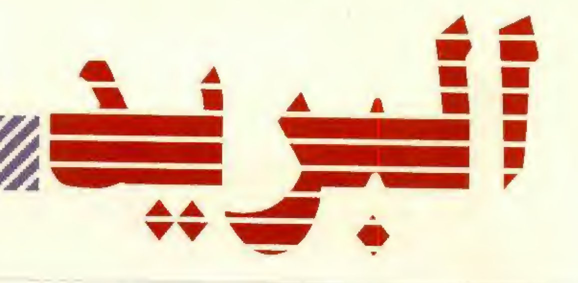
للأفراد ١٥٠ ريال سعودي، للمؤسسات ٢٥٠ ريال سعودي.

الإعلانات :

يتم الاتفاق عليها مع إدارة المجلة.

الأسعار

السعودية ٨ ريالات - الكويت ٦٥٠ فلس - الإمارات ٧ دراهم - قطر ٧ ريالات - البحرين ٧٥٠ فلس - عُمان ٧٥٠ بيسة - الأردن ٥٠٠ فلس - اليمن ٦٠ ريالاً - مصر جنيهان - السودان ١٥٠ جنيه - المغرب ٨ دراهم - تونس دينار واحد - الجزائر ١٠ دنانير - العراق ٤٠٠ فلس - سورية ٣٠ ليرة - ليبيا ٨٠٠ درهم - موريتانيا ١٠٠ أوقية - الصومال ٢٠٠٠ شلن - جيبوتي ١٥٠ فرنك - لبنان مايعادل ٤ ريالات سعودية - الباكستان ٢٠ روبية - المملكة المتحدة جنيه استرليني واحد.



مشكلة الفراغ.. وفض الاشتباك بين الإعلام والتربية

تضمن العدد ٢٥٧ من الفيصل - إلى جانب موضوعات عديدة مفيدة - البحث الذي أعده الدكتور عثمان سيد أحمد خليل عن «مشكلة الفراغ لدى الشباب». وقد تناول الباحث بعمق هذه القضية الحيوية التي ينبغي لنا أن نركز الاهتمام عليها، فهي بحق من أهم القضايا التي تواجهها الأمة في المنعطف التاريخي الذي تمر به في أخريات هذا القرن، الذي يشهد تطورات وتحولات مذهلة.

وإذا كان الشباب هم أمل الأمة فلا بد من أن تُوظف كل الطاقات لبنائهم. وباتفاق الباحثين والتربويين يمثل الفراغ تحوُّلاً يلتهم الوقت الثمين، ويهدر الطاقات فيما لا فائدة فيه. إني ربما لا أضيف جديداً إلى البحث المسبوك الذي أشرت إليه في مطلع هذه الرسالة، إلا أنني أود أن أؤكد تجذر هذه المشكلة، واستطالتها في مجتمعاتنا العربية والإسلامية، ولاسيما بعد انتشار البث الفضائي الذي يتملق الشباب ببرامج فجة، وموضوعات تطرق أبواب الرغبات.

وأرى أن الباحث قد عوّل على التربية لمكافحة مشكلة الفراغ، ولكن ألا يوافقني على أن هذا المد الفضائي الذي يقتحم بيوتنا يضع تحدياً كبيراً أمام التربويين؟ فما يشيِّده التربويون يهدمه الإعلام المبتذل.

وعلى الرغم من أنني لست من أنصار التعميم، فبعض قنواتنا الفضائية منضبط، إلا أن هذا الانضباط يذوب في ذلك السيل الجارف من البرامج الفارغة التي تأتي من بعض الفضائيات العربية، ودع عنك الإعلام الأجنبي الوافد. هذه المعضلة كيف تحل؟ وكيف نوجد الموازنة والتصالح بين الإعلام والتربية؟

أعتقد أن «الفيصل» كما عودتنا تبني القضايا الجادة، مطالبة بالتوسع في تناول قضية الفراغ والعلاقة بين التربية والإعلام.

التجاني إبراهيم النحاس

ديم الشاطئ، بور سودان، السودان.

بلى.. السياسة شديد التأثير في جميع مناحي الحياة!

قرأت بإمعان اقتراح الأخ محمد رضوان الأنظامي، الذي جاء في بريد العدد ٢٥٨، بعنوان «أليست السياسة من الثقافة الجادة؟»، إذ يقترح استحداث باب يتناول الموضوعات السياسية، وما يجري من أحداث وتغييرات كبرى، ولاسيما في هذه المرحلة التاريخية من حياة الأمة.

إنني من المؤيدين بشدة لهذا الاقتراح، وأحسب أن قراء كثيرين مثلي سيروق لهم أن يطلعوا في مجلتهم الأثيرة على موضوعات سياسية مركزة، مثل بقية الموضوعات الأدبية والفكرية والاقتصادية التي تُنشر كل شهر. وما ذهب إليه الأخ الكريم لتسويغ استحداث هذا الباب هو عدم منطقية فصل السياسة عن القضايا الحياتية الأخرى، وأعتقد أن هذا القول فيه الكثير من المنطق، بل كله منطق، وكلام عاقل، فالسياسة شديدة التأثير بالفعل في جميع مناحي الحياة. وكل فكر لا يُعبَّر عنه إلا في إطار سياسي، فالأديب الذي ينتج رواية مثلاً يكون مستنداً إلى رؤية سياسية، والاقتصادي الذي يحلل يقوم بذلك من منظور سياسي.

إن المتوقع من هذا الباب الجديد - في حال إقراره - أن يُطرح فيه ما يجمع العرب والمسلمين على كلمة سواء، وأن يتصدى لموضوعاته محللون سياسيون مقتدرون؛ يغوصون في القضايا ويحللونها بطريقة تزيح نتائج التناول المسطح أو المتحيز أو المضلل، التي تضع غشاوة على العيون، وتحدث بلبلة في الأفهام، في هذا الوقت العصيب الذي نحن فيه بحاجة إلى فهم أوثق وأعمق لمشكلاتنا.

عبدالناصر مصطفى كامل

القليوبية، القاهرة الكبرى، مصر.

عندما يغيب المنهج

إنني من المتابعين لمجلة الفيصل منذ سنوات بعيدة، ومما يُحمد للمسؤولين عن التحرير أنهم حافظوا على المستوى المتميز الذي ظهرت به الفيصل منذ أول عدد، وأضافوا الجديد والجيد من الموضوعات والأفكار التي جعلت للفيصل مذاقاً خاصاً، فأصبح قراؤها على امتداد العالم الإسلامي ينتظرونها بشغف كل شهر.

ومؤخراً طرأت لي فكرة أن أتصفح الأعداد الموجودة في مكتبتي، فلاحظت أموراً لم أكن قد تنبهت لها في أثناء القراءة العادية، وهي أن التطوير الذي أحدثتموه في الفيصل جاء متدرجاً حتى صارت الأعداد الأخيرة جديدة في كل شيء: في الإخراج وأسلوب التحرير وتوزيع الموضوعات.

لقد اكتشفت أن المنهج الهادئ الذي اتبعتموه في تطوير المجلة كان صائباً، ذلك أن التحولات المفاجئة، مهما كانت نتائجها، تنبئ عن الارتجال وعدم التخطيط. ومما يُحسب لإدارة تحرير «الفيصل» أنها طبقت المنهجية التي كثيراً ما يدعو إليها الدكتور زيد الحسين رئيس التحرير في إطلالته. فكم من موضوع عالج من خلاله بعض قضايا الساعة الخطيرة - ولاسيما قضية «التقدم والتخلف» - أكد فيه أهمية المنهج والإطار.

وهكذا جاء تطوير الفيصل ممنهجاً، دون الاتجاه لمحاولة إبهار القارئ بأساليب الإخراج والألوان والصور المفرغة من أي مضمون، كما هو الحال في بعض المطبوعات التي تزعم أنها تخدم الثقافة الجادة، وتخاطب العقول!! إلى الأمام، والله معكم، وفي النهاية لا يصح إلا الصحيح.

علي صالح العلي

الحديدة، اليمن.

وردت رسائل كثيرة من الإخوة القراء لم تتسع لها المساحة المحددة للبريد، وسيتوالى نشرها في الأعداد القادمة

الحوار الهادئ سبيل للتوصل إلى إجابات عقلانية

تحية طيبة أنقلها إليكم، مع أصدق الدعاء بالتوفيق والنجاح في مهمتكم النبيلة الرامية إلى خدمة الثقافة العربية والإسلامية، وأشكر لكم مساعاكم الدؤوب لتكون مجلتنا المفضلة «الفيصل» منبرًا ثقافيًا واجتماعيًا وأدبيًا عالميًا.

ولما كانت «الفيصل» قد عودتنا فتح منافذ الحوار الجاد، وتدعيم الجسور بين المثقفين والمفكرين، وتحريك بحيرات الفكر وإمدادها بروافد جديدة من ثقافتنا الأصيلة، فإنني بدأت محاولة لعقد حوارات مع بعض المثقفين الحادبين على مصلحة الأمة العربية والإسلامية، حول مستقبل مجتمعاتنا، وللتعاون في رسم الأهداف، وذلك من طريق تبادل الرسائل والأفكار والآراء حول محاور مهمة أقوم بإعدادها لتكون مادة للحوار والمناقشة.

وأظن أنكم في «الفيصل» تشجعون هذا التوجه، الذي بدأ ينتشر مع ظهور «الإنترنيت» و«البريد الإلكتروني». فهناك الكثير من الموضوعات التي بدأت تجتاح عالمنا، وهي بحاجة إلى التفكير بشأنها، وتأملها حتى نتمكن من العبور إلى القرن الجديد برؤى واضحة.

وفي خضم عصر طغت فيه المادة، وانهارت القيم والمبادئ في كثير من المجتمعات ـ نسأل الله أن تكون مجتمعاتنا في مأمن من ذلك ـ لا بد أن تكون للمثقفين العرب والمسلمين آراء ومواقف إنقاذية، تعمل على دعم حصون قيمنا ومبادئنا، مع الأخذ بضرورات التطور واللحاق بركب العصر، وذلك كله يتطلب إيجاد إجابات عقلانية على التساؤلات الكبيرة، بأسلوب حواري هادئ.

الباحث وجيه حجازي
ص.ب ١٠٦٩، طرابلس، لبنان.

هل من مزيد حول «الجنادرية»

التقرير الذي جاء في باب «الحركة الثقافية» بعنوان «الجنادرية ١٣: تشخيص أدواء الثقافة العربية، وتكريم الفقي» أعطى صورة واضحة عن نشاطات مهرجان الجنادرية، هذا العرس الثقافي الكبير، الذي تحتضنه المملكة العربية السعودية كل عام.

ولكن كان بودنا أن تقدموا تفصيلات أكثر عن مجريات المنتديات والفعاليات العديدة لهذا المهرجان، وبصورة خاصة للقراء أمثالي، الذين لا تتاح لهم مطبوعات أخرى، ولا يمكنهم الحصول على نصوص المحاضرات أو ملخصات الندوات.

إن القضايا التي نوقشت في أمسيات المهرجان كانت حساسة وحيوية، ولاشك أن الآراء التي طُرحت كانت بمستوى تلك القضايا، مما يستوجب ضرورة الحصول على نصوص المحاضرات والندوات والمداخلات، ولاسيما الندوة الثانية «الثقافة العربية والثقافات الأخرى».

كارم محمود الجبلي
إربد، الأردن.

التحرير:

الأخ الكريم: يمكنك الكتابة إلى مجلة الحرس الوطني برئاسة الحرس الوطني على العنوان التالي: ص.ب ٦٨١٩ الرياض ١١٤٥٢، وستجد ـ إن شاء الله ـ مبتغاك.

هذه الرسائل الجامعية ما مصيرها؟!

ملف «الحركة الثقافية في شهر» من أهم الأبواب التي يحرص على قراءتها كل متابع للفيصل. فهذا الملف الراصد يزود القراء بصور ومشاهد «بانورامية» لما يدور في الساحة الثقافية العالمية، مع التركيز على العالم العربي والإسلامي. وهو لذلك جدير بأن يُقرأ، وأن يتأمل القارئ مؤشر الحركة، الذي كثيرًا ما يفصح عن مفارقات وأحيانًا تناقضات.

ومن ملاحظاتي وتأملاتي في مضمون ملف الحركة الثقافية وتوزع المشاركة الثقافية بين أقطار عديدة، وجدت أن زاوية «رسائل جامعية» التي ترد ضمن ملف الحركة، تعد دلالة قوية على نشاط البحث العلمي في بلداننا العربية والإسلامية، ففي كل عدد من «الفيصل» ترد جملة من رسائل الماجستير والدكتوراه التي تبحث في قضايا مهمة، سواء أكانت أدبية أم علمية. وهذه الزاوية وغيرها في المطبوعات الأخرى هي الرد العملي على من يقول بأننا مجتمع راكد وساكن، فالواقع يشهد بأن الأطروحات تُقَدَّم وتجاز ويحوز أصحابها الدرجات العلمية (غالبًا مع مرتبة الشرف الأولى).

ولكن قد يكون الحق مع القائلين بركودنا، لأن العبرة ليست بعدد الرسائل التي تُناقش، أو الطلاب الذين يحرزون المراتب الأولى مع التوصية «بتبادل الرسائل الممتازة» بين الجامعات، ولكن العبرة بأن تنزل النتائج والتوصيات التي تتوصل إليها تلك البحوث إلى أرض الواقع، ولا تظل حبيسة الأدراج والأضابير، وإلا فما الفائدة في أن يهدر الباحث وقته، ويعكف سنين عددًا على أمهات الكتب، والمعامل والمختبرات، وفي النهاية يكون مصير بحثه (الحفظ)، وينال هو لقبًا علميًا يتزين به، وتنقطع الصلة بينه وبين بحثه، ومن ثم: لا فائدة تعود على المجتمع؛ مما يعني أن تُصاب الأمة بمزيد من الركود!

حسان زاهر عبدالله
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة.

بإذن الله ـ، فمعذرة للذين تأجل نشر رسائلهم، ومرحبًا بآراء الإخوة القراء ووجهات نظرهم واقتراحاتهم.

إطلالة

حتى لا نكون



شهد هذا العصر نموًا مطردًا في العلوم والمعارف، وتقدمًا مذهلاً في التقنية؛ مما أوجد صعوبة كبيرة في متابعتها، وألقى بتبعات على الاختصاصيين ليتابعوا ما يستجد في مجالاتهم، وفي المجالات الأخرى التي ترتبط بها؛ ولما كان من العسير أن يلم الاختصاصيون باللغات جميعها التي يتم بها إفراز هذا التقدم، فإنه لا مناص من الاعتماد على ما يُترجم من هذه اللغات إلى لغاتهم، مما يستدعي وجود حركة ترجمة واسعة، يُجنَّد لها القادرون عليها من مختلف التخصصات، وفق أسلوب علمي مدروس، يتم به تحديد الأوليات، والبدء في تنفيذها وفق مراحل معلومة، وهو ما لا يستطيعه الأفراد، أو المؤسسات التجارية الباحثة عن الربح، وإنما هو عمل مؤسسي، تقوم به مؤسسات التربية والتعليم والثقافة في المجتمع، موظفة ما لديها من قدرات مالية، وطاقات بشرية لإنجاز هذا العمل الحضاري الذي لا تقدم من دونه لأي أمة من الأمم، ولاسيما إذا كانت أمة تعيش مرحلة من التخلف في مجالات الفكر والعلوم كالأمة العربية والإسلامية، على وجود لغتها المتسمة بالغنى والحيوية والقدرة على التجدد، التي أثبتتها تجربة حضارية متميزة.

لقد استطاعت اللغة العربية أن تكون لغة العلم والحضارة عدة قرون بفضل ما لديها من إمكانات الاستيعاب والمرونة، ولما تفيض به من مفردات واسعة وأساليب تعبيرية طيِّعة، فكان لزامًا على كل طالب علم في الغرب أن يتعلم العربية، وكان كثير من الطلاب يشدون الرحال إلى مراكز الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس وصقلية وغيرهما، حرصًا منهم على استقاء العلم من مصادره الأصلية، ولتعلم العربية من واقع الاحتكاك بالمجتمع، وهو ما فطن إليه القساوسة إبّان القرون الوسطى التي عاشتها أوربا، فأخذوا يعلنون ضجرهم من شيوع العربية بين أبنائهم. وأدرك ذوو الفطنة من الغربيين أن لا طريقة لوقف هذا الخطر الذي يواجه لغاتهم إلا بترجمة علوم العرب إلى تلك اللغات؛ فبدأت حركة ترجمة واسعة لتلك العلوم إلى لغات الغرب المختلفة، وعندئذ بدأت أوربا تنفض عن نفسها غبار السنين، فدبت في جنباتها حركة علمية واسعة، كانت الترجمة أساسًا لها، ثم بدأ علماؤها يدعون بلغاتهم بعد أن انسجم ما ترجموه من علوم العرب مع نسيجهم الفكري، وزالت تلك الغربة التي كانوا يشعرون بها إزاء تلك العلوم؛ فأضافوا إليها من إبداعاتهم، وصبغوها برؤى مجتمعاتهم، وطوّعوها لتحقيق تطلعاتهم وطموحاتهم في الارتقاء بتلك المجتمعات، فتزيّت تلك العلوم بزيهم، وتغذت بها عقولهم، وجرت فيهم مجرى الدم في العروق، فأصبحت تُنسب إليهم، ويُعزى الفضل كله لهم، ولا يَذْكُر فضل الآخرين - ومنهم العرب - في تقدم تلك العلوم سوى المنصفين منهم.

ولقد برهنت اللغة العربية على قدرتها الكامنة حين اجتازت تلك المرحلة العصيبة التي كانت فيها عرضة لمحاولات إقصائها من حياة العرب والمسلمين، ضمن مخططات المستعمرين لمسخ الهوية العربية والإسلامية للمجتمعات التي احتلوها، بإيهام أهلها بأن تخلفهم نابع من قصور لغتهم، وعدم قدرتها على استيعاب ما يجد في الفكر والعلم المعاصرين، وأن تقدمهم مرهون بالتخلي عن تلك اللغة الجامدة - حسب زعمهم - واستبدال لغاتهم بها، ولكن تلك المحاولات باءت بالإخفاق، وبقيت العربية اللسان المبين للأمة العربية والإسلامية.

على أن الانفصام بين اللغة العربية وعلوم العصر كان أبرز نتائج تلك الحرب الضروس على اللغة العربية، إذ يعتمد معظم الجامعات ومراكز البحوث العلمية في عالمنا العربي لغات غير العربية في التدريس والبحث العلمي؛ مما جعل اللغة العربية بمنأى عن ميدان العلوم العصرية، وغير قادرة على استيعاب ما يستجد فيه من تقنيات ومصطلحات؛ لا لعجزها، وإنما لما تجده من إهمال، وهو ما ينعكس على فكر أبنائها الذين باتوا عاجزين عن الفهم العميق لما يجري في مجالات تخصصاتهم من تقدم مذهل، ومن يفهم منهم يظل عاجزًا عن الإبداع الذاتي، لأن اللغة التي يتم بها فهم هذه العلوم تفرض على العالم أو المفكر تصوراتها الخاصة، فلا يستطيع الانعتاق منها، مهما حاول، لأن العلوم والمعارف إذا لم تُتح باللغة الأم، فإن الفكر يبدو مكبلاً بما تفرضه اللغات الأخرى التي يتم بها إنتاج العلوم والتقنيات من قيود ثقافية ونفسية واجتماعية. وإذا كان الإنسان متضلعًا من اللغة الأجنبية، وكان إبداعه بهذه اللغة، فإن هذا الإبداع لا يمثل رصيدًا حضاريًا يُنسب إلى أمته، بقدر ما يُنسب إلى الأمة التي أبدع بلغتها، لأن مقدار الإفادة من هذا النتاج الإبداعي سيغدو ضئيلاً لأبناء أمته، بينما سيكون متاحًا بصورة أوسع للذين أبدع بلغتهم.

ويؤدي ذلك كله إلى تهميش اللغة الأم، وحرمانها من أن تكون لغة الحضارة الفاعلة، ليقتصر استعمالها في دائرة ضيقة للتعبير عن بعض جوانب الحياة اليومية، من غير إيلاء أي اهتمام لما يصيبها من محن وتشويه؛ وهو ما يدعو إلى السؤال: على من تقع مسؤولية هذا التهميش وإقصاء اللغة عن التعبير عن الجوانب الفاعلة في الحياة من طب وعلوم وتقنية وغيرها؟!

وهذا الاغتراب عن اللغة الأم يجعل هذه اللغة مهجورة ومقفرة، ويفقدها كثيرًا من حيويتها وقدرتها على تطوير مفرداتها وأساليبها؛ مما يؤثر سلبًا في طرائق أصحابها في التفكير، وفي قدرتهم على الإسهام الحضاري، ليظل نصيبهم دائمًا استهلاك ما ينتجه الآخرون، والتوهم بأن اقتناءهم المخترعات والمبتكرات الحديثة دليل التطور، وعنوان التقدم؛ بينما يمثل ذلك في الحقيقة إهدارًا لثرواتهم المادية في سبيل الحصول على كثير مما لا يحتاجون إليه، أو ما كان عليهم إنتاجه بأنفسهم ما دامت المادة الخام التي يتطلبها هذا الإنتاج قد توافرت لديهم، وهو ما يمثل - من ناحية أخرى - تبديدًا لطاقات فكرية كان عليهم استغلالها لتوظيف ما لديهم من إمكانات مادية وثروات طبيعية.

واستمراء مثل هذه التبعية يقود إلى ترسيخ أنماط استهلاكية لا تناسب المجتمع، كما يهيئ للذين يمتلكون قدرات الإبداع العلمي والتقني مناخًا مناسبًا للتفنن في أساليب الجذب والإغراء لترويج ما ينتجونه، لتستمر دورة الإنتاج والاستهلاك على ما هي عليه، ما دام المستهلك لا يجهد نفسه في معرفة أسرار ما يستهلكه، لكي يقوم بإنتاجه؛ بل إنه - في كثير من الأحيان - يجهل الطريقة المثلى للتعامل مع ما ينتجه الآخرون من آلات وتقنيات، بما يضمن له استعمالها إلى نهاية عمرها الافتراضي، أو تفادي تأثيرها السلبي الناجم عن سوء استخدامها، فضلاً عن صيانتها.

ومما لا شك فيه أن اللغة تمثل عائقًا أمام اكتناه أسرار التقنيات الحديثة، ولا سبيل لتجاوز حاجز اللغة إلا من خلال الترجمة لمتابعة ما يستجد في عالم الفكر والعلم، ثم تطويع الترجمات التي تتم لتأتي في سياق اللغة الأم، خاضعة لقواعدها وأساليبها، لتكتسب روحًا جديدًا، ولتصبح جزءًا أصيلاً منها، مؤثرًا في البناء الفكري والعلمي للأمة، ومغنيًا له بمعطيات جديدة نابعة من ذاتها؛ وعندئذ تكون الترجمة من عوامل نهضة الأمة وتقدمها؛ أما حين يتوقف دورها على الوصف الظاهري للتقنيات المستوردة، الذي يتمثل في توضيح الحد الأدنى لطرائق استعمالها، فإنها تصبح من عوامل أسر العقل، وترسيخ تخلّف الأمة وتبعيتها لغيرها من الأمم المنتجة للتقنية.

ولقد أدركت أمم كثيرة هذه الحقيقة؛ فوجهت جهودها إلى ترجمة العلوم الحديثة إلى لغاتها، وإنشاء المؤسسات المتخصصة التي تقوم بهذه الجهود على أسس علمية راسخة، مع اعتماد لغاتها الوطنية في التدريس في المراحل التعليمية، وفي إجراء البحوث العلمية؛ مما أتاح لعلمائها ومفكريها الإبداع بلغاتهم في مجالات التقنية والعلوم المختلفة. ولعل أبرز التجارب في هذا المجال، تلك التي تمت في اليابان والصين وكوريا وغيرها؛ بل إن الكيان الصهيوني عمل على إحياء اللغة العبرية بعد أن كانت في عداد اللغات الميتة التي لا مكان لها إلا في بطون الكتب القديمة والمتاحف، فغدت لغة للعلم والفكر، على الرغم من أنها تفتقر إلى كثير من المقومات الحضارية والقدرات الذاتية الكامنة في اللغة العربية، التي أثبتها واقع الممارسة الحضارية.

وما كان لهذه الدول أن تبذل ما بذلته من مال وجهد لترجمة العلوم الحديثة وإتاحتها لشعوبها بلغاتها، لولا إدراكها أن استيعاب الإنسان لهذه العلوم وفهمه لها يتضاعفان كثيرًا عندما يطلع عليها بلغته الأم، في حين تستنزف الحواجز اللغوية والنفسية كثيرًا من جهده فلا يصل إلى الاستيعاب الشامل والفهم العميق لها عندما تكون بلغة أخرى مهما كان إتقانه لهذه اللغة؛ ويبقى الاطلاع على علوم العصر - في ظل الاعتماد على إتقان لغة أجنبية - حكرًا على فئة محدودة؛ مما يحول دون شيوعها في المجتمع، كما تظل لغة الحوار العلمي مفقودة بين أولئك الذين نالوا هذه العلوم باللغات

في الصفوف الخلفية

المختلفة، بينما تتيسر هذه اللغة في حال توافر هذه العلوم باللغة الأم، بعد ترجمتها من جميع اللغات، مما يؤدي إلى تمتين البناء العلمي والمعرفي للأمة، ويتيح فرص الإبداع لأبنائها.

وليس هناك أصدق من لغة الأرقام لتوضيح ما توليه الأمم لترجمة العلوم والمعارف إلى لغاتها من اهتمام نابع من دورها الحضاري في التقدم والرقي؛ إذ تشير الإحصاءات إلى أن اليابان - مثلاً - قامت بترجمة ١٧٠ ألف كتاب في عام واحد (١٩٧٥م)، بينما ترجمت الدول العربية - مجتمعة - في المدة مابين ١٩٧٠-١٩٨٠م ما مجموعه ٢٨٤٠ كتابًا، ولم تتعد نسبة الكتب المتعلقة بالعلوم التطبيقية ١٤٪.

وهذا العدد الكبير من الكتب الذي تُرجم إلى اللغة اليابانية، إنما تُرجم وفق تخطيط دقيق. وأذكر أنني في أثناء زيارتي لليابان، وقفت على النشاط الواسع الذي يُمارس في هذا الشأن، إذ يوجد بها مركزان للترجمة، أحدهما يُعنى بالعلوم الإنسانية، والآخر يهتم بالعلوم التطبيقية، ويقوم عملهما على متابعة ما يستجد في هذه العلوم، وترجمته على الفور، ولديهما شبكة اتصال بالمراكز البحثية والعلمية في أنحاء العالم، كما أن إنتاجهما مُيسر لمن يريد الحصول عليه من خلال استخدام شبكة معلومات تغطي البلاد بجوانبها كافة.

وهذا العمل الحضاري الذي يقوم به المركزان ليس إلا دلالة على أن التقدم الذي أحرزته اليابان لم يأت من فراغ، وإنما هو نتاج جهد كبير في النقل والتقويم والإبداع، إضافة إلى الاعتزاز الكبير بالهوية الذاتية التي تمثل اللغة أهم عناصرها، على صعوبة اللغة اليابانية وتعقدها، مما يؤكد الجهد الكبير الذي بُذل في سبيل تطويعها لاستيعاب العلوم والتقنيات الحديثة؛ بينما تشير النسبة الضئيلة التي تحظى بها العلوم التطبيقية في مجال الترجمة إلى العربية إلى محدودية الجهود التي تُبذل في مجال تعريب العلوم والتقنيات المعاصرة، وتبين - كذلك - غياب التخطيط في هذا المجال الحيوي، واعتماد حركة الترجمة - التي هي أداة مهمة للتعريب - على الجهود الفردية التي يقوم بها بعض المترجمين ودور النشر، أو تلك الجهود التي تقوم بها مؤسسات متخصصة ضئيلة الإمكانات في هذا المضمار.

وعلى تميز كثير من الجهود الفردية في مجال الترجمة بالإخلاص وإدراك أهميتها وأثرها في المسار الحضاري للأمة؛ إلا أن ذلك لا يمنع من خصوصية المعايير التي تقف خلف كثير من هذه الجهود، ومن أهمها أن يضع بعضهم الربح هدفًا وحيدًا يسعى إلى تحقيقه بكل السبل، فيترجم الغث الذي لا يفيد، بل يضر في أحيان كثيرة، كترجمة الروايات والقصص الركيكة - لغة وبناءً - التي تخاطب غرائز الشباب، وتؤثر سلبًا في تفكير النشء، وتصوره للعالم، لإعطائها صورة أحادية عن المجتمع الغربي وغيره من المجتمعات المنتجة لهذا النوع من الروايات، بينما تغيب عن فكره الجوانب المضيئة لهذه المجتمعات، كما أن مستوى الترجمة يكشف ضعفًا واضحًا في معرفة قواعد اللغة العربية، وهو ما ينعكس سلبًا على مستوى المعرفة اللغوية لجمهور قراء هذه الترجمات الركيكة، إضافة إلى أن عدم دقة الترجمة يمثل قاسمًا مشتركًا لكثير منها؛ كما أن هذه الجهود الفردية، مهما كثرت، لا تمثل حركة ترجمة مؤسسة، ولا تفيد كثيرًا في عملية تعريب العلوم، وإنما يظل أثرها محدودًا.

وغياب التخطيط على مستوى المؤسسات العلمية المتخصصة يؤدي إلى تكرار الجهود وإهدار الأموال فيما لا طائل منه، بل يؤدي إلى شيوع ظاهرة تعدد المصطلح العربي المقابل للمصطلح الأجنبي، فيترتب على ذلك عرقلة الحركة العلمية اللاهثة للحاق بركب العلوم المعاصرة، وإشاعة البلبلة الفكرية، وإهدار الوقت والجهد في الجدل العقيم الذي لا يؤدي إلا إلى مزيد من التخلف. كما أن الميزانيات الضئيلة لهذه المؤسسات لا تتيح ترجمة الكتب المنهجية والمراجع العلمية والبحوث والدراسات الحديثة التي تحتاج إليها الجامعات ومراكز البحوث في عملية تعريب العلوم ومواكبة ما يستجد في المجالات العلمية المختلفة.

أما تعريب العلوم فيحتاج إلى قرار يتم تطبيقه على مستوى العالم العربي، وتُستنفر لتحقيقه مؤسسات التربية والتعليم والثقافة وفق خطة واضحة مدروسة، مع الاستفادة من تجارب الدول التي سبقتنا في هذا المضمار. ولم تكن الظروف مواتية في يوم ما لتنفيذ مثل هذا العمل الحضاري كما هي اليوم، إذ تتوافر الإمكانات المادية والطاقات البشرية المؤهلة في مجالات العلوم المختلفة، وكذلك المتخصصة في مجال الترجمة من لغات العالم جميعها، مع تيسر الاتصال بمختلف المؤسسات العلمية في العالم، وتوافر تقنيات المعلومات التي تُيسر الحصول عليها وحفظها واسترجاعها. ولا يخفى أن بدء عملية التعريب يفتح المجال لدور النشر العالمية الباحثة عن الربح لكي تسهم فيها بفعالية بترجمة الكتب والمراجع العلمية التي تحتاج إليها الجامعات ومؤسسات البحث العلمي في العالم العربي. وإذا قررت الأمة أن تشارك بجدية وفعالية في صياغة الحضارة الإنسانية، استئنافًا لما سبق أن أدته من دور حضاري لا يُنكر، فإن عليها أن تبدأ عملية التعريب من دون تباطؤ، لأن ظروف اليوم أفضل مما كانت عليه في عهود خلت، كما أنها أفضل من المراحل الآتية، بكل ما تحمله من تحديات. وليس المقصود بهذا العمل النقل الآلي من اللغات الأجنبية إلى العربية، وإنما هو نقل لمقومات المدنية الحديثة ومشخصاتها إلى اللغة العربية، لكي تتغلغل في النسيج الفكري للأمة.

ومن الطبيعي أن تصاحب عملية التعريب سلبيات كثيرة يمكن معالجتها بالدراسة والتقويم وإيجاد الحلول المناسبة لها في حينه، أما الاكتفاء بالحديث عن السلبيات من غير بدء خطوات جادة نحو التنفيذ، فإنه لا طائل منه غير تثبيط الهمم، وتوسيع الهوة الموجودة بين الأمة وحضارة العصر، لأن كل يوم يمر يشهد ابتكارات واختراعات جديدة في شتى العلوم، يواكبها طوفان من المصطلحات العلمية والفنية، مما يُصعّب عملية التعريب ويزيدها تَعَقُّدًا، ويسلب الأمة وسيلة من أهم وسائلها - ألا وهي لغتها - لمقاومة ما تفرضه العولمة من تحديات حضارية تهدد هويتها وكيانها.

ولا يعني تعريب العلوم أن يكون اعتماد طلاب العلم والباحثين على ما يُترجم إلى اللغة العربية من نتاج علمي ومعرفي فحسب، وإنما يظل كل واحد منهم في حاجة ماسة إلى معرفة دقيقة بإحدى اللغات الأجنبية الحية، حتى يمكنه الرجوع بنفسه إلى المصادر والمراجع الأصلية في مجاله، مع الاستفادة من المصادر والمراجع التي تتم ترجمتها من اللغات التي لا يجيدها، كما أن هذه الحركة من شأنها أن توفر كمًا هائلاً من المعلومات للجمهور العام يتيح له الوقوف على التطور الذي تشهده العلوم المختلفة.

والترجمة ليست ضرورة حضارية للدول المتخلفة فحسب، وإنما لها أهميتها القصوى للدول المتقدمة أيضًا، التي تحرص على معرفة ما أحرزته الدول المنافسة لها في الميادين المختلفة، ولذلك أنشأت تلك الدول مؤسسات متخصصة للترجمة للقيام بمتابعة حركة الحياة في المجتمعات الأخرى؛ لتستفيد من عطاءاتها الحضارية، ولا أدل على ذلك من أن المخطوطات العربية والإسلامية التي تعود إلى قرون خلت لا تزال تجد نصيبها من الترجمة على أيدي علماء الغرب المهتمين بالتراث العربي والإسلامي، ولا يزال كثير منهم يرى أن هذا التراث يحمل في طياته فيضًا من العلم والفكر، يستحق بذل الجهد لكشفه لإغناء الحضارة الإنسانية. كما يأتي الاهتمام بالترجمة في عالم اليوم بوصفها أداة لتحقيق المكاسب الاقتصادية من طريق معرفة أساليب الإقناع التي تُناسب التكوين الفكري والنفسي للشعوب.

إن العلوم والتقنيات بلغت اليوم مبلغًا مذهلاً من التقدم، ولكن ذلك لا ينبغي أن يقعدنا عن محاولة الإبداع والابتكار، لأننا إذا اعتقدنا أن هذا منتهى التقدم ونهاية المطاف له، فإن ذلك يعني أن نقف مبهورين لا نحرك ساكنًا، وإذا ما جدّ جديد ازددنا انبهارًا ودهشة من غير أن يكون هناك أي رد فعل جاد للمشاركة في إغناء تلك العلوم والتقنيات. ولو أن الغرب اكتفى بالانبهار بما قدمه علماء العرب والمسلمين لما كان هذا التقدم الهائل الذي مثل إضافات كبيرة أغنت الحضارة الإنسانية، ويَسَّرت سبل الحياة في هذا العصر إلى حد لم يكن يحلم به أحد. وسيظل هذا التقدم في اطراد ما دام بقي هؤلاء على طموحهم الذي لا تحده حدود، وسنظل نكتفي باستهلاك ما تنتجه هذه الحضارة، ونقنع بمقعد في الصفوف الخلفية، إلى أن يُفرض علينا مستقبلاً استمرار البقاء فيه، وملازمته قسرًا، ما دمنا لا نثق بقدرتنا على الإبداع والابتكار، وما دام الانفصام قائمًا بين لغتنا وعلوم العصر وتقنياته.

الترجمة ليست ضرورة حضارية للدول المتخلفة فحسب، وإنما لها أهميتها القصوى للدول المتقدمة أيضًا، التي تحرص على معرفة ما أحرزته الدول المنافسة لها في الميادين المختلفة

د. زيد بن عبدالمحسن الحسين

الفيصل

العدد ٢٥٩ - السنة ٢٢ - المحرم ١٤١٩هـ - مايو ١٩٩٨م



«منتدى الفيصل»
مع سمو الأمير سلطان بن سلمان بن عبدالعزيز

صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن سلمان بن عبدالعزيز ليس أول رائد فضاء عربي مسلم فحسب، وإنما تميَّز سموه بارتياد مجالات تتسم بالجدة والفعالية في خدمة المجتمع. فقد عمل في مجال الإعلام شعوراً منه بما له من أثر كبير في البناء الفكري للأمة، ثم طرق ميدان العمل الاجتماعي، فاختار مجال رعاية الأطفال المعوَّقين، لما تحتاج إليه هذه الفئة من المجتمع من رعاية وعناية ليكونوا أعضاء نافعين عند انخراطهم في المجتمع من غير أي شعور بالنقص، كما امتد نشاطه الاجتماعي إلى فئة كبار السن بعمله رئيساً لمجلس أمناء مركز الأمير سلمان الاجتماعي الذي يولي اهتماماً كبيراً لبحوث الإعاقة.
هذا النشاط الواسع والمتنوع لسموه كان محوراً للحوار الذي أجراه قراء الفيصل معه في «منتدى الفيصل»، وقد تطرق الحوار إلى الجوانب الشخصية والفكرية لسموه، وكانت الصراحة سمة لهذا الحوار.

طالع منتدى الفيصل ص٢٢





التصوير الضوئي بين أرسطوطاليس وابن الهيثم

الذين يؤرخون لهذا الفن يعودون به إلى حقب مختلفة، وإلى أسماء متعددة: من أرسطوطاليس إلى تيتوس - قبل الميلاد - إلى بطليموس، ثم إلى الحسن بن الهيثم عالم البصريات العربي، وليوناردو دافنشي الرسام الشهير؛ انتهاء بلويس داجوير شريك جوزيف نيبس اللذين أعلن اختراع التصوير باسميهما عام ١٨٣٩م في أكاديمية العلوم بباريس. بعد ذلك اكتُشفت الصور الضوئية المجسمة، ثم انتقل هذا الفن إلى بلاد الشام، وعُرف باسم التصوير الشمسي، ثم إلى بقية البلاد العربية.
جان الكسان تحدث عن تاريخ هذا الفن.

طالع ص٨٣



كابوريا عازف الكمان الفريد

أنغام عجيبة تصدر من بين الجحور المنتشرة على طول السواحل، إنها أصوات عازف الكمان المشهور أحد أنواع الكابوريا المعروف بالبشبش، أو أبو جلامبو، أو سرطان البحر. وهذا النوع يختلف عن أنواع الكابوريا الأخرى؛ إذ يتميز بشكل خاص من حيث تركيب الذراعين فإحداهما صغيرة، والأخرى كبيرة بمخلب أمامي ضخم وقوي ذي فكين مشرشرين ليتمكن من القبض على الفريسة، أو الدفاع عن النفس ضد الأعداء. وبحركة هذه الذراع ونتيجة الاحتكاك تصدر تلك النغمات التي يستخدمها الحيوان لنداء النصف الآخر وإغرائه.
د. أحمد محمد إبراهيم كتب عن كابوريا عازف الكمان الفريد.

طالع ص٨٨



من كتاب العدد

د. مسعود بوبو

- من مواليد اللاذقية، سورية ١٩٣٨م.
- إجازة في الآداب من قسم اللغة العربية بجامعة دمشق ١٩٦٧م.
- دكتوراه في العلوم اللغوية من جامعة الإسكندرية ١٩٨٠م.
- أستاذ العلوم اللغوية بجامعة دمشق.
- عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.
- عضو مجلس اتحاد الكتاب العرب.
- له خمسة كتب في الدراسات اللغوية، وما يربو على خمسين بحثًا ومقالاً في اللغة والأدب والتراث العربي.

د. كريم زكي حسام الدين

- من مواليد المنصورة، مصر ١٩٤٩م.
- تخرج في قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة القاهرة ١٩٧٠م، وحصل على الماجستير في اللسانيات من الكلية نفسها ١٩٧٥م، ثم على الدكتوراه ١٩٨٠م.
- عمل مدرسًا (١٩٨٠م)، فأستاذًا مساعدًا (١٩٨٥م)، ثم أستاذًا للسانيات (١٩٩٠م) بكلية الآداب، جامعة الزقازيق.
- عمل أستاذًا زائرًا للدراسات العربية واللسانية بأمريكا واليابان وبعض الدول الأوربية والبحرين. ويعمل حاليًا أستاذًا للسانيات بكلية الآداب، جامعة الملك سعود.
- له مؤلفات عديدة في اللسانيات منها: التغيُّر الاصطلاحي، المحظورات اللغوية، الدلالة الصوتية، الإشارات الجسمية، الزمان الدلالي وغيرها.

أحمد القدومي

- من مواليد قرية جَيُّوس الواقعة ضمن لواء طولكرم في فلسطين، ١٩٦١م.
- نال البكالوريوس في الأدب العربي من الجامعة الأردنية ١٩٨٢م.
- نشر العديد من قصائده في الصحف والمجلات العربية.
- من دواوينه الشعرية المطبوعة: بلا زورق، عمّان ١٩٩٤م، ذكريات على شاطئ النسيان، عمّان ١٩٨٩م، رُباعيات الجرح النازف، الرياض ١٩٩٣م، شفاه الفَجْر، القاهرة ١٩٩٥م، الوَتَر الحزين، القاهرة ١٩٩٧م. وله مجموعة قصصية مخطوطة بعنوان: وقالت الشمس.

د. ناصر عبدالرازق الموافي

- من مواليد الدقهلية، مصر، ١٩٦١م.
- حاصل على الدكتوراه في الأدب العربي القديم من جامعة القاهرة، ديسمبر ١٩٩٤م بمرتبة الشرف الأولى.
- يعمل مدرسًا للأدب العربي بكلية الآداب، جامعة القاهرة.
- عضو اتحاد الكتاب المصري، وعضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية.
- من مؤلفاته: الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري ١٩٩٥م، القصة العربية عصر الإبداع، ط٣، ١٩٩٧م.

ومن البحوث: أدب الرحلات عند محمد حسين هيكل ١٩٩٦م، السفارات والسفراء في أدب الرحلات عند العرب ١٩٩٧م، كما نشر عددًا من المقالات في الصحف والمجلات المصرية والعربية.



الذئب على الباب:

انتهت مأساة البوسنيين لتبدأ مأساة الألبان!!

التاريخ يعيد نفسه بشكل مروّع. فالمسلمون يُقتلون في إقليم كوسوفو أحد أقاليم يوغوسلافيا السابقة. فهل ستنشب الحرب ثانية في دول البلقان؟

النساء المسلمات يرتدين أسمالاً بالية، ويحملن أطفالهن، وهن يجتزن التلال هاربات من الحرب، متجهات إلى مناطق أكثر أمنًا. فالشرطة الصربية المدججة بالسلاح أخذت تمطر رجالهن الذين بقوا في المنازل للدفاع عن بيوتهم، وتمطر قراهن بوابل من قذائف الرشاشات الثقيلة من الطائرات العمودية (الهليوكوبتر). لقد هاج هؤلاء الشرطة وماجوا، كما لو أنهم ذئاب جائعة، فقتلوا - أول مرة - اثني عشر شخصًا، كان من بينهم عشرة أشخاص من عائلة واحدة، هي عائلة أحمدي. وقد قتلوهم بعدما وقعوا في الأسر دون وازع من إنسانية. وبعض الضحايا فُقئت أعينهم، وبعضهم اجتزت رؤوسهم. وقد اتهم العاملون في جماعات حقوق الإنسان الشرطة الصربية باغتصاب النساء. كما شجب الزعماء المسلمون إراقة الدماء، واتهموا الصرب بأن أعمالهم تطهير عرقي. أما ردّ الصرب السخيف فإنهم إنما يحاربون الإرهابيين من المسلمين.

والوضع في كوسوفو يشبه وضع البوسنة عام ١٩٩٢م؛ عندما تفجرت التوترات بين الصرب الحاكمين، والمسلمين الذين يمثلون ٩٢٪ من السكان. وقد ذكرت مجلة NEWS WEEK أن الصرب قصفوا بالمدفعية ١٢ قرية على الأقل، وجميع هذه القرى كانت في منطقة درينيكا التي تبلغ مساحتها ١٢٠٠كم، ويقطنها ٦٠٠٠٠ نسمة. وقامت الشرطة الصربية بوضع المتاريس في الطرق، وتسيير دوريات مكثفة في عربات مسلحة. ومع نهاية الأسبوع الأول من الأحداث كان قد مات نحو ٥٠ شيخًا معظمهم من المدنيين الذين صادف مرورهم في منطقة القتال.

وقد ذكر شهود عيان أنه عندما قام المصور فاتوس بيريشا بتصوير الشرطة الصربية من إحدى نوافذ الصحيفة الألبانية «كوهاديتور» اقتحمت الشرطة أبواب الصحيفة وطاردته، فقفز من النافذة هاربًا، فوقع على الأرض وكُسرت ساقه، وعندما رآه أفراد شرطة آخرون يتلوى من الألم أخذوا يركلونه بأرجلهم. وهذا المشهد غير الإنساني أثار سخط أهالي كوسوفو.

كانت بداية تلك الأحداث في عام ١٩٨٧م عندما قام سلوبودان ميلوسفتش بزيارة كوسوفو، وألقى خطبة مثيرة في حشد من زملائه الصرب قائلاً: «هذه هي بلادكم»؛ وبذلك أشعل نيران القومية في تلك المنطقة، واندلع الشغب بعد ذلك الخطاب، إلا أن الصرب قمعوا ذلك بوحشية، ومن ثم تبنى زعماء كوسوفو المقاومة السلبية بعدم المشاركة في الحياة السياسية الصربية. وبذلك هدأت الأحوال في كوسوفو قليلا، ولكن النار التي أشعلها ميلوسفتش امتدت إلى بقية يوغوسلافيا بعد توليه السلطة؛ مما تسبب في تدمير البلد. وهناك من المتطرفين الصرب - أمثال أركان -، من كان يسلط رجاله على الألبان في بادئ الأمر، ثم حوّل اتجاههم الآن نحو السلب والنهب في كرواتيا والبوسنة الجمهوريتين اللتين انفصلتا عن الاتحاد اليوغسلافي. إلا أن كوسوفو - بصفتها مقاطعة أو إقليمًا من صربيا - لم تحصل على دعم عالمي لاستقلالها، وشكّل زعماؤها قوة ضاغطة لإنشاء جمهورية ضمن يوغوسلافيا؛ إلا أن معظمهم طالبوا فقط بحقوق متواضعة مثل: تدريس لغتهم الخاصة بهم في المدارس.

لقد أفاد اللاجئون الذين وصلوا إلى كوسوفسكا ميتروفيكا الواقعة على تخوم منطقة درنيكيا من أجل إنقاذ حياتهم أن الصرب يطلقون نيران رشاشاتهم الثقيلة من



الطائرات العمودية، ونيران مدافعهم على القرى. تقول زيلفي هاليلي البالغة من العمر ٥٣ عامًا والتي هربت مشيًا على الأقدام مع أختيها وأربع وعشرين امرأة أخرى: إن كل شيء يحترق في بريكاز. وفي وقت سابق أحيط بالأفراد الذكور من أسرة أحمدي الذين تُراوح أعمارهم بين ١٦ و٥٠ عامًا، ووُضعوا في رقعة أرض مزروعة، عرضها ثلاثة أمتار،

ثم انهالت الشرطة الصربية عليهم بإطلاق النار. وقد أكدّت مصادر صربية مقرّبة من النظام الحاكم تلك المذبحة، ولكنها وصفتها بأنها حادثة منعزلة قامت بها الشرطة. وقد وجد العاملون في جماعات حقوق الإنسان - في وقت لاحق - مزقًا من الأدمغة، والأسنان، والفكوك، وملابس ملطخة بالدماء لا تزال عالقة بالشجيرات. وقد قال باجرام ريشي: «هذه هي الحرب.. لقد كانت البوسنة هي الوجبة الأولى، أما نحن فقد احتفظوا بنا ليتناولونا كالحلوى بعد وجبة البوسنة»!!

نهب البحر!!

أساطيل صيد السمك تشق طريقها باحثة عن سلسلة الغذاء البحرية الدنيا



لقد اجتاح تغيُّر بحري كبير المؤسسات السمكية منذ الحرب العالمية الثانية، فأساطيل صيد الأسماك تصطاد مقادير أقل من الأسماك الجارحة الكبيرة، ومقادير أكثر من الأسماك الصغيرة في سلسلة الغذاء الدنيا.

وقد وثّق هذا التحول، الذي يعدّ ظاهرة عالمية، علماء من كندا والفلبين، وقد يعمل هذا التحول على تغيير النظام البيئي البحري بشكل يتعذر معه عودته إلى حالته الأصلية.

إن عالم الأسماك دانييل باولي الذي يعمل في جامعة بريتش كولومبيا في فانكوفر بحث - مع زملاء له في المركز العالمي لإدارة الموارد المائية الحية في مكاتي - عن صيد الأسماك على مستوى العالم من عام ١٩٥٠م-١٩٩٤م من خلال المعطيات التي جمعتها منظمة الزراعة والغذاء التابعة للأمم المتحدة.

وقد صَنَّفَت هذه المعطيات ٢٢٠ نوعًا من الأسماك الصالحة للغذاء في السلسلة الغذائية. إذ تم تصنيف العوالق الطحلبية، وهي قاعدة السلسلة الغذائية، في المستوى (١)، والحيوانات آكلة الطحالب في المستوى (٢)، والحيوانات آكلة الحيوانات التي تتغذى على الطحالب في المستوى (٣)، وهكذا. وقد أجرى الباحثون تحليلاتهم حول الأطنان السمكية المصطادة من كل نوع، وخلصوا إلى معدل مستوى غذائي من الأسماك التي يتم اصطيادها كل سنة، وقد أفادوا في آخر عدد من مجلة آل سينس (المجلد ٢٧٩، ص٨٦٠) أن معدل المستوى الغذائي العالمي من الأسماك التي يتم اصطيادها يتناقص على نحو ثابت.

وبالإضافة إلى هذه الظاهرة وجدوا انخفاضًا مؤقتًا في المحصول السمكي في الستينيات، فقد اكتشفت أساطيل صيد الأسماك قطعانًا هائلة معظمها من أسماك البلم البيروويّة (نسبة إلى البيرو) آكلة الأعشاب واصطادتها بكميات كبيرة.

إن هذه الظاهرة تنم على استنزاف تدريجي لأفضل أنواع الأسماك الصالحة للأكل، وهي - عادة - من الأسماك الجارحة ذات المستوى العالي، إذ استُبدلت بتلك الأسماك أسماك أصغر غير مرغوب فيها.

لقد عرف علماء الأحياء المختصون بالأسماك منذ سنوات أن الأسماك الجارحة الكبيرة قد استُنزفت أكثر من اللازم في الصيد الجائر، ولكن الدراسة التي قام بها باولي هي أول توثيق لهذه الظاهرة على مستوى العالم.

وبما أن الأمر يقتضي أن تلتهم الأسماك الجارحة الكبيرة عدة كيلوغرامات لتكتسب هي نفسها كيلوغراما واحداً من اللحم؛ فإن صيد الأسماك في السلسلة الدنيا يعني مقادير أكبر من الصيد. ومن المحتمل أن ذلك يساعد على تفسير بقاء مقادير صيد السمك ثابتة نسبيًا، على الرغم من الصيد الجائر لسمك القد ولأنواع أخرى مهمة.

يقول باولي - حسبما ورد في مجلة نيو سينتست NEW SCIENTIST: إننا إذا تابعنا الصيد في المستويات الغذائية الدنيا فإننا سنصل إلى نقطة لا نجني معها إلا مقادير أصغر من الأسماك. وهذا الأمر حدث فعلاً في شمال غربي المحيط الأطلسي، فإن معدل المستوى الغذائي، والصيد الإجمالي قد هبطا عموديًا في السنوات الأخيرة.

ويعتقد باولي أن هذا الهبوط المزدوج يمكن أن يشير إلى اضطرابات بيئية خطيرة، فالصيد الجائر للأسماك الجارحة الكبيرة قد يحوّل توازن الأنظمة البيئية البحرية نحو أنواع أخرى غير مرغوب فيها. وعلى سبيل المثال فإن الصيد الجائر للأسماك الكبيرة في البحر الأسود قد نجم عنه ازدهار في الأنواع المنافسة لتلك الأسماك مثل قنديل البحر غير المجدي تجاريًا.

ويقول باولي: إن مديري المؤسسات السمكية سيواجهون أوقاتًا صعبة لإعادة بناء السلسلة الغذائية حتى لو حظروا صيد الأسماك الكبيرة العليا. إن الصيادين لو حاولوا مطاردة الأسماك من المستويات الدنيا في السلسلة الغذائية فإن شباكهم لا بد أن تصطاد أسماكًا يافعة من الأنواع الكبيرة أيضًا. والحل الوحيد - كما يقول باولي - هو إنشاء مناطق محميّة لا يُسمح فيها بالصيد أبدًا. ولا توجد سبيل أمام إدارة المؤسسات السمكية الراهنة لإعادة الأسماك الكبيرة، ولكن الطبيعة هي التي ستقوم بذلك من أجلنا في المناطق المحمية بقدرة الله.

التركيز على التعليم من طريق العمل

(تجديد في بعض كليات التربية)

لقد أصبحت كليات التربية عرضة للانتقاد منذ زمن بعيد. فمنذ كتاب جيمس كورنر الصادر في عام ١٩٦٣م بعنوان «المدرسون الأمريكيون والتعليم المشوه»، إلى تقريرين مفزعين ـ صدرا مؤخرًا ـ أعدتهما لجان قومية، دأب النقاد على انتقاد الفراغ الفكري للمنهج الدراسي في كليات التربية، لافتقاره إلى الارتباط بين ما يُعلَّم والوقائع التي يواجهها المدرسون في غرف الفصل. وقد أثارت دراسة حديثة عن المدرسين والتدريب في كليات التربية التي تخرجوا فيها تعليقات مثل: «أكثر الأمور هذيانًا وحماقة»، ومثل: «هدر خسيس للوقت».

ومع الحاجة إلى مليوني مدرس جديد في عشر السنوات القادمة، فإن مواطن الضعف في كليات التربية تثير قلقًا عمليًا. وبشكل عام في مثل هذه البيئة الطبيعية الجرداء في الولايات الأمريكية لا يوجد إلا عدد قليل من الكليات يعمل على التجديد.

هنالك صفتان رئيستان تميزان هذه النماذج: الأولى يتطلب فيها الأمر أن يتقن الطلاب المواد التي سيدرسونها، وأن يبنوا مناهجهم الدراسية على ذلك. والثانية أن هذه البرامج تشجع الأساليب المبنية على الخبرة العملية والتجربة. ففي الوقت الذي تمتلئ فيه المناهج الدراسية بالدروس النظرية؛ فإن الأسلوب الجديد يركز بشكل كبير جدًا على التعلم بالتطبيقات العملية.

في جامعة أوهايو الحكومية في كولومبس يقضي الدارسون في السنة الأولى من الماجستير نصف وقتهم يدرسون في إحدى المدارس الحكومية التابعة لمقاطعة فرانكلين يرافقهم مدرسون متمرسون. وتقول كيلي كروكيت البالغة من العمر ٣٧ سنة، وهي خريجة جامعة أوهايو الحكومية، وكانت تعمل في قطاع الأعمال، وتعمل الآن مدرسة مقيمة في مدرسة غابلز الابتدائية: إن المرء ينغمس في التدريس من أول يوم يبدأ فيه عمله، وينبغي أن يكون مخلصًا له ومهتمًا به بصفة حميمة.

وتعمل كلية ذي بانك ستريت كوليدج أوف إديوكيشن في نيويورك، وهي كلية معلمين مدة سنتين، على رفع مستوى الصفوف الأولى عاليًا. تقول رئيسة الكلية أوغستاكا كابنر: إن ذلك يدفع الهيئة التدريسية إلى أن تحافظ على أمانتها التعليمية، وتضيف: أنهم يشجعون الطلبة على رؤية ما يؤدونه في المنشآت المدرسية بحيث يحسنون من مستواهم بشكل ثابت ومستمر.

وذكرت مجلة U.S. NEWS & WORLD REPORT أن مثل هذه البرامج التدريسية العملية المقارنة يوجد في بعض المعاهد التعليمية الأخرى بما في ذلك جامعة فرجينيا وجامعة ترينيتي في سان أنطونيو. ولكن ليندا دارلنغ ـ هاموند الأستاذة بكلية تدريب المعلمين في جامعة كولومبيا، والخبيرة بتدريب المعلمين تُقدِّر أن ما نسبته ٤٠٪ من ١٢٠٠ برنامج لتدريب المعلمين في البلاد حاز المعايير القومية المقبولة لتأهيل المدرسين. وتضيف: أن معظم كليات التربية قد عمل بطريقة بيروقراطية؛ زاعمة أن المدرسين لا يحتاجون إلى معرفة الكثير من الأمور، وكل ما يحتاجون إليه هو الكتاب المقرر فقط، ومن ثم إرسالهم إلى المدارس ليمارسوا عملهم.

إن بعض من يُفترض فيهم أن يكونوا مدرسين سيجدون أن برامج التعليم في أمريكا تقدّم لهم بديلاً جذابًا من كليات التربية الجامعية. ومنذ أن بدأت تلك الأبدال قبل ثمانين عامًا انتشرت أكثر من ٤٠٠٠ كلية بديلة للخريجين في المدارس الحكومية الحضرية والريفية. وعلى سبيل المثال فإن المعهد التدريبي الصيفي في هيوستون، على الرغم من أن التدريب فيه مضغوط بشكل كبير؛ إلا أنه يشاطر أكثر برامج تدريب المعلمين نجاحًا في ميزاتها. فالمدرسون الطموحون يعملون مع الأطفال كل صباح، ويدرسون مع مدرسين متمرسين بقية اليوم، ويُحضّرون الدروس في الليل.

إن أكثر النجاحات التعليمية إثارة في الولايات المتحدة تعود إلى اجتذابها شبابًا من ذوي الإنجازات العالية إلى مجالات التعليم. وتقوم أنجيليني سميث ـ سيمونيللو الدارسة المتفوقة في مادة الكيمياء الحيوية في كلية مارنت هوليوكي في ماساشوستس بتعليم العلوم في مدرسة بربت هارتي المتوسطة في أوكلاند بكاليفورنيا، وهذه المدرسة البالغة من العمر ٢٤ عامًا لم تفكر قط باتباع الطريقة التقليدية في التدريس. وتقول: كل شيء نسمعه عن كليات التربية هو شيء سلبي.

تقول إميلي فايسترايتزر الخبيرة في تدريب المعلمين في المركز القومي للمعلومات التعليمية: إن السمعة الكئيبة لهذه الكليات تعد عقبة رئيسة أمام الأشخاص الموهوبين الأذكياء الكيّسين للانخراط في مجال التعليم؛ سواء أكانوا من الأقليات أم من فئات اجتماعية أخرى.

إن كلاً من مدرسة بانك ستريت، وجامعة أوهايو الحكومية تبحث عن دارسين مدرّبين تدريبًا مكثفًا في الفنون العقلية(١) أكثر مما تبحث عن خريجين جامعيين في التربية.

تقول نانسي زمفر عميدة كلية التربية في جامعة أوهايو الحكومية: إن المطلوب هو المنافسة مع البرامج الحرفية الأخرى، مثل: قطاع الأعمال والهندسة والفن المعماري، وتضيف: أنهم يحصلون على أناس ربما لا يفكرون باتخاذ التعليم مهنة.

والسؤال الآن هو: هل ستحذو كليات التربية الأخرى حذو الكليات الرائدة في تحسين مناهجها الدراسية، ومن ثم تجذب دارسين أفضل، وبذلك تعمل على رفع نوعية التعليم؟.

الهوامش:

١ـ اللغات والعلوم والفلسفة تمييزًا لها من العلوم التقنية.



الفأر الثلاثي المنشأ:

هل يقطع دابر التهاب الكبد القاتل؟

الفئران التي تحتوي أجسامها على نسيج بشري تنتج أجسامًا مضادة تستطيع إنقاذ حياة الناس المصابين بالتهاب الكبد القاتل من فئة ب B. كما أن هذه الفئران يمكن أن تُستخدم أيضًا لاختبار مدى فعالية العقاقير في مجموعات واسعة من الأمراض الأخرى.

لقد لُقب هذا الفأر بالثلاثي المنشأ: تريميرا TRIMERA لأنه يحتوي على أنسجة من ثلاثة مصادر، هي: أنسجته الخاصة به، وخلايا (كريات) دموية حمراء من فئران أخرى، وتطعيمات من أنسجة بشرية.

أما الذي توصَّل إلى تشكيل هذه الأنسجة فهو يائير رايزنر من معهد فايتسمان للعلوم، وتم تطويرها تجاريًا في قسم العلوم الصيدلانية الحيوية التابع للمعهد. ومن المقرر فحص الأجسام البشرية المضادة التي ينتجها هذا الفأر لمعالجة التهاب الكبد B في أوائل العام الميلادي القادم.

وتُشكَّل الفئران في عملية من ثلاث خطوات تُعالج فيها بالطاقة المشعة لقتل جهاز المناعة الخاص بها (جهازها المناعي). وحيث إن الإشعاعات تدمر مقدرة الفئران على صنع الخلايا الحمراء؛ فيقتضي الأمر حقنها بخلايا نخاع عظام من فئران أخرى. وتؤخذ الخلايا المحقونة من فئران سبق إضعاف جهازها المناعي كذلك لتجنب إعادة توليد الأجسام المضادة الخاصة بها، ثم حقنها بخلايا (كريات) دموية بيضاء بشرية؛ وذلك من أجل إعطاء الفأر صورة كاملة طبق الأصل من الجهاز المناعي البشري الذي سيولد أجسامًا مضادة بشرية.

ان الذي يجعل من الفأر تلك الأداة القوية لصنع الأجسام المضادة ـ كما أوضح الباحث بيكر BECKER لمجلة نيو سينتست NEW SCI-ENTIST ـ هو أنه يمكن استخلاص خلايا الدم البيضاء من الأشخاص الذين سبق أن كافحوا بنجاح الإصابة بالتهاب الكبد B، وبذلك فإن خلايا الدم البيضاء المزروعة تكون قد قاومت الفيروس ومتأهبة لمكافحته.

وفي الفأر فإن الخلايا البشرية تستمر في صنع مزيد من الأجسام المضادة. ويقول بيكر: إن هذا الفأر يعمل بوصفه وسيلة موسعة؛ حيث إنه يحاكي نظام المناعة البشري الاعتيادي. والخلايا البشرية التي تصنع الأجسام المضادة تُستخلص من طحال الفأر. وبذلك فإن كل جسم مضاد يمكن تصنيعه بمقادير كبيرة من خلال أساليب استنساخ فنية معيارية.

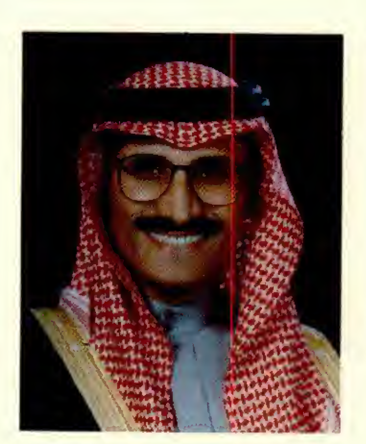
وتحدو بيكر الثقة بأن TRIMERA سيفوق بمقدار كبير الأساليب الفنية الأخرى. فعلى سبيل المثال فإن توليد الأجسام المضادة في الفئران هو أكثر شبهًا باستجابة جهاز المناعة البشري من زراعة الأجسام المضادة في أنبوب اختبار.

يقول بيكر: إن TRIMERA شبيه في كثير من جوانبه بنقص المناعة الخطير SCID، وقد عولج هذا الفأر بحيث يصبح جهاز المناعة لديه معطلاً، مما يجعل جسمه يقوم بزراعة خلايا دم بيضاء ومواد بشرية أخرى. إلا أنه يضيف: أن خلايا الدم البيضاء تعمل بشكل أفضل في TRI-MERA لأن الفأر يبدأ بجهاز مناعة اعتيادي قبل أن يعالج بالإشعاعات، وهذا يجعل الأمر أكثر سهولة لخلايا الدم البيضاء بأن تكون لها الغلبة؛ حيث يتوقف عمل الجهاز المناعي للفأر، لكنه لا يتعطل تمامًا كما هو الحال مع الفئران المصابة بنقص المناعة الخطير.



على خُطى الأولين:

رحلة على ظهور الهجن عبر



د. زياد بن عبدالرحمن السديري

صبر على الأحمال لا عجز ولا شكوى!

والنفود - علي وعورتها - هي من أمتع الأماكن التي يمكن أن يخرج لها محب الصحراء في الشتاء(٧٧). فهي ذرية، وفيرة الحطب، لينة الأرض، نظيفة المجلس. رياحها تضيع الأثر وتخفي المخلفات؛ فلا ترى فيها عادة إلا ما هو من البيئة وما يرتاح له البصر. وقد يكون أفضل وقت للخروج إلى النفود هو في أواخر الخريف، بعد أن تزول حرارة الجو وتغيب رمضاء الأرض، حتى وسط الشتاء قبل أن تتحرك رياح الربيع فتثير الرمال في عجاج منغِّص مُعْمٍ.

وإن كنت قد عجبت لشيء في هذه الرحلة فهو لصبر الهجن وجلدها ومداومتها على المسير على ما وضعناه فوق ظهورها من ماء ومأكل وفراش وعدة، إضافة إلى من حل راكبًا فوقها. لقد كانت هذه الركائب تسير؛ بل تركض في أكثر الأحيان، بهذه الأحمال مدة تُراوح بين ثماني ساعات وعشر ساعات كل يوم في برد قارص وفوق أرض رملية لينة، تارة بانحدار حاد وتارة بصعود شديد، لا تكل ولا تعجز ولا تشتكي فتحسبها سيارة لا روح بها. ثم تراها بعد مضي ليلة واحدة من سفرك عليها لا تبرك بعد عودتها من المرعى في المساء إلا بجوار فراشك وخرجك فتحسبها ألطف خلق الله وأضعفها.

إن هذه الكتابة عن هذه الرحلة هي - بلا شك - دعوة لكل قارئ من هذا الوطن للتفكير في ممارسة هذه الرياضة القديمة الجديدة، والسفر على الهجن لتَعَرُّف أركان هذه البلاد الواسعة عن كثب والتأمل في معالمها وأهلها وطبيعتها. فالمعرفة التي يكتسبها الإنسان من مثل هذه التجربة، والصلة بالأرض وبأهلها التي تتيحها مثل هذه الأسفار، لا يمكن أن يوازيها مواز من الوسائل الأخرى للخروج إلى البر. وللقارئ أن يتأمل فيما يمكن أن تفعله مثل هذه الرحلات للشباب؛ من تنمية للشخصية، وتمتين للعود، وتثقيف بالتراث وبواقع الحال في أجزاء هذه البلاد الكبيرة(٧٨). ولعل بعضكم يوافقني عندما أقول: إن كثيرًا من أبنائنا اليوم يعرفون عن بعض البلاد الأجنبية، من خلال أسفارهم أو من خلال ما يشاهدونه في التلفاز وأمثاله، أكثر مما يعرفونه عن أجزاء من وطنهم. وإنهم ربما يقدرون على مجالسة الأجنبي ومخاطبته أكثر من مقدرتهم على مجالسة أبناء بلادهم من بادية أو سكان قرى.

وأوحشت الدنيا وأودى بهاؤها!

كما أن في هذه الكتابة جذبًا للأنظار إلى بعض الجوانب التي أرى أنها تستدعي الوقوف والتأمل والاهتمام. فما يحدث في النفود وغيرها من المواقع؛ من قطع للأشجار وتعرية للأرض وإتلاف للمرعى ليس أمرًا ثانويًا ولا مسألة وجدانية لا تهم إلا البعض منّا؛ بل هي قضية ذات أبعاد بيئية واجتماعية واقتصادية ملحة تؤثر فينا جميعًا(٧٩).

في الماضي كان في هذه الصحراء توازن طبيعي حدد نوع المخلوقات التي تستطيع بيئتها أن تستوعبها وعددها. لذا، بفضل سيادة هذا التوازن، فقد بقيت حيوانات هذه الأرض ونباتاتها، وبقي سكانها على مر العصور، على ما كانت تمر به من سنين عجاف وتعانيه من أوبئة وتشهده من حروب. الآن بعد أن تجاهلنا هذا التوازن وأخللنا به من خلال ما أدخلناه من وسائل تقنية حديثة، أو بسبب تدخلاتنا الأخرى في هذا النظام القديم، فإن هذه البيداء وأهلها وحيواناتها ونباتاتها هي الآن في حال لا تبعث على الاطمئنان أبدًا.

فالآبار التي انتشرت في كل أنحاء هذه البلاد، والسيارات التي مكنت البادية من نقل الماء إلى أقصى القفار في كل الأوقات، نقضت، بين ليلة وضحاها، ذاك المنطق الأزلي الذي كان يسود هذه الأرجاء، وخرقت، كما لم يخرق شيء من قبل، ذلك الحمى الذي كانت تفرضه منظومة الحياة فيها.

لا شك أن مجيء التقنية الحديثة أحدث نقلة كبيرة في حياة أبناء البادية، وحسَّنَ من أحوالهم وخفّف من قسوة ظروفهم؛ فالسيارة نقلت مع الماء الزاد والدواء والمريض والطالب وأشياء أخرى كثيرة جعلت البادية تتمكن مما لم يكن ممكنا لها في الماضي. وبالمقابل فإن هذه النقلة أخلَّت بهذه القفار وهتكت كل ما كان

بوابات التاريخ القديم ٤/٤



قفرًا فيها، وعصفت بهذه الصحراء وغيَّرت كثيرًا مما كانت تعنيه صحاريها.

وأجدب مرعاها الذي كان يُمرِعُ!

فالسيارة جعلت بمقدور البادية أن تصل إلى أي مكان في كل وقت وتحت كل الظروف حتى صار مكان نزولها غير مرهون، ومدة إقامتها غير مرتبطة بحلول الفصول أو بالقرب من موارد الماء القديمة القليلة، أو غير هذا من الاعتبارات التي كانت تحكمها من قبل. ونتيجة لنشوء هذا الواقع الجديد فإن النظام الذي كان يحكم حياة البادية ويحدد حركتها؛ فيحمي منها بعض المناطق في بعض المواسم، ويحمي غيرها في مواسم أخرى ويسمح للنباتات والأشجار بالنمو والاكتمال والانتشار أصبح نظامًا غير ملزم لها ولا محترم منها. ونتيجة لهذا الشعور المضلل بالتحرر من قيود الماضي فقد تراجعت حالة المراعي في كثير من الأماكن وظهر أثر هذا في البادية بشكل واضح. وهكذا، فإن هذه المحاولة للسيطرة على الطبيعة وتطويعها أتت وهي تحمل معها بذرة فشلها والقسط الآخر الكبير من ثمنها.

إزاء هذا الوضع وبدافع الرغبة في التخفيف من أثر الانتكاسات التي كانت البادية تعاني منها بصفة شبه دائمة، اتجهت الحكومة إلى إعانة البادية لمساعدتها ودعمها ورفع مستوى عيشها. وقد كانت الحكومة قد اعتمدت برامج كثيرة لخدمة البادية شملت: محو الأمية للكبار، والتعليم للصغار، والدعوة إلى الاستيطان ومنح من يفعل هذا الأراضي الزراعية والقروض.

بعد هذا ارتأت الحكومة أن تضيف إلى هذه البرامج الإعانات التي قُصد منها مساعدة البادية في حفظ ماشيتها. في البدء كانت هذه الإعانة تأتي في الظروف الطارئة القاسية.



ومع مرور الوقت أصبحت الإعانة شيئًا ثابتا وأصبحت وسيلتها المباشرة هي الأعلاف المخفضة والمحددة السعر. ومرة أخرى فقد كان لهذا القرار في بادئ الأمر أثر إيجابي كبير في أحوال البادية. فقد أدى توافر الأعلاف والانخفاض الكبير في أسعارها إلى اطمئنان أصحاب المواشي وإلى الإقلال من آثار تقلبات المناخ ونقص الأمطار عليهم. وأدى هذا كله إلى زيادة كبيرة في أسعار الماشية التي تقتنيها البادية. ولكن مرة أخرى فإن هذا التدخل في نظام الحياة في الصحراء كان له أثره الكبير في إيقاع الحياة فيها.

لقد كانت أهم التطورات التي أحدثتها إعانات الأعلاف هي اندفاع البادية بقوة - وعلى نطاق واسع - إلى إحلال الأغنام محل الإبل التي كان اقتناؤها هو المفضل وهو السائد في الماضي. والسبب لهذا الاندفاع، الذي كانت أولى علاماته قد ظهرت مع قدوم السيارة إلى البادية، هو أن الأغنام، ولاسيما بعد توافر الأعلاف المعانة، أصبحت تحقق لأصحابها نفعًا أكبر مما تحققه الإبل.

في الماضي البعيد كانت أعداد الأغنام التي تقتنيها البادية قليلة نسبيًا، وذلك لأن الأغنام لا تستطيع أن تسير فتقطع المسافات الطويلة التي يلزم قطعها للوصول إلى المرعى، ولا تستطيع أن تتحمل العطش والجوع وظروف المناخ، ولا تستطيع أن تتحرك بالسرعة التي تتطلبها ظروف حياة البادية، كما تفعل الإبل. ولكن بعد أن قدمت السيارة فسمحت للبادية بحمل الماء بكميات كبيرة إلى حيث المرعى مهما بعد من مصدر الماء، ويسرت من نقل الأغنام أيًا كانت المسافة المطلوب تجاوزها، وبعد أن قلت أهمية الإبل كمصدر أساسي للغذاء أو الملبس أو كوسيلة للتنقل، وبعد أن انتشرت الأسواق وزاد طلبها على لحوم الأغنام، فإن المعادلة القديمة تغيرت وأصبحت الأغنام شيئًا مرغوبًا فيه، وصار اقتناؤها والتوسع في تربيتها أمرًا ممكنًا. وعندما وصلت الأعلاف المعانة سدت الناقص في هذه المعادلة، فتسابق أبناء البادية إلى شراء الأغنام وتربيتها، ودخل معهم في هذا المضمار مستثمرون كثيرون من غير أبناء البادية؛ فاندفعت الأغنام من بلاد الشام والعراق، ومصادر أخرى على هذه البلاد، وأصبحت قطعانها تنتشر في كل مكان وتعد بالآلاف.

المشكلة الرئيسة في هذه المستجدات هي أن الأغنام ليست كالإبل. فالإبل تسير بأخفاف لا تؤثر في الأرض ولا تضر بالمرعى الذي تطؤه، وإن أتت النبات فإنها لا تصل إلا إلى ما اكتمل نموه، وإن رعته فإنها لا تأكل إلا بعضه. أما الأغنام فإن أفواهها الصغيرة تلتقط النباتات وهي ما زالت في مراحل النمو المبكرة، وأظلافها الصلبة تتلف كثيرًا مما لا ترعاه.

حتى إن بعض البادية، وقبيلة «المرة» على وجه التحديد، تشبه أثر الغنم في الأرض بأثر الجدري في الإنسان، فعندما يدعو أحدهم على الآخر يقول: «جعلك للجدري»، وقصده من ذلك: عسى أن تأتي الغنم إلى الأرض التي تنزل بها.

وهكذا، مع تكاثر الأغنام ووجود السيارة وانتشار الآبار وقطع الأشجار في كل مكان، لنا أن نتصور ما يعنيه كل هذا من ضرر للبيئة وللمراعي وما يترتب عليه في النهاية من أثر في البادية. فالآن بعد كل هذه التطورات وبسببها أصبحت حاجة أصحاب المواشي - وأولهم البدو المقصودون أساسا بالإعانة والمساعدة - إلى الأعلاف أكبر، وصار ارتباطهم واعتمادهم عليها أبلغ، وغدا تأثرهم بمتغيراتها أشد. فترى أبناء البادية الآن وقد أصبحوا يترقبون الأعلاف

ويتلقفون أخبارها في كل حين، فإن قلّت كمياتها المعروضة اهتزوا، وإن تبدلت أسعارها ارتبكوا حتى في وسط الربيع.

السؤال الذي يُطرَح الآن هو: ماذا يجب علينا أن نفعل إزاء هذه التطورات؟ وكيف يمكن لنا أن نصحح هذه الأوضاع ونمكن هؤلاء المواطنين الكثيرين من التمتع بعيش كريم مستقر؟

فالإعانات، كما شاهدنا في برنامج الأعلاف وفي برامج أخرى، لا تحقق إلا نفعًا وقتيًا يرتهن بها ويقوم على استمرارها، فإن قَلَّت أو توقفت عادت حال المعان إلى سابق عهده أو دون ذلك. والسبب البسيط في هذا هو أن كثيرًا من الأشياء التي تُخَصَّص لها إعانات ليس لبدئها أو لاستمرارها أو لتوسعها أي مسوّغ إلا الإعانات. أي ليس لها أساس آخر يتصف بالثبات أو الاستقرار - أو كما قد يقول الاقتصاديون الجدوى - يمكنها من البقاء على حالها أو التطور إلى حال أفضل بغياب الإعانات.

الإعانات بلا شك وسيلة لتوزيع الثروة، وهي لا شك وسيلة سريعة لتحقيق هذا الغرض وإيصال هذا التوزيع إلى أكبر عدد ممكن من المستفيدين منه. ولكن المعضلة في هذه الوسيلة، وفي المنطق الذي تقوم عليه، هو أنه يفترض وجود هذه الثروة دائمًا ويعول على كفايتها للاستمرار بهذا التوزيع، على ما يحدث من متغيرات ومن زيادة في عدد السكان وفي الطلب على هذه الإعانات. والمعضلة الأخرى هي أن هذه الطريقة لتوزيع الثروة لا تحقق فائدة باقية أو نفعًا مستقرًا أو رفعًا دائمًا لمستوى عيش المواطن الذي يصل إليه التوزيع؛ وإنما تقوده إلى الارتباط وربما التوسع في عمل أو في استثمار أو في تجارة لا تقوم إلا على استمرار هذه الإعانة. فإن نشأ ما يمنع من استمرارها - كما شاهدنا في حالات عديدة - رجعت حاله إلى الوراء. وفوق هذا فإن الإعانات يكون لها دائمًا آثار وتفاعلات جانبية كثيرة غير متوقعة وغير محمودة. ففي حال الأعلاف رأينا كيف أدت الإعانة - مع أشياء أخرى - إلى قيام البادية باستبدال ماشيتها التقليدية وإحلال ما لا يصلح لبيئتها محلها، وإلى دخول آخرين كثيرين في مجال تربية الأغنام معها ومنافستها على المرعى والأعلاف، وأخيرًا إلى زيادة الضغوط على المراعي إلى الحد الذي أدى إلى الإضرار بها وبالبادية التي تعتمد عليها.

وفي حالات أخرى فقد كان من آثار الإعانات غير المتوقعة: الزيادة الكبيرة في استهلاك خدمات المرافق أو في سحب المياه الجوفيه، أو غير هذا من التفاعلات التي لم نحسب لها حسابًا وأصبحنا نعاني من مساوئها الكثيرة.

نحن يجب ألاّ نغفل الحقيقة المتمثلة في أننا ما زلنا نعيش في وسط صحراء كبيرة؛ مياهها محدودة، وسكانها يتزايدون، وثرواتها الطبيعية تحكمها ظروف الأسواق العالمية، وأننا ما زلنا - على كل ما حققناه من تقدم وبناء وزراعة وصناعة - نعتمد إلى حد كبير جدًا على هذه الثروات الطبيعية في تصريف شؤوننا وتأمين أسباب عيشنا الذي تعودناه وأصبحنا نتوقع استمراره.

فالسؤال الذي يجب ألاّ يغيب عن أذهاننا أبدا ويلزم أن نستعد للإجابة عنه الآن ليس هو: كيف يكون توزيع الثروة فقط؟ وإنما أيضا: كيف تكون حالنا بعد أن تقل هذه الثروة أو تزول؟

من يقول بأن هذه مسائل مستقبلية بعيدة عليه أن يعيد النظر مرة أخرى فيما حوله. ومن يقول إن نضوب الثروات الطبيعية هو نهاية كل

الهوامش:

٧٧- للشاعر النبطي عجلان بن رمال قصائد كثيرة في وصف النفود. والمعروف أن عجلان كان قد ترك موطنه بسبب خلاف نشأ بينه وبين أحد أمراء آل رشيد ولجأ إلى قبائل عنزة في الشمال. يقول عجلان:

يا عل خرجا ما لهلها المقدى
والتنف وغراب الحدالى ولاهه
اللي على عمري تحدا تحدى
والثلج عندي عامل له فلاحه
لا جا المغيرب تقل خام يقدى
وسكر هبوب البرد والشمس طاحه
الله على دور لنا لو يردى
مشتا النفود ولذته وانبطاحه

خرجا: قرية في شمال المملكة الأردنية الهاشمية. التنف: مكان يقع في غرب صحراء الجمهورية العراقية على حدودها مع الجمهورية السورية. غراب الحدالى: اسم جبل يقع إلى الشمال من خرجا في الجمهورية السورية بالقرب من حدودها مع المملكة الأردنية الهاشمية. لاهه: اسم هضبة تقع في شمال المملكة العربية السعودية بالقرب من حدودها مع الجمهورية العراقية. مالهلها المقدى: أي إن أهلها مخطئون في اختيارها. فلاحة: أي مزرعة، والمقصود أن الثلج يكسو الأرض. لاجا المغيرب: أي إذا حل وقت المغرب. تقل خام يقدى: أي كأنه القماش الأبيض المصفوف. سكر هبوب البرد: أي اشتد البرد. الشمس طاحه: أي غابت. وتأتي كلمة «طاحه» هنا بلهجة شمر. دور: أي وقت أو عهد. البطاحة: أي الانسداح فيها.

ومن قصائد عجلان في النفود قوله:

واديرتي زبنى عن التيل والريل
ومصنع الداناة ما قعد لنا راس
أشتي بها بالشبط لو ما معي كيل
يطي شهر كانون ما شوف الأوناس

رحلة على ظهور الهجن عبر بوابات التاريخ القديم ٤/٤

شيء، عليه أن ينظر إلى الدول التي أصبحت في مقدمة العالم الآن على خلو بلادها من مثل هذه الثروات.

إن حال البادية، والحلول التي أرجو أن ننتهي إليها حيال معالجة أوضاعها، هي حالنا جميعًا، والحلول لها هي الحلول لنا جميعًا. ومستقبل البادية ليس في تربية الأغنام. لو كنا نعيش في بلاد تكثر بها الأمطار وتكسوها الخضرة ـ كما هي الحال في اسكوتلاندا أو أستراليا أو نيوزيلندا ـ فربما كان لنا أن نفكر في تربية الأغنام والتوسع فيها مثل ما هو جار في تلك الدول. إنما نحن نعيش في صحراء قاحلة، أمطارها قليلة، وخضرتها محدودة وعابرة، والمواشي التي يمكن أن تعيش وتنمو فيها لم تكن في أي وقت من الأوقات هي الأغنام. إن الإعانة قد تبقي على الحياة في البادية إلى حين، ولكن مخرج البادية بعد الله سيكون في غيرها.

إن الحلول التي أتمنى أن ننتهي إليها يجب أن تبدأ بإلقاء نظرة فاحصة على نقاط القوة والضعف التي تتصف بها برامجنا، ثم إلقاء نظرة أخرى على الدول التي تمكنت من الوصول إلى مراحل ومعدلات من النمو المستقر والازدهار الاقتصادي الثابت نسبيًا وغير المرتبط بإيرادات الثروات الطبيعية. ونحن عندما نفعل هذا فيجب أن نتذكر أننا لسنا وحدنا الذين يواجهون مثل هذه التحديات. فما من أمة أو دولة، مهما كبر شأنها أو صلحت أحوالها في أي وقت أو مكان، إلا وكانت لها مشكلاتها وهمومها الخاصة بها. كما يجب ألاّ ننسى، ونحن نقف إزاء هذه المسائل التي تسترعي اهتمامنا، أننا لسنا خلو اليدين. فنحن ننعم بمقومات مهمة وكثيرة تؤهلنا للاستمرار في إكمال مسيرة البناء والنمو التي بدأناها. فعدا الأمور المادية المنظورة المتمثلة في أشكال البنية التحتية التي أصبحنا نحظى بها، وعدا الثروات الطبيعية التي ما زلنا نملكها، فإننا أيضا نعيش في مجتمع توثقت عُرى الروابط بين أجزائه، وننعم بالاستقرار وبالأمن الذين لا يمكن لأي تقدم أو بناء أن يحدث في غيابهما، ولدينا جيل متعلم مهيًّأ لمتطلبات مستقبله. ومن لا يرى أهمية هذه المقومات فليتأمل فيما أدى إليه غيابها حتى في الدول التي توافرت فيها الثروات الطبيعية.

قد تبدو بعض هذه المواضيع دخيلة على هذه الكتابة التي زاملت الركائب، وجلست في بيوت الشعر، وعشقت سكون القفر؛ فأخذت لونًا وجدانيًا أو كادت تفعل. ولكن ما عسى للمشاهد الذي أحب هذه البيداء وأهلها أن يقول؟!!



الهوامش:

جزرة ظما ما دشها بارد السيل
مظامي ما يقطعه كل عرماس
نشتي بها لاجل امهات المخاليل
بذرا الغضا يرعن ولو هب نسناس
قزون عنها مروحين الشماشيل
اللي يلفون العمايم على الراس
جزيتهم بالغيظ عشرة مراحيل
ارداهن اللي منزلي عقب الادماس
ونزلت عند معربين الأخاويل
هل المكارم كاسبة كل نوماس
إخوان بتلا لا وقع غالي الشيل
حماية الساقة والارياق يباس

التيل والريل: قد يكون التيل هو التلغراف؛ أي البرق أو ربما السيارة التي تسمى بالإنجليزية: أتوميل. والريل هو القطار. الدانات: القنابل. الشبط: شباط. كيل: مؤونة. الاوناس: البشر. جزرة ظما: جزيرة للظمأ. دشها: دخلها. مظامي: الأماكن التي يظمأ من يأتيها. عرماس: ذلول. أمهات المخاليل: النوق التي تتبعها صغارها. والمخاليل صغار الإبل. نسناس: الريح. قزون عنها: أبعدوني عنها. مروحين الشماشيل: من يأخذون أو يسلبون الإبل (بعض رواة هذه القصيدة يقولون: مروحين الشماليل. ويقولون: إن المعنى هو أن لملابسهم رائحة. ولكنني أرى أن الرواية الأولى أقرب إلى الصحة). الادماس: الظلماء، والمقصود المساء. الأخاويل: الأخوال. نوماس: مفخرة. إخوان بتلا: المقصود آل هذال. وقع: سقط. حماية الساقه: الذين يحمون المؤخرة عند الانسحاب وهذه إشارة للشجاعة المتناهية. الأرياق ياس: عندما تكون الريق يابسة من هول الحرب.

البيتان التاليان من قصيدة لم أعثر على بقيتها وقد اختلف حولها الرواة. فمنهم من يقول إنها لعجلان بن رمال ومنهم من يقول إنها للحساوي الرويلي. يقول أحدهما في وصف النفود:

الله من برد نحف حال عودي
الظنه أنه من ظنا بردنا العام
الله على عجز بهالك النفودي
توامهن يرقد هنى اليا نام

نحف حال عودي: أضعف جسمي. الظنه: الظن. من ظنا بردنا العام: من أبناء أو من أثر برد السنة الماضية. العجز: من العجوز؛ أي كبيرة السن، والمقصود هو حطب الأرطا من الأشجار المعمرة التي تكثر في النفود. توامهن: النائم بجوارهن.

٧٨ـ سوف يسر مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية مساعدة من له اهتمام في القيام بمثل هذه الرحلة بالمعلومات التي يطلبها بما في ذلك مصادر الهجن وعدة السفر (مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية، سكاكا، الجوف، ص.ب ٤٥٨، هاتف ٦٢٤٥٩٩٢، فاكس ٦٢٤٧٧٨٠).

٧٩ـ كان أمير الجوف السابق عبدالرحمن بن أحمد السديري يرى أن السبيل الصحيحة للمحافظة على المراعي ومساعدة البادية هو وضع نظام للرعي يقوم على أساس تنظيم دخول البادية إلى المناطق الرعوية على مدار العام، وحجب أو تحديد استعمال الآبار التي انتشرت في أنحاء الصحراء. وعلى سبيل المثال كان يرى منع دخول البادية إلى النفود إلا في الشتاء، ومنع دخولهم سهول الحماد إلا في الربيع أو الخريف حتى يتسنى للنباتات في هذه الأماكن أن تظهر ويكتمل نموها بما يخدم أهل الماشية ويحفظ النباتات، كما كان يحدث في الماضي قبل مجيء السيارة وقبل انتشار آبار الماء في كل مكان، بدلاً مّما هو قائم الآن حيث تجتمع البادية بأعداد مواشيها الكبيرة في الأماكن التي ينزل فيها المطر بمجرد نزوله؛ فتتلف العشب قبل اكتمال نموه وتقطع الأشجار وهي صغيرة فتصبح الأرض بعد مدة قصيرة من تجمعهم جرداء قاحلة لا مرعى ولا منزل فيها.

قصيدة

هات عطرك يا رفاعي

شعر: عصام الغزالي

في ذكرى الأديب الكبير الشيخ عبدالعزيز الرفاعي يرحمه الله



حسبتك لم تبارحْ يا رفاعي ... فنفحُ الطيب يُسكتُ كلَّ ناعي
ومـا طِيبٌ كطيبك من وفاءٍ ... ومن نبلٍ أصيل في الطباعِ
ذهبتُ إلى الرياض فقابلتني ... رياضُك بابتسامٍ واتّساعِ
فزقزقت القصائد في مدادي ... وأزهرت القلائدُ من يراعي
وذاعَ على غصونك خيرُ شعري ... وعلّقتَ (المؤطَّر) من رقاعي(١)
فأخرجتُ الجواهرَ من جيوبي ... فزيَّنَها ثناؤكَ بالشعاعِ
إذا قلتُ الرياض فذكّروني ... بأمسية الخميس والاجتماعِ
وأصحاب المكارم قاصديها ... أساطين الفنون بلا نزاعِ
أديبٌ، شاعرٌ، أستاذ نقدٍ، ... روائيٌّ، صحافيٌّ، إذاعي
كرامٌ سامعون، عرفتُ فيهم ... كرامًا كاتبين، ذوو اطّلاعِ
لآلئ من ضيوفك حَبُّ عقدٍ ... وتَنظِمُهُ بشاشةُ خير داعي
ويجمع شملهم صدرٌ حليمٌ ... وحبلُ مودّةٍ دون انقطاعِ
حسبتكَ حين قمتَ ولم تودِّعْ ... ولم يُلْقَ السلامُ على سماعي
وحين سحبتَ خطوك في أناةٍ ... ولم تطفئ سراجكَ في ارتياعِ
حسبتك ذاهبًا لتعود فيهم ... بِسَفْرٍ أو أداةٍ أو متاعِ
حسبتك لن تغيب، هو التمني ... تغالبه المنيّةُ في خداعِ
فتطفر دمعةٌ وتفيض أخرى ... وينطلق التذكُّرُ والتداعي:
أبا عمّار كم سدّدتَ خطوي ... وكم شجّعتَ ما نظم ابتداعي
وكم أوليتني حبًّا ورِفقًا ... ووجهًا باسمًا راضَ اندفاعي
فصغتُ لك القصيدة محضَ حُبٍّ ... لحُبٍّ، لا لغنمٍ وانتفاعِ
سنونٌ عشرُ نجمي في ارتباطٍ ... بنجمك وارتفاعٍ بارتفاعِ
رحيلُك بعدها وَهْمٌ كبيرٌ ... وطيفُكَ بعدها دون اقتلاعِ
ويبقى بعدها عندي سؤالٌ ... يُلحُّ وما الشفاء بمستطاعِ
فأهتف: لو بقيتَ ولم تبارح ... و (لو) حرف امتناعٍ لامتناعِ
أجبني (طال عمرك) هل سأبقى ... طويلاً في انتظارك غيرَ واعٍ؟!
وأشتاقُ التقاءك في مساء الـ ... ـخميس ونفحَ (عطركَ في الوداع)؟!(٢)
يمينَ اللهِ إن العطر باقٍ ... لديك فهاتِ عطرك يارفاعي

الهوامش:

١- إشارة إلى قصيدة: عروس الخميس المعلقة في صدر قاعة الندوة.
٢- إشارة إلى عادة الشيخ الكريم - رحمه الله - تعطير ضيوفه المنصرفين من ندوته.

أقوال
الماضي للحاضر

الشورى



د. عبدالعزيز بن عبدالله الخويطر

الشورى نظام ارتضاه الإسلام أن يكون من بين أسس الرأي المقبول، الموصى به، والمحثوث عليه؛ ومن بين أسباب الصواب في القول والعمل؛ ارتضاه الإسلام وسيلة من وسائل نجاح القصد، وإصابة الهدف، في كل أمر، صغر أو كبر، عظم أو قَلَّ.

والشورى منطلق فكري، دل على فائدته العقل الزاكي، والفهم السليم، وأوصل إليه التدبر المتبصر؛ لأنه يجمع عصارة الآراء، وخلاصة الأفكار، ويوصل إلى نضجها، ويبعد، إذا ما أُتقن الأمر، عن الزلل، ويجنّب المستشير الخطأ.

والشورى تنير الطريق، وتفتح الأبواب، وتزيل الغشاوة عن العين، وتقضي على الغموض، وتزيح حواجب الأستار؛ يسلم المرء بسببها من مفاجآت لم تكن تخطر بالبال، وتوفّي ما قد يكون ناقصًا، وتنضج ما كان فجًا، وتصقل الخام، وتزيل الصدأ، وتقي من الزلل؛ بها يتوافر العذر، ويُتفادى العتب، وبها يخف حمل المسؤولية، بالمشاركة فيما تأتي به الاستشارة من رأي. والشورى وِجَاءٌ من الوهم، وحماية من الحيرة، وتسهيل للصعب، وجلاء للغامض.

لهذه الأمور النّيِّرة جعلها الإسلام ركنًا من أركان الفطنة، وعمادًا للاستقامة، ودليلاً على سلامة التفكير، ونبراسًا لصحة العقل؛ من اختارها كسب، ومن تجاهلها خسر.

والمرء يستشار في مهنته، لطول تجربته، وحسن أدائه لعمله برزانة وعقل، ويستشار لعلمه، وتفقهه في الأمر الذي يُستشار فيه؛ ويُستشار لما يُعرف عنه من عقل، وحكمة، واستقامة.

والاستشارة تأتي عند الأمر العصيب للخروج من مأزق، أو تفادي أمر خطير، وتأتي للاستنارة لتحسين وضع، أو تجميل حال، وتأتي عندما يصل المرء إلى رأي يريد أن يطمئن إلى أنه صائب، ويستشير المرء ليقضي على التردد، ويدخل حيز الجزم.

وهناك من تعودوا الاستشارة، وجعلوها نصب أعينهم، وديدنهم، إيمانًا منهم بالمبدأ الذي تدعو إليه، وأنها تؤدي إلى نتائج حميدة فيه، ولمسًا للنتائج التي يصلون إليها، واعترافًا بفضلها. وهناك من لا يلجأ إليها إلا في الملمات، اعتقادًا بأنها تلزم ـ فقط ـ في الأمر العظيم، والخطب الجلل. وهناك من لا يفكر فيها أبدًا، ويندم عندما يكتشف أنه خسر، لأنه لم يستشر، ولو فعل فربما ربح.

والمرء قد يكون حرًا في أن يستشير، أو لا يستشير، إذا كان الأمر يخصه هو فقط، وفي حدود أمور شخصية، ولكنه ليس كذلك إذا كان يخص آخرين، ويلمس المصلحة العامة، والقدوة الأعلى في هذا رسولنا الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذي جعل للشورى مقامًا، وأعطاها قيمة، وبَيَّنَ فضلها، قولاً وفعلاً.

وعلى هذا فالحكام هم أولى الناس بالاستشارة، ويليهم المسؤولون عن جانب من جوانب الحياة المختلفة، التي تلمس حياة الناس، في معيشتهم، واقتصادهم وأمنهم، وصحتهم، وتعليمهم، وأمورهم الاجتماعية، وما يجلب لهم نفعًا، وما يبعد عنهم الضرر، وما يأتي لهم برغد العيش، والازدهار، ويبعد عنهم شظف العيش والعوز.

وما مجالس الشورى في الدول، وما المجالس النيابية الحديثة، إلا صور من صور الجهد في إيجاد وسائل استشارة تسد فراغًا في سير الحياة الحديثة، في هذا العصر الذي اشتبكت فيه الأمور، وتوسعت، وتداخلت، وتماسكت، وتعقدت.

والمستشار مؤتمن، فعندما يُستشار فإنه يحمل أمانة عظمى، من مستلزماتها حفظ السر، والنصح للمستنصح، وعدم التفريط في بذل الجهد فيما يكون فيه الصالح. والغش في الاستشارة فيه إثم عظيم، ويوجب الاحتقار، والاشمئزاز، ولهذا يحرص المستشار أن يكون مخلصًا للفكرة، باذلاً جهده في التبصر، ومحاولة الوصول إلى ما ينفع.

ولمدى أهمية الأمانة في المشورة، والدقة فيها، وتوخي مصلحة المستشير، نسوق القصة الآتية:

«استشار زياد بن عبيدالله الحارثي عبيدالله بن عمر في أخيه أبي بكر أن يولّيه القضاء، فأشار عليه به، فبعث إلى أبي بكر فامتنع عليه، فبعث زياد إلى عبيدالله يستعين به على أبي بكر فقال أبو بكر لعبيد الله:

أنشدك بالله، أترى لي أن أَلِيَ القضاء؟

قال: اللهم لا.

قال زياد: سبحان الله! استشرتك، فأشرت عليَّ به، ثم أسمعك تنهاه!

قال: أيها الأمير، استشرتني، فاجتهدت لك رأيي، ونصحتك، واستشارني، فاجتهدت له رأيي ونصحته».

(عيون الأخبار ١٠/٨٤).



الزواج

مودة صادقة ووفاءٌ مستمر

عبدالعزيز بن صالح العسكر

الزواج هو الطريق الصحيح الحلال للقاء الجنسي بين الرجل والمرأة، والذي ينتج منه الذرية من أبناء وبنات، وهو عقد وعهد وميثاق أساسه الرضا من الطرفين، كل منهما بالآخر. وقد عُني الإسلام به أشد عناية، فوجه القرآن الكريم والسُّنة النبوية، إلى حسن اختيار الزوجة، كما وجه الأولياء إلى حسن اختيار الأزواج لمولياتهم من بنات وأخوات وغيرهن، قال الله تعالى: *والطَّيِّباتُ للطَّيِّبينَ والطَّيِّبونَ للطَّيِّبات*. النور:٢٦. قال بعض المفسرين: الرجال الطّيبون للنساء الطيبات والعكس.

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه: «تُنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، وجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك»(١).

ويروي ابن عبدالبر القرطبي أن أبا الأسود قال لبنيه: «يا بَنيّ قد أحسنتُ إليكم صغارًا وكبارًا، وقبل أن تولدوا، قالوا: وكيف ذلك؟ قال: التمست لكم من النساء الموضعَ الذي لا تُعابون به»(٢).

ولهذا استقر في أذهان المسلمين أن الزواج ليس متعة جنسيةً فقط، وليس نزهة مؤقتة يقضي الفرد زمنها كيفما أراد؛ بل الأمر بخلاف ذلك تمامًا، إن الحياة الزوجية رحلة العمر، ومحضن الأسرة، وميدان التربية، ولا يمكن أن تؤدي رسالتها إلا حينما تُبنى على أساس قوي متين مستمد من شريعة السماء، وحينما تسود الحياة الزوجية محاسن الأخلاق وفي مقدمتها: الصدق، والأمانة، والصراحة، والإخلاص، والإيثار، والرحمة، والثقة وحسن الظن.

وفي ظل ذلك البيت وتلك البيئة ينشأ الجيل الصالح الذي تقرُّ به عيون والديه، وينفع الله به البلاد والعباد. وفي ظل ذلك البيت وبين أرجائه تبقى شريكة الحياة محافظة على العهد، وفيّةً لولي نعمتها وراعي مملكتها، صبورة على الشدائد، كاتمة لأسرار البيت. وهي بذلك تعين الزوج على تربية الأولاد في حَضَرِه، وتنوب عنه في غيابه في أداء هذه المهمة الشاقة الخطيرة.

وقد سجل التاريخ مواقف رائعة في غرر صفحاته، تصور تلك المواقف سمو الأخلاق وجميل الصفات التي كانت تتحلى بها المرأة المسلمة، ومن ذلك ما أجابت به فاطمة بنت عبدالملك بن مروان زوج عمر بن عبدالعزيز رحمهم الله جميعًا، حينما قال لها أخوها يزيد بن عبدالملك: «إن حُليَّك التي وضعت في بيت المال هي من مالك الحلال، ولاتزال محفوظة بعينها كما كانت، فهل تحبين أن أردها عليك؟! قالت فاطمة: إن أمير المؤمنين عمر قد استحسن أن تكون هذه الأشياء حيث هي الآن، وأنا قد وافقته على ما استحسن، وما كنت لأطيعه حيًا، وأعصيه ميتًا»(٣).

إنه الحب الحقيقي الصادق، المبني على أساس صحيح من الدِّين؛ وذلك الحب دائم لا ينقطع، قويٌ لا يضعف، وهو مع ذلك يزيد بمرور الأيام، ولا يستجيب بحال لعوامل الضعف والوشاية والعداوة؛ بل تصهره لتزيده قوة وصلابة.. ولذا فلا عجب أن نرى ونسمع مثل هذه العبارة التي قالتها امرأة من الرعيل الأول هي زوج «خامس الخلفاء الراشدين».. تعبر عن شعور صادق تجاه شريك حياتها، ولم يمنعها من ذلك كونها هي الوحيدة في التاريخ: بنت خليفة وأخت أربعة خلفاء! وقد نمت ونشأت في ظل التُّرف والنعمة.. أما حبُّ الشهوة والعاطفة فإنه ينقطع بعد مفارقة الجسد بموت أو طلاق أو غيرهما.. وحتى قبل انقطاعه فإنه ميتٌ لا يثمر، ولا يصلح أن يكون أساسًا لمدرسة تربي جيلاً صالحًا ترقى به وتسعد الأمة، ويعيد ذلك الجيل للمسلمين الثّقة بأنهم خير أمة أخرجت للناس.

ثم إنّ من آثار التربية الصالحة للزوجة استجابة لنداء الحق: *وأمُر أهلكَ بالصَّلاة واصطَبر عليهَا*. طه:١٣٢، *وقُل للمُؤمنات يَغضُضنَ من أبصارهنَّ ويحفظنَ فُروجَهُنَّ ولا يُبدينَ زينتهنَّ إلاَّ مَا ظَهَر منهَا*. النور:٣١؛ إنّ من آثار تلك التربية: صلاح الأولاد واستقامتهم، وبقاء الزوجة على العهد؛ تؤثر ما عند الله على متاع الدنيا الزائل، ولا ترضى بحالٍ أن يكون موت زوجها أو استشهاده نقطة تحوُّل من الصلاح والاستقامة إلى الفساد والانحراف.

بيد أن هناك حقيقة تاريخية بارزة أكدها القرآن الكريم؛ وهي أنّ صلاح الآباء يدرك الأبناء وينفعهم ولو بعد الوفاة. واستمع إلى الحق حيث يقول تعالى: *وأمَّا الجِدارُ فكان لغُلامين يتيمين في المدينة وكان تَحتَه كنزٌ لهُما وكان أبُوهما صالحًا*. الكهف:٨٢. حمانا الله وذرياتنا مما يغضبه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الهوامش:

١- فتح الباري ١٣٢/٩.
٢- بهجة المجالس وأنس المجالس ٣٢/٣.
٣- وفي رواية ابن سعد: «لا أريده، طبت به نفسًا في حياته وأرجع فيه بعد موته! لا حاجة لي فيه» الطبقات الكبرى ٣٩٣/٥.

منتدى «الفيصل»

مع صاحب السمو الملكي

الأمير سلطان بن سلمان بن عبدالعزيز

الصراع الحضاري له تبعات تاريخية وأساس تاريخي ودورنا أن نقود المجتمع الإنساني إلى التوجه الحضاري الصحيح

يسعد «منتدى الفيصل» أن يستضيف أحد شباب الأمة الإسلامية الذي عُرف بطاقته المتجددة، وعمله الدؤوب، وسعيه إلى ارتياد آفاق المعارف الجديدة، هو سمو الأمير سلطان بن سلمان بن عبدالعزيز. فقد كان سموه أول رائد فضاء عربي مسلم، استرعى الأنظار إلى ضرورة طرق هذا المجال الحيوي في السباق الحضاري، وتحدَّث إلى العالم أجمع - خلال رحلته التاريخية على متن مكوك الفضاء - بلغة قوية مؤثرة، مقدِّمًا لشباب الأمة نموذجًا يُحتذى في الطموح والإقدام. كما عمل في مجال الإعلام الذي لا اختلاف على تأثيراته الواسعة في البناء الفكري لأي أمة، ثم ارتبط اسمه - ولايزال - بالعمل الاجتماعي، لما اتسمت به رؤيته، في هذا المجال، من عمق وشمول، ومن أبرز أعماله المتميزة في هذا الشأن رعاية الأطفال المعوَّقين وتأهيلهم ليكونوا أعضاء نافعين في المجتمع.

عن هذه التجارب المتنوعة والثرة لسمو الأمير سلطان، وعن جوانب مختلفة من شخصيته وآرائه وأفكاره وطموحاته، كان هذا الحوار بين سموه والقراء الكرام في «منتدى الفيصل».



سموه يلقي كلمته في المؤتمر العالمي لجمعية مستكشفي الفضاء الذي عُقد بمدينة الرياض

ـ ما رأي سموكم في مستوى بحوث الإعاقة في عالمنا العربي؟ وما الذي يقدمه مركز الأمير سلمان لبحوث الإعاقة في هذا الشأن؟

طارق أحمد العمير

إربد، الأردن.

* ليست هناك في الواقع فكرة واضحة عن مستوى بحوث الإعاقة في الوقت الحاضر، ولا توجد جهة واحدة محددة تتولى تصنيف هذه البحوث وجمعها ووضعها ضمن إطار واحد، ولهذا قام مركز الأمير سلمان لأبحاث الإعاقة بحيث تكون المهمة أحد محاور استراتيجيته، كما يُعنى بإغناء المعرفة وتشجيع البحث العلمي في مجالات الإعاقة، والإفادة محليًا من نتائج الأبحاث المعدة في هذا المجال عربيًا أو عالميًا، وتشجيع تبادل المعلومات في هذا المضمار.

ـ هناك من يرى أن جمعيات الأطفال المعوَّقين ما هي إلا مناف تتخلص فيها الأسر من عبء أطفالها المعوَّقين. إلى أي حد استطاعت جمعيتكم تغيير هذه الصورة؟ وما طبيعة العلاقة بينها وبين أسر الأطفال المعوَّقين؟

ناصر الجاسر

الدوحة، قطر.

* حددت الجمعية ضمن أهدافها الأساسية: رعاية الأطفال المعوَّقين تعليميًا وطبيًا ونفسيًا واجتماعيًا، وأيضًا التعاون مع ذوي الأطفال المعوَّقين ليتقبلوا حالات أطفالهم ويستطيعوا أن يتعاملوا معهم. وأتذكر عندما قدمتُ إلى الجمعية قبل عدة سنوات أننا واجهنا كثيرًا من الصعوبات في إقناع الآباء والأمهات بأن أطفالهم يجب أن يعودوا إلى منازلهم حيث المكان الصحيح للطفل المعوَّق بوصفه جزءًا من الأسرة. وما زال المجتمع يعاني إلى حد قليل من هذه المشكلة. لكن أعتقد أننا في جمعية الأطفال المعوَّقين استطعنا في السنوات الماضية أن نشكل صورة جديدة للمعوَّق وتوجهًا جديدًا للمجتمع، ولقد أسهمنا في تشكيل هذا التوجه من خلال تعريف المجتمع بالمعوَّق كجزء من الأسرة والمجتمع لا يجوز استبعاده بشكل كامل؛ وإنما علاجه واستيعابه ليكون ضمن الأسرة وفي نطاق المجتمع. ولدينا برامج تعليمية وتأهيلية تسعى إلى دمج الطفل في المجتمع؛ حيث تمكنت مراكز الجمعية خلال السنوات الماضية من إلحاق العديد من الأطفال بمدارس التعليم العادي بعد إكمال تأهيلهم ضمن هذا البرنامج.

ـ ارتفاع نسبة إعاقة الأطفال في مجتمع ما، هل هو دليل على تدني المستوى الثقافي لهذا المجتمع؟

صابر عبدالعزيز

القاهرة، مصر.

* قد يعيننا البحث الوطني عن الإعاقة لدى الأطفال في المملكة العربية السعودية الذي يقوم بإعداده مركز الأمير سلمان لأبحاث الإعاقة حاليًا في استطلاع نسب الإعاقة ومسبباتها بشكل عام. هذا البحث الذي سوف يغطي أكثر من عشرة آلاف أسرة، ويشارك فيه أكثر من ألف شخص، سيكون الأول من نوعه ورائدًا في مجاله، حيث يغطي الجوانب الوراثية والنفسية والطبية والتعليمية والأسرية... إلخ.

أما فيما يتعلق بالإعاقة ومسبباتها فلا شك أن هناك كثيرًا من أسباب الإعاقة التي قد يكون لها علاقة بالجهل بالأمور الطبية كالوقاية والتطعيم، أو لها علاقة بأمور السلامة في المنازل أو حوادث السير وغير ذلك. والجهل عدو الإنسان دائمًا، ولهذا أمرنا الله سبحانه وتعالى بالعلم والاستزادة به حتى

منتدى «الفيصل»
مع صاحب السمو الملكي
الأمير سلطان بن سلمان بن عبدالعزيز



نتفادى تبعات الجهل ومشكلاته التي من ضمنها بعض أسباب الإعاقة.

ـ كيف يمكن تغيير نظرة المجتمع القائمة على العطف والشفقة والدونية إلى المعوَّق؟

محمد أحمد السراج

دمشق، سورية.

* لا يمكن تغيير نظرة المجتمع القائمة على العطف والشفقة إلى المعوَّق بشكل جذري، فالعطف والشفقة موجودان لكل الأطفال؛ سواء أكانوا معوَّقين أم غير معوَّقين. ونحن لا نود أن نغير هذا الواقع. أما النظرة الدونية إلى المعوَّق فأعتقد أن مجتمعنا هو أكثر المجتمعات استعداداً لتغييرها، وقد تكون هذه النظرة أقل بكثير من المجتمعات الأخرى؛ إذ إن مجتمعنا مجتمع إسلامي ينطلق من المساواة بين أفراده؛ سواء أكانوا معوَّقين أم غير معوَّقين. ولهذا فنحن في جمعية الأطفال المعوَّقين نقوم بمجهودات كبيرة من خلال برامج إعلامية مكثفة سعيًا لتغيير هذه الصورة، ولنعطي الانطباع الحقيقي عن المعوَّق بأنه شخص فاعل في المجتمع، وأن من واجب المجتمع مؤازرته والأخذ بيده وإتاحة الفرصة له لخدمة نفسه ومجتمعه.

ـ من الأمور الشائعة في العالم العربي تكرار العمل الواحد في أكثر من قطر عربي، مما يؤدي إلى إهدار الوقت والجهد والمال. ما مستوى التنسيق بين جمعية الأطفال المعوَّقين والمراكز العربية العاملة في مجال الإعاقة؟

تسنيم فيصل

جدة.

* هناك مجهودات كبيرة لبعض المنظمات، وبخاصة الجامعة العربية، فيما يتعلق بالتنسيق بين هذه الجهات. ونحن في مركز الأمير سلمان لأبحاث الإعاقة على سبيل المثال، نتطلع إلى التعاون والتنسيق مع المراكز الدولية والإقليمية المعنية في الوطن العربي حتى نستطيع أن نخدم شريحة المعوَّقين بكل فئاتها.

وجمعيتنا تستفيد ـ بلا شك ـ من الخبرات العربية وبرامج المؤسسات العربية، ولا يوجد تنسيق محدد بين هذه البرامج الآن. ولكني لا أرى أيضًا ـ في الوقت نفسه ـ الكثير من التعارض بين مصالح هذه البرامج؛ لأن هناك احتياجات كبيرة كما أن هناك أعداداً كبيرة من المعوَّقين الذين يحتاجون إلى خدماتنا، ولا نستطيع ـ مهما حاولنا ـ أن نفي بهذه الخدمات. فقيام مراكز أخرى مشابهة لا يضر بما نقوم به، لكن لابد أن يكون هناك تنسيق على مستوى أعلى وهو مستوى الخبرات، فنحن نعاني الآن من استقطاب الخبرات المتخصصة لخدمة هذه المراكز، ونتطلع أن يكون هناك برنامج متكامل لذلك في المستقبل إن شاء الله.

ـ ما محور الخدمات التي تقدمها الجمعية إلى المعوَّق.. أهي الرعاية والعلاج، أم التأهيل؟

حصة الرشيد

حائل.

* الخدمات التي تقدمها الجمعية تشمل الرعاية والعلاج والتأهيل ورعاية ذوي المعوَّق وتوعية المجتمع، والبحث العلمي لتجنب الإعاقة ومواجهتها، وحث الناس على التعامل مع قضايا الإعاقة بإيجابية وخدمة مجتمعهم من خلال المشاركة الخيرية.

ـ ما السبيل إلى تعميق ثقافة احترام حقوق المعوَّق؟

إسلام محمد السالم

بيروت، لبنان.

* تعميق ثقافة احترام حقوق المعوَّق يأتي بأن ننعم النظر في عقيدتنا الإسلامية. فنحن المسلمين نؤمن بالله سبحانه وتعالى، ونؤمن بأن هذا الإيمان يأتي أيضًا مقرونًا بالمساواة. فالناس كلهم متساوون عند الله سبحانه وتعالى مهما كانت أجناسهم وأعراقهم وتوجهاتهم. والأطفال المعوَّقون جزء من هذا المجتمع. وجمعيتنا حرصت على أن تبرز هذا الجانب الإنساني في ديننا، وأن تبرز هذا الجانب من عاداتنا الإسلامية الراسخة في بلادنا،

جمعيتنا تستفيد من برامج خدمة المعوَّقين في المؤسسات العربية؛ إلا أننا نعاني من استقطاب الخبرات المتخصصة لخدمة المعوَّقين



صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبدالعزيز وزير الداخلية وصاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض في إحدى المناسبات وبينهما صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن سلمان بن عبدالعزيز

وهي العادات التي برز فيها هذا الجانب المهم، حيث يقف الناس مع بعضهم بعضًا متساوين في حقوقهم وفي معاملاتهم، وليس هناك فرق - والحمد لله - ولا تمييز بين الصغير والكبير في الاحترام والتقدير.

وأعتقد أن مهمتنا في بلدنا أسهل بكثير من الدول الأخرى؛ لأن هناك معتقدات ثابتة وراسخة، وهناك أيضًا تقاليد راسخة، وما علينا إلا أن نبرز هذه المعتقدات والتقاليد الأصيلة حتى يعرف الناس أن هذه الأشياء موجودة ضمن منظومة من المقومات الأساسية التي تكفل لهم حقوقهم.

- لوحظ أن المجتمعات الغربية تعتمد في خدمة المعوَّقين، وغيرهم من الفئات التي تحتاج إلى رعاية، على الخدمة التطوعية. ما مدى انتشار ثقافة العمل التطوعي في مجتمعاتنا العربية؟

سمير قاسم التميمي

تونس.

* نستطيع أن نقدم جمعية الأطفال المعوَّقين مثالاً للاستدلال به، دون الحكم على تجارب الآخرين؛ حيث نشجع هذا الجانب، كما أنّ لدينا سياسة محددة للبرامج التطوعية، وهناك تجربة تُطَبَّق في استقبال المتطوعين والمتطوعات لبرامج مختلفة، كما استفدنا منهم في برامج كثيرة تتعلق باللجان العاملة بالجمعية (إدارية ومالية وطبية وتعليمية.. إلخ). وهؤلاء يقدمون لنا خبرات لا يمكن استقطابها بيسر ولو بأجر، فالتطوع باب كبير، ولا زلنا نقوِّم تجربتنا فيه عن قرب، ونحاول أن نوسع هذه التجربة إن شاء الله. العمل التطوعي في بلادنا سهل لأن الناس يحبون الخير وديننا يدفعنا لحب الخير وعمل الخير. لكن الناس يريدون الأبواب التي تُفتح لهم والمجال الذي يُهَيَّأ لهم. ونحن نسعى، على الأقل من مضمارنا الصغير، لأن نفتح بعض هذه الأبواب، وأن نستفيد من هذه التجربة حتى يستفيد منها الآخرون إن شاء الله.

- ألا ترون وجوب توسيع نطاق جمعية الأطفال المعوَّقين لتستوعب المعوَّقين على اختلاف أعمارهم؟

إبراهيم بن سليمان

الرياض.

* هذا شيء غير ممكن لسببين:

أولاً: أنّ أهداف الجمعية عندما دُرست منذ عدة سنوات شملت المعوَّقين على اختلاف أعمارهم وإعاقتهم، وهذا جانب كبير جدًا وجمعيتنا محدودة الإمكانات..

ثانيًا: أعتقد أن التخصص مهم، فالتركيز على رعاية فئة معينة من المعوَّقين يميزنا من غيرنا، ويعطي المجال لآخرين أن ينهضوا بنشاطات أخرى تغطي الخدمات الأخرى. وأعتقد أن جمعيتنا نجحت - والحمد لله - في تقديم خدمات متخصصة وراقية في هذا المجال.

منتدى «الفيصل»
مع صاحب السمو الملكي
الأمير سلطان بن سلمان بن عبدالعزيز



- لوحظ أن بعض القنوات الفضائية العربية بدأ في تقديم برامج خاصة بالصُّم، هل هناك اتجاه بأن يأخذ التلفاز السعودي بهذا الأسلوب؟

عبدالغفور بن أحمد
الدار البيضاء، المغرب.

* آمل ذلك، وأعتقد أن أول تجربة قام بها التلفاز السعودي ببث برنامج بلغة الإشارة كانت خلال افتتاح مؤتمر الأطفال المعوَّقين الذي نظمته الجمعية برعاية خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز - رعاه الله - قبل عدة سنوات. ولدينا الآن برنامج متكامل لتفعيل توصيات ذلك المؤتمر، وهناك لجان تتابع تنفيذ هذه التوصيات وتنظيمها. ومن ضمن هذه اللجان الجانب الإعلامي؛ حيث يشارك معنا وكيل وزارة الإعلام بالسعودية ومجموعة من الخبراء الإعلاميين. كما أن النظام الوطني للمعوَّقين الذي يقوم مركز الأمير سلمان لأبحاث الإعاقة بإعداده بموافقة المقام السامي الكريم وبمنحة كريمة من صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز يخاطب هذا الجانب، ويراعي كيفية تنفيذه، حيث يُمكِّن المعوَّقين من متابعة وسائل الإعلام.

- يمثل الوقف إرثًا حضاريًا إسلاميًا يعكس قيم الإسلام في تحقيق التكافل الاجتماعي، كيف نحيي هذا الإرث؟ وما الصورة الحديثة له في رأي سموكم؟

عاكف أحمد بصيري
الرياض.

* تتواصل الآن في مركز الأمير سلمان لأبحاث الإعاقة دراسات مستفيضة وعميقة يشارك فيها نخبة من المختصين فيما يتعلق بتوجيه الأوقاف الخيرية والشرعية نحو دعم البحث العلمي، ولاسيما فيما يتعلق بالمجالات الطبية والخيرية التي تخدم المعوَّقين. ويتولى إعداد هذه الدراسات لجنة تنمية الموارد بمركز الأمير سلمان لأبحاث الإعاقة، والتي يرأسها صاحب السمو الملكي الأمير عبدالعزيز بن سلمان بن عبدالعزيز. ومن المقرر - إن شاء الله - أن يبدأ تنفيذ برامج اللجنة العام القادم لأول مرة على مستوى المملكة؛ وذلك لإيجاد وسائل جديدة لاستثمار الأوقاف وتنميتها، حتى يمكن توجيه الكثير منها لمشروعات خيرية داخلية. وتراعي هذه الدراسات الجوانب الشرعية أساسًا تنطلق منه. ولديَّ قناعة شخصية بأن الوقف الخيري إنما وُضع في الإسلام ليؤدي مهمة تتعلق بخدمة المجتمع وخدمة أفراده؛ سواء من المحتاجين أو المرضى، أو الأوجه الخيرية الأخرى، ولهذا يجب تفعيل الأوقاف الخيرية في هذه الجوانب، وأنا أُحيِّي مجهودات وزارة الشؤون الإسلامية في المملكة على ما تقوم به الآن من مجهودات كبيرة لإحياء الوقف الخيري والشرعي والخروج بالأوقاف الشرعية إلى مجال المشاركة الاجتماعية.

- صراع أم حوار حضاري: إشكالية لم تُحسم بعد في العلاقة بين الإسلام والغرب. ما رأي سموكم في هذه الإشكالية؟ وما تصوركم لها في القرن القادم؟

ناجي جلال عبدالرحيم
عطبرة، السودان.

* الصراع الحضاري له تبعات تاريخية وله أساس تاريخي لا يمكن أن يُلغَى بين عشية وضحاها، مع الأخذ في الحسبان أن هناك من يؤجج هذه الصراعات الحضارية من جميع الأطراف. وهذه الصراعات ليست إسلامية ونصرانية فقط، أو بين الإسلام وديانة أخرى، أو بين شرق وغرب، ولكنها موجودة حتى داخل بعض الشعوب، وما قام من حروب أهلية، في أوربا مثلاً وداخل بعض الدول، نتيجة صراعات داخلية وعرقية لا تكاد تنتهي هو دليل على ذلك. ولكني أعتقد أن الدين الإسلامي فوق هذه الصراعات، فهو يستطيع استيعاب الفكر والتوجه المستقبلي العالمي من خلال أن يبرز بوصفه الدين القدوة، والله سبحانه وتعالى أنزل هذا الدين خاتمًا لجميع الأديان. وهو الدين الذي يستوعب الطموح الإنساني في التقدم، ويستطيع أن يستوعب التغيرات الإنسانية في المستقبل، لهذا أطمح إلى أن نتجاوز الصراعات بين الحضارات، وأن نركز على استيعاب

المملكة العربية السعودية أفضل مثال على أنّ نقل التقنية لا يأتي بالشعارات أو بالآمال والخطط المفرغة، ولكنه يأتي بالجهد والعمل الدؤوب

سموه مع سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز في مسابقة الأمير سلطان بن سلمان لحفظ القرآن الكريم للأطفال المعوّقين

ديننا الإسلامي ونقوم بواجب ذاتنا الإسلامية على أفضل ما يكون، ونكون قدوة في مجتمعاتنا الإسلامية حتى ينجذب الآخرون لهذا الدين ويستوعبوا حقيقته الناصعة.

- الشباب العربي مُتَّهم بالتخاذل الفكري، وبكثير من الصفات السلبية التي تحدّ من انطلاقته نحو النهوض الحضاري. بوصفكم أحد هؤلاء الشباب، ما رأيكم وما رؤيتكم لمستقبل الشباب العربي؟

حسام محمد شحاته

طنطا، مصر.

* لا أعتقد أن التخاذل ظاهرة عامة أو خاصة في مجتمعاتنا العربية وإن كان موجوداً في كل المجتمعات، فمجتمعاتنا مرت بمرحلة تنموية ملموسة، حيث تغيرت المفاهيم، وهناك مفهوم جديد للعمل وللمشاركة الاجتماعية، وأعتقد أن التخاذل - أو التقاعس - ليس سمة عامة لشبابنا، ولكنه الاستثناء. والوقت كفيل بأن يزيل هذا الاستثناء.

- الفضائيات متهمة بترسيخ النكوص الحضاري للأمة، ما منظوركم لها؟ وكيف تستطيع أن تخدم المجتمع العربي ليتجاوز انتكاساته؟

حمد الأشرف

دبي، الإمارات العربية المتحدة.

* التلفاز والقنوات الفضائية ما هي إلا وسائل. إذا أحسنَّا استخدامها، فهي في خدمة المجتمع، وإذا أُسيء استخدامها كان ذلك ضد الإنسان، هذه نظرتي لهذا الموضوع. وأعتقد أن المحطات الفضائية التلفازية تمر الآن بمرحلة تجريبية ومرحلة وضع أقدامها في السوق. وهناك منافسة على ذلك ربما جرفتها إلى أبعاد قد تكون غير مقبولة اجتماعيًا، وأعتقد أن هذه المرحلة سوف تتبلور بنفسها خلال خمس السنوات القادمة، ومن ثم يبدأ المجتمع في تشكيل القيم التي يراها مناسبة. وأنا أعرف الكثيرين من القائمين على الفضائيات وأقدِّرهم تقديرًا كبيرًا، وأعرف أيضًا همومهم التي يشاركون فيها المجتمع، ولكني أطمح أن تكون فضائياتنا في مستوى الرسالة الحضارية التي تتولاها ما دامت تحمل على عاتقها هذه المهمة الجسيمة.

- يقال: إن الفن والرياضة، اللذين أصبحا من أهم اهتمامات الشباب العربي، من أسباب القصور الفكري في مجتمعاتنا العربية. كيف ترون هذه القضية؟

عدنان العظمة

حلب، سورية.

* بالطبع لأن الفن والرياضة محط اهتمام وتركيز من وسائل الإعلام، والإعلام له دور كبير الآن، ولهذا يرتبط الأمر بالسؤال الذي قبله بأن الفضائيات والوسائل الإعلامية هي التي سيكون لها دور كبير في تحديد



منتدى «الفيصل»
مع صاحب السمو الملكي
الأمير سلطان بن سلمان بن عبدالعزيز



الذوق العام، فنحن الآن في مرحلة تشكل، والثقافة في العالم العربي تمر بمرحلة جديدة: نواجه غزارة في البث الإعلامي وتعدد قنواته، والأفكار التي تُطرح الآن أفكار جديدة علينا، بدأنا نستوعبها ونسمع بها لأول مرة، ونستقبلها لأول مرة. مرحلة التشكل هذه ونتائجها لن تأتي الآن؛ بل بعد سنوات، ومن الآن وإلى ذلك الوقت قد يكون دور المجتمع هو إثارة هذه القضايا، ومحاولة التأثير في التوجهات المستقبلية فيما يتعلق بتشكيل هذه النقلة الفكرية في العالم العربي.

ـ كيف يمكن للشباب المسلم عامة، وللشباب العربي المسلم خاصة، أن يحافظ على إسلامه وعروبته في مواجهة الأخطار المحدقة به والدسائس التي تُحاك ضده وتزداد قوة وشدة على مرِّ الأيام في عصرٍ تؤدي المادة فيه دورًا أساسيًا في حياة الشعوب، وفي عصر الاتصالات الإعلامية الفضائية التي أراها حربًا إعلامية ساخنة لا تقل في خطورتها عن الحروب السابقة التي عصفت بالأمة الإسلامية، وأيضًا الحرب الباردة قبل انهيار الكتلة الشرقية؟!

محمد رضوان الأنظامي
دمشق، سورية

* إن أول شيء في اعتقادي هو التسلح بالعقيدة، وهذا أهم جانب، والعقيدة تحتاج إلى أن يتبعها علم نافع، ووعي، واعتدال في التوجه؛ سواء التوجه الديني أو التوجه العلمي أو حتى التوجه السياسي. وبناء الدولة وبناء الفكر لا يأتي في يوم أو يومين، ولكن خلال سنوات طويلة، ولهذا فإن بناء هذه الدول، وبناء الأمم الإسلامية يكون من طريق بناء مؤسساتها وبناء أفرادها وتسليحهم بسلاح العلم؛ لا ليواجهوا به الآخرين، وإنما ليعيشوا معهم في عالم متقارب. أعتقد أن مستقبل العالم ليس مخيفًا ولا قاتمًا كما يتصور السائل الكريم، بل مستقبل العالم مهيأ لأفراد منفتحين بعضهم على بعض، متقاربين بشكل متسارع، والله سبحانه أعلم.

ـ نقل التقنية أم استيعابها: قضية لا تزال محل جدال في عالمنا العربي. ما الأسلوب الأمثل في رأي سموكم لتجاوز الفارق الحضاري بيننا وبين العالم الغربي؟

إسماعيل إبراهيم صالح
الرياض.

* المملكة العربية السعودية هي أفضل مثال على أنّ نقل التقنية لا يأتي بالشعارات أو بالآمال والخطط المفرغة، ولكنه يأتي بالجهد والعمل الدؤوب. والمملكة عندما بدأت رسم سياسة تعليمية طموح وخطط خمسية تنموية ضخمة، إنما قصدت بذلك نقل التقنية من طريق استيعاب العلم وتنمية العقول، ولهذا استقطبت الكثير من الخبراء من دول العالم، وأرسلت شبابها إلى دول العالم المتقدمة. هؤلاء عادوا الآن وتقوم على أكتافهم ـ كما تعرف ـ الكثير من برامج التطوير العلمي. ولا أشك في أن هناك نقلة كبيرة للعلم والتقنية ستحدث لهذا الجزء من العالم إذا استمر بهذا الأسلوب إن شاء الله. ونحن الآن جزء من شبكة متكاملة من العلماء التي تعمل على مستوى العالم، فليس هناك برنامج مخصص للمملكة، وآخر مخصص لأمريكا، وثالث مخصص لدولة دون أخرى، فكل البرامج الآن أصبحت متاحة للجميع، ويشارك في الأبحاث العلمية الآن مجموعات مختلفة من المختصين، ولاسيما بعد ما أتيحت الآن وسائل اتصال مثل (الإنترنت) وغيرها، مما أسهم في إلغاء الحدود الجغرافية والسياسية فيما يتعلق بالتعاون العلمي وتطوير التقنية إلى حد كبير.

ـ لم قَصَّر العرب والمسلمون حتى الآن في دراسة الفضاء، علمًا بأن أجدادنا كانوا هم الرواد في دراسة علم الفلك؟

سعيد حسن جاسر
أمستردام، هولندا.

* تطور العلوم في العالم الإسلامي وفي عالمنا العربي بالذات توافق مع تعاليم الدعوة الإسلامية، فالدين الإسلامي حث على العلم وعلى التفكر في خلق السموات والأرض، لذلك برز العلماء المسلمون واقتبسوا من حضارة ثقافتهم وبنوا على معتقداتهم وما دفعهم إليه دينهم وحماستهم الدينية نحو العلم. ومن هذا المنطلق أعتقد أن المرحلة التي مر بها العالم العربي ـ حيث مر بمراحل وانتكاسات عديدة ـ أثرت بشكل كبير في تطوره العلمي. كما أن انتقال هذه العلوم والمعارف من طريق العرب إلى الجزء الآخر من العالم مرحلة من مراحل تطور الإنسانية، وأعتقد أن دورنا قادم إن شاء الله، ولا يعني ذلك أن يأتي دورنا على حساب الآخرين؛ بل أعتقد أن المرحلة القادمة سوف تكون مرحلة متسمة بالمشاركة بخلاف مراحل التطور الحضاري الإنساني في التاريخ، فإن هناك أدوارًا تنقل التطور العلمي والإبداع من مكان إلى آخر. الآن أصبح العالم متقاربًا، وأصبح هناك ارتباط بين مناطق العالم وعلمائه، لذا أعتقد أننا من الآن فصاعدًا سوف نرى التطور العلمي تطورًا مشتركًا للإنسانية بشكل عام، وهذا أحد الأشياء التي خلقت لدي انطباعًا كبيرًا ـ عند رؤية الكرة الأرضية من الفضاء ـ بأن الحدود السياسية التي تعارفنا عليها في حياتنا لا يراها الإنسان بعين مجردة في الفضاء، حتى وهو يقرِّب النظر؛ لأن



سموه بالزي العربي مع
طاقم رحلة ديسكفري

الإنسانية كلها مجتمع متكامل يكمل بعضه بعضا، ودورنا - نحن المسلمين - أن نقود هذا المجتمع إلى التوجه الحضاري الصحيح، وهذا ما نأمل أن يكون مستقبلاً إن شاء الله.

- ألا تفكرون في بناء قاعدة علمية فلكية في المملكة لدراسة الفضاء، ومواكبة التقدم العلمي السريع في مجال الفضاء، ولاسيما بعد أن سبقتنا إسرائيل في هذا المجال؟

سيف اليزل يعقوب
دارفور، السودان.

المملكة العربية السعودية لها نشاط كبير في مجال تقنيات الفضاء واستخداماتها، وكان هذا قبل رحلة الفضاء، فقد اختيرت المملكة للمشاركة في رحلة الفضاء لأنها دولة لها نشاط كبير في مجال الاستشعار عن بعد ومجال استخدام الأقمار الصناعية للاتصالات... إلخ. وهناك الآن برامج كثيرة ومتشعبة للاستفادة من تقنية الفضاء وتوطينها من خلال برنامج التوازن الاقتصادي بالمملكة، وهناك برامج سوف يعلن عنها قريبًا. ومع أنه لم يكن لي ارتباط ببعض هذه البرامج، إلا أني أعرف أنه توجد توجهات كثيرة للاستفادة الحقيقية منها وليست الاستفادة الإعلامية. وأعتقد أن استفادتنا في المستقبل سوف تأتي بالمشاركة مع دول أخرى من خلال مشاركات دولية أكثر منها استفادة منفردة.

أما البرنامج الإسرائيلي فهو - في الأغلب - برنامج عسكري. والجانب العسكري لا يُسمح لي في هذا المجال بأن أعلق عليه؛ لأن هذا جانب آخر وله اختصاص آخر.

- قرأت رأي سموكم في العدد ٢٥٦ من «الفيصل» بشأن عوامل التأخر العلمي والتقني في العالم الإسلامي. وفي ظل إيماننا الراسخ بأن العاقبة للمتقين، وفي ظل الواقع الذي شخصتموه، وأنه كلما امتد الزمن زادت الفجوة اتساعًا وزادت الصورة قتامة، وللموقع الذي تتبوّؤونه كونكم أولَ رائد فضاء عربي مسلم، واهتماماتكم الإنسانية والتقنية المتعددة..

هناك برامج كثيرة ومتشعبة للاستفادة من تقنية الفضاء وتوطينها من خلال برنامج التوازن الاقتصادي بالمملكة

منتدى «الفيصل»
مع صاحب السمو الملكي
الأمير سلطان بن سلمان بن عبدالعزيز



هل نأمل في تبنيكم إنشاء منتدى خاص على مستوى العالم الإسلامي يُخصَّص لبحث هذه القضية المصيرية ودراستها؟

المهندس/ ناصر محمد المطوع
الرياض.

* هناك مجهودات كثيرة تبذلها المنتديات الموجودة في عالمنا العربي والإسلامي وفي المملكة أيضًا لمناقشة قضايا مصيرية بالنسبة لموقفنا من العالم. وهذه قضية أساسية بالنسبة لنا، آمل أن يقودني نشاطي التطوعي ونشاطي في الخدمة العامة إلى المشاركة فيها في المرحلة القادمة. وهذا شي لا أفضل أن أتحدث فيه بالتفصيل الآن إلى أن يصبح لي نشاط في هذا المجال، وبالتحديد مجال الاستطلاع المستقبلي ومجال الدراسات التي تخدم الأهداف العريضة العامة وتخدم القضايا المصيرية؛ لأني أعتقد أن الإنسان إذا لم يشارك بوجدانه وبعقله وبثقافته وبعلمه وبمجهوده الشخصي في طرح القضايا العامة وأن يجد لها المخارج والحلول يعد مقصرًا في حق وطنه وفي حق نفسه وفي حق مجتمعه. وأنا وإن كان لي الآن نشاط في كثير من القضايا العامة؛ إلا أنني أتطلع إلى المزيد من ذلك إن شاء الله.

ـ لماذا لا تُنشئ الدول العربية مجتمعة ـ بدعم كبير من دول النفط ـ صناعة طيران عربية؟ فهي تملك المال والخبرة والمواد الخام، والسوق مضمونة داخل الجامعة العربية وخارجها، ولاسيما بعد إنشاء السوق العربية المشتركة.

سعد أحمد ياسين
أم درمان، السودان.

* أنا لا أستطيع أن أجيب عن هذا السؤال، لكني أميل دائمًا إلى المشاريع التي تأتي خارج نطاق الدعم السياسي للدول. وهي مشاريع أكثر نجاحًا دائمًا. لقد أصبح العالم الآن: «بوتقة تجارية» أو «مضمارًا تجاريًا» موحدًا ـ إذا جاز لنا التعبير، وهناك أنظمة جديدة بدأت تأخذ مجراها فيما يتعلق بالتجارة العالمية ودعم الدول للشركات. من التجارب مثلاً تجربة «الإيرباص» حيث وجدنا الدول الأوروبية تضطر إلى دعمها ماليًا. لكن صناعة الطيران لا تحتاج إلى دعم مالي فقط، بل تحتاج إلى أكثر من ذلك. تحتاج إلى قاعدة علمية، وتحتاج إلى استقرار سياسي. وقد يكون الوقت مبكرًا الآن لوجود صناعة عسكرية مشتركة في عالمنا العربي. لقد كانت هناك تجارب في دول عربية لصناعة عسكرية ولم تجد نجاحًا لأن الخلافات السياسية طغت عليها، وإن كانت قد بدأت تثمر في وقتها. في المملكة توجد تجربة التوازن الاقتصادي التي أعتقد أنها ستكون انطلاقة جادة في سبيل إيجاد صناعة ناجحة في مجال الطيران. فصناعة الطائرات وتطويرها وصيانتها علم كبير ومتشعب، والمنافسة فيه عالية جدًا، ويجب أن يستند إلى قاعدة قوية أساسية؛ وهذا يحتاج إلى بعض الوقت، وأعتقد أن الوقت مبكر الآن.

ـ ما هو شعوركم بصفتكم أول رائد فضاء عربي مسلم؟

إسماعيل السمري
حدائق القبة، القاهرة، مصر.

* كانت مسؤولية كبيرة، وهذه المسؤولية ـ في المرحلة الأولى على الأقل ـ تحد من تمتع الإنسان بالتجربة ذاتها، فهناك مسؤولية أمام من وثقوا بشخصي لأداء هذه المهمة، ومسؤولية أمام المجتمع وما كان يتوقع مني، فلا يخفى عليك أن هناك فئات لم تكن تتوقع أن يكون للمملكة مشاركات بهذا المستوى، وفي الواقع ليس هناك شعور محدد سوى أن هذه المسؤولية عظيمة، وأن الله سبحانه وتعالى وفقني ورفاقي لتحملها، فهذا هو عين التوفيق.

ـ حرصتم على ختم القرآن خلال رحلتكم الفضائية، ما ردود أفعال من كانوا حولكم على هذا المسلك؟

سليمان الحارثي
مسقط، عمان.

كنا ـ في المركز الفضائي الأمريكي ـ نؤدي شعائرنا الإسلامية دون أذى للآخرين، ودون أن نحاول إبرازها أو فرضها عليهم؛ بل كنا نؤديها في هدوء وسكينة واحترام لمشاعر الآخرين

* كان هناك شيء من الدهشة من قِبَل المشاركين في الرحلة لحرصي على ختم القرآن في آخر شهر رمضان المبارك، وهو ما تعودته دائمًا.
ففي ذلك الوقت كنا فريقًا متكاملاً يضم نحو ٣٠ سعوديًا يعملون في مراكز ناسا المختلفة.. وكنا نؤدي شعائرنا الإسلامية دون أذى للآخرين، ودون أن نحاول إبراز هذه الشعائر بابتذال أو نفرضها عليهم، بل كنا نؤديها في هدوء وسكينة واحترام لمشاعر الآخرين. وكنا نقوم بواجباتنا؛ سواء في الصيام أو في مهامنا العلمية والتدريبية الأخرى، ونتحمل الصيام والواجبات الأخرى دون المساس بجدولنا العلمي والتدريبي الذي كان يبدأ مبكرًا في الصباح.. والقدوة التي رآها الناس في هذا الفريق المسلم، والتي أتحدث عنها، أن هذا الفريق لم يأت بشيء غَيَّر من وتيرة الحياة في داخل مراكز وكالة الفضاء الأمريكية، ولكنَّ هؤلاء المسلمين ذهبوا إلى هناك ولم يغيروا من معتقداتهم ولم يتوانوا عن أداء شعائرهم، بل إنّ ذلك جعلهم أقوى وأقدر على أن يشاركوا في هذا البرنامج، وأن يكونوا متفاهمين مع الآخرين. وكسبنا في ذلك الوقت صداقات كثيرة لا زالت قائمة حتى الآن؛ حيث تمكن الفريق من أداء مهامه على أعلى المستويات، ولم تكن هناك مشكلة واحدة تُذكر والحمد لله، فقدَّم بذلك قدوة حسنة للجميع، وهو ما أدعو إليه.

ـ بماذا أوحى لكم الكون بعد الخروج من نطاق الأرض؟

نسرين سمير الخليل
المنامة، البحرين.

* أوحى لي الكون بعد الخروج من نطاق الغلاف الجوي الأرضي بعظمة الخالق سبحانه وتعالى.

ـ هل النظر إلى الكون من عَلُ يؤدي إلى الإيمان حقيقة كما حصل لبعض رواد الفضاء؟

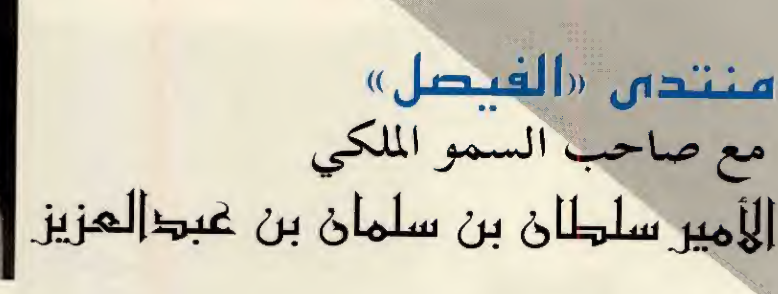
جمال محمد البكري ـ مكة المكرمة.

* لا أستطيع أن أحكم على تجارب الآخرين، ولكن من تجربتي كان الإيمان موجودًا في قلبي ولا يزال ولله الحمد. وآيات الله سبحانه وتعالى أقرؤها كل يوم ماثلة أمامي، ومنظر الكون هو بلا شك أحد الآيات التي يراها الإنسان وتسهم في توثيق الإيمان في قلبه، ولكني لا أعتقد أنها تزيد في الإيمان أو تنقص منه.

سموه مع الرئيس الجنوب إفريقي نيلسون مانديلا في زيارته لجمعية الأطفال المعوَّقين

ـ الفضاء ذو طبيعة خاصة، وأهم ما يميزه انعدام الجاذبية. ولأنكم جربتم الرحلة في الفضاء الخارجي، فهل هناك تأثير أحسستم به مَسَّ صحتكم؟ وإن لم يوجد نتيجة لوسائل السلامة التي أُحطتم بها. فما العوارض والمؤثرات المحتمة في الصحة العامة للإنسان في هذا الوسط المختلف؟

المأمون دسي محمد
أغادير، المغرب.





* لا يوجد علم محدد أو وسيلة لتوقع مدى تأثر الرواد في رحلات الفضاء صحيًا؛ بل الاعتقاد السائد أن الرواد من ذوي الصحة الجيدة واللياقة البدنية العالية هم أكثر من يتأثر بمرحلة انعدام الجاذبية. لقد كان تأثري وزملائي الرواد مختلفًا ومتباينًا، فعلى سبيل المثال تسبب تأثير انعدام الجاذبية في حدوث آلام مبرحة لظهر قائد المركبة مدة أسبوع كامل، بينما لم يحدث ذلك لي وللرواد الآخرين، حيث أصابتنا عوارض انعدام الجاذبية الأولية المتعارف عليها، وهي نوع من الغثيان البسيط وآلام في الظهر مدة يومين وهي أعراض متوقعة. ولقد حرصت على ألاّ أتناول أي نوع من الأدوية حتى تكتمل التجربة وأستطيع أن أسجلها بكل حذافيرها وكل تفاصيلها لصالح فريقنا العلمي. ولم تكن - والحمد لله - تجربة سيئة قط.

- هل تفكرون بالعودة إلى الفضاء في المستقبل؟

عبدالله حمد

صنعاء، اليمن.

* بالطبع أفكر، ولاسيما إذا كثرت مشكلات الأرض، وقد كان هناك توقع في الماضي أن أحظى بفرصة أخرى، ولكن أتت حادثة «شالنجر» وغيّرت هذا التوقع. ولكنني لا أستبعد ذلك الآن بعد أن رأيت أحد الرواد الذي أعدّه من الأصدقاء، وهو الرائد جون جلين وسنّه فوق السبعين، يستعد للانطلاق في رحلة فضائية مقبلة. لهذا أتطلع إلى أن تُتاح لي الفرصة إن شاء الله، كما أتطلع أيضًا إلى أن تتاح فرصة لأكبر عدد ممكن من أبناء الدول العربية حتى يشارك علماؤها في رحلات فضائية علمية، ليكون لنا دور حقيقي في الاستفادة من برامج الفضاء، ولاسيما في محطات الفضاء المقبلة.

- من واقع احتكاككم بالمجتمع الغربي، كيف نستطيع أن نقدم له الصورة الحقيقية للإسلام؟ وهل هناك استعداد في ذلك المجتمع لتقبلها؟

سحر أبو بكر

الطائف.

* الإسلام دين عظيم، ومهما قدمنا - نحن المسلمين - من عمل لن نستطيع أن نفي هذا الدين حقه، ولكني أعتقد من خلال تجربتي - كما ذكرت السائلة الكريمة - في الاحتكاك بالمجتمع؛ سواء الشرقي أو الغربي، والدول التي زرتها وكان لي فرصة الدراسة فيها، أنّ القدوة الحسنة هي دائمًا أسرع طريق لقلب أي إنسان، وأفضل وسيلة؛ ليس لإقناع الإنسان بدينك أو معتقداتك فقط، ولكن لتقبل الإنسان لهذا الدين ومعتقداته على أساس أنها حضارية ومعاصرة وإنسانية. والدين الإسلامي هو الدين المعاصر بذات الواقع، والدليل على ذلك أن المملكة العربية السعودية من الدول الأساسية في العالم التي التزمت التمسك بالشريعة السمحة والعقيدة الإسلامية، كما أن دستورها الأساسي هو القرآن والشريعة. ومع أن الكثيرين من الناس في بداية قيام المملكة السعودية قالوا إن ذلك ربما يكون عائقًا أمامها، لكن اتضح أن هذا كان دافعًا لها لترقى وأن تكون من الدول الأسرع نموًا في العالم علميًا واقتصاديًا، وهذا دليل ناصع على أن التمسك بالشريعة الإسلامية هو أفضل سبيل لأن ننطلق نحو المستقبل، وفي الوقت نفسه أن نكون قدوة من خلال تطبيقنا المعتدل السمح للشريعة الإسلامية التي تستوعب جميع الناس وجميع الأفكار والمعتقدات وتستطيع أن تواجهها دون أن يكون ذلك بأي أسلوب؛ اللهم سوى الحجة المبنية على الفهم العميق لمعطيات الدين الإسلامي وتوجهاته الخيرة.

- ما أسباب التقاعد المبكر لسموكم من الخدمة العسكرية في القوات الجوية السعودية، على ما عُرف عنكم من حب للعمل وطموح وإصرار؟ وهل التقاعد المبكر سيكون فرصة لكتابة سيرتكم الذاتية الخاصة والعامة؟

بدر بن عمر المطيري

البدائع العليا، القصيم.

* لقد تشرفت بالخدمة في القوات الجوية الملكية السعودية، وقد تكون هذه المرحلة أهم مراحل حياتي وأبرزها وأكثر تأثيرًا من خلال:
أولاً: ما كسبته من خدمتي تحت قيادة مليكي، وسمو سيدي ولي العهد، وسمو سيدي وزير الدفاع.

صناعة الطيران لا تحتاج إلى دعم مالي فقط، بل تحتاج إلى قاعدة علمية، وإلى استقرار سياسي!



سمو الأمير سلطان بن سلمان.. في سطور

- من مواليد مدينة الرياض في ١٨ ذي القعدة ١٣٧٥هـ/ يونيو ١٩٥٦م.
- درس الإعلام والطيران في الولايات المتحدة الأمريكية، ثم عاد إلى المملكة في عام ١٩٨٢م وشغل وظيفة باحث بإدارة الإعلام الخارجي بوزارة الإعلام.
- في عام ١٩٨٤م أصبح نائبًا لمدير لجنة الإعلام الأولمبية للمملكة في دورة الألعاب الأولمبية بلوس أنجليس، وعند إنشاء إدارة الإعلان بوزارة الإعلام - في العام نفسه - تولى منصب مدير الإدارة بالنيابة.
- في عام ١٩٨٥م أنيطت به مهمة إخصائي الحمولة على متن مكوك الفضاء «ديسكفري» في رحلته ٥١ جي (٢٩ رمضان - ٦ شوال ١٤٠٥هـ/ ١٧-٢٤ يوليو ١٩٨٥م). وكان ضمن الطاقم الملاحي العالمي المكون من سبعة رواد من فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية.
- شارك في إنشاء جمعية مستكشفي الفضاء، وهي هيئة دولية تضم في عضويتها جميع رواد الفضاء، وبقي في مجلس إدارتها عدة سنوات.
- في عام ١٩٨٥م تم تعيينه ضابطًا في القوات الجوية الملكية السعودية، وترقَّى بها إلى أن حصل على رتبة عقيد طيار في عام ١٩٩٤م. وفي عام ١٩٩٦م تقاعد تقاعدًا مبكرًا من الخدمة العسكرية.
- انتُخب رئيسًا لمجلس إدارة جمعية الأطفال المعوَّقين في عام ١٩٨٩م، وأعيد انتخابه لدورتين عامي ١٩٩٢، و١٩٩٥م، كما تولى رئاسة مجلس الأمناء في مركز الأمير سلمان الاجتماعي لأبحاث الإعاقة.
- رئيس اللجنة الاستشارية لمشروع واحة العلوم، والرئيس الفخري لجمعية الحاسبات السعودية، والرئيس الفخري للجمعية السعودية لعلوم العمران.
- عضو بالجمعية السعودية الجغرافية، وعضو بجمعية مستكشفي الفضاء، وعضو بالجمعية الفلكية البريطانية، وعضو بالجمعية الجغرافية الأمريكية، وعضو بالجمعية الفضائية الأمريكية، وعضو ببرنامج الفضائيين الشباب (الولايات المتحدة)، وعضو بالجمعية الوطنية للفضاء (الولايات المتحدة)، وعضو بمعهد الدراسات الفضائية (جامعة برنستون)، وعضو بأكاديمية رواد الفضاء الدولية (فرنسا)، وعضو بالجمعية الفضائية الأمريكية، وعضو مشارك بندوة الأوضاع الدولية.

ثانيًا: ما لقيته من الزملاء والعاملين بالقوات الجوية من خلال تجربة العمل معهم والاحتكاك بهم.

ثالثًا: تجربة حرب الخليج كانت بابًا كبيرًا استطعت من خلاله معايشة نشاط القوات الجوية واستفادة خبرة واسعة جدًا في أثناء الإعداد لحرب الخليج من خلال وجودي في قاعدة الظهران الجوية.

بعد هذه المراحل التي مررت بها؛ فإن لجوئي إلى التقاعد المبكر ليس انسحابًا من العمل العام، بل لكي أتفرغ أكثر للعمل العام. وابتعادي عن القوات الجوية لا يعني ابتعادي عن مجال الخدمة العامة؛ بل العكس، أضفت نشاطات أكثر للخدمة العامة. ومجال الخدمات العامة الذي أقوم به الآن يستحوذ على ما لا يقل عن ٨٠٪ من وقتي، كما أنني أعمل على إنهاء دراسة الماجستير في مجال تخصص السياسة، وسوف أنهيه بعد الصيف القادم إن أعانني الله، وهذا أحد الأسباب التي جعلتني أتفرغ. وطموحي هو خدمة مليكي ووطني في كل مجال.

بالنسبة لكتابة مذكراتي الشخصية فهو شيء أتطلع إليه، ولا زلت أدرسه، ولكن المشكلة أن الوقت لا يسمح لي لكثرة الأبحاث التي أحاول إنجازها في الوقت الحالي، وارتباطاتي مع المؤسسات المختلفة، وقد أفكر في هذا الموضوع مستقبلاً - إن شاء الله - وأتفرغ له إن كان في ذلك فائدة عامة تتعدى الفائدة الشخصية.



قصيدة

دار الأحبة

شعر: د. محمد حكمت وليد

سَريتُ بأحلامي لدارِ أحبتي … أبلِّغها حُبّي وعتبي وحُرقتي

وأنشدُها أشواق روحٍ رفيفةٍ … وأحكي لها عَمَّا أُعاني بغُربتي

يُقاسي فؤادي ما ينوءُ بحمله … وَلكنَّ عَيني لا تبوحُ بِعَبْرتي

خرجتُ أغُذُّ السيرَ في مَهْمَهِ السُّرى … ألا في سبيل الله قصدي وهجرتي

وتسبحُ في عَرض البحار مراكبي … تُغالبُ أمواجَ الظلام بهمةٍ

وما أنا دار والبلادُ بعيدةٌ … متى يومُ مرساها وأيّانَ عودتي

أُكابد حُبي كالمآذن واقفًا … وأسمو بأشواقي إلى حيث جَنّتي

وَلَمْ تَرَني غيرُ المساجدِ راكعًا … وغيرُ إلهي لا يَراني بِذِلّتي

أتعرُفني داري إذا ما قصدتُها؟ … وتَذكرني من بعد عشرين حِجّةِ

وتذكرُ أحلامي بها.. وخواطري … وتذكرُ أيامًا قضتها بصُحبتي

وتَذكُر هَمْساتي ولمسَ أناملي … وتذكرُ فُرشاتي وحِبري وريشتي

أُرصِّعُها بالدُّرِّ في كل حُجرةٍ … وأكسو ثراها من خيالي ولوعتي

وأطيارُ أحلامي تَرِفُّ بخافقي … وأشواقُ أشواقي تطيرُ بصَبْوتي

تركتكِ يا داري وفي القلب غصَّةٌ … كأنّي يومَ البَيْنِ غادرتُ مُهجتي

حنانيكِ من دار فما أنا زاهدٌ … بريّاك لكني عَنيْتُ بغربتي

فهل غيَّرتكِ الناسُ يا دارُ بعدنا … وكَرُّ الليالي ليلةً بَعْدَ ليلةِ

وأخشى الذي أخشاهُ أن يُدركَ الونى … فؤادي.. وتنسى تلكمُ الأرض قصتي

وتنسى وصالي إذْ تَعَذَّرَ وَصْلُها … وتُدركني قبل الوصال مَنيّتي

تُسائلني أمي.. متى يومُ عودتي؟ … فتخفق كُلُّ الكائنات لِخفقتي

أقولُ بعون الله في كُلِّ غدوة … لنا عودةٌ أُمّاهُ.. في كل رَوْحَةٍ

وفي كُلِّ نجم لاح في الأفق بارقًا … وفي كُلِّ فجرٍ هَلَّ.. في كل ومضةٍ

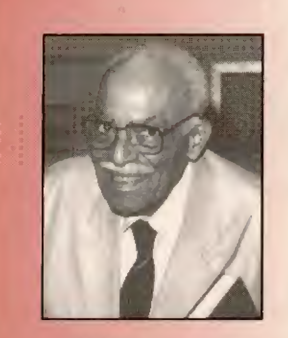
دياري ديار العز تحيا.. بغربة … وتهفو لأنوار الهدى والحقيقة

ورغم ابتلائي ما تزال.. وفيةً … تَحنُّ إلى قُربي وتهفو لطلعتي

سأسعى إليها ماسحًا عن جبينها … هُمومي.. فَهَمُّ الدارِ هَمّي ومحنتي

وأسألها أن تغفر البين والنوى … فما البَيْنُ من طبعي.. ولا الهجر مِلّتي

الشعر اليهودي وبداياته



د. حسن ظاظا

الشعر في أية أمة لا ينفصل عن الموسيقى، ولاسيما في بداياته، إذ إنه يسبق العلم التجريبي أو العقلاني، لأنه التعبير التلقائي العفوي عن شعور الأمة، ووجداناتها الحميمة، ووقفاتها العظيمة - أو الأليمة - أمام الحوادث التي تشهدها في حقبة قديمة من تاريخها. ولأنه لا ينفصل عن ألحانها الموسيقية بآلاتها فإنه يقال للترجيع والتغني والإنشاد. وكثيراً ما تكون الأمة إذ ذاك أمّيّة فيكون هذا الشعر - بأفراحه وأتراحه - ديوانها، وسجلّ تاريخها الغابر. وللشعر في تلك الفترات المتقدمة من حياة الأمم وظائف أخرى ترتبط بالمناسبات التي لها صلة بالأديان: المواسم الفصلية، المواسم الزراعية، التقلبات المناخية، مناسبات ولادة الناس، أو وفاتهم، أو زواجهم، أو تنصيب واحد منهم ليكون لهم رئيسا، أو اجتماعهم في مكان مقدس للحج والزيارة والوفاء بالنذور، ثم تأتي المناسبات الشخصية الحميمة جدا، كالوقوع في الحب، أو مفارقة الوطن، أو الوصول إلى مكان طيب للإقامة فيه، أو المعاناة من جوار الثقلاء والأشرار، أو مواجهة خطر من عدو متربص من بني الإنسان أو من الوحوش والزواحف أو من الكوارث التي تجتاح الناس من قحط أو غرق أو وباء، إلى ما يراه الشاعر جديراً بالحديث عنه وإنشاده ومحاولة تسجيله في ذاكرة الناس. وهذا كله من أعذب الشعر لبساطته وصدقه. والشاعر في الأمة البدائية هو لسان الجميع، يقول برهافة حسِّه، وجمال حديثه، وعمق أثره في أمثاله ما لا يستطيعونَ التعبير عنه، وإن كان حيًّا في نفوسهم جميعا، ولاسيما إذا اكتسى بمسحة مستقبلية يعدّها القوم نوعًا من الصلة بالغيب يشعر به الشاعر من حيث لا يشعرون، ولأن الشعر كان ينبئ بما لا يصل إليه أحد من عامة الناس عَدَّه القدماء نوعًا من الإلهام أو الكشف أو العلم، وقالت العرب: «ليت شعري» أي «ليتني علمت»!

شياطين الشعر ووادي عبقر!

ولو دققنا في أصول اشتقاق المفردات التي تدل على الشعر في أكثر اللغات لوجدناها إما آتية من العلم أو من رياضة تنشّط الإلهام عند القائل، أو جُهد لإنجاز عمل لا يستطيع إنجازه الإنسان العادي، لأن الشاعر قديمًا إمّا أن يكون على صلة بالآلهة أو بالشياطين؛ فاليونان كانوا يذكرون «الموحيات» وهنّ كائنات علوية سماوية يوحين إليهم بالشعر موزونًا بألحان مطربة يعرفونها فيما بينهم. وشعراء العرب كان لكل شاعر مشهور منهم «شيطان» معروف باسمه ومشهور، وكان مجمع الشياطين يقيمون في واد أسطوري يسمونه «عبقر» هو الذي يرسل إلى كل شاعر من يأخذه ويحلّق به في سماء «العبقرية»، ويبدو أنهم كانوا يتخيلون ذلك النوع من الكائنات الأسطورية الخرافية على هيئة الثيران من فصيلة «البقر»، لضخامتها وقوتها، وكانت الأرواح الحارسة للمعابد والقصور في العراق وإيران وآثار الحثّيين في تركيا وسورية وغيرهما من ممالك الشرق الأوسط على شكل ثيران مجنحة إشارة إلى أصولها السماوية المعجزة، وفي مصر الفرعونية كان «العجل أبيس» إلهًا معبودًا، ورمزاً لقوة الدولة، حتى قتله الإمبراطور الفارسي «قمبيز» عندما غزا مصر، فجرحه هذا العجل جرحًا استحال شفاؤه وكان السبب في موت الإمبراطور! وهي قصة رواها المؤرخ اليوناني «هيرودوت» في تاريخه، وكان معاصراً لهذه الوقائع. وعموما كان المصريون يرمزون إلى السماء بصورة كائن من فصيلة البقر يتمثل في صور وتماثيل لإلهة وثنية مصرية اسمها «هاتور» وفي التقويم الفرعوني شهر من السنة يحمل اسمها. وربّما كان تقديس البقر قد ظهر عند الانتقال من عصر الصيد والرعي إلى عصر الزراعة بعد استئناس «البقر» وتسخيره في الحراث، وكانت القوة البدنية للثيران مضرب الأمثال؛ حتى إن أبطال المحاربين في العالم القديم كان الواحد منهم يعتمر خوذة ذات قرنين مثل الثور.

وإقامة شياطين الشعراء بوادي عبقر تجرنا إلى سؤال: إذا كان «عبقر» أصله «أبقر» فكيف انقلبت الهمزة عينًا، ومتى، وفي أية قبيلة؟ ونحن نعلم أن نطق الهمزة عينًا كان شائعًا في قبائل عربية في العصور القديمة، وكان علماء اللغة قد أثبتوها في كتبهم منذ سيبويه وعلماء القراءات وسموها «العنعنة»؛ مما يسر على الباحث تحديد ظهور كلمة «العبقرية» في لغة العرب: في أي عصر وعلى لسان أية قبيلة؟ ومن المحتمل أن العبقرية كانت - في بدايتها - من لفظ قبيلة من تلك القبائل العربية التي استعملت «العنعنة» في نطق أكثر حروف الحلق.

وظيفة الشاعر في الأمة

والشعر - في كل أمة - يحمل بصمات الشاعر الخاصة في أثناء الجو الوطني للأمة التي ينتمي الشاعر إليها، بل البيئة المحلية الإقليمية التي نما وترعرع فيها، حتى شعر الحب والغزل. فعلى الرغم من أنه اختلاجات حميمة وفردية جدا، نرى فيه من الصّور والخيالات ما ينم على طبيعة الناس في الوطن الذي أنجب قائل هذا الشعر، والألوان التي تأثرت بها عيناه، زاهية صارخة أم كئيبة خافتة، كما يبدو هذا في اختيار ألفاظه، فللشعر مذاق خاص ينمّ على الأمة كلها من ناحية، وعلى الفرد الذي بذل جهده في التأنّق والاختيار والسّبْك في المعنى والمبنى من ناحية أخرى؛ لأن الشعر في جوهره «وليمة» يحرص الشاعر على أن تكون شهية المذاق له وللآخرين الذين يدعوهم إليها، بحيث لا يعيبها طعم لاذع أكثر مما تعوده القوم أو تافه لا يجدون له مزية ولا شهية، ويبدأ هذا باختيار «الغرض» الذي يصول فيه الشاعر ويجول. فالوطنية تعبر عن انتفاضة أمة للتخلص مما يرهبها من جور خارجي بإذلالها واقتحام حدودها، والعدوان على

مقدساتها وحرياتها وخيراتها وكرامتها، أو ظلم داخلي من رؤساء فاسدين مفسدين، أو هما جميعًا، بأن يحكمها خونة ينفذون فيها مطامع الأعداء. وإذا وصل الأمر إلى الحرب ظهر التغني بالانتصار، وشعر الحماسة، ورثاء الشهداء من الأمة، والتنديد بالعدوان والطغيان؛ كل هذا يكون «باللغة القومية» في أرقى ما وصلت إليه. وللشاعر في ممارسة فنه موقف الرائد والمعلم، يملك القدرة على تسمية المواقف بأسمائها، وتعليم الحكمة والفطنة لأبناء أمته، دون أن يقول لهم: أطيعوني! أو اكتبوا عني! بل: غنّوا معي، أو انطلقوا معي، أو اهتفوا معي، واضحكوا وابكوا معي. فهذه وظيفة الشعر.

بطلان دعوى النقاء العرقي لليهود!

وإذا نظرنا إلى شعر اليهود يتبين لنا أنه نادرًا ما يبدو مستوفيًا هذه الشروط، كلها أو بعضها. فاللغة العبرية كانت قد ماتت على ألسنة أبنائها بعد وقت قصير جدًا من بعثة سيدنا موسى عليه السلام. فقد كان هذا الرسول الكريم من غير فرسان الفصاحة في أية لغة، اللهم إلا العربية. وقد سبق أن شرحنا أنه لم ينطق بالعبرية في قصر أحد الفراعنة الطغاة منذ ولادته وانتشاله من الماء ليربى في قصر ملك يقتل كل من يسمعه ينطق بالعبرية، وما كان من هروبه في سنّ المراهقة إلى أرض مدين - من بلاد العرب - التي كانت تمتد قبالة مصر على الساحل الشرقي من البحر الأحمر من شمالي مكة، حتى خليج العقبة. وهناك عمل راعيًا عند النبي شعيب عليه السلام، وقد أغفلت التوراة ذكر نبوّته. وقد زعم باحثون كثيرون محدثون، منهم عالم النفس وباحث الأساطير «سيغموند فرويد» في كتاب من أواخر ما كتب، هو: موسى والتوحيد - كما زعم غيره - إلى أن موسى عليه السلام لم يكن واحدًا، بل كانوا أشخاصا عدة يسمون «موسى»! وأمام تلك المزاعم لن نقف مكتوفي الأيدي، لا استنادًا لنص القرآن الكريم فحسب؛ بل لانعدام أية رواية تنفي فردية موسى وأنه من بني إسرائيل، وأنه كان لا يتكلم العبرية - أو قليلاً منها وصل إلى سمعه من خادمات الأسرة الفرعونية اللائي كان فرعون يستحييهن للخدمة ويقتل الذكور من مواليد اليهود. ويفرض نفسه علينا سؤال بريء عن دعوى اليهود أنهم الجنس النقي البريء الطاهر؟ كما لو كان أولئك الإماء الأسيرات المبذولات للخدمة، المهددات بالموت لأول بادرة من العصيان، كنّ كلهن شريفات عفيفات حتى الموت بلا عقب! وقد قرر علماء الأجناس البشرية أن الجنس اليهودي - كغيره من عباد الله - مزيج من عناصر مختلفة متعددة. ثم من ضرب هذا السياج على جنس كامل في أمة من الأمم؟ وقد رأينا بينهم اللصوص والقتلة وقطاع الطرق والمرابين وذوي الشذوذ الجنسي والخونة والفاسقين من القوّادين والغشاشين والمحتالين ومروّجي المخدرات والأنبياء الكذابين أيضًا! وما يزال أمن إسرائيل السياسي مهددًا؛ لا من الخارج كما يزعمون؛ بل من الداخل كما تنطق بذلك شواهد الحال.

قرر علماء الأجناس البشرية أن الجنس اليهودي مزيج من عناصر مختلفة متعددة. وقد ظهر فيهم اللصوص والقتلة وقطاع الطرق والمرابون والخونة والمحتالون، والأنبياء الكذابون أيضًا!

وقصارى القول إن موسى عليه السلام لم يكن شاعرًا ولا أديبًا ولا فصيحًا بالعبرية، وقومه الذين التفوا حوله كانوا أخلاطًا من البشر، وليسوا من بني إسرائيل فقط؛ وإلا فكيف دخلوا مصر وعددهم سبعون شاملة للجميع، وخرجوا منها بعد قرنين من الزمان وعددهم مليون محارب؟!!

التوراة تعج بالأساطير!

لكن لا يعزب عن بالنا أن بداية الحلّ لأسرار الكون كان «الأسطورة»؛ حيث ينطلق الخيال كلامًا يصير غناء، ومن ثم شعرًا، له قدسيته لأنه يحكي ما يتخيّله من صلات بين عالم المادة وعالم الغيب، بين الواضح الملموس، والغامض المحير، بين قوة العضلات المحدودة وقوة النفس التي لا حدود لها؛ فيأخذ الكلام المنطوق على الألسنة ويظهر البوح بالأسرار والخفايا الكامنة وراء عالم المادة، ولاسيما إذا اقترن ذلك بمختلف «الطقوس» العجيبة، لتعبر عن تطلع الإنسان إلى أكبر قدر عن ذاته وعن الكون المحيط به، وهو عنده مملوء بالأحلام.. والعجائب أيضًا: من أين أتى الإنسان؟ ومن أين أتت هذه الطبيعة المحيطة به، ولماذا امتلأت بالخيرات الضرورية له، وبالمخاوف والمهالك المفزعة؟ لماذا يبدو أمر ما من الأمور، أو مخلوق ما من المخلوقات جميلاً وغيره قبيحًا؟ لماذا يطمئن أو يقلق، أو يفزع؟ ولماذا يحبّ؟ لماذا يبكي أو يضحك؟ ولماذا يحارب ويقاتل؟ ولماذا يبحث عن حل وسط؟ اقترن كل هذا - وكثير غيره - بتعليل بدائي ساذج، يحكي قصة الكون، وما وراءه على شكل «أساطير» ملأت ليالي المجتمعات الموغلة في القدم بالأنس والبهجة أو بالأحزان والدموع.

بنو إسرائيل ينجحون في عبور البحر - بمعجزة - وفي فصل الربيع (فصل الأوبئة في البلاد الرطبة المعتدلة أو الحارة قبل اختراع المطهر أو مستحضرات التحصين)، جاء الوباء في المصريين، ونجا منه بنو إسرائيل! وانشق لهم البحر. كل هذا ممكن. لكن عندما يزعم القاصّ في التوراة الموصوفة عند اليهود بأنها «كلام الله» أنهم عند عبورهم البحر تمنوا أن ينفصل كل سبط عن أخيه، فيقوم جدار سميك من الماء بين تلك الأسباط الاثني عشر، ثم يقاسي كل سبط من العزلة والوحدة في «الحارة» اللجيّة التي يسلكها، ويشعر «رب إسرائيل» بمعاناتهم، فيفتح في هذه الجدران المائية الفاصلة شبابيك يرى منها بعضهم بعضا ويتحدثون ويطمئنون ويأنسون وتزول وحشتهم (وكانت التوراة قد أخبرتنا أنهم في تلك الهجرة زهاء مليون مقاتل بأسلحتهم) فهذه أساطير! ثم البئر التي انبثقت لهم في الصحراء - عندما عطشوا - معجزة! لكن عندما يزعم الراوية في التوراة أن تلك البئر رافقت المليون في الصحراء، وسارت محاذية لهم على طول «التيه»؛ أي أربعين عامًا، لا تشرد ولا تنضب ولا تثبت... ولم يسأل القاصّ ولا المستمعون إليه كيف تحوّلت رحلة «الخروج» إلى تأمين كل وسائل الراحة في تلك الرحلة الطويلة؟ وكان أهون على رب إسرائيل أن ينقلهم إلى «أرض الميعاد» في طرفة عين؟ ولكنها الأسطورة تفعل ما تريد أو ما يطلبه المستمعون والمشاهدون، بلغة الإذاعة والتلفزة في زماننا هذا.

الشعر في التوراة: مشكلة كبرى!

وعلم الأساطير (الميثولوجيا) قد شب عن الطوق بجهود علماء على أكبر جانب من الجديّة العلمية الصارمة من أمثال فريزر مؤلف: «أساطير في العهد القديم» في صيغتين: إحداهما مختصرة والأخرى مطوّلة موثقة، وقد قامت بترجمة المختصرة الأستاذة الدكتورة نبيلة إبراهيم، وكلفتني وزارة الثقافة بمصر مهمة مراجعتها، ثم تم نشرها للمرة الأولى في مجلدين. ويجيء سيغموند فرويد - عالم النفس الشهير - فيعكف بدوره على الأساطير، ثم ينهي حياته بنشر سيرة موسى عليه السلام. وفرويد من اليهود، ومع ذلك فقد شك في معظم ما يتعلق بموسى حتى زعم أنه ليس من بني إسرائيل؛ بل من المصريين دينًا ولحمًا ودمًا ونسبًا! وهذا يرينا التخبط اليهودي حول حقيقة موسى نفسه، لدرجة أن هناك من قال إن هناك أكثر من شخص بهذا الاسم. وتستمر الخلافات حول موسى حتى بين الباحثين في الأساطير الدينية من الغربيين المعاصرين أمثال «باتايْ» أو «مارسيا إلياد» وغيرهم.

أما توراة موسى فليس بأيدي الناس منها إلا أسفار الشريعة الخمسة التي ترجع أقدم نسخها إلى ألف عام بعد موسى، وهي التي كتبها عزرا (العُزَيْر) في أواخر القرن الخامس قبل المسيح، وحتى هذه ضاعت ولم يبق منها أثر!

الشعر اليهودي وبداياته

أما ما يسمى شعراً في توراة موسى فإنه مشكلة المشكلات! ذلك أن الشعر القديم في بداياته القصد منه «الإنشاد» على إيقاع معلوم من الجميع، حتى يتيسر الجهر به جماعة وعلانية في مناسبات معينة، مع ألحان موسيقية على آلات صائتة؛ من أنابيب هوائية للزمر والصفير، ومن جلاجل للخشخشة أو سطوح للنقر كالطبول، أو صنوج معدنية صغيرة أو كبيرة، بسيطة أو معقدة، ومن آلات وترية مختلفة حجمًا ونوعًا كالقيثارة والعود والبَرْبَط والجُنك (الطنبور) والربابة والكمان وما إليها. وكل هذه الأمور تغلق أبوابها على أسرارها في التوراة التي بين أيدينا، عدا شظايا من الشعر القديم - قبل موسى وهارون بكثير - مثل شعر «لامَكْ» لزوجته (وهو أول تعدد للزوجات حسب رواية التوراة)، ولقصره وإيجازه لا يتوهم القارئ له، والسامع أيضًا، أن فيه إيقاعًا ووزنًا، إذا اقترن هذا بخيال القارئ المؤمن بقدسية الكلمات، والإيمان يصنع المستحيل! ذلك أن لامَكْ هذا من تلك الأجيال المنقرضة، تقول التوراة إنه من أجيال ما قبل طوفان نوح!! فنحن الآن في عالم الأساطير. ويشعرنا نص التوراة بأن آدم كان بعدُ حيًا:

«واتخذ لامَكْ له امرأتين، اسم إحداهما «عادة» والأخرى «صلّة». فولدت عادة «يابل» وهو أبو ساكني الخيام ورعاة الماشية، واسم أخيه «يوبال» وهو أبو كل عازف بالكنَّارة والمزمار، ثم ولدت صلة أيضا توبال - قَيْن، وهو أول صيقل لجميع المصنوعات من النحاس والحديد، كما ولدت أختًا لتوبال - قين هي نَعَمَة، وقال لامَكْ لامرأتيه، عادة وصلة: اسمعا قولي (أي إنشادي؟) يا امرأتَيْ لامَكْ، قتلت رجلا بجرحي، وفتى بشدخي!، إن ثأر قين سبعة أضعاف، وأما لامَكْ فسبعة وسبعون. أما آدم فإنه لامسَ امرأته مرة أخرى، فولدت له ولدًا وأسمته شيث، وقالت قد أقام الله لي نسلاً آخر بدل هابيل الذي قتله قايين (قابيل)، ولشيث أيضًا وُلدَ ابن، وسماه إنُوش (إنسان). وإذ ذاك ابتدئ بالدعوة باسم الربّ. هذا كتاب مواليد آدم يوم خلق الله الإنسان، على مثال الله صنعه، على مثاله خلقه، ذكرًا وأنثى، خلقه وباركه، وسمّاه آدم يوم خُلق» (التوراة، سفر التكوين، فصل ٤:١٩-٢٦، وفصل ٥:١، ٢).

وأقبل الباحثون المحدثون - من النصارى واليهود - على دراسات طويلة في أساطير الأولين في سومر وبابل وآشور - بالعراق القديم - وفي نقوش أوغاريت (رأس الشمرة) بالقرب من اللاذقية - سورية، وكذلك النقوش المسمارية في إيران، وفي إمبراطورية الحثيين في تركيا قبل وصول الأتراك إليها من شرقي آسيا، وهي أبحاث ما يزال يسودها التخبط والتناقض إلا في شيء واحد، وهو أن هذه الأساطير لم تكن يهودية؛ بل اغتصبها بنو إسرائيل من مسامرات شعبية سبقهم إليها سكان آخرون من الشرق الأوسط، ويندرج كل هذا في أساطير بدايات الإنسان على هذه الأرض، وبدايات بعض أوجه النشاط البشري؛ كتربية الماشية، وتعدّد الزوجات، وإنشاد الشعر على نغمات الموسيقى، وبدء الصناعات المعدنية واستخدامها في قتل الإنسان لأخيه الإنسان كما يقول المتنبي:

كلما أنبت الزمان قناةً

ركّب المرء في القناة سنانا

والذي ظنه اليهود شعرًا في هذا السّياق ما هو إلا شظايا متناثرة بقي طنينها «بالمعنى» عبر آلاف السنين ومع اختلاف اللغات، وذلك دليل - مهما كان ضعيفًا - على سريان فن الشعر «الملحمي» بين اليهود، ومعرفتهم للغناء والإنشاد.

نموذج من الشعر اليهودي في التوراة

وهنا نقف أمام نص في التوراة يظهر أن أصله كان من شعر الحماسة، ترنم به بنو إسرائيل عندما عبروا البحر فارين من بطش فرعون وجنوده، ومطاردتهم، وقد نجوا وغرق فرعون وجنوده في البحر، ويبدو أنها كانت عملاً شعريًا أضاعته أجيال اليهود واكتفوا بروايته نثرًا، وهو مع ذلك نموذج لشعر الجهاد الديني القديم. يقول:

«حينئذ سبَّح موسى وبنو إسرائيل هذه التسبيحة للربّ وقالوا: أسبِّح الرب لأنه تعالى بالمجد، الفرس وراكبه رماهما في البحر، الرب عزّي وتسبيحي! كان لي نجاة، إنه إلهي وأنا أمجده، وإله أبي وقد تَعَظَّم. الرب بطل حروب، الربّ اسمه. مراكب فرعون وجنوده طرحها في البحر، وأعظم قوّاده قد غرقوا في البحر الأحمر: غطتهم الأمواج فهبطوا في الأعماق كالحجارة. يمينك يارب عزيزة! القوة يمينك يارب تحطم العدو، وبعظمة قدرتك تهدم معانديك، ترسل عليهم سخطك فيأكلهم كالهشيم، وبنفحة من غضبك تراكمت المياه وثبَّت كالجبال المائجة، وجمدت اللجج في أعماق البحر. قال العدو: أرهقهم، وأدركهم، وأقسِّمهم غنيمة تشتفي منها نفسي. أخترط سيفي فتفنيهم يدي! بعثتَ ريحك فغشيهم اليم، وغرقوا كالرصاص في غمرة المياه. من كمثلك بالآلهة يارب!؟ من كمثلك جليل القداسة، مهيب التسابيح، صانع المعجزات؟ مددت يمينك فابتلعتهم الأرض! هديْت برحمتك الشعب الذي أنقذته وأرشدته بيرّك إلى موطئ قدميك! سَمِعَت الأمم فارتعدت، واستولى الرعب على سكان فلسطين! فارتاع حينئذ زعماء إدوم، وأقوياء موآب! أخذتهم الرعدة، وماج كل سكان كنعان. ارتعشوا بالرعدة والهلع. بهول ذراعك يخرسون كالحجارة، حتى يجتاز شعبك، ياربّ! حتى يمرّ الشعب الذي تملكه! تأتي بهم فتغرسهم في جبل ميراثك، في الموضع الذي أقمته يارب لسكناك المقدس، الذي هيـأته يداك ياربّ!! الرب يملك إلى الأبد السرمدي! وقد دخلت خيل فرعون ومراكبه وفرسانه في البحر، فقلب الرب عليهم مياه البحر! وأما بنو إسرائيل فساروا على اليابس في وسط البحر. ثم أخذت مريم النبية أخت هارون الدُفّ في يدها، وخرجت النساء كلهن وراءها بدفوف ورقص؛ فجاوبتهن مريم: سبِّحوا الرب! لأنه تَعَظَّم بالمجد، الفرس وراكبه في البحر» (التوراة، سفر الخروج، فصل ١٥:١-٤١).

أقدم نص «عبري» في العهد القديم ليس في التوراة!

والنص كما يتضح لمن يقرؤه - حتى في نصه العبري - لا يمت بأية صلة إلى أشعار الملاحم القديمة من حيث الصور المستخدمة فيه. فالبحر هناك صامت تمامًا ليس له هدير. ولو فرضنا أن غضب الرب قد أخرسه، فأين حيتانه، وما كان يزحمه في عقليات الأمم القديمة من وحوش البحر الهائلة، والتماسيح العملاقة، والسلاحف الرهيبة، والحيات التي كانت توصف بأن مرورها فقط يستغرق يوما كاملاً ممن يراقبها تمخر عباب الماء، والأنواع الرهيبة العملاقة من الأخطبوط والمحار الذي يشبه القباب؟ وأين عرائس البحر، وشياطينه وأبالسته، وما يتصل بذلك من الأساطير والخرافات؛ ثم أين الإيقاع اللفظي - أو الوزن المناسب - لهذه الجوقة الضخمة التي تقودها «مريم النبية» أخت موسى وهارون وهم قادمون من مصر بلد الانتصارات والفتوحات، وبلد الشعر والموسيقى والغناء والأمثال الشعبية الساخرة، والفنون الجميلة الشامخة، والغناء الشعبي الخفيف. السبب أن اليهود كانوا - في أغلب الأحيان - مقلدين لا مبتكرين، ولو زار إنسان غير يهودي الآن بعض المعابد اليهودية الحديثة لوجدها استمرارًا للأفكار الدينية في الأماكن التي يقيمون فيها، ففي أوربا وأمريكا وأستراليا تخضع عمارة المعبد اليهودي لشكل الكنيسة النصرانية ما أمكن ذلك دينيًا وماليًا. أما التأثير المصري فإن الثأر القديم بين الفراعنة وبني إسرائيل قد جعل تأثرهم بمصر محدودًا، لكن يبقى في أمور أساسية؛ منها: شريعة ختان الأولاد، وتوجيه قبلة المعبد نحو الشرق؛ أي نحو الإله الفرعوني

فقهاء لغة التوراة وصلوا إلى إجماع على أن أقدم نص «شعري» عبري في العهد القديم ليس في التوراة؛ بل في «سِفْر القضاة»، قالته دبورة عقب معركة لليهود مع جمع من أهل فلسطين!

«رع» (الشمس)، ومنها شرائع كثيرة في الذبح والاغتسال والزكاة، وسَمْت المصلي وهو واقف بين يدي الله سبحانه وتعالى. ويشعر قارئ هذه التسبيحة الاحتفالية بأنها «مرتجلة» بعد حادثة الخروج بقرون طويلة، وبقلم رجل لم يكن يعرف موسى عليه السلام، ولا الرعيل الأول من صحابته ولا مقامه الطويل جدا بين العرب (أكثر من ستين عامًا) وزواجه بابنة شعيب «كاهن مدين» كما تقول التوراة، لدرجة أن لغة المصريين - واليهود أيضا - كان قد نسيها وحلت محلها «عقدة» في لسانه، مما يضاعف شكوكنا في أصالة نص هذه التسبيحة. ثم إن فقهاء لغة التوراة قد وصلوا إلى إجماع على أن أقدم نص في العهد القديم ليس في التوراة؛ بل في سفْر القضاة، وهو نص يوصف بأنه «شعْري» أيضا، يرجع إلى عصر القضاة، وهم زعماء مقاتلون للفلسطينيين، قالته امرأة عقب معركة مع جمع من أهل فلسطين الأصليين، بعد موسى بقرنين من الزمان. وقد لاحظ الباحثون أن هذا النص من الناحية اللغوية «أقدم نصّ» شعري باللغة العبرية! والعالم كله يعرف أن فن الشعر كان من الفنون الشعبية المحافظة على نمطها التقليدي بالمقابلة بلغة التخاطب الدائمة التطور من جيل لجيل.

ودبورة كانت امرأة من بنات إسرائيل تتكسب بالكهانة والتنجيم على مفترق الطرق في الجهة التي تعيش فيها، ووصفها كاتب العهد القديم بأنها «نبية» وهي الثانية من الحائزات وصف النبوة بعد مريم، أخت موسى وهارون: «وعاد بنو إسرائيل فارتكبوا الشرّ في عيني الرب بعد موت إهود (أحد القضاة المحاربين) فأسلمهم الربّ إلى يد «يابين» الملك الكنعاني الذي كان يحكم في «حاصور»، وكان قائد جيشه «سيْسرَا» وهو مقيم في أرض الأجانب. فاستغاث بنو إسرائيل بالربّ لأنه كانت له تسعمئة مركبة من حديد (كان هذا قبل عصر الحديد، عند اليهود، الذين بدأ على يد داود بعد ذلك بثلاثة قرون!) فضيّق على بني إسرائيل بقسوة مدة عشرين سنة، وكانت دبورة النبية زوجة تَفيدُوت متولية قضاء بني إسرائيل إذ ذاك، وكانت تجلس تحت «نخلة دبورة» بين الرامة وبيت إيل (إقليم نابلس) في جبل إفرايم، وكان بنو إسرائيل يذهبون إليها لتقضي لهم، فأرسلت ودعت باراق بن أبينوعم من «قادش نفتالي» وقالت له: إن الرب إله إسرائيل قد أمر. فامض وعسكر في جبل تابور، وخذ معك عشرة آلاف رجل من بني نفتالي ومن بني زُبولون، وأنا أقتاد إليك «سيْسَرَا» قائد جيش يابين، ومراكبه وجُنده إلى نهر قيشون، وأسقطه في يدك، فقال لها باراق: إن أنت انطلقت معي انطلقتُ، وإن لم تنطلقي فلا أنطلق. فقالت له: أنطلق معك غير أنه لا يكون لك فخرٌ في ما أنت آخذٌ فيه، فإن الرب إلى يد امرأة سيسلم سيْسرَا. وقامت دبورة فانطلقت مع باراق إلى قادش. ونادى باراق زبولون ونفتالي إلى قادش، وصعد عشرة آلاف رجل وصعدت دبورة معهم. وكان حابر القيني من بني حباب، حمي موسى (هذا غير كاهن مَدْيَن؟!) قد انفرد عن القينيين، وضرب خيمته إلى جانب شجرة بلوط في صَعْنَيَّم التي عند قادش. فأُخْبِر سيْسرَا بأن باراق بن أبينوعم صعد إلى جبل تابور، فنادى سيْسرَا جميع مراكبه، وهي تسعمئة مركبة من حديد، وجميع الشعب الذين عنده من زمام الأمم الأخرى إلى نهر قيشون. فقالت دبورة لباراق: قم، فإن الرب سيسلم اليوم سيْسرَا إلى يدك! وها هو ذا الرب يخرج أمامك، فنزل باراق من جبل تابور، ووراءه عشرة آلاف رجل. وألقى الرب رُعبًا على سيْسرَا وجميع مراكبه، وقتل

من الظواهر الغريبة في الفكر الإسرائيلي: ترجمة شعر الآخرين. وأوضح مثال لذلك: سفْر أيوب، وهو - في أصله - ملحمة شعرية تصف الصراع بين الخير والشر حتى النصر النهائي للخير

جميع جيشه بحد السيف أمام باراق! فنزل سيْسرَا عن مركبته وفرَّ مذعوراً على رجليه، فجرى باراق في إثر مراكبه وعسكره إلى حوزة الأمم الأخرى، وهلك كل من بقي من العسكر بحد السيف، فلم يبق منهم باق. وأطلق سيْسرَا ساقيه للريح ودخل خيمة ياعيل إمرأة حابر القيني، لأنه كان بين يابين، ملك حاصور، وآل حابر القيني مسالمة. فخرجت ياعيل لاستقبال سيْسرَا وقالت له: ملْ يا سيدي إليّ ولا تخف، فمال إليها، ودخل خيمتها فغطته بقطيفة لها، فقال: اسقيني قليلاً من الماء فأنا عطشان! ففتحت وَطْبَ اللبن فسقته ثم غطته، وقال لها: قفي على باب الخيمة فإن أتاك أحد وسألك أههنا أحد؟ فقولي لا! فأخذت ياعيل امرأة حابر وتد الخيمة ومطرقة الأوتاد، ودقت الوتد في صدغه حتى غرز في الأرض، وقد نام واسترخى إلى أن مات. أما باراق فكان جادًا في إثر سيْسرَا فما أن رآه ياعيل حتى خرجت لاستقباله قائلة: تعال لترى الرجل الذي تطلبه. فدخل فإذا بسيْسرَا ملقى ميتًا والوتد في صدغه!» (سفر القضاة: الفصل الرابع إلى رقم ٢٢).

ونقرأ في الفصل الخامس نشيد نصر من شعر دبورة - أقدم شعر في نصوص الكتاب على الرغم من تأخره في الزمن بأكثر من قرنين بعد موسى -، ولأن هذه النصوص غير مؤرخة بدقة فالبحث اللغوي والأدبي في أعماق السياق أعان الباحثين على أن يحكموا بأن ما قالته دبورة أو ما روي عنها، هو - لغويًا وفنيًا - أقدم نص عبري في العهد القديم. وإن كنا نسأل إذا كانت لغته قد احتفظت ببقايا من ألفاظ الأصل بعد أن تعرض لتحريف متأخر - وغير متعمد - على ألسنة رواة متعاقبين. فهو نشيد بطولي حماسي، لم يبق فيه من إيقاع الأناشيد الجماعية الشعبية إلا ظل ضعيف باهت من الأصل.

قال الراوي في الفصل الخامس من سفْر القضاة:

«فسبّحت دبورة وباراق بن أبينوعم في ذلك اليوم وقالا: إذ قد عقد القوّاد القيادة في إسرائيل، وتطوّع الشعب. سبّحوا الربّ «يَهْوه»! اسمعوا يا ملوك! أصيخوا أيها الموقرون! إني الربّ أنشد، أنشد ليَهْوه، إله إسرائيل! بخروجك ياربّ من «سعير»، عندما برزت من صحراء إدوم، ارتعدت الأرض! وقطرت السماء، وتصبب الغمام ماءً! ذابت الجبال من وجه الرب! حتى سيناء بين يدي الرب! في أيام شجر بن عنان، في أيام ياعيل تعطلت المسالك، وسلك العابرون طرقًا ذات عوَج! هلك الحكّام في إسرائيل، هلكوا! إلى أن قمت أنا، دبورة، قمت أمًا في إسرائيل، إذ تخيروا لهم آلهة جديدة! حينئذ هبطت قوّتهم!، فما كان يُرى مجنٌ أو رُمْحٌ في أربعين ألفًا من إسرائيل! قلبي على قادة إسرائيل! أيها المتطوعون في الشعب، باركوا الرب! يا راكبي الأُتُن الشهباء، وأنتم أيها المستريحون على الديباج، وأنتم أيها السائرون في الطريق، سبّحوا! أشيد بأعلى من أصوات المنفّلين عند حياض السقاية، أشيدوا بانتقام الرب، وضربات أميره في إسرائيل، يوم انقضّ شعب الربّ على الجبابرة! هلمّ! انهضي يا دبورة، قومي! وانشدي شعرًا! وانهض يا باراق واسبُ سبيك يا ابن أبينوعم! انزلوا الآن يا بقايا إسرائيل على الجبابرة! يا شعب الرب، اهبطْ على المستبدين! ها هو ذا إفرايم يتبوأ مكان «عمليق»! وبنيامين وراءك يا باراق بين شجعانك، وافت أمراء «ماكير» ومن زبولون. حاملو صولجان العظمة! ورؤساء «يسَّاكر» مع دبورة! يسَّاكر بعضد باراق، انحدروا في إثره إلى الوادي! عند جداول رأوبين عزائم قلوب عظيمة. ما بالك جالسا تصغي إلى صفير الرعيان، وعند جداول رأوبين يشاكل قلوبًا عظيمة؟! جلعاد وقف على الضفة الأخرى من الأردن فلماذا يبقى بجانب سفائنه؟ وآشر واقف على سواحل البحار وفي موانئه استقر!

الشعر اليهودي وبداياته

زبولون شعب بذل نفسه للموت، وكذا نفتالي على مشارف البادية! وفد الملوك وقاتلوا: قاومت الملوك «كنعان» في «تَعْنَك» عند مياه «مجدّو» وغنيمة فضة لم يغنموا. من السماء نشب القتال، الكواكب من أفلاكها حاربت سِيْسَرَا، نهر قيشون جرفهم! نهر عريق نهر قيشون! يا نفسي، ستطلبين الأعزاء! عندما انطفأ شرار سنابك خيلهم في الهزيمة! هزيمة شجعانهم السريعة! العنوا ميروز! يقول ملاك يَهْوه، العنوا سكانها! لأنهم لم يزحفوا لحروب الرب لمناصرة الرب بين الشجعان! وبورك في ياعيل امرأة حابر القيني بين النساء! بورك فيها بين جميع ساكنات الخيام! طلب ماءً فأعطته لبنًا، وفي إناء الأعزاء قدّمت زُبدًا، قبضت كفها على وتد الخيمة، ويمينها على مطرقة الصنّاع، وضربت سِيْسَرَا، فشدخت رأسه، وهشمت وخرقت صدغه! فخرّ عند قدميها، خرّ وسقط! وحيث خرّ سقط صريعًا! أشرفت أمّ سِيْسَرَا من الكوّة وأعولت من وراء الشباك. لماذا أبطأت مراكبه عن الظهور؟ لماذا تأخر سير عجلاته؟ فأجابتها أذكى النساء عندها، بل أجابت نفسها: هم أصابوا غنيمة فهم يقسمونها، فتاةٌ.. فتاتان لكل بطل! لسِيْسَرَا رياشٌ مزخرفة، رياشٌ موشاة.. حُلّة أو حُلّتان مزخرفتان للمنتصر! هكذا فلتهلك أعدائك يارب! ولكن أحباؤك كالشمس المشرقة في بهائها».

ونلاحظ أن الشعر هنا خالٍ من أي وزن أو إيقاع نغميّ، ونشعر أن هذه النصوص تبادلتها الأيدي مرارًا إلى أن وجدها الخلف فاحتفظوا بها بركة عن السلف. ومهما يكن من شيء فإنها أبعد ما تكون من أن ترقى إلى مستوى الوحي الإلهي، وإن بقي لها شيء من الوحي الشعري يذكرنا بشعر عمرو بن كلثوم أو عنترة بن شداد، ولا أقول بزهير الذي كانت له ومضات من الحكمة، وارتفاع عن الشماتة، وعن اعتبار الغيلة، والخيانة بطولة، أما النسق والإيقاع والسياق فأمور تكاد تكون غائبة في هذا الشعر القديم.

الفكر الإسرائيلي والسطو على أشعار الآخرين!

والتغني بالنصر من حق كل شاعر وناثر، إلا أن الشعر له مذاق روحي أخّاذ، وموسيقي ليست لهذا الشعر، مما فرض عليّ أن أحسب أنه نُقل بالمعنى فقط - أو تقريبًا - عن شعر قديم ضاع على حطام هيكل سليمان الذي دُمّر وسوّي بالأرض ثلاث مرات أو أكثر عبر التاريخ، وفي كل مرة يبنيه يهودي - أو متهود - مثل هيرودس الأردني الذي حكم اليهود في عهد ميلاد المسيح عليه السلام، ولم تكن إعادته لبناء الهيكل قُربى إلى الله تعالى، بل لأغراض سياسية صهيونية بحتة، تذكرنا بخيالات عظماء الصهاينة مثل هرتسل، وابن غوريون، وشارون ثم نتن ياهو.

وهناك ظاهرة غريبة في الفكر الإسرائيلي هي ترجمة شعر الآخرين. وأوضح مثال لذلك «سفْر أيوب» فأصله ملحمة شعرية قديمة، تخلّد صراع الخَير (الله) والشر (الشيطان) حتى النصر النهائي للخير، وعودة الراحة والسرور والسعادة إلى الصابرين في هذا الصراع الأليم. والملحمة مفقودة في التراث العربي الموغل في القدم، وطويلة مشهورة في «سفر أيوب» في التراث اليهودي، على الرغم من أن اللغويين يعلمون أيضًا أن أيوب ليس اسمًا يهوديًا، وأن الفعل «آب» الذي صيغ منه هذا الاسم ليس عبريًا ولا حتى كنعانيًا، وأن ثروة أيوب كانت تحتوي على الإبل، وهي حيوانات غير طاهرة في الشريعة الموسوية، ومحرمة هي والخنزير سواء بسواء، ولم يذكر كتابهم «الشيطان» بهذا الاسم إلا في سفر أيوب، وجميع أسماء الأماكن والمواضع والأشخاص أسماء عربية غير يهودية، ولعل فكرة القصة ترجع إلى أزلية الصراع بين الخير والشر كما تجلى ذلك في المجوسية الإيرانية المتأخرة في غضون الألف الأول قبل ميلاد المسيح. وسفر أيوب عندهم حيَّر عقول المتكلمين اليهود، كيف يوجد نص يصف صراعًا بين الواحد القهار، والشيطان؟ وأثار هذا شكوكًا في كل المسؤولية الشرعية عنده. فالله - تعالى عن ذلك علوًا كبيرًا - يلعب مع الشيطان لعبة على أيوب، من منهما يربح هذا الرجل المؤمن الصابر إلى معسكره؟ وتحت تحدي الشيطان لله تعالى ابتلاه الله بكل الكوارث والآلام فصبر، وجاء أصدقاؤه من جميع أنحاء الجزيرة العربية لمواساته، وناقشوه طويلاً في مصير الإنسان وهو ثابت على إيمانه. وفي النهاية تجلّى مجد الله في عاقبة الأمور. والعلاّمة اليهودي سعديا الفيومي، عندما ترجم «سفر أيوب» من العبرية إلى العربية سماه «كتاب التعديل» أي إثبات «العدل» لله تعالى، ردًا على الملاحدة من اليهود الذين قالوا إن الله عندما تحدّاه الشيطان على امتلاك رجل من بني الإنسان، وذاق هذا الرجل الأهوال - مجانًا - لم تتوافر له فرصة! فترجم سعديا الكتاب ترجمة جميلة، وفسره تفسيرًا يثبت صفة العدل لله سبحانه وتعالى. وسفر أيوب في صورته العبرية، على اختفاء الإيقاع الشعري فيه، ينضح شعرًا شامخًا.

ومن النصوص التي يبدو أنها مترجمة عن أصل كنعاني، أو آرامي، أو نبطي: سفر نشيد الأناشيد. وهو قصة غرامية حارة - ومتحررة - بطلها الراعي وبطلتها المعشوقة السمراء الفاتنة «شوليت». ويصل الغزل فيها إلى وصف محاسن الفتى والفتاة، خَلْقًا وخلقا، وما يزال المفسرون لهذه النصوص على خلاف شاسع، من الرمزية الصوفية، إلى المادية الجسدية الشهوانية. وهو نشيد منسوب إلى سيدنا سليمان عليه السلام، وذهب بعض المحدثين إلى أنه أغنية شعبية تغنيها المرأة المحترفة للغناء في الأعراس قبل سليمان بزمان. وهذا الشعر ما زال يحمل أريج الشعر العاطفي وبعض الإيقاع أحيانًا، وأما نسبته إلى سليمان عليه السلام فربما كان يرجع الأمر إلى أن سليمان - حسب رواية كتابهم - كان رجلاً مزواجًا اقترن بألف امرأة!! سبعمئة من بنات الملوك والأمراء في عالمه المعروف، وثلاثمئة سرية. وكان هذا النشيد يصدح كثيرًا جدًا في قصره عليه السلام، فبقي «بركة» من ملك يهودي لا ينبغي ملكه لأحد من بعده، وكان طموحًا إلى طراز من المعيشة خاص به أثار حفيظة اليهود، فتمردوا عليه أكثر من مرة، لا لسوء سلوكه؛ ولكن لثقل ضرائبه، وانتهى بأن انقسم ملكه إلى شطرين متعادين بعد موته مباشرة؛ أحدهما في أورشليم (القدس) حيث خلفه ابنه رَحَبْعام، والثاني ملكه ضابط في جيشه تمرّد عليه وهو «يَرُبْعام بن نباط» الذي أسس مملكة في «السامرة» في إقليم نابلس، شمالي القدس، وبدأ اضمحلال التدين اليهودي، والتماسك العقدي والعرفي والثقافي والسياسي عندهم يتفكك، وما زال إلى الآن، على الرغم مما يصم الآذان من صراخ الصهيونية وما تنشره من جعجعة وقعقعة.

أين شعر اليهود؟!

لكن في كل هذا: أين شعر اليهود؟ في هذه الحقبة القديمة من ظلمات التاريخ، لا نجد شيئًا حفظته ذاكرة شعب الله المختار - كما يقولون! - يستحق أن يكون مرآة تعكس حقيقة هذا الشعر، الذي أعتقد مع الجميع أنه كان شامخًا، مع كل هؤلاء الأنبياء المتعاقبين في الأمة. وإن شاء الله أبحث عن تألقات شعرية أخرى عبر تاريخ اليهود.

هذا المقال ليس دراسة استقصائية للخطوة الأولى من شعر اليهود، بقدر ما هو إثارة للبحث في موضوع ظهرت فيه في أوربا وأمريكا وإسرائيل دراسات طويلة، ولكنها تغفل وضع اليهود في الإطار الإنساني وتفحصه على أنه من كلام الله، أو أحد أنبيائه، ويكفي أن نقرأ مزامير داود المروية لنا. وفي حياة داود أنه كان موسيقيًا، وأنه جاء من منطقة «بئر سبع» إلى وسط فلسطين ليداوي أعصاب شاؤول الملك اليهودي الأول في التاريخ من خلل في أعصابه، ومات هذا الملك منتحرًا على هزيمة له من الفلسطينيين. وقد اشتهر داود بألحانه الشجية على المزمار، شأن جميع البدو الرعاة، فخلط الناس بين الشعر والموسيقى مع أن المزامير المنسوبة لداود ليس فيها إيقاع نغمي إلا ما تيسره إمكانات الموسيقى المصاحبة. مما يؤكد ما تكررت الإشارة إليه من أن الوضع الراهن للكتاب - العهد القديم - كما كتبه اليهود، لا يساعدنا على رسم خريطة واضحة المعالم لشعر اليهود في تلك العصور السحيقة مع ندرة الوسائل التي تعين على المقابلة.



د. محمود جبر الربداوي

قال آدم عليه السلام عندما قتل ابنُه قابيل ابنَه هابيل:

تغـيَّـرتِ البـلادُ ومَنْ عليـهـا ... فـوجـهُ الأرض مـغـبَـرٌ قـبـيحُ

تغـيَّـر كـل ذي طعمٍ ولونٍ ... وقلَّ بـشـاشـةَ الوجـهُ الصـبـوحُ

وبُـدِّل أهلُـهـا أثْـلاً وخَـمْطًا(١) ... بـجنات من الفـردوس فـيـحِ

وَقَـتَّـل قـابـلٌ هـابيل ظلـمًـا(٢) ... فـوا أسـفـا على الوجـه المليحِ

فـمـا لي لا أجـود بسكب دمعٍ ... وهـابيلٌ تـضـمـنه الضـريحُ

أرى طول الحـيـاة عليَّ غـمًّـا ... ومـا أنا في حـيـاتي مـسـتـريحُ

معرفة بدايات الأشياء، ومحاولة تَعَرُّف أوائل الأمور، ولاسيما الفكرية منها، عملٌ شاق ومحاولة يكتنفُها قدر غير قليل من الغموض، ولكنْ على صعوبة هذه المحاولات يشعر الباحث بلذة كبيرة وهو يحاول الوصول إلى الينابيع، كما يشعر بمتعة عندما يكتشف الطريقة أو الطرق المؤدية إلى هذه الينابيع، ولهذا قال العالم فرديناند دي سوسير: إن طريقة اكتشاف حقيقة، كبيرة كانت أم صغيرة، لَهُو أعظم من الحقيقة ذاتها. نقول هذا ونحن بصدد الحديث عن (أولية) الشعر العربي. وقد يكون من باب التخمين أو الرجم بالغيب أن يتحدث المرء عن أول شاعر قال قصيدة أو أبياتًا تقترب من القصيدة غير مسبوق إلى هذا النوع من فن القول.

وقد يكون من مكرور القول أن نقول إن الدراسات الحديثة تشعَّبت كثيراً وولدت نظريات متعددة حول (أولية) الشعر العربي، لعل من أصحها التي يركن العقل إليها نظرية الجاحظ التي تذهب إلى أن أقدم ما انتهى إلينا من شعر العرب يعود إلى قرن ونصف القرن قبل مجيء الإسلام، وفي أبعد الاستقراءات يرقى إلى قرنين قبل الهجرة. غير أن عالمًا موثوقًا به كالأصمعي يسرد لنا في كتابه المسمى بـ«تاريخ العرب الأولية» شعرًا عربيًا موغلاً في القدم يُنسب لشعراء من عاد وثمود وحِمْيَر وقبائل امتدت قرونًا طويلة وطويلة جدًا قبل البعثة النبوية.

وليت الأمر وقف عند هذه القرون المديدة قبل الإسلام، فقد طالعنا بعض المؤلفين بنقلهم عن رواة يتمتعون بأسماء مرموقة، بنسبتهم لشعر موغلٍ في القدم وصلوا به إلى أبي البشرية آدم عليه السلام، وهو شعر مقول باللغة العربية الفصيحة ومصوغ على أنماط الشعر وتقاليده كالذي رأيناه في فترة ازدهار الشعر العربي في الحقبة الجاهلية والحقب التي تلت الجاهلية. فهل يطمئن ذو عقل إلى صحة نسبة مثل هذا الشعر لرجل مثل آدم وكالذي طالعتنا به القصيدة الحائية التي أثبتنا أبياتًا منها في مطلع مقالتنا هذه؟!

هذه المقولة التي اخترعها من كانت حرفته سرد الأساطير وإمتاع العامة بغرائب الأقاصيص، أولئك الذين سُمّوا بكتّاب السِيَر، تضعنا وجهًا لوجه أمام نظرية نادى بها المستشرقون في مطلع هذا القرن، وتابعهم بعض الأدباء والمثقفين العرب، تسمى نظرية (النحل)، ومع أن هذه النظرية حظيت بمتابعات كبيرة؛ إلا أن الأدباء فرغوا من الحديث عنها وعمَّا قيل فيها من حق وباطل في النصف الأول من القرن العشرين.

ولنعد إلى قصيدتنا الحائية المنسوبة لآدم لنتعامل معها بعقلية النقاد وبمناهج الدارسين الذين يحكمون العقل ويحتكمون إلى منطق الأحداث ومجريات التاريخ. فنقول: على أنّ هذا الشعر قد تناقلته كتب كثيرة وتفاوتت في إحصاء عدد أبيات هذه القصيدة، وأسندته إلى بعض من يوثق بهم من الرواة، فإننا نعتقد اعتقاداً لا يخامرنا فيه شك ببطلان نسبة هذه الأبيات لآدم، وعندنا أكثر من دليل على أن هذا الشعر منحول، صنعه بعض أصحاب القرائح السقيمة، والشاعرية المريضة، ونسبوه لآدم، تشهد على ذلك الركاكة في المباني والمعاني التي طالعناها في أثناء قراءتنا للأبيات، ويشهد على ذلك الإقواء الشنيع الذي يتكرر في أبيات كثيرة منها، وتشهد على ذلك الضرورات المبثوثة في الأبيات، وتشهد على ذلك اللغة المضرية العدنانية التي صيغت فيها هذه الأبيات، والتي نعتقد أن آدم من معرفتها براء؛ لأنها لغة متطورة كثيرًا، ليست عليها سيماء لغة بدائية كاللغة التي تُتَصوَّر لواضع اللغة الأول: آدم. ودعني من النقاش

في نظرية «هل اللغة توقيف أم اصطلاح؟» فأنا من الذين يؤمنون بأن الله: *عَلَّمَ آدَمَ الأسماءَ كُلَّها*. ويؤمنون بأن أولاد آدم، منذ أن غاب عنهم المعلم الأول، ما زالوا يخترعون أشياء، ويبدعون أفكاراً، ويُحدثون لهذه المسميات أسماء يصطلحون عليها. ولكنَّ مثل هذه القافية الرخوة والتراكيب السابقة الركيكة، والمعاني الجوفاء الهزيلة، نُكبر أبا البشرية عن أن يتساخف فيقول مثلها. يؤيد هذا ما جاء في موسوعة البستاني من أن ابن عباس قال: «من قال إن آدم قال الشعر فقد كذب على الله ورسوله، ورمى آدم بالمآثم، وأن محمداً صلى الله عليه وسلم والأنبياء كلهم في النهي عن الشعر»(٣).

والباحث المدقق لا يسعه إلا أن يبتسم ابتسامة ساخرة لهذا الشعر المنحول المتهافت، يبتسم ابتسامة أبي العلاء المعري الذي سخر من ناحلي هذه الأبيات ومسنديها إلى آدم. إذ عبّر عن سخريته هذه بالحوار الخيالي الذي أداره بين ابن القارح (بطل رسالته الغفرانية) وآدم نفسه الذي ابتسم ساخراً من هذا النحل الواضح والكذب الصُراح، وصاح في وجه محاوره؛ ابن القارح بوصفه واحداً من هؤلاء الأدباء الذين يرتزقون بالتزيد والتكثر، ويتباهون بالتعالم الذي يدفعهم إلى الانتحال والكذب حتى على أبي البشر آدم، فلا يرعون له إلاً ولا ذمة، فيقول لهم آدم: «أعززْ عليَّ بكم معشر أَبَينيَّ أنكم في الضلالة متهوّكون، آليت ما نطقتُ هذا النظيم، ولا نُطق في عصري، وإنما نظمه بعض الفارغين، فلا حول ولا قوة إلا بالله، كذبتم على خالقكم وربكم، ثم على آدم أبيكم، ثم على حواء أمكم، وكذب بعضكم على بعض، ومآلكم في ذلك إلى الأرض»(٤).

ويستمر أبو العلاء في السخرية من أولئك الفارغين الذين لا يروق لهم إلا التفرغ لصنع الأشعار والتستر على ركاكتها بإسنادها إلى أصحاب الشهرة، تدفعهم إلى هذا النحل أسباب كثيرة؛ فتراه يجري حواراً آخر، بل هو الحوار الأول الذي يبدؤه ابن القارح مع آدم منذ لحظة لقائه الأولى في الجنة، فيقول له: «يا أبانا - صلى الله عليك وسلم - قد رُوي لنا عنك شعر منه قولك:

نحن بنو الأرض وسكانها
منها خُلقنا، وإليها نعودْ
والسعد لا يبقى لأصحابه
والنحس تمحوه ليالي السعودْ

فيرد عليه آدم فيقول: إن هذا القول حق، وما نطقه إلا بعض الحكماء، ولكني لم أسمع به حتى الساعة»(٥). أرأيت كيف أنطق أبو العلاء آدم بنكران هذا الشعر المنسوب إليه زوراً وبهتانا؟! ثم أرأيت إعجاب آدم بالشعر من حيث معانيه الحكيمة، وأقواله الحقة، ولكن أن يُنسب إليه فذاك هو البهتان المبين. كما يستمر أبو العلاء في إدارة الحوار بين ابن القارح وآدم حول هذا الشعر، وينتهي آدم في نهاية الحوار (وإن شئت فَسَمِّه السيناريو على حد مصطلح المحدثين) إلى إقناع ابن القارح بمجموعة من الأدلة المعقولة والمنقولة إلى التبرؤ من هذا الشعر المنحول والكلام المفترى. ولنترك أبا العلاء يفنّد آراء القصاص والرواة الذين زوّقوا قصصهم بشيء من غريب الشعر المنسوب لأدم، ونقلب صفحة أخرى في أقاصيصهم ومروياتهم فتقع أعيننا على ما هو أدهى وأمرّ، وفي السياق نفسه، فنجدهم ينسبون لحوّاء شعراً شبيهاً بشعر (المعارضات) لما تلتزمه حواء من وحدة الوزن والقافية التي التزمها آدم، ولكنها تلتزم - في الأبيات الثلاثة المنسوبة إليها - موضوعاً تصطنعه المرأة للتخفيف من مأساة زوجها الذي أصيب بفقد ولده، فتعزيه - ولات معزٍ في زمنه سواها - فتقول(٦):

دع الشكوى، فقد هلكا جميعًا
بموت ليس باليمن الربيحِ
وما يُغني البكاءُ عن البواكي
إذا ما المرء غُيِّب في الضريحِ؟
فبكِّ النفس وانزل عن هواها
فلستَ مخلداً بعد الذبيحِ

ولا أريد أن أعقِّب بنقد على هذه الأبيات، فالروح التي نظمت أبيات آدم هي التي نظمت أبيات حواء، وقد تتعجب إذا قلت لك إن هذه (العبقرية) التي نحلت الأبيات كلاً من آدم وحواء أمعنت في النحل فأحبت أن يشترك (إبليس) في هذا المأتم، وأنطق الناحلون إبليس بأبيات تتميز بوحدة الوزن والقافية اللذين التزمهما آدم وحواء، ولكن الآن على منهج ما يسمى بـ(النقائض)، والعرب عامة لا يتورعون من نسبة الشعر إلى شياطين الشعراء. وأظنك تعلم أن لكل شاعر قديم شيطانًا يلهمه الشعر، فربات الشعر في الحضارة اليونانية يعادلها شياطين الشعر في الحضارة العربية، لذلك عندما قال آدم: تغيرت البلاد.. إلخ. أجابه إبليس(٧):

تنحَّ عن البلاد وساكنيها
ففي الجنات ضاق بك الفسيحُ
وكنتَ بها وزوجك في رخاءٍ
وقلبك من أذى الدنيا مريحُ
فما زالت مكايدتي ومكري
إلى أن فاتك الثمن الربيحُ
فلولا رحمة الجبّار أضحى
بكفك من جنان الخلد ريحُ

أيضًا لا أريد أن أعقب بكلمة نقد على هذا الشعر (الإبليسي)، فقليل من الثقافة الأدبية كاف لكشف نقاط الضعف ودلائل النحل في الأبيات. ومشكلة النحل ظاهرة أدبية قديمة تنبه إليها كبار النقاد العرب وصغارهم. ولعل أول من أشار إلى ذلك ابن سلاّم الجمحي الذي قال في الطبقات: «في الشعر المسموع مفتعل، وموضوع كثير لا خير فيه»(٨) وقد أعفانا ابن سلام من البحث عن أسباب النحل، فعددها وذكر منها ما يلجأ إليه أصحاب السير لتدبيج قصصهم بالشعر، إذ كانوا يضيفونه بنية حسنة أو بجهل منهم. كما روي عن ابن إسحق صاحب السيرة الذي عوتب لإيراده مثل هذا الشعر المنحول فاعتذر بقوله: «لاعلم لي بالشعر، أوتى به فأحمله. ولم يكن ذلك له عذراً، فكتب في السير أشعار الرجال الذين لم يقولوا شعراً قط، وأشعار النساء فضلاً عن الرجال، ثم جاوز ذلك إلى عاد وثمود»(٩).

والخلاصة أن هذا الشعر المنسوب لآدم وحواء وإبليس وغيرهم شعر مفتعل مصنوع لا يوقف عنده، صنعه مؤلفون لتزيين مروياتهم ودعم آرائهم بشعر ينفق على السذّج من الناس ولكنه لا يصمد للنقد ولا يثبت للتمحيص والدراسة الجادّة، وتظل أولية الشعر العربي تراوح بين القرنين أو القرن ونصف القرن قبل البعثة النبوية، وهذا الرقم من أقرب الافتراضات للصدق، وعليه المعوّل عند ثقات الباحثين.

الهوامش:

١- الأثل والخمط: نوعان من الشجر.
٢- قابيل وهابيل: هما ولدا آدم، قتل الأول الثاني في القصة المعروفة.
٣- دائرة معارف البستاني، ص٤٨٩، مادة: شعر.
٤- رسالة الغفران لأبي العلاء المعري، ٢٨٥.
٥- السابق، ٢٨٠.
٦- دائرة معارف البستاني ٤٨٩، مادة: شعر.
٧- جمهرة أشعار العرب للقرشي، ١٤١.
٨- طبقات فحول الشعراء لابن سلام، ٨.
٩- السابق، ١٥.

الوقت

قيمة إسلامية في حياة المسلم

د. كريم حسام الدين

لقد شغلت ظاهرةُ الزمان الإنسانَ منذ أن دب ودرج في هذا الكون، لأنه في الزمان يعلن يوم مجيئه إلى الحياة، وبالزمان يسجل يوم رحيله عنها، وبين الميلاد والموت يعيش مراحل حياته مع الزمان ينتقل من طور إلى طور جسماً وعقلاً، ويحقق ما يريده وما يصبو إليه، وينظم ما يقوم به من عمل ونشاط من خلال شهادات تحمل توقيع الزمان مثل: شهادات الميلاد والوفاة، والشهادات الدراسية والعلمية، ووثائق السفر وتحقيق الشخصية.

لقد كان الزمان سيد الإنسان، فأصبح الإنسان سيد الزمان بفضل عقله الذي مكنه من إنجاز كثير من الاختراعات التي حققت له هذه السيادة، ولهذا فإننا لا نبالغ إذا قلنا: إن الزمان والإنسان هما اللذان يصنعان كل حضارة، وإذا كان الزمان وعاءً للأحداث؛ فإن قيمة الزمان ترتبط بقيمة الفعل أو الحدث الذي يتم فيه، وإذا كان هذا الحدث أو الفعل من صنع الإنسان؛ فإن القيمة الجوهرية له تتمثل فيما فعله في الماضي، وما يفعله في الحاضر، وما سيفعله في المستقبل.

لقد كانت محاولات الإنسان على مر العصور تسعى إلى اختزال الزمان والمكان والسيطرة عليهما منذ أن اكتشف النار ثم انتقل إلى عصر البخار، ومنه إلى عصر الكهرباء، حتى وصل إلى عصر اختراق الفضاء واكتشاف الذرة. ولقد نجح الإنسان بالتقنية الحديثة في تضييق شقة الزمان وتوسيع رقعة المكان؛ أي الوصول إلى أقصى رقعة مكانية في أقصر مدة زمنية، وإذا كان الفضل يرجع إلى الآلة الغربية التي تجسد لنا مدى إحساس الإنسان الغربي المعاصر بالزمان وشدة وعيه به؛ فيجب ألاّ ننسى، في غمرة هذا الانبهار، زمان الجواد العربي الأصيل الذي كان يطوي الأرض طيًّا؛ هذا الجواد الذي لا يزال الغرب يحتفي به لسرعته وجماله معًا، وإذا كنا نستعمل هذا الرمز هنا فإننا نريد أن نذكِّر الخلف الذين أضاعوا سنة السلف.

وإذا كانت قيمة الزمان، كما سبق أن أشرنا، ترتبط بقيمة الفعل الذي أُنجز وتمّ فيه، فقد كان وعي أجدادنا المسلمين بالزمان فَعَّالاً، وكان زمانهم أسرع من زمان غيرهم في ذلك الوقت، ولننظر مثلاً إلى الزمان الخاطف الذي استغرقته الفتوحات الإسلامية، والزمان المتمهل الذي استغرقته الإمبراطورية الرومانية في توسيع رقعتها. كما كان زمان العرب المسلمين أسرع من زمان غيرهم أيضًا عندما اخترعوا الصِّفْرَ، واخترعوا العمليات الحسابية التي كانت تستغرق من الوقت وتستهلك من الورق الكثير، وتعاون الصفر العربي الذي ابتكره المسلمون لملء الفراغ أو الفجوة بين الأرقام الهندية التي تبناها العرب المسلمون، كما كان اكتشاف الترقيم العددي بين أهم الإنجازات العلمية التي عرفها الأوربيون عندما دخل الصفر العربي إلى اللغات الأوربية في القرن الثاني عشر الميلادي، ليقوم بدوره في العمليات الحسابية في مختلف العلوم.

لقد كانت فكرة الصفر وكيفية استعماله من أعظم الهدايا التي قدمها المسلمون للأوربيين على يد الخوارزمي (ت: بعد ٢٣٢هـ)؛ فاختزلوا بها الزمان، كما كانت الساعة آلة قياس الوقت ثانية هذه الهدايا. وتحدثنا المصادر التاريخية أن هارون الرشيد (ت:١٩٣هـ) قد أهدى الإمبراطور الروماني شرلمان أول ساعة مائية دقاقة يعرفها الأوربيون لقياس الوقت، كما تسجل لنا المصادر التاريخية كذلك أن الملك الأشرف (ت:٦٣٥هـ) قد أهدى أول ساعة ميكانيكية للإمبراطور الروماني فردريك الثاني في القرن الثالث عشر الميلادي.

لقد جعل التشريعُ الإسلاميُّ الزمانَ من أهم القيم الإسلامية التي حفظها ورعاها، وأداها العرب المسلمون وهم يرتلون كتاب ربهم الذي أقسم فيه سبحانه بالزمان في قوله تعالى: *وَالْفَجْرِ. وَلَيَالٍ عَشْرٍ*. **الفجر**: ١-٢، والضُّحَى. *وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى*. **الضحى**: ١-٢، *وَالْعَصْرِ. إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ*. **العصر**: ١-٢، *وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى. وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى*. **الليل**: ١-٢، ولعل ارتباط الصلاة عماد الدين ارتباطًا وثيقًا بالزمن في قوله تعالى: *إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا*. **النساء**:١٠٣، وفي قوله تعالى: *وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ*. **هود**:١١٤، أكبر دليل على قيمة الزمان في حياة المسلم، ولهذا لم يكن غريبًا أن يتحدث فقهاء المسلمين عما سموه «بعمارة الأوقات بما هو نافع»، وقالوا: «إن علامة المقت إضاعة الوقت»، كما قالوا: «زمانك عمرك»، وقد ترجم ذلك الشاعر المسلم قائلاً:

إذا مر بي يومٌ ولم أقتبس هدى
ولم أستفد علماً فما ذاك من عمري

وهكذا تحولت قيمة الوقت عند العرب المسلمين من مجرد مبدأ إيماني إلى سلوك عملي وفعلي. وإذا كانت بعض اللغات الأوربية مثل الإنجليزية والفرنسية تعرف تعبير قتل الوقت To kill the time, Ture le temp؛ فإن العربية تعرف تعبير إحياء الوقت في مثل قولهم: إحياء الليل، وإحياء الذكرى، وإحياء الحفل.

إن الزمان يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالحركة التي تعدّ سمة من سمات

الحياة؛ بل هي الحياة نفسها، فالحركة هي الأساس الذي يقاس به ما تقوم به الكائنات والجمادات معًا في الزمن. وكما يقول القدماء والمحدثون من الفلكيين: إن الزمان هو مقدار حركة الفلك؛ فالزمان على ذلك هو مقدار الحركة المسجلة والمعلومة لدينا وليس الحركة نفسها، وهذه الحركة التي يُقاس بها الزمان هي حركة الكواكب مثل الأرض والشمس والقمر، وحركات الكائنات والإنسان والحيوان والآلات المختلفة التي اخترعها الإنسان، وتتفاوت في سرعتها وحركتها. ويقرر لنا المفسر والفيلسوف المسلم الفخر الرازي هذه الحقيقة بقوله: .. إن الحركة تقدر الزمان، على معنى أنها تدل على قدره بما يوجد فيه، فالزمان من دون الحركة مجهول، كما يذكر أن هناك من جعل الزمان الحركة نفسها، واحتج لذلك بأمرين:

أولهما: أن الزمان يشتمل على الماضي والمستقبل والحركة أيضًا كذلك.

ثانيهما: أن من لا يحس بالحركة لايحس بالزمان كما نرى في حق أصحاب الكهف.

إننا إذا تأملنا هذه الحركة لا نجدها حركة مطلقة أو عشوائية؛ بل نجدها حركة تتميز بالنظام والتناسب، حركة تخضع لإيقاع محدد: *لا الشَّمسُ ينبغي لها أن تُدرِكَ القَمَرَ ولا اللَّيلُ سَابِقُ النَّهارِ وكلٌّ في فَلَكٍ يَسبَحُون*. **يس**: ٤٠. إن حركة كل كوكب من هذه الكواكب تخضع لإيقاع منظم لا يختل؛ لأنه لو اختلَّ لاضطرب نظام الكون. ونلاحظ أن هذه الحركة الإيقاعية: حركة الأرض حول محورها، وحركة الأرض حول الشمس، وحركة القمر حول الأرض، تولد لنا دورات زمانية منتظمة مثل دورة الشروق والغروب، ودورة الليل والنهار، ودورة الحر والبرد، ودورات الأيام والشهور والفصول والسنين.

إن هذه الكواكب لا تخضع وحدها لهذه الحركة الإيقاعية؛ بل إن الإنسان نفسه يخضع لها أيضًا، وإن كان يتميز بنوعين من الحركة:

حركة خارجية: تتمثل في مواقيت النوم والاستيقاظ، وتناول وجبات الغذاء، ونوع العمل والنشاط الذي يقوم به الإنسان بصورة منتظمة.

حركة داخلية: تتمثل في أن كل عضو من أعضاء الجسم يعمل وفق إيقاع معين يسير عليه دون خلل؛ كما نرى في دقات القلب ونبضات المخ التي تكرر نفسها في إيقاع زمني يمكن قياسه بأجهزة القياس الطبية، وحركات الرئتين التي تتمثل في حركتي الشهيق والزفير، وحركات الأمعاء والمعدة التي تتمثل في حركتي الانقباض والانبساط، وغير ذلك من الوظائف الحيوية (البيولوجية) المتنوعة لكل عضو من أعضاء الجسم.

وإذا كان نظام الحركة الخارجية يرتبط بنظام الحركة الداخلية الذي يعمل بشكل غير إرادي؛ فإنه أيضًا يرتبط بالنظام الذي حدده الإنسان لنفسه، وإذا تعرض هذا النظام للتغيير أصيب بالاضطراب، فإذا غَيَّرَ حركتي النوم واليقظة شعر بالإرهاق والتعب، وإذا غَيَّرَ نظام الوجبات الغذائية عانى من ارتباك المعدة وسوء الهضم، وقد يلاحظ ضعف إنتاجه وقلة إنجازه إذا غَيَّرَ مواقيت العمل أو النشاط الذي يزاوله.

وتذهب الدراسات العلمية الحديثة إلى بيان أهمية دورة النوم واليقظة التي تتزامن مع الدورة الطبيعية لليل والنهار، لأن الكائن الحي يخضع في إيقاعه الحركي لحركة الأرض والشمس والقمر، وأن هذه الحركات تؤثر في دورة الأرض حول محورها مرة كل ٢٤ ساعة، كما أشارت هذه الدراسات إلى أن فترة الظهيرة تكون وقتًا حرجًا لجسم الإنسان الذي يعمل وفق دورة تتكون من ٢٤ ساعة، فعندما تمر ١٢ ساعة، يشعر الجسم بالحاجة إلى النوم والراحة، وقد صَوَّرَ القرآن الكريم هذه الإيقاعية عند الإنسان في آية الاستئذان بقوله تعالى: *لِيَستَأذِنكُم الَّذينَ مَلَكَتْ أيمَانُكم والَّذينَ لم يَبلُغوا الحُلُمَ منكُم ثلاثَ مَرَّاتٍ من قَبلِ صَلاةِ الفَجرِ وحينَ تَضَعُونَ ثيابَكُم مِنَ الظَّهيرةِ ومِن بَعدِ صَلاةِ العِشاءِ ثَلاثُ عَورَاتٍ لَكُم*. **النور**:٥٨، لقد سبقت هذه الآية الكريمة بمضمونها ما ذهبت إليه الدراسات العلمية الحديثة في الحركة الإيقاعية الثلاثية للإنسان: الاستيقاظ صباحًا، والراحة ظهرًا، والنوم ليلاً. وقد عَبَّرت الآية عن هذه الحركة الثلاثية بتعبير ثلاث عورات.

كما أثبتت الدراسات النفسية والطبية أن ساعات النوم ليلاً هي التي يستفيد منها الجسم، وأن ساعة واحدة في الليل تعادل أكثر من ساعة خلال النهار، وأن من يضطر للنوم متأخرًا أو إلى تغيير موعد نومه يتعرض لحالات من الإرهاق الجسمي والذهني، ونرى القرآن الكريم يؤكد هذه الحقيقة في أكثر من آية كقوله تعالى: *وجَعَلنَا نَومَكُم سُبَاتًا. وجَعَلنَا اللَّيلَ لباسًا. وجَعَلنَا النَّهارَ مَعَاشًا*. **النبأ**:٩-١١، كما يجب أن نشير هنا إلى دور الصلاة في حياة المسلم فهي، إلى جانب كونها ركنًا من أركان التشريع الإسلامي الخمسة، تعد عاملاً مؤثرًا في ضبط الحركة الإيقاعية ليوم المسلم الذي يمكن أن يقسم إلى خمسة أقسام:

القسم الأول: الوقت من الصبح إلى الظهر وقدره ٧ ساعات: تخصص للعمل والإنتاج في مقابل فترة الراحة والنوم الطويلة التي قطعتها صلاة الصبح.

القسم الثاني: الوقت من الظهر إلى العصر وقدره ٣ ساعات: تخصص للغذاء والراحة بعد فترة عمل استغرقت ٧ ساعات.

القسم الثالث: الوقت من العصر إلى المغرب وقدره ٤ ساعات: تخصص للرياضة البدنية أو الذهنية.

القسم الرابع: الوقت من المغرب إلى العشاء وقدره ساعتان: تخصصان للعشاء والمسامرة.

القسم الخامس: الوقت من العشاء إلى الصبح وقدره ٨ ساعات: للنوم والراحة .

وهذه الأقسام الخمسة تشمل ساعات اليوم الأربع والعشرين، وإذا حافظ المسلم على أداء الصلوات الخمس في مواقيتها لقوله تعالى: *إنَّ الصَّلاةَ كانت عَلَى المُؤمنينَ كتابًا مَوقُوتًا*. **النساء**:١٠٣؛ فإنه يمكن أن يضبط حركته اليومية في إيقاع خماسي يشمل النوم والعمل والأكل والراحة والمتعة. هذا ونجد في آيات أخرى إشارات إلى مواقيت الصلاة كقوله تعالى: *وأقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَي النَّهارِ وزُلَفًا من اللَّيلِ إنَّ الحَسَناتِ يُذهِبنَ السَّيِّئاتِ ذَلكَ ذِكرَى لِلذَّاكِرينَ*. **هود**:١١٤، تشير الآية الكريمة إلى صلاتي النهار: الصبح والظهر، وصلاتي الليل: المغرب والعشاء، كما تشير آية أخرى إلى صلاة العصر لتوسطها صلاتي النهار: الصبح والظهر، وصلاتي الليل: المغرب والعشاء في قوله تعالى: *حَافِظُوا عَلَى الصَّلوات والصَّلاةِ الوُسطَى وقُومُوا للَّه قَانتينَ*. **البقرة**:٢٣٨.

ولعل خير ما نختم به كلامنا الحديث الشريف: «لا تزول قدم ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يُسأل عن خمس: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيما أنفقه، وماذا عمل فيما علم». رواه الترمذي ٦١٢/٤، والدارمي ١٤٤/١، مع اختلاف يسير في اللفظ.

صراعات فكرية

الترجمة.. والصراع العربي

د. سعيد عبدالسلام العكش

يكشف التاريخ البشري أن الأطراف المتحاربة لا تكف في حالة السلم والمعاهدات عن مواصلة الحرب الفكرية بوجهيها: الهجومي لاختراق عقول الناس في الطرف الثاني، والدفاعي لحماية عقول أجيالها من الاختراق المضاد. والسبب واضح، فالمعاهدات تعمل عادة على إيجاد التسوية لبعض العناصر المادية التي تنشأ حولها الصراعات، لكنها لا تستطيع ـ في ذاتها ـ القيام بتسوية الصراعات الفكرية ومفاهيمها الكامنة في عقول الناس على الطرفين، والتي تدفعهم أصلاً لخوض الصراع، ثم قد تدفعهم بعد ذلك إلى إعادة النظر في المعاهدات، ومن ثم الإخلال بها والعودة إلى الصراع الشامل في محاولة لحسم أصول النزاع، أو على الأقل لتعديل موازين المعاهدات غير المرضية للمفاهيم المستقرة في العقول.

والصراع الفكري بين العرب واليهود ليس صراعًا حديثًا؛ بل إنه يمثل ـ بحق ـ أقدم أشكال الصراع وأكثرها استمرارية عبر تاريخ الصراع العربي اليهودي. والبعد الثقافي لهذا الصراع في التاريخ الحديث للعلاقات العربية اليهودية هو البعد الغائب ـ ويا للأسف ـ بسبب الاهتمام الشديد بالصراع الحالي في أشكاله السياسية والعسكرية والاقتصادية، في مقابل الإهمال الشديد للبعد الثقافي وهو إهمال من جانب واحد. فالطرف الإسرائيلي الصهيوني ـ أو اليهود عامة ـ لم يغفل لحظة عن أهمية البعد الثقافي للصراع وخطورته؛ بل دوره في حسم القضية في مراحلها النهائية، ولاسيما بعد أن أثبتت أشكال الصراع الأخرى عجزها النسبي عن حسم الصراع لصالح أحد أطراف النزاع.

الدراسات العبرية في الجامعات العربية

وتُعدّ دراسة اللغة المفتاح الفكري لفهم شخصية المتحدثين بها بكل معتقداتها وقيمها ومُثلها وتكوينها. وقد كانت اللغة العبرية، التي يحرص الإسرائيليون على التحدث بها، وتعليمها للأجيال المختلفة، تُستعمل في حرب عام ١٩٤٨م دون شفرة في الاتصالات العسكرية، لعلمهم بأن العرب لا يجيدون التكلم بها أو معرفتها. وبعد أن كان عدد الذين يعرفون اللغة العبرية يعد بالعشرات أصبح الآن يعد بالمئات. وسوف نشير فيما يلي باختصار إلى حكاية تدريس العبرية في الجامعات العربية وكيف بدأ الاهتمام بدراستها.

بدأ تدريس العبرية في مصر في بداية القرن العشرين (عام ١٩٢٢م) حينما درست في مدارس الاتحاد الإسرائيلي العالمي في القاهرة والإسكندرية، وفي دار العلوم كدراسة أكاديمية مثل دراسة اللغة اللاتينية واليونانية وغيرهما، وكان تدريسها مقصوراً على إحيائها فقط. وفي عام ١٩٢٤م قامت جامعة القاهرة بتدريس العبرية في قسم اللغة العربية على أساس فقه اللغة، وكان يقوم بتدريسها أساتذة أجانب بعضهم من اليهود، وتلمذ لهم الرعيل الأول من الأساتذة المصريين. وقد تم افتتاح معهد اللغات الشرقية عام ١٩٤٠م وتخرج في هذا المعهد (شعبة اللغات السامية) رعيل من الأساتذة تولوا تدريس العبرية في الجامعات المصرية. وقد أغلق المعهد أبوابه عام ١٩٥٠م وكان عدد الطلبة خلال سنواته العشر خمسين طالبًا.

وعندما وقعت حرب ١٩٤٨م أحس الرأي العام العربي بضرورة التوسع في تعليم اللغة العبرية، فتقرر افتتاح شعب تخصصية لها في جامعات القاهرة وعين شمس والأزهر إلى جانب إدخالها في الكليات العسكرية. وفي بداية الستينيات كثر عدد الطلبة، فبينما كان عددهم لا يزيد على عشرة في قسم اللغة العبرية؛ فقد وصل الآن إلى ٢٠٠ طالب وطالبة في السنة الأولى بجامعة عين شمس، و١٥٠ في جامعة القاهرة، و١٠٠ في جامعة الأزهر. وهناك أكثر من ١٠٠ طالب وطالبة بالدراسات العليا بهذه الجامعات ومعهد الدراسات العربية العالية ومعهد الدراسات الشرقية بجامعة الإسكندرية.

وللأهمية المتزايدة لتدريس العبرية؛ فقد أنشأت الجامعات الإقليمية المصرية شُعبًا تخصصية لها مثل جامعة أسيوط وجامعة قناة السويس. أما على مستوى الجامعات العربية الأخرى والإسلامية فلم تهتم أي جامعة بإنشاء أقسام الدراسات العبرية إلا جامعة الملك سعود بالرياض التي أنشأت شعبة تخصصية عام ١٩٨٩م لتعليم العبرية في معهد اللغات والترجمة، كما أنشأت الجامعة الليبية أيضًا شعبة تخصصية في كلية الآداب بطرابلس عام ١٩٨٨م.

المقابلة ظالمة

وفي مقابل هذا الاهتمام العربي الضئيل نجد مئات الأقسام الخاصة بالدراسات العربية والإسلامية في إسرائيل؛ بل في الجامعات الأوربية والأمريكية التي يسيطر عليها المتخصصون اليهود، والتي يعود تاريخ نشأة بعضها إلى عدد من القرون.

ولو قابلنا بين معرفة اليهودي المثقف بالعربي وثقافته بمعرفة العربي المثقف باليهودي وثقافته لكانت المقابلة ظالمة. فاليهودي والإسرائيلي يعلمان عن العربي كل شيء: ثقافته، ومكونات شخصيته، وتاريخه وكل ما هو مهم عنه، ولاسيما في مجال العادات والتقاليد وأسلوب الحياة، بينما يجهل المثقف العربي هذا عن اليهودي الإسرائيلي، فلا توجد كتب عربية كافية عن حياة اليهود والإسرائيليين وثقافتهم وفكرهم، ولا يجد العربي أمامه سوى الصحف اليومية والمجلات يستقي منها ثقافته عن اليهودي والإسرائيلي. وهذا العجز في المصدر أو المرجع الثقافي اليهودي والإسرائيلي يعود إلى خطأ أساسي هو أن الدول العربية والإسلامية منذ ظهور الصهيونية ومنذ قيام إسرائيل إلى يومنا الحالي، لم تنتبه إلى هذا العجز، ولم تتبنَّ أية دولة عربية مشروعًا ثقافيًا للتأليف والترجمة ينقل إلى القارئ العربي القدر الكافي من المعرفة الثقافية بالعدو. وقد حددت السياسة العربية منذ البداية مجال المقاومة في الناحيتين السياسية والعسكرية وأهملت إهمالاً تامًا الناحية الثقافية الخاصة بتثقيف المواطن العربي وتعريفه بعدوه، في حين أن اليهود في تخطيطهم لإنشاء إسرائيل منذ مئة وخمسين عامًا تقريبًا بدؤوا حركة علمية واسعة النطاق لدراسة الإنسان العربي تاريخًا ودينا، ودراسة عاداته وتقاليده، وأساليب حياته فيما عُرف بالاستشراق اليهودي الذي يُعدّ بلا شك المصدر الأول لثقافة الغربي عن العرب والمسلمين. وكان من الواجب أن تبدأ حركة علمية عربية مضادة لدراسة اليهود وفكرهم وتاريخهم ودينهم، ووضع النظريات التاريخية والدينية المضادة للرد على الدعاوى الفكرية اليهودية. والعجيب أن قرنًا من بداية

الصهيوني!

الصراع السياسي الحديث في الشرق الأوسط لم يؤد عربيًا إلى إنتاج مصدر عربي واحد للثقافة وللفكر اليهودي، ولم تظهر حركة علمية عربية تقابل الاستشراق اليهودي وتقاومه بسلاحه الفكري؛ في الوقت الذي امتلأت فيه المكتبة الغربية بدوائر المعارف العربية والإسلامية في اللغات الأوربية المختلفة، وبآلاف الدراسات الخاصة بنشر النصوص العربية والإسلامية التي تم حشوها بالنظريات العلمية في التاريخ العربي الإسلامي. كل هذا ولا يظهر في سني الصراع التي تصل في التاريخ الحديث إلى قرن ونصف القرن من ينادي بحركة علمية عربية إسلامية مضادة للرد على آراء الاستشراق اليهودي وللتعريف بالثقافة اليهودية في الوقت نفسه.

دور المتخصصين في اللغة العبرية

على اليقظة المصرية المبكرة تجاه الدراسات العبرية لتخريج فئة من الذين تخصصوا في الدراسات العبرية على اختلاف أنواعها، فإن أقسام اللغة العبرية في الجامعات المصرية لم تُعطَ العناية الكافية من الدولة التي لم تكتشف حتى الآن أهمية هذه الأقسام ودورها في إمكان تحقيق الثورة العلمية في مجال المعلومات اليهودية والإسرائيلية.

والحقيقة أن هذه الأقسام تفتقر إلى المكتبة العبرية، وهي تعاني من عدم توافر المصادر والوسائل العلمية والإمكانات البحثية، وأصبحت تخرج في كل عام عدداً من الخريجين يتم تعيينهم في أعمال بعيدة من تخصصهم الدقيق. وكان من الواجب الاستفادة منهم واستثمار تخصصهم في الدور المطلوب منهم في المرحلة القادمة من الصراع العربي الصهيوني، وهي مرحلة الصراع الثقافي. فالدور المطلوب منهم دور عظيم، فهم أساس الدفاع عن الثقافة العربية الإسلامية ضد الثقافة اليهودية الإسرائيلية الغازية، ذلك أن مد المثقف العربي بالمصادر والمراجع المتخصصة في الثقافة اليهودية والإسرائيلية مرتبط أصلاً بجهود المتخصصين. وقد قام بعض المتخصصين ببعض الدراسات والترجمات ولكنها لا تكاد تكون ملحوظة، ولا يحسها المثقف العادي، وهي تمثل جهوداً فردية محدودة لا تُكَوِّن في مجموعها القدر اللازم من الثقافة اليهودية للمثقف العربي؛ وذلك بموازنتها بما تقوم به المراكز والمعاهد الإسرائيلية المتخصصة، مثال ذلك «المعهد اليهودي - العربي» الذي يقوم بإجراء أبحاث تطبيقية وندوات فكرية مفتوحة، ويشجع القيام بدراسات حول المنطقة (مثل العلاقات اليهودية والعربية، والعربي في إسرائيل والضفة الغربية). ويعمل المعهد أيضاً على تطوير مركز للمعلومات ومجمع مركزي عن عرب إسرائيل. كما يصدر المجلة الفصلية «لقاء» باللغتين العربية والعبرية في العدد الواحد، ويصدر أيضاً مجلة «تعرف على المنطقة» باللغة العبرية كل شهرين، وهي تضم معلومات عن أحداث العالم العربي، في قضايا المجتمع والتربية والتنظيمات المهنية. كما تكثر في إسرائيل مراكز البحوث الاستراتيجية، وقد نشرت هذه المراكز العديد من الأبحاث حول العالم العربي والفكر الإسلامي في محاولة للهجوم على الإسلام، منها على سبيل المثال:

- أثر الإسلام في السياسات الإفريقية في الماضي والحاضر (وحدة بحوث إفريقيا بمعهد ترومان لأبحاث السلام التابع للجامعة العبرية بالقدس).
- دور الإسلام كعنصر من عناصر الصراع العربي الإسرائيلي (وحدة الشرق الأوسط بالمعهد نفسه).
- الإخوان المسلمون والاتجاهات الراديكالية في مواقفهم الحالية (مركز شيلوح التابع لجامعة تل أبيب).
- الثقافة في التاريخ الإسلامي (مركز شيلوح).

هذا بالإضافة إلى ما قامت به مراكز الترجمة من نقل إنتاج العديد من الأدباء العرب إلى العبرية؛ أمثال يوسف إدريس ونجيب محفوظ وغسان كنفاني وتوفيق يوسف عواد والطيب الصالح وغيرهم.

مصطلحات صهيونية خادعة

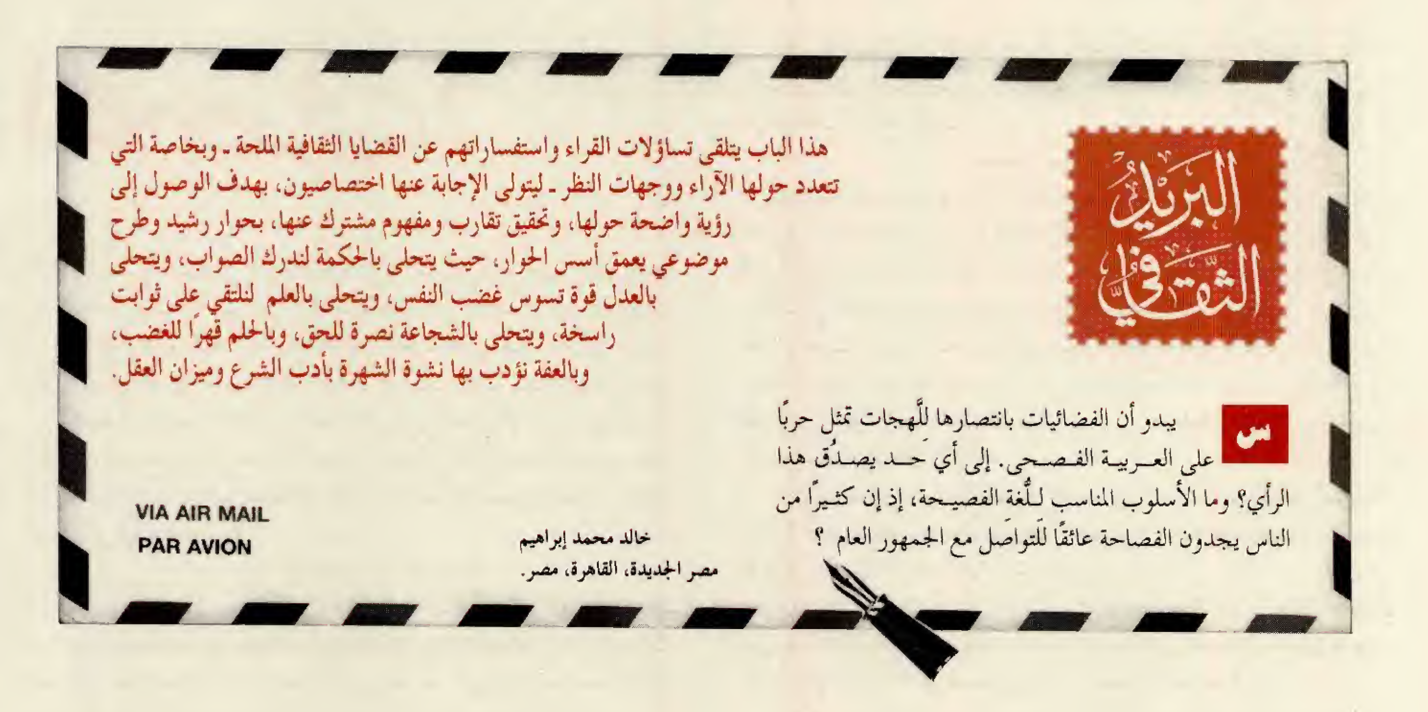
إن عملية التثقيف وتنمية المعارف الثقافية بإسرائيل تعتمد أساسًا على جهود المتخصص العربي، وذلك بإلقاء الضوء على الواقع الإسرائيلي من خلال المصادر العبرية. ولا شك أنهم قاموا بدور في هذا المجال، ولكنه، كما قلنا، دور فقير مشتت لا يخدم خطة أو هدفا. وبالمناسبة لي كلمة قصيرة في موضوع ترجمة بعض الأعمال العبرية إلى العربية. ولست في معرض الحديث عن قيمة هذه الترجمات ومستواها، ولن أخوض كذلك في الحديث عن عملية الترجمة بتفاصيلها، ولكن ما يمكنني الإشارة إليه أن هناك عدداً من المصطلحات الصهيونية ينقلها المترجمون بحرفيتها دون وعي، وهي مصطلحات مستقاة من القاموس السياسي للصهيونية. مثال ذلك:

- «ارتس يسرائيل»: مصطلح يعني في العبرية «أرض إسرائيل»، ويستخدمه الصهاينة للإشارة لأرض فلسطين وما حولها قبل الهجرة الصهيونية وبعدها، وهم يصرون على عدم الإشارة إلى فلسطين إلا باعتبار أنها «ارتس يسرائيل».
- «ملحيمت هشحرور»: يعني المصطلح في العبرية «حرب التحرير»، ويطلقه الصهاينة على حرب عام ١٩٤٨م فهم يعدّون هذه الحرب حرب تحرير لفلسطين، متناسين أن هذه الحرب كانت اغتصابًا لأرض فلسطين من عرب فلسطين سكانها الحقيقيين.
- «يوم هعتسماؤوت»: يعني المصطلح في العبرية «يوم الاستقلال»، ويستخدمه الصهاينة للإشارة إلى يوم قيام إسرائيل في ١٥ أيار/مايو عام ١٩٤٨م. ومن المعروف أن إعلان قيام إسرائيل قد تم بعد أن اكتملت أبشع مؤامرة اغتصاب في القرن العشرين لأرض الشعب الفلسطيني وممتلكاته وميراثه وتراثه.
- «كيبوتس جالويوت»: يعني المصطلح في العبرية «جمع الشتات أو المنفيين»، ويستخدمه الصهاينة شعاراً يدعون به إلى تجميع يهود العالم في فلسطين بوصفهم في رأيهم منفيين، مع أن الدراسة الموضوعية أثبتت أنه لا علاقة ليهود العالم الحاليين بفلسطين، وأن نسب هؤلاء اليهود ليعقوب والأسباط هو مجرد خيال.
- «هبيت هلؤمي»: يعني في العبرية «الوطن القومي»، وقد جاء هذا المصطلح ضمن وعد بلفور الذي أصدره عام ١٩١٧م يعترف بفلسطين وطنًا قوميًا لليهود دون أي أسس شرعية.
- «أرجون تسفائي لؤمي»: تعني في العبرية «المنظمة العسكرية القومية» التي حاربت الجيش البريطاني في سبيل الاستيلاء على فلسطين، وهي منظمة إرهابية ولا يمكننا أن نصفها بالقومية.
- «فاعد لؤمي»: عبارة تعني «اللجنة القومية»، وهي إحدى المؤسسات السياسية للتجمع الاستيطاني الصهيونية في فلسطين قبل قيام إسرائيل.

فهذه المصطلحات الصهيونية عندما يطالعها القارئ العربي في الترجمات فإنها تتسبب في ظهور مفاهيم خاطئة لديه، ذلك أن هذه المصطلحات توهم القارئ بأن الصهيونية حركة قومية بالمقاييس العلمية للمفهوم القومي، مما يقود القارئ؛ بل الباحث من حيث لا يدري إلى الانزلاق نحو التسليم ببناء الفكر الصهيوني ذاته.

وختامًا نقول: إن المثقف هو بطل المرحلة القادمة التي سينحسر فيها الصراع في شكليه السياسي والعسكري، أو على الأقل سيتوارى قليلاً لكي يفتح الباب على مصراعيه للدور الفكري وهو الدور الأكثر خطورة في الصراع؛ إذ إن الآثار السياسية والعسكرية قد يمكن محوها أو إزالة آثارها أو التخفيف من خطورتها، أما الآثار الثقافية للصراع فهي أشد عمقًا وتأصلاً بحكم طبيعتها من الآثار السياسية والعسكرية والاقتصادية.

من هنا فإن الكشف عن عناصر هذا الصراع يتطلب حملة قومية لمحو أميتنا حول ثقافة الطرف الآخر، وتحصين أنفسنا ضد هذه الثقافة، وأهم خطوات هذا التحصين هي الإطلاع على كل ما يكتبه العدو الغاصب وينشره من كتابات حتى يمكننا التصدي الواعي له.



يقول الأخ خالد: «يبدو أن الفضائيات بانتصارها للهجات تمثل حربًا على العربية الفصحى...» وفي هذا القول قدر كبير من الصحة، وإن كان هناك تفاوت في مقدار تلك «الحرب»؛ إذ إن بعض الفضائيات يبالغ في الأخذ بأسلوب اللهجة المحلية ولغة الحياة اليومية المحكية، على حين تطغى العربية الفصحى على بعضها الآخر. وأيًّا كانت الحال تبقى هذه الظاهرة موضع قلق وتخوف بما تنطوي عليه من مخاطر لم تعرفها العربية في تاريخها من قبل. ففي القديم كانت الفروق بين اللهجات، أو «اللغات» كما سمّاها السلف، تكاد تقتصر على الخصائص النطقية والعادات الصوتية، وما عرض له اللغويون القدامى من أمثلة تخالف اللغة الموحدة المطردة في الفصاحة كان قليلاً. وباستقراء تلك اللهجات كما قيّدتها كتب التراث اللغوي يتضح أنها تمثّلت في تسميات مثل الكشكشة والعنعنة والفحفحة والتلتلة والتضجُّع والعجعجة والوهم والشنشنة والقُطعة.. وكل ذلك لا يخرج عن إطار الأداء الصوتي، وعما سماه النحاة بالإبدال والحذف واختلاف النبر والوقف والتنغيم. ولم تكن نظرة علمائنا إلى اللهجات مقرونة بالريبة والتخوّف بقدر ما كانت مشوبة بالاستنكار وعدم الرضا بها، ولهذا صنفوا اللهجات في أدنى مراتب الفصاحة، لا خارجها، ووصفوها بالمذمومة والقبيحة والرديئة والمرغوب عنها.

أما اليوم فأمر اللهجات يثير المخاوف، ويؤرق الغيارى على العربية العريقة، ويُقلق كلَّ من يستشرف بتدبّر وأناة آثارها المفزعة في المستقبل؛ ذلك أن اللهجات العربية بتنوّعها تبدو بحق كأنها حرب معلنة على العربية الفصحى من محطات التلفزة (الفضائيات)، وخطر هذه اللهجات يجيء من كونها تتعدى المظاهر الصوتية الآنفة الذكر إذ تتضمن كلمات أجنبية دخيلة ومصطلحات ومسميات مرتجلة بغير خبرة بخصائص اللغة العربية، يسوقها معدّون أو مذيعون على نحو مُغرق في التسرع ومراعاة الشائع محليًا، أو في مراعاة أذواق الناطقين بها وحدهم. وأحيانًا يمعنون في المحلية فيتحدثون بلهجة منطقة بعينها من هذا القطر أو ذاك، وأحيانًا تبدو اللهجة متأثرة ببقايا اللغة التي كانت رائجة على ألسنة المستعمرين ممن كان لهم وجود في كثير من مناطق الوطن العربي قديمًا وحديثًا، أو تبدو متأثرة بألفاظ سقيمة لا مكان لها في مستويات الفصاحة المرتضاة، ولا في الشيوع الذي يحقق الفهم السليم وجوهر الإرسال والبث والتواصل. ونحن لا نزعم أن هذا الإمعان في إشاعة اللهجات مُبيَّت أو جار على سبيل التآمر على العربية، أو مبطّن بالنوايا السيئة، إنما هو عن جهل أو تكاسل، ومن الخير علاجهما بحكمة.

وينبغي لنا ألاّ يغيب عن بالنا أن الظاهرة اللهجية لا تقف عند النطق، كما كان الحال قديمًا، بل تتعداه إلى الكتابة المرئية واضحة على «الشاشات»، والكتابة اللهجية تنطوي على الخطأ الإملائي والخطأ النحوي، ورؤيتها على هذه الصورة المتكررة يرسخها في أذهان أجيالنا قبل معرفتهم السلامة اللغوية، وهذا يجعل من العسير محوها من ذواكرهم. إلى جانب ذلك يتصدر هذه المحطات غالبًا تسمياتها المختزلة باللغات أو بالأحرف غير العربية، وفي هذا إقصاء للعربية عن مكانها وسلبها حقها. أفتكون تلك المحطات أقل وجاهة لو سميت بلغتنا ووقّتت بتوقيت عربي؟! وليكن توقيت مكة المكرمة مثلاً؟

ولعل خير أسلوب يراعي العربية الفصحى وينمّيها: التوسع التدريجي بتنفيذ البرامج التلفازية بها وتعويد المشاهد سماعها بانتقاء عبارات مفهومة سهلة التركيب مقبولة الصياغة لا متقعّرة ولا منفّرة. وبتعبير آخر بإقامة نوع من المصالحة بيننا وبين الفصحى، وبمراعاتنا طبيعة الموضوعات، ففي الحديث الفكري والديني والتربوي، وفي الأخبار والمسلسلات التراثية، لا

بديل عن الأخذ باللغة الفصحى، وإن سلّمنا، إلى جانب ذلك، بأنه ليس بمقدور من يحاور فنانًا أو فلاحًا أو عامل بناء أو صياد سمك أن يلتزم الفصاحة، فليس كل فنان أو عامل بقادر على التحدث بها، لكن من غير المقبول أن يجهلها المذيع أو المذيعة.

وليس صحيحًا ما يقال عن وجود عوائق تحول دون فهم ما يُؤدى باللغة الفصحى، بل العوائق دون فهم اللهجات أكثر وأشد ضررًا، فالفصحى موحدة يفهمها الجميع، أو السواد الأعظم من العرب المتعلمين، في حين يصعب على الجميع - متعلمين وغير متعلمين - الإحاطة باللهجات العربية على اختلاف مواصفاتها ومناطقها. أجل يمكن الحديث عن الاستمتاع أو الإضحاك باللهجات، لكن الفهم أمر آخر، فالعرب كلهم يفهمون الأخبار المذاعة بالفصحى، ويفهمون خطب الأئمة في المساجد، أو المرافعات في المحاكم، والإرشادات الصحية والتربوية، ويكتبون رسائلهم الشخصية بالفصحى في أغلب الأحيان، لكن ربما لا يفهمون شعر الشنفرى أو تأبط شرًا كما يفهمون شعر أي شاعر حديث حين يغنّيه مطرب أو مطربة. وكان أطفالنا يفهمون ويرددون كلام الممثلين المقول بالفصحى في مسلسل «افتح يا سمسم» من الإنتاج المشترك لدول مجلس التعاون الخليجي. وقد كان الناس يفهمون الفصحى ويؤدونها على مدى العصور العربية كما تدل الشواهد الكثيرة، وكان الإيصال الشفوي يتم بكل وضوح، مما يرجح أن العلة ليست في اللغة ذاتها كما يزعم بعضهم، إنما في متكلمي اللغة وفي الإعراض عن التحصيل الجاد.

ولعل من الخير للفضائيات العربية أن تتخير من يتقنون العربية لتقديم برامجها، لا أن تراعي في التخيّر الوسامة والملاحة والعلاقات الخاصة، فالجوهر أهم من العَرَض، والجوهر هنا صون لغتنا التي هي رمز شخصيتنا وقوميتنا، وسجل تراثنا وحضارتنا. وإنفاذ هذا الطموح يستدعي تعزيز اختيار العاملين والبرامج وفق خطط مدروسة بأناة، وإقامة الدورات ورعاية المواهب، وإنجاز ما يتطلبه إعداد العاملين من الصقل والتوجيه والتدريب. إن من ينتصرون للعاميات بلهجاتها، أو يتحمسون لها بحجة مراعاة الأميين أو محدودي المعرفة إنما يفعلون ذلك وكأنهم ينتصرون للمزيد من التخلف والجهل، أو كأنهم يستمرئون الانحطاط نحو الأسفل بدلاً من الطموح إلى النهوض نحو الأعلى والأرقى. فهلا نظرنا إلى دول كبرى مثل ألمانية والصين وروسية وتذكّرنا كيف كانت تتكلم مجموعة من اللهجات إلى أن عمل عباقرتها ومربوها على توحيد تلك اللهجات في لغة ضُبطت قواعدها ورُسّخت خصائصها فصارت لغة الفكر والإبداع؟!

د. مسعود بوبو
دمشق.

في البداية أودُّ الإشارة إلى أنَّ القنوات الفضائية مظهر حضاري وثقافي وإعلامي مهم لكل إنسان يُعدُّ ذاته للإبحار في القرن الحادي والعشرين. ولست هنا بصدد مناقشة إيجابيات تلك القنوات أو سلبياتها، فلا شك أنَّ لها العديد من الإيجابيات التي ينبغي لنا أن ندعمها، والعديد من السلبيات التي ينبغي لنا أن نُحاربها. أما بالنسبة للسؤال المطروح حول إشكالية اللغة العربية الفصحى واللهجات الخاصَّة بكلِّ دولة، فإنَّ هذا الموضوع شائق وشائك، ولكننا نتناوله بإيجاز فنقول: إنَّ اللغة العربية الفصحى تمتلك كلَّ مقومات القوة والتفاعل والشمول والمرونة والنمو والتطور والبقاء والخلود، وذلك نابع من خصوصية تفرَّدت بها عن غيرها من اللغات: فهي لغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، ولغة ديوان العرب وأمجادهم وحضارتهم وتراثهم وتاريخهم، وكل ما سبق يرفد اللغة بكل عناصر المَنَعة والتَّحدي والبقاء، لذلك أطمئن كُلَّ غيور على اللغة العربية الفصحى أنَّ هذه اللغة تمتلك قوة ذاتية للدفاع عن نفسها بحيث تُؤهِّلها للانتصار على مدى الأزمان.

ولكن ما سبق لا يمكن أنْ يعني، لأيٍّ عاقل، التخاذل في وجه الهجمات التي تتعرض لها الفصحى، مُتكئًا على ما تمتلكه اللغة من قوَّة ذاتية، بل ينبغي لكلِّ عربي غيور على لغته أن يقوم بالدفاع عنها؛ لأنَّ اللغة قبل أن تكون مفردات وحروفًا وأصواتًا وأشكالاً هي كائن حيّ ومظهر حضاري وبَصْمة مميزَة لكل أُمة من الأمم، والدفاع عن العربية لا يكون بالأماني وإنما بالممارسة العملية قراءة وكتابة وتحدُّثًا وقدرًا يوميًا.

ومن هنا ينبغي لنا قبل أن نطالب القنوات الفضائية بالتزام العربية الفصحى أنْ نُعدَّ الإنسان العربي القادر على التفاعل مع تلك اللغة. ترى كم نسبة المواطنين في العالم العربي القادرين على التفاعل مع الفصحى إذا ما التزمتها القنوات الفضائية؟ أعطني مواطنًا عربيًا مؤهلاً لهذا التفاعل وستجد كُلَّ القنوات الفضائية ملتزمة ذلك؛ لأنها أحرص مني ومنك على إيصال رسالتها الفكرية والثقافية والإعلامية إلى أكبر عدد من المشاهدين. ولأن الحكمة ضالة المؤمن أجدُني اليوم مُطالبًا بأقصى درجات الموضوعية لذلك أقول: إنَّ القنوات الفضائية مطالبة بالقيام بدورها في رفع مستوى الإنسان العربي، واعتمادُها الفصحى بشكل تدريجي ومُقْنع عاملٌ مهم في ردم الهُوَّة بين المواطن العربي والتفاعل مع القنوات الفضائية، لأن اللغة العربية الفصحى قَدَرٌ مشترك تتحمل جميعُ المحاور التبعة تجاهه، فالقنوات مطالبة بالتزام الفصحى، والمواطن مطالب بتأهيل نفسه، والأمة مطالبة باحترام لغتها. أما اللهجة الخاصة بكل دولة فستبقى سواء نَمَت الفصحى أم تراجعت؛ لأنَّ اللغة مستويات مُتباينة، واللهجات الخاصة هي لغات بمستوى مُعيَّن ولا يمكن إلغاؤها، وإنما هي شُجيرات صغيرة تعيش في ظلال اللغة الأم «اللغة العربية الفصحى».

وفي الختام أقول: قبل أنْ تسأل عن أسباب تساقط أوراق الأشجار تذكَّر أنَّك في فصل الخريف.

أحمد القدومي
الرياض.

في أجناس الكتابة الأدبية

الحديث عن الكتابة يستوجب في المستهل ربطها بالمنطوق. إنه الأصل لأنه هو الاستعمال للغة المجردة الكامنة في ذهن المتكلم والذاكرة الجماعية، أما الكتابة فتالية للمنطوق ومجسدة له. هي نظام عَلامي مكمل للنظام العلامي الأساسي. وكما يقول دي سوسير: «لا مسوّغ لوجود الكتابة سوى تمثيل اللغة»(١).

نورالدين بنخود

المنطوق والمكتوب يتطابقان، ولكن قد يحدث الانفصال، إذ إننا قد نرسم ما ليس منطوقًا، وقد نغفل ما هو منطوق؛ وفي العلاقة بين الفصحى واللهجات انفصال آخر، فالفصحى لغة السياسة والاجتماع والاقتصاد والعلم والأدب، أي هي لغة المكتوب، أما اللهجات فتبقى أسيرة المنطوق إلا نادرًا. والكتابة تكون عندئذ في منزلة أرفع من مجرد تجسيد اللغة، إنها الديوان الحافظ للمعارف السابقة واللاحقة، والذاكرة المخلّدة لإنتاج الإنسان والإنسانية، وهو ما لا تستطيعه الذاكرة الفردية. وهنا نكون في مواجهة ثنائية جديدة: الكتابة الأدبية والكتابة غير الأدبية. وهذه الثنائية مثيرة للجدل من وجهين على الأقل:

أما الأول فيهم العلاقة بين الأدب والكتابة. إنها من الأهمية بحيث لا نستطيع أن نقول إن الكتابة مجرد وسيلة، ولكن ينبغي كذلك أن لا ننسى الآداب الشفوية.

أما الثاني فيتعلق بما توحي به هذه الثنائية من كون الكلام مرتبتين: مرتبة الكلام العادي التواصلي الذي نستعمله لأغراضنا الحياتية، ومرتبةَ الكلام الفنّي.

إن تتبع البحث اللساني لمظاهر التعبير الكلامي قد مكن من تجاوز هذا التصنيف الثنائي الموروث وإقامة بديل عنه، فصار الكلام مصنفًا إلى أضرب عديدة، إذ نجد الخطاب الإبداعي والخطاب الديني، وكذلك السياسي والقضائي والتعليمي وغيرها؛ ومن الجائز أن تتقاطع الخطابات في هذا العنصر أو ذاك، أفلا نجد في الخطاب الديني ما نراه في الخطاب الأدبي من سرد وتصوير وعدول عن معهود الأساليب وقديم الكلام؟ ألسنا ملتقين في الخطاب الأدبي ببعض ما يتكلم به المتكلمون وأهل الجدل كما هو الشأن في بخلاء الجاحظ، وبعض ما يتحدث به المؤرخون أو قادة السياسة والمذاهب كما هو الشأن في الأدب الروائي الواقعي الخاضع خاصة لمقولات الواقعية الاشتراكية؟

فما يميز الخطاب الأدبي إذن ليس توافر السمة الأدبية، وإنما هيمنة هذه السمة عليه؛ أي على مختلف مكونات بنيته. ولذلك قال رومان ياكبسون أحد الشكلانيين الروس في محاضرة له سنة ١٩٣٥م: «لا يغدو ممكنًا تعريف الأثر الأدبي كأثر يشغل وظيفة جمالية، ولا كأثر يشغل وظيفة جمالية بموازاة وظائف أخرى، بل يجب أن يعرف في الواقع كبلاغ كلامي تكون فيه الوظيفة الجمالية مهيمنة»(٢)، إن مفهومَي البنية والمهيمنة مفهومان يمتلكان فاعلية؛ لا في تمييز الخطاب الأدبي من الخطابات غير الأدبية فحسب، وإنما كذلك في تصنيف الخطابات الأدبية ذاتها؛ فلو رمنا الاستدلال المبسط لقلنا: إن من النصوص الأدبية ما هو وصفي، ومنها ما هو حواري، ومنها ما هو سردي؛ ومع ذلك فمن الجائز أن النصوص الوصفية الخالصة لا تخلو من حوار قصير أو سرد للأحداث موجز، وليس غريبًا أن نرى الوصف يتلبس كلام المتحاورين في النصوص المؤسسة على الحوار وحده، ولو دفعنا الاستدلال خطوات لقلنا إن الشعر العربي المعاصر لا يقتصر اليوم على تقديم قصائد غنائية يهيمن فيها صوت الذات، إذ هو يقدم قصائد درامية أو قصصية يغيب فيها صوت الشاعر أو يفقد سيطرته فيكون صوتًا من جملة أصوات، فيتلبس السرد بالشعر، وتتميز القصيدة عندئذ بتعدد الأصوات ووجهات النظر، وتكتسب حيويّة منبعها الصراع الحادث بين الأصوات المختلفة(٣). ثم إننا لا نعدم نصوصًا روائية يُحتفل فيها بالعبارة وجمال الأسلوب وبلاغة القول، فكانت مقاربة لشعرية الشعر فلم يتوان بعض النقاد عن تسميتها روايات شعرية وهو شأن المسعدي في روايته: حدّث أبو هريرة قال(٤).

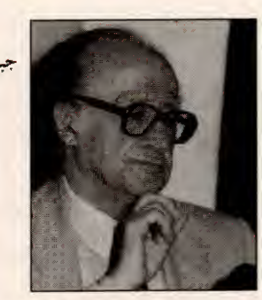
العرب وثنائية التصنيف

والواقع أن تحديد الحدود بين أصناف الخطابات الأدبية وأجناسها أمر بالغ التعقيد، فمنذ العصور القديمة كانت إشكالية الأجناس مثيرة لفضول الباحثين؛ ففي اليونان، ثم في العصور الأوربية اللاحقة تُدُووِل تقسيمٌ ثلاثيٌ منسوب إلى أرسطو يميّز بين أجناس ثلاثة: الغنائي، حيث تسيطر شخصية الشاعر، والملحمي حيث يتحدث الشاعر بوصفه راويًا ولكنه في الوقت نفسه يجعل شخصياته تتحدث بأسلوب مباشر، والدرامي حيث يختفي الشعر وراء شخصيات مسرحيته الكوميدية أو المأساوية(٥). وعند العرب تصنيف ثنائي، مرتبط بنوعية الصوغ الفني وغير متصل بطبيعة الجنس الإبداعي، فقد أقاموا أدبهم على منظوم ومنثور.

ومن الجائز أن تتعدد الآراء في ثنائية المنظوم والمنثور عند العرب، كما تعددت في التصنيف عند الإغريق، تعددًا يشمل نسبته إلى صاحبه الأول كما يشمل جوهره وعلاقته بالأساس النظري الذي انبنى عليه وصدق تعبيره عن الواقع الأدبي والفني الذي ظهر فيه. ولكن ما يجدر بنا هنا أن نتوقف عنده بشكل جيد نجمله في الآتي:

- إن تصنيف الأجناس مبحث توليه النظرية الأدبية في القرن العشرين أهمية؛ لأنه يدخل في صلب اهتماماتها بتمييز الخطاب الأدبي وموازنته بغيره من خطابات، والبحث عما يكون به الأدب أدبًا.
- إن السلّم التصنيفي قد يصدق بعض الصدق في وصفه لمجمل الإنتاج الأدبي لأمة من الأمم، وقد يكون في الوقت نفسه بعيدًا مخالفًا لأنواع الكتابة المعهودة عند أمة أخرى، لذلك علق تودوروف على التصنيف الثلاثي الغنائي والملحمي والدرامي

ـيّة وأنماطها


جبرا إبراهيم جبرا


د. عبد السلام المسدّي

فقال: «يمكن أن نتساءل مع ذلك: ألاّ يكون نظام الأجناس هذا خاصًا بالأدب الإغريقي القديم» وهو بذلك يردّ ضمنيًا على من يريد اعتباره تنظيمًا للأنواع الأساسية، بل «الطبيعية» للأدب(٦). ولذلك أيضًا أشار الدكتور عبدالسلام المسدي إلى أن من الباحثين العرب أو من المستشرقين من يسقط على الأدب العربي أنماطًا من التصنيف غريبة على روح التراث الحضاري الذي هو منبته وحوض منشئه؛ وإذا به يبحث في أدبنا العربي عن الأقصوصة أو الرواية أو الملحمة أو المسرحية. وقد دعا المسدي في كتابه «النقد والحداثة» إلى ضرورة استقراء شامل للآداب العربية مما يمكّن من استنباط سلم الأجناس الأدبية مع ضبط مقومات الحد لكل جنس منها، وقد قدم لنا نماذج من درجات السلم التصنيفي الذي يمكن أن نشتقه من الأدب العربي القديم، فذكر الخطابة وأدب الأغاني وأدب التأريخ للأمثال والمقامة وأدب الرحلة وأدب المرايا وفن الحكاية وفن الوصية(٧).

إن تعدد التصنيفات يثبت عسر المهمة التي يتحملها علماء الأدب في مواجهة نصوص قديمة يتغير الوعي بحدودها الفنية باستمرار، وفي مواجهة نصوص جديدة تبني أدبيتها وتميزها الإبداعي على العدول والمخالفة، العدول عن قواعد فنية ظن بعض النقاد وعلماء الأدب أنهم يسطرون بها مسار الإبداع تسطيرًا، والمخالفة للسابق من الإبداع؛ فالأدب الأصيل خروج مستمر عن المعهود من الأساليب والبنى وطرائق التشكيل.

لا جدال أن الآثار الأدبية تتنوع اليوم تنوعًا عجيبًا، فلكل نص شعري بنيته المتميزة، والمبدع الحق في الأقصوصة لا يكاد يتابع سابقه في هذا الفن، أمّا الروائيون فقد ضربوا في متاهات القول الروائي بشكل مدهش، حتى إنك لا تكاد ترى رواية تشبه الأخرى؛ إذ هي أكثر النصوص الإبداعية عبثًا بالقواعد المسطرة وتحديًا لمقولات التصنيف.

متعة السرد ولذيذ الحكي

والواقع أن التقلبات التي تعيشها الرواية في عالمنا الحديث ليست غريبة تمام الغرابة عن تغيرات الفن القصصي عبر تاريخ الإنسانية الطويل، فالإنسان في مختلف عصوره عرف ضروبًا من القص متنوعة لا تكاد تتلاقى أحيانًا إلا في كونها منتمية جميعًا إلى هذا النشاط الممتع الذي لم يتخل عنه البشر، وهو النشاط الحكائي. فلو نظرنا في أجناس الأدب العربي القديم التي نبه عليها الدكتور المسدي لوجدنا أن السرد يلازم الكثير منها، فإذا كانت الحكاية والمقامة والخبر أجناسًا سردية بلا جدال، فإننا لا نَغفل أيضًا عن متعة السرد التي تتلبس بأدب الرحلة وأدب الأغاني وأدب الأمثال، بل إن فن الوصية ونصوص الخطابة قد تتضمن هي الأخرى من لذيذ الحكي ما يزيد المتلقي بها تأثرًا وتعلقًا واستمتاعًا، ولا ريب أن الأجناس السردية الخالصة والأجناس التي يمثل السرد مكونًا من مكوناتها كثيرةٌ في كل الحضارات، ولذلك انتبه الباحثون إلى وجود عناصر قارة في هذا النشط السردي سواء أكان شفويًا، أم مكتوبًا، أدبيًا أم غير أدبي، لغويًا أم متجاوزًا للدائرة اللغوية.

إن كل نص قصصي هو في الحقيقة جماع وجهين متلازمين غير منفصلين إلا لضرورة المنهجية التحليلية: الحكاية والخطاب Histoire et Discours. والنظرية السردية المستفيدة من الأبحاث اللسانية قد أكدت باستمرار ثنائية الحكاية والخطاب منذ أعمال الشكلانيين الروس الذين ميزوا بين المتن الحكائي والمبنى الحكائي(٨)، ثم أعمال النقد البنوي الفرنسي. إن الحكاية؛ أي مجموع الأحداث المعروضة، لا وجود لها خارج طريقة حكيها، والحكاية الواحدة قد تسرد بطرائق مختلفة، وكل طريقة تولد خطابًا سرديًا يختلف عن غيره.

يطرح الخطاب إشكاليات كثيرة لعل أجدرها بالتقديم ما يتعلق بوضعية الراوي. كل حكاية مروية قد رواها راوٍ، ولا نتصوّر مرويًا من دون راوٍ، وأهمية الراوي لا تقتصر على الحكي وإنما تتصل خاصة بطريقة حكيه وزاوية النظر التي اتخذها عند عرضه للأحداث والشخصيات.

وقد قدّم الناقد الفرنسي تودوروف تحليلاً لزوايا النظر في السرد بناه على اجتهادات أوربية سابقة وميز فيه ثلاثة مظاهر للسرد:

أ ـ الراوي الذي يعلم أكثر من الشخصية، فهو يعرف ما يدور وراء الجدران وما تحدث به الشخصية نفسها، إنه صاحب سلطة واسعة وقدرة خارقة؛ هذا النوع من الرواة استُعمل خاصة في السرد الكلاسيكي، وقد سماه تودوروف: بالرؤية من الخلف "la vision "par derriere.

ب ـ النوع الثاني هو «الرؤية مع»؛ فمعرفة الراوي هنا على قدر معرفة الشخصية، والمعلومات والتفصيلات لا تقدم إلا بعد أن تكتسبها الشخصية. وعادة ما يكون السرد هنا بضمير المتكلم فيكون السارد هو الشخصية. وقد يكون السارد متابعًا لشخصيات كثيرة، ولكنه لا يعلم إلا بمقدار ما تعلم "la vision "avec.

ج ـ النوع الثالث هو «الرؤية من الخارج»، وفي هذا النوع يعرف الراوي أقل مما تعرف الشخصية. إنه يسرد ما يرى ويصف الظاهر من الحركات والأصوات، أما المشاعر فلا علم له بها "La vision "du dehors(٩).

الآثار الأدبية تتنوع اليوم تنوعًا عجيبًا، فلكل نص شعري بنيته المتميزة، والمبدع في الأقصوصة لا يكاد يتابع سابقه في هذا الفن، والروائيون ضربوا في متاهات القول الروائي بشكل مدهش

وبصفة عامة يكون الراوي ظاهرًا أو خفيًا، وقد يكون راويًا مشاركًا، أي شخصية من شخصيات حكايته أو مجرد شاهد، وقد يكون غريبًا خارجًا عن مرويه تمامًا، ومن الممكن أن نكون في نص إزاء تعدد في الرواة فيأخذ بعضهم عن بعض كما في الإسناد العربي القديم، أو يتناوبون على الحكي، وهذه الطريقة متوخاة في نصوص الرواية العربية كثيرًا:

شرق المتوسط، لعبدالرحمن منيف، البحث عن وليد مسعود، لجبرا إبراهيم جبرا، الحرب في بر مصر، ليوسف القعيد، الرحيل إلى الزمن الدامي، لمصطفى المدايني.

ففي هذه الروايات المختلفة يتكفل بالسرد رواة يتخذ كل راو منهم موقعًا محددًا ويحاول بطريقته الخاصة وصفَ ما جرى وإضاءة ما حدث.

وتعدد الرواة طرائق متنوعة لا طريقة وحيدة، فمن الجائز أن نجد التوازي بين الرواة، وقد يحتوي المروي على مروي آخر أو مرويات كثيرة فإذا نحن إزاء الحكي داخل الحكي، وإذا فعلُ الرواية لا ينقل الأحداث فقط حسب وجهة نظر محددة؛ بل يستحيل هو نفسه حدثًا من الأحداث وهو ما نراه مثلا في رواية إلياس خوري: رحلة غاندي الصغير(١٠).

هكذا نتبين أن إضاءة وضعية الراوي أو الرواة تثبت أن وقائع الحكاية قد تُنقل بأشكال مختلفة، وكل نقل ينقص ويضيف، ويكرر ويشوه؛ مّما يجعل الحكاية الواحدة حكايات، بل إننا نجد أحيانًا حشدًا من الحكايات في الخطاب القصصي الواحد، وهذه الوضعيات المختلفة تثير إشكالية التشكل السردي وبنية الخطاب.

ثلاثة أشكال للحكاية

بيَّنَ تودوروف أن حدوث الوقائع في زمن واحد يفرض على الخطاب التحريف الزمني، فهو لا يستطيع أن يتحدث عنها في آن واحد، ثم صار هذا التحريف الذي يمارسه على زمن الوقائع هو ما يميزه بوصفه فنًا، فإذا هو يعمد أحيانًا إلى تقديم الوقائع المتأخرة ويؤخر الوقائع الأولى إلى نهاية الرواية، وفي النصوص المحتوية على حكايات مختلفة توجد ثلاثة أشكال على الأقل تنظم العلاقات بين هذه المرويات: التسلسل، التداول، التضمين(١١) Enchainement/ alternance/ enchassement، ففي التسلسل لا تقدم الحكاية إلا بعد إنهاء الحكاية السابقة، وفي التضمين تحتوي الحكاية الواحدة على حكاية أو أكثر، وقد تتعدد درجات التضمين؛ فإذا الحكاية الفرعية تتضمن هي الأخرى تفريعًا أو تفريعات، وفي التراث العربي يبدو هذا النمط من التشكل السردي ماثلاً في كليلة ودمنة وألف ليلة وليلة(١٢). وفي التداول يعتني الكاتب بعرض حكايات في الوقت نفسه فينطلق من حكاية، ثم يوقف مسار الحكي ليعرض بعض وقائع الأخرى. وهكذا ينتقل من هذه إلى تلك حتى ينهيها كلها.

أما جيرار جينيت فقد نبّه عند تفصيله القول في العلاقة بين الحكاية والخطاب على ثلاث مسائل: ترتيب الأحداث في النص ـ التواتر ـ الديمومة(١٣)، l'ordre- la frequence-la durée واجتهاداته غير منفصلة في الواقع عن بحوث علماء السرديات الفرنسيين ولاسيما تودوروف. يعتني مبحث التواتر بعلاقات التكرار في النص فيميّز بين أربع حالات:

ـ سرد واحد لما حدث مرة واحدة، وهو أكثر أنواع السرد استعمالاً ويسميه السرد المفردrecit singulatif.

ـ سرد مكرر للحدث المكرر، وهو وجه آخر من السرد المفرد إذ فيه تساوٍ بين تكرار الحدث وتكرار السرد.

ـ سرد واحد لما حدث مرات كثيرة كأن يتكفل مقطع واحد بذكر الأفعال اليومية في حياة شخصية قصصيّة، ولذلك تُستعمل عادة صيغة المضارع مع معاضدة عبارات تدل على التكرار الرتيب للوقائع والسلوك ويسمى السرد المؤلف -recit it eratif.

ـ سرد مكرر لما حدث مرة واحدة فهو السرد المكرر recit repetitif ويعتمد هذا الضرب كثيرًا على تعدد الرواة وتغيير زوايا النظر وهو موضع عناية في الأدب الحديث.

أما مبحث الديمومة فينظر في تصرف الخطاب في المسار الزمني للحكاية وتسلسل أحداثها، ويقابل بين زمن الخطاب الذي يقاس بالأسطر والفقرات، وزمن الحكاية الذي يقاس بالساعات والأيام. وتوجد أربعة أنساق سردية متفاعلة في النص:

١ـ التلخيص resumé/ le sommaire وهو سرد أحداث وقت طويل في بضعة سطور. وطريقة التلخيص ضرورية في القص لأنها تمكن القاص من تجاوز التفاصيل غير المهمة، وتمكنه أيضًا من التمهيد للمشاهد الرئيسية والربط بين المقاطع الأساسية (زن‹زح).

٢ـ الحذف l'ellipse وهو إسقاط فترة من زمن الحكاية وعدم الاهتمام بما جرى فيها من أحداث، وتدل عليه عبارات مثل: بعد ذلك بعامين.. مضت سنوات طويلة... ولكن الأهم من تحديد المحذوفات في الخطاب القصصي محاولة تبيّن وظائفها في البنية العامة (زن = ٠).

٣ـ الوقفة الوصفية pause حيث تغيب الأحداث ويحضر الوصف وتدفع الوقفة الوصفية الدارس إلى الإحاطة بثلاثة مقاييس:

أ ـ الواصف: فكل وصف يصدر من واصف، وقد يكون الراوي العليم أو شخصية من الشخصيات، والوصف يخضع مثل السرد إلى زاوية النظر التي اتخذها الواصف.

ب ـ وظيفة الوصف فقد يكون وليد رغبة الكاتب في استعراض مقدرته البلاغية فهو عندئذ زُخْرُفيّ خارج عن المسار الرئيسي للسرد، وقد يكون وظيفيًا له دور في التمهيد للأحداث أو تفسير الوقائع والسلوك أو صنع اللغز وإثارة التشويق.

ج ـ تحديد المقاطع الوصفية ليس دائمًا سهلاً، إذ إن من الوصف ما يتلبس بالسرد فإذا الجملة الواحدة تبدو سردية وصفية في آن. (زح=٠)

٤ـ المشهد scène يقدم اللحظات المشحونة بالتوتر. ففي التلخيص يسيطر صوت الراوي، أما في المشهد فإنّ القارئ يشاهد ما يقع كأنه في مسرح، ولذلك فالمشهد هو بالأساس تمثيلي حواري، ولذلك تُطرح في إطاره مشكلة الحوار التي أرقت الروائيين العرب منذ بداية القرن: هل يُقدَّم الحوار بالفصحى أم بالعامية؟ وهي مسألة تتعلق بسعي الروائي نحو الصدق الفني. (زن=زح)

إن الاجتهادات في مجال الدراسة السردية تتكاثر بشكل سريع يبني بعضها على بعض في ضرب من المناقشة المستمرة للأسس والفرضيات وإمكانات التطبيق؛ وعلم السرد يستفيد كثيرًا من نتائج علوم إنسانية أخرى كاللسانيات وعلم النفس، وهو يفيدها أيضًا بما يتاح له من نتائج.

الهوامش:

١ـ فردينان دي سوسير: دروس في الألسنية العامة. تعريب: القرمادي والشاوس وعجينة، الدار العربية للكتاب. ط.١، ١٩٨٥م، ص ٤٩.

٢ـ رومان ياكبسون: القيمة المهيمنة. ضمن: نظرية المنهج التشكيلي (نصوص الشكلانيين الروس)، ترجمة إبراهيم الخطيب. مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ط.١، ١٩٨٢م، ص٨٤.

٣ـ يمكن أن نراجع على سبيل المثال: عزالدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر، دار العودة بيروت، ط.٣، ١٩٨١م. (خاصة الفصل الخامس: النزعة الدرامية).

ـ محسن أطيمش: دير الملاك، دراسة نقدية للظواهر الفنية في الشعر العراقي المعاصر. بغداد ١٩٨٦م، ط.٢، (وخاصة الفصل الأول: الأداء القصصي في الشعر).

٤ـ نبيل سليمان: فتنة السرد والنقد، دار الحوار، اللاذقية، سورية، ط.١، ١٩٩٤م، (راجع خاصة الفصل الرابع: شعرية السرد وسردية الشعر)، ويمكن أن نراجع كذلك:

ـ نبيلة إبراهيم: فن القص في النظرية والتطبيق. مكتبة غريب، القاهرة، د.ت. (وخاصة: بين القصة الشاعرية والقصيدة القصصية)، ص ٢٣٨.

5 - Ducrot (Oswaed) et Todorov (Tzvetan): Dictionnaire encyclopedique des sciences du langage, Points-Seuil- Paris-1979. (voir notamment: Genres litteratures. P: 193).

6ـ المرجع نفسه، ص ١٩٨.

٧ـ عبدالسلام المسدي: النقد والحداثة. دار الطليعة، بيروت، ط.١، ١٩٨٣م، ص ١١٠ وما بعدها.

٨ـ يمكن أن نراجع في نصوص الشكلانيين الروس (المرجع المذكور) مقالات توماشفسكي وإيخنباوم وشلوفسكي.

9 - Todorov: Les categories du recit litteraire in: L'nalyse structurale du recit ouvrage collectif. Points-Seuil-Paris 1981. P: 147.

١٠ـ اتجه اهتمامنا إلى مسألة تعدد الرواة في رواية إلياس خوري: رحلة غاندي الصغير، في بحث مرقون بعنوان: التعدد الحكائي ودلالاته في «رحلة غاندي الصغير».

١١ـ تودوروف: المرجع السابق ص ١٤٦.

12 - Todorov: Poetique de la Prose Poetique - Seuil. Paris 71. (Voir notamment: Les hommes-recits P: 78).

13 - Gerard Genette: Figurees III. Poetique - Seuil. 72.

ويحسن أن نراجع كذلك:

ـ المرزوقي وشاكر: مدخل إلى نظرية القصة، الدار التونسية للنشر، ص ٧٧ وما بعدها.

المُحَرَّمَاتُ مِنَ النِّسَاءِ.. وَالاعْتِبَارَاتُ الإِنْسَانِيَّةُ

د. حسن عبدالغني أبو غدة

من الأمور التي أولاها الإسلام اهتمامه وفصَّلها في منهاجه التشريعي الأُسَري: موضوع المحرَّمات من النساء، فليس كل امرأة تصلح لأن يعقد عليها الرجل ويتزوَّجها؛ بل هناك اعتبارات إنسانية فطرية، ومصالح اجتماعية لاحظها الإسلام، فاشترط على من يريد الزواج بامرأة، أن تكون غير محرَّمة عليه، تحريمًا مؤبَّدًا، أو مؤقَّتًا.

التحريم المؤبَّد والمؤقَّت: يقصد بالتحريم المؤبَّد: منعُ الرجل من الزواج بأصناف محدَّدة من النساء في جميع الأحوال والأوقات، أما التحريم المؤقت فيراد به: منع الرجل من الزواج بأصناف محدَّدة من النساء، لحالات وأوصاف قائمة بهنَّ، فإذا تغيَّرت هذه الحالات أو زالت، صار الزواج حلالاً؛ انسجامًا مع القاعدة المعروفة: «إذا زال المانع عاد الممنوع».

عوامل تحريم بعض النساء مؤبَّدًا: أجمل الإسلام عوامل تحريم بعض النساء مؤبَّدًا في ثلاث صلات إنسانية هي: صلة النسب، وصلة المصاهرة، وصلة الرضاع.

أولاً: النساء المحرَّمات مؤبَّدًا بصلة النسب: تُصنَّف النساء المحرَّمات مؤبَّدًا بسبب صلة النسب إلى سبعة أصناف كما يلي:

الصنف الأول: الأمَّهاتُ والجدَّاتُ وإنْ عَلَوْنَ، من أي جهة كانت الجدة، من جهة الأب، أو من جهة الأم.

الصنف الثاني: البناتُ وبناتُهنَّ، وإن نزلن، ومثلُهن بناتُ الأبناء، وبناتهنَّ وإن نَزَلْنَ، وبنات أبناء الأبناء.

الصنف الثالث: الأخواتُ النسبيّات مطلقًا، سواء كنَّ شقائق (من أب وأم) أو لأب، أو لأم.

الصنف الرابع: بناتُ الأخوات النسبيّات، وبناتهن، وإن نَزَلْنَ.

الصنف الخامس: بنات الإخوة نسبًا، وبناتهنَّ وإن نزلن، سواء كان الأخ شقيقًا، أو لأب، أو لأم.

الصنف السادس: العمَّات المباشرات، وعمّات الأب والأم، وعمّات أصولهما.

الصنف السابع: الخالات المباشرات، وخالات الأب والأم، وخالات أصولهما.

وقد حُرِّمت هذه الأصناف السبعة تحريمًا مؤبدًا بقول الله تعالى: *حُرِّمَتْ عليكم أمَّهاتُكم وبناتُكم وأخَوَاتُكُمْ وعمَّاتُكم وخالاتُكم وبناتُ الأخ وبناتُ الأخت*. **النساء**:٢٣.

والحكمة في تحريم الأصناف السابقة ـ والله أعلم ـ أن الإسلام أراد تنزيه صلة الأمومة والعمومة والخؤولة، والبنوَّة والأخوَّة، عن أن تكون ميدانًا للشهوة الجنسية، أو محلاً ومجالاً للمتعة الجسدية، وهذا ما ينسجم مع الفطرة الآدمية السويّة، حيث تنفر الطباع البشرية المعتدلة من مضاجعة هؤلاء الأصناف، نظرًا لما تمليه الفطرة البشرية تجاههم من احترام وتوقير، وعطف وحنان، بحكم كثرة المخالطة الأسرية، والنشأة الإنسانية المتلازمة، وبعبارة أخرى: إن شعور الشهوة يزاحمه شعور عواطف القرابة القريبة المضادُّ له، والمتضمِّن التوقير والحنوَّ؛ فهو إما أن يزيله، أو يزلزله، أو يضعفه، وهذا ما لم يسمح به الإسلام، وإمَّا أن تُغلَّب تلك القيم الإنسانية الأكثر احتياجًا في الحياة، وهو ما حرص عليه الإسلام.

على أن المعطيات العلمية المعاصرة ترجِّح أنَّ تزوُّجَ الأقارب عامة بعضهم من بعض، يؤول ويفضي إلى إضعاف النسل والذريَّة، بسبب عدم تجدُّد «الكروموسومات» بصفات وراثية خارجية، غير الصفات الوراثية المحصورة في الأقرباء. وإذا كان هذا الأمر السلبي يكمن في الزواج بالأقارب عامة، فما بالُكَ بالزواج فيما بين الأصول والفروع والخالات والعمات؟!

وتجدر الإشارة هنا إلى دقة ملاحظة عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ وبُعْد نظره، من خلال استقرائه العملي لأجسام رعيته، ووصيَّته لهم بقوله المعروف: «اغتربوا، لا تضْوُوا»(١). أي تزوّجوا الغرائب دون القرائب، لئلا يولد لكم أولاد ضعاف نحاف.

ثانيًا: النساءَ المحرَّمات مؤبَّدًا بصلة المصاهرة: السبب الثاني في تحريم بعض النساء مؤبَّدًا صلة المصاهرة (والأصهار عند بعض

العرب أقرباء الزوجين)، وتشتمل على أربعة أصناف:

الصنف الأول: أم الزوجة وجداتها، سواء دخل الزوج بزوجته فعلاً، أو لم يدخل بها، لأن مجرد العقد على المرأة، يحرّم أصولها على الزوج، بحسب المنطوق في النص القرآني الآتي ذكره.

الصنف الثاني: رَبيبةُ الزوج، وهي ابنة امرأته من غيره، وهي تحرم على الرجل إن دخل بأمها فعلاً، فإن عقد على الأم ولم يدخل بها فلا تحرم. وسُمِّيَتْ الربيبة كذلك؛ لأنها تتربّى غالبًا عند زوج أمها، لكونها معها؛ فهي بمنزلة بنت الرجل، فكان من المستقبح إباحتها بعد الدخول بأمها.

الصنف الثالث: زوجة الابن، وزوجة ابن الابن، وزوجة ابن البنت وإنْ نزلت. وقد عبّر القرآن الكريم عن هذا الصنف بحلائل الأبناء، والحلائل: جمع حليلة، وهي الزوجة.

الصنف الرابع: زوجة الأب وزوجة الجد، سواء أكان الجد من جهة الأب، أم كان من جهة الأم، وسواء دخل بها أم لم يدخل، وقد كان الزواج بهذا الصنف من النساء معمولاً به في الجاهلية، فنهى عنه الإسلام وحرّمه، وسمّاه فاحشة ومقتًا.

وهذه الأصناف الأربعة المحرمة بصلة المصاهرة وردت في قول الله تعالى: *وَلاَ تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤكم مِنَ النِّساء إلاَّ ما قد سَلَفَ إنَّهُ كَانَ فاحِشَةً ومقتًا وساء سبيلاً*. **النساء**:٢٢. ثم

نهى الإسلام عن أن يجمع الرجل بين الأختين، أو بين المرأة وعمتها، وبين المرأة وخالتها. وأمر النبي صلى الله عليه وسلم من كان عنده امرأتان أختان أن يطلّق إحداهما

عدَّد بقية المحرَّمات فقال: *وأُمَّهاتُ نسائكم وربائبُكم اللاتي في حُجُوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهنَّ فإنْ لم تكونوا دخلتم بهنَّ فلا جناح عليكم وحلائلُ أبنائِكم الذين من أصلابكم*. **النساء**:٢٣.

وما تقدم في حكمة التحريم المؤبّد بسبب النسب، يقال أيضًا في التحريم المؤبّد بسبب المصاهرة، للتشابه الكبير بين هذه الأصناف، حيث إن أم الزوجة وزوجة الأب كالأم النَّسَبية في التقدير والاحترام، والربيبة وزوجة الابن كالبنت نَسَبًا في العطف والحُنُوّ.

ثالثًا: النساء المحرَّمات مؤبَّدًا بصلة الرضاع: وفي هذا جاء قوله تعالى في المحرَّمات بالرضاع: *وأُمَّهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتُكم من الرضاعة*. **النساء**:٢٣.

وقد حدَّد النبي - صلى الله عليه وسلم - مفردات المحرَّمات مؤبَّدًا من النساء بسبب الرضاع في حديثه الجامع البليغ، ونصّه: «إنَّ الله حرَّم من الرضاع ما حرَّم من النسب»(٢). وعلى هذا فالأم المرضع هي في حكم الأم نسبًا لمن أرضعته، فيحرم عليه الزواج بها، ويقال مثل هذا في الأصناف الأخرى السابق ذكرها.

ويجدر القول: إن الرضاعة المحرِّمة للزواج هي ما كانت في السنتين الأوليَيْن من عمر الطفل، وبمقادير مشبعة، حدَّدها بعض الفقهاء بخمس رضعات، وفي الموضوع أقوال أخرى.

والحكمة في تحريم بعض النساء مؤبدًا بسبب الرضاع - والله أعلم - أن جسم الطفل في تلك المرحلة من عمره، إنما يتكوّن من اللبن الذين يرضعه، فكما أنّ الطفل يتقوّى وينمو من دم أمه، وهو جنين في بطنها، فهو يتغذى أيضًا وينمو من جسم ولبن من تُرضعه؛ لأنه لا خلاف في أن اللبن جزء من الجسم. ومثلما حَرَّم الإسلام زواج الرجل بمن حملته وولدته، فهو قد حرم أيضًا زواج الرجل بمن أرضعته.

وما قيل في المحرَّمات السابقات من الآثار العضوية الوراثية، والاعتبارات الإنسانية من احترام وحنوّ، يقال أيضًا في القريبات رضاعة، كالأخوات والعمات والخالات، بحسب منطوق الحديث النبوي.

المحرَّمات من النساء مؤقَّتًا: وتقسم إلى ستة أصناف:

الصنف الأول: زوجة الغير ومعتدَّته، فلا يجوز للرجل الزواج بامرأة هي في عصمة رجل آخر، كما لا يجوز الزواج بالمرأة ما دامت في العدّة، سواء كانت عدَّة طلاق أو وفاة، وإنما منع الإسلام هذا احترامًا لحقوق الزوجية وآثارها، ومنعًا من اختلاط الأنساب، ورعاية للوشائج التي تكون بين الزوجين، حتى آخر لحظة ممكنة للرجوع الواحد إلى الآخر، قال الله تعالى: *والمحْصَنَاتُ من النِّساء*. **النساء**:٢٤. أي حُرِّمت عليكم النساء حال تَزوُّجهنَّ بآخرين. وفي شأن المعتدَّة قال الله تعالى: *ولاَ تَعزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حتَّى يبلغَ الكتابُ أجَلَهُ*. **البقرة**: ٢٣٥. أي لا تعقدوا الزواج على المعتدات حتى تنتهي مدة العدَّة.

الصنف الثاني: الجمع بين الأختين ومن على شاكلتهما، وهو ما عبّروا عنه بالجمع بين النساء المحارم صورة؛ بحيث لو كانت إحداهما رجلاً لم يَجُزْ له التزوج بالأخرى، كالجمع بين الأختين، وبين المرأة وعمَّتها، وبين المرأة وخالتها. وفي هذا جاء قوله تعالى وهو يعدِّد المحرّمات من النساء: *وأَنْ تَجْمَعُوا بينَ الأُختَين إلا ما قَدْ سَلَفَ*. **النساء**:٢٣. أي حرَّم عليكم الجمع بين الأختين معًا، وعفا عنكم فيما فعلتموه سابقًا وقت الجاهلية. وروى أبو هريرة - رضي الله عنه - أن النبيّ - صلى الله عليه وسلم -: «نهى أن يُجْمع بين المرأة وعمَّتها، وبين المرأة وخالتها»(٣). وروى الضّحَّاك بن فيروز عن أبيه قال: «أسلمتُ وعندي امرأتان أختان، فأمرني النبي - صلى الله عليه وسلم - أن أطلق إحداهما»(٤).

والحكمة في النهي عن هذا الجمع كما يذكر بعضهم - استنادًا إلى روايات مأثورة(٥) - الحفاظ على العلاقة الرحمية وصلة القرابة القريبة من أن تتقطع بالغيْرة والتشاحن، اللذين يكونان عادة بين الضرائر، في وقت ينبغي أن تكون العلاقة فيه بين الأختين، أو بين المرأة وعمّتها أو خالتها قائمة على التعاطف والمودَّة والاحترام، والحبّ والإيثار، لأن الأخت كالذات، والعمّة كالأب، والخالة كالأم في التقدير والحبّ.

أما إذا توفيت الزوجة أو طُلِّقت وانتهت

عدتهـا، فللرجل التزوج بأختها، أو عمتـها، أو خالتـها، لانتهـاء عقد الزوجية الأول، وانقطاع سـبب التـحـريم المؤقت، وإذا زال المانع عـاد الممنوع.

الصنف الثـالث: المطلقـة ثلاثًا، وهي لا تحلّ لزوجهـا الذي طلّـقهـا ثلاث طلقـات، حتى تتزوج غيره زواجًـا صحيحًا عن رغبة وليس بقصد التحليل وبدخول، ثم إذا فارقها الآخر بطلاق أو بموت، وانتهت عدّتهـا منه، وأراد زوجهـا الأول الزواج بـهـا، ورضيت، كـان هذا جائزًا، وهو لا يكون غـالبًا إلا بعد تجربة مريرة يلاقيها الطرفان، حتى يُضطرا إلى الصبر على بعـضهمـا ـ مع ما فيـه من مشاق ـ نتيجـة المشاق الأخـرى الأشـد التي لقيـاها، على أن هذه الحـالة النادرة الوقـوع، لم يغفل الإسلام تخصيصها بحكم، لمن يحتاج إليها. قال الله تعالى: *فإن طلَّقَهـا فلا تَحلُّ له منْ بَعْدُ حتى تَنْكحَ زوجًا غـيره فـإن طلَّقـهَا فـلا جُناحَ عليهما أن يَتَرَاجَعـا إن ظَنَّا أن يُقيما حدودَ الله*. **البقرة: ٢٣٠**.

الصنف الرابع: الزيادة على أربع نساء معًا، فـلا يجوز للرجل الزواج بـامرأة خـامسـة، وفي عصمته أربع نسـاء، إلا بعد وفاة واحدة منهن، أو طلاقـها وانتـهـاء عـدَّتها، يقـول الله تعـالى: *فانكحُوا مـا طابَ لكم منَ النِّساءِ مَثنَى وثُلاثَ ورُبَاعَ*. **النساء:٣**. وروي أن غيـلان بن سلمة، أسلم وله عشر نسوة، فأسلـمْنَ معه، فأمره النبي ـ صلى الـله عليـه وسلم ـ أن يتـخـيَّـر مـنهنَّ أربعًا(٦).

ولاشك أن وراء تحديـد العدد بأربع مـعًا لا أكثر حكمة شرعية، ومصلحة بشرية يعلمـها الله تعـالى، وهي في حدِّ ذاتهـا، لا تخـرج عن ميـزان الاعتدال، دون إفـراط ولا تفريط، للذين يرغبـون في التعدّد؛ طبقًا لحاجـاتهم الجسمية وظروفهم الاجتماعية.

الصـنف الخـامس: زواج غـيـر المسلم بالمسلمة، وهو محرم بنص القرآن الكريم، فإن زال المانـع وأسلم الـكافــر، جــاز لـه الزواج بالمسلمـة. *قال الله تعـالى: فإن عَلمتُـمُـوهُنَّ مؤمنات فلا تَرْجعُوهُنَّ إلى الكفَّار لا هُنَّ حلٌّ لَهُمْ ولا هُمْ يَحلُّونَ لَهُنَّ*. **الممتحنة: ١٠**.

وحكمـة منع هذا الزواج: هي أن القـوامـة على الأسـرة ـ بـحـسب تعـاليـم الإسلام ـ من خصائص الرجل وحقـوقه، وهو أمر ينسجم مع الفطرة البشريـة والطبيعة الخَلْقيـة، وما دام الأمر كذلك، فعلى الزوجة السمع والطاعة ومتابعة الزوج فيما يرجّحه، إلا أن هذا المبدأ المستقر في الإسلام، لا ينسجم مـع ما نحن بصدده، إذ لا ينبـغي لامرأة مـسلمـة أن تطيع كـافـرًا، أو أن يكون له عليـها سلطان، مخـافة أن يملي عليـها من مضمون ثقـافته ومعتقداته، فيـؤثر فيها وفي أولادها، فـإن للثـقـافة والمعـتـقـد أثرًا بارزًا في تصرفات الفرد وسلوكه وتعامله.

يضاف إلى هذا، أن غيـر المسلم لا يعترف بدين الإسـلام، ولا يقـيـم له أهمـيـــة، وربما استخف بأصـوله وتعـاليمـه، ممّا ينعكس سلبًـا على العـلاقـات الـزوجـيـة، ولاشك أن البيـت الذي هذا شأنه، لا يؤمَّـل أن تستقـرَّ فيه حيـاة، ولا أن تتكوَّن معـه ألفة ومودة، وهي مـا يسعى له الناس من وراء الزواج.

وعلى العكس مـن ذلك، فـحـينمـا يتـزوج المسلم بغير المسلمـة من الكتـابيات، فـإن دينه يملي عليـه الإيمان بأصـول الديانات السـمـاوية السـابقـة، لأنهـا في الأصل والأسـاس من عند الله تعالى، قبل أن يطرأ عليها التحريف.

وبدافع من هذا الإيمان بالديانات السماوية وأصولها الصـحيحة، فإن المسـلم لا يتجرأ على سبِّهـا أو الاستخفاف بأنبيـائها السابقين، الذين أرسلهم الله تـعالى لهـداية البـشـر، مما يعني أن هناك مقدارًا مـشتركًا من التـفاهم بين الطرفين، حيث ينعكس أثره على رعاية الزوجة وإكرامها واحترامها.

الصنف السادس: النساء غير المسلمات من غير أهل الكتـاب، فيـحـرم على المسلم الزواج بامرأة لا تدين بدين سماوي، كالملحدة والوثنية والمرتدة والـزنديقــة.. الـلواتي ينـكرن أصــول الإيمان ويكفـرن بالبعـث والنشـور، ولا يقـمن وزنًا لأمّهـات الفضائـل الأخلاقيـة التي جاءت بهـا الديانات السـمـاويـة. قـال الله تعـالى: *ولاَ تَنْكحُوا المشركَات حتى يُؤمنَّ ولأمَةٌ مُؤمنةٌ خَيْرٌ من مُشركَة ولَو أعْجَبَتْكُمْ*.. ثم ذكر الله تعالى علة ذلك فـقـال: *أولئكَ يَدعُـون إلى النَّار واللَّهُ يدعُو إلى الجَنَّة والمغفرة بإذنه*. **البقرة: ٢٢١**.

أما الزواج بغير المسلمات من أهل الكتاب ـ اليهود والنصـارى ـ فهو مبـاح وليس حرامًا، إلا أنّه مكروه مـخـافـة خطورة العـواقب على الأبناء. قــال الله تعــالى: *وَطَعــامُ الذينَ أُوتُوا الكتـــابَ حلٌّ لـكم وَطَعَـــامُكُـمْ حلٌّ لـهم والمحـصَنَاتُ منَ المؤمنات والمحـصناتُ منَ الذين أُوتُوا الـكتـــَابَ مـنْ قَـــبلكم*. **المائدة:٥**. والمحصنات هنا: العفيفات.

وبعـد: فـيـتـضح مما تقـدم مـدى حـرص الإسلام على سلامة الحياة الزوجية واستقرارها، وربطهـا بعـوامل الثبـات والاستـمرار، والألفـة والمودة، القـائمـة على أصـول الـفطرة البـشـرية السليــمـــة، والمتطلبـات الفكريـة السـمــاوية، والاعتـبارات والمصـالح الإنسانيـة، وصدق الله العظيم القائل: *قَدْ جَاءَكُمْ منَ اللَّه نُورٌ وكتابٌ مُـبينٌ. يَهـدي به اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رضْـوَانَهُ سُـبُلَ السَّلامِ*. **المائدة: ١٥و١٦**.

حينما يتزوج المسلم بكتابية ، فإن دينه يملي عليه الإيمان بأصول الديانات السماوية السابقة ، لأنها في الأصل والأساس من عند الله تعالى ، قبل أن يطرأ عليها التحريف

الهوامش:

١ـ النهاية لابن الأثير ١٠٦/٣.
٢ـ رواه الترمذي.
٣ـ رواه البخاري ومسلم.
٤ـ رواه الترمذي وأبو داود.
٥ـ انظر نيل الأوطار ١٤٧/٦.
٦ـ رواه أحمد والترمذي.

الوجه الآخر للعلوم

القلم الذي يسطر هذه المقالة كان من قبل يسير في اتجاه آخر، فحيث يجري اليوم ليعلن كشف الستار عما وراء الأضواء الباهرة في المجال العلمي؛ فقد كان، من قبل، يحث المسلمين على أن ينبذوا السلبية، ويتركوا التشاؤم والسوداوية، وأن يكونوا من أول المحتفين والمرحبين بإنجازات العلوم في هذا العصر. فهل هو تناقض وتضارب وقعنا فيه؟

حسن حسين مهنا

كلا، إننا في الوقت الذي نهيب بالمسلمين أن تكون لهم أذن واعية، وأن يكونوا في مقدمة الركب، ونؤكد أن المسلمين يخطئون إذا هم لم يحتفوا بإنجازات العلم، ولم يتطلعوا إلى يوم يكونون فيه من السابقين.. فإن الحق يقال بأن لنا مآخذ على السلوك الإنساني في مجال البحث العلمي.

ولماذا هذه العبارة الطويلة؟ لم لا نقول بأن لنا مآخذ على البحث العلمي ذاته؟ ذلك لأننا نود أن نؤكد بأن العلم - كما يردد الماديون - معارف جامدة، وإنما تنزوي يمينًا وشمالاً بسبب النفس الإنسانية البشرية الأمَّارة بالسوء، أو قد يعتريها من الخلل ما هو ثابت فعلاً في النفس الإنسانية من سهو وخطأ.

إننا في الوقت الذي لا نريد أن ننزوي عن ركب العلم والتقدم، فإننا نرغب في فهم رشيد لخطواته، وبصيرة ثاقبة تحيط بكل تفصيلاته، ونود أن نقول لكل شخص انبهر بالعلوم المعاصرة: رويدك! لا تنبهر، ولا تكن على بصرك غشاوة... ولهذا كانت هذه المقالة.

نحن نعيش في عصر مذهل في كل شيء، ومتسارع بطريقة مدهشة. ولهذا جانب غير مشرق، فقد طغت المادية على كل شئ. وقد وصل الأمر بالكثيرين إلى تقديس العلم والتقنية إلى درجة مقلقة، وتَعَاظَمَ الانبهار بإنجازات التقنية حتى صارت الثقافات الأخرى أو المنابع الأخرى للفكر الإنساني كما لو أنها أقل أهمية؛ بل إنها تبدو أحيانًا كأنها تعرقل التطور العلمي والتقني. ولو نظرنا في مجتمعاتنا إلي المنبهرين والمقدسين للنجاحات التقنية المعاصرة؛ لرأينا أن كثيرًا منهم لم يكتف بتبنِّيها فكريًا وحضاريًا واجتماعيًا؛ بل احتضن كل ما جاء معها من دول المنشأ، من الغث والسمين، وراح هؤلاء يرون التعاليم الدينية المتحفظة أو المخالفة لما هم عليه على أنها من التراث التاريخي الذي يلتزمونه مجبرين!!

ولا يقول أحد طبعًا بأن ما قدمه العلم والتقنية أمر هين، ولا أن على أي مجتمع أن يضعهما وراء ظهره، ولكن الإشكال والسؤال الملح: هل للنواتج التي تخرج من رحم العلم والتقنية أن تأخذ الأولوية الحضارية والفكرية والاجتماعية في حياة الشعوب والأمم ؟ وهل يجوز أن تنبذ الأمم ثقافتها الإنسانية وتكتفي بثقافتها المادية والطبيعية؟

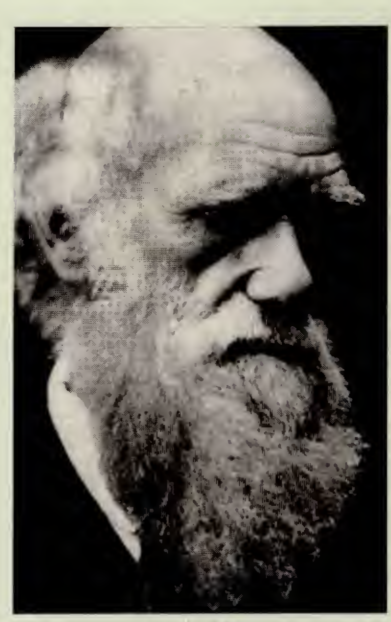
وهناك سؤال آخر دقيق هو: هل صحيح أن العلم التجريبي المادي والتقنية المعاصرة هما مفهومان محايدان، وهل هدفهما الوحيد فعلاً هو الارتقاء بمعيشة الإنسان وزيادة سعادته وبحبوحة عيشه؟ وهل كل النظريات العلمية هي اجتهادات بريئة ما وراءها إلا العلم التجريبي كما نعرفه؟ فماذا عن نظرية داروين مثلاً؟ الغالبية منا يستنكرونها لأنها تصطدم مع عقيدتنا ومفاهيمنا الأساسية، لكنَّ كثيرين أيضًا يعيشون في حالة انفصام شخصية حيث يرون أنهم ينكرونها في حياتهم الاجتماعية؛ بينما هم يستسلمون لها في حياتهم المهنية! فما هي قضية هذا التطور العلمي الذي سمح بوجودها؟

لقد قام العلماء الماديون ببناء نظريات خطيرة - مثل نظرية داروين - على قياسات تقريبية وافتراضات ظنية، ثم قالوا إنها علمية. ومع ذلك فنحن مطالبون بالإيمان بالأمر والتسليم به. وسيقول قائل - في معرض الموازنة -: إن الوسائل العلمية المتبعة في دراسة الأحافير وتحليل الأنسجة ليست كالإيمان بالغيب والوحي، حيث إنها دقيقة وموثقة وقد جُرِّبت فعاليتها مئات المرات.

هنا لابد من مواجهة صريحة حول مناطق الضعف في البحث العلمي، وهي في الجانب الآخر الذي لا يراه ولا يعرفه غالبية المنبهرين بالعلوم التجريبية، وهو الجانب الذي يجب أن يدركه كل واحد منا ليكون لديه تصور متوازن لهذا العصر و«الخوارق» التي تحدث فيه. فلو أن الوسائل العلمية والأجهزة الحديثة قادرة علي جلاء كل الأسرار بدقة متناهية من دون خطأ؛ فبماذا نفسر وجود الأسرار الصناعية في زماننا؟ إن الشركات والدول

والتقنية

تتجسس بعضها على بعض لتعرف أسرار منتجاتها، فلماذا تتجسس؟ لم لا تشتري بعض المنتجات من الأسواق وتجري عليها التحاليل لمعرفة تركيبها إذا كانت أدوات البحث العلمي على هذه الدرجة من الكفاءة والتطور؟



تشارلز داروين

والجواب عن ذلك: أن التحاليل والاختبارات وحدها لا تعطي نتائج مضمونة تمامًا. وكثير من المؤسسات والشركات تحاول معرفة التركيبات (أو الوصفات السرية) لكثير من المنتجات المنافسة لها من المشروبات الغازية ـ مثل البيبسي كولا ـ إلى الأجبان ومستحضرات التجميل والعطور والأصباغ والسبائك المعدنية...إلخ. لكن الأمر ليس سهلاً، حيث إن الذين يريدون حماية أسرارهم الصناعية يعرفون كيف يخدعون العلماء وأجهزتهم الحديثة. واستنادًا إلى ذلك فإذا كانت الأجهزة العلمية تعطي نتائج مغلوطة وغير دقيقة مع تكرار التحاليل ومع توافر العينات (مشروب البيبسي كولا مثلاً) بكميات هائلة ومنتشرة في جميع أقطار الأرض، فكيف أطمئن إلى نتائج اختبارات تجري على عَظْمَة واحدة هنا، أو جمجمة ناقصة هناك؟

والذي نقصد إليه أنه ليس كل ما يأتينا من العلوم يستحق أن يُبجَّل ويُعَظَّم؛ بل إن هذا مناقض لفلسفة العلم الحديث التي تقوم على البحث الذي لا نهاية له، وعدم أخذ المفهومات العلمية كأساس مطلق غير قابل للمناقشة. كما أن في العلم المادي من النواقص ماهو موجود في الإنسان نفسه من نواحي النقص.

يقول بعض الماديين: مهما كانت نسبة الخطأ في الوسائل العلمية فإننا لا يمكن أن نقيسها بالمعتقدات الدينية مثل الوحي والإلهام والغيبيات التي لا تستند إلى دليل مادي ملموس. وهؤلاء لا يدركون أن الأجهزة العلمية في يد البشر وتحت تصرفهم وفي خدمتهم، بينما الوحي والإلهام أو الرؤيا الصالحة من الله عز وجل، وهو الذي يرسلها إلى من يشاء حين يشاء، وليست في يد أحد منا لنستعملها متى شئنا، ومع هذا، فإن من الحيف والظلم أن نلغي وجودها تمامًا من دون دليل. أقول هذا وكأني بأحدهم مبتسمًا بخبث يطرح هذا السؤال: هل اكتشف أحد اكتشافًا علميًا معاصرًا بواسطة الإلهام؟ والجواب عن ذلك: طبعًا، فنحن ـ الكيميائين ـ نتذكر كيف أن العالم الألماني فريدريك كيكوليه (١٨٢٩ـ١٨٩٦م) مكتشف تركيب البنزين الحلقي، قد عجز تمامًا عن معرفة تركيب هذه المادة التي لم يكن شكلها الحلقي مألوفًا أو معروفًا حينذاك، ولما تعب في أحد الأيام، أخذه النعاس ورأى في النوم أفعى في شكل دائري تعض ذيلها وتدور في حلقة، فاستيقظ دَهِشًا وقد عرف تصميم هذا المركب الذي حيره وحيرالعلماء حينذاك. وهذه القصة يعرفها كل الطلاب الذين درسوا الكيمياء العضوية. ومن أراد التأكد من قصة الرؤيا فليقرأ ما جاء في ترجمة العالم كيكوليه في موسوعة العلماء والمخترعين التي نشرتها المؤسسة العربية للطباعة والنشر، حيث قالت بعد تعداد إنجازاته العلمية: «ويظل مفهوم كيكوليه حول البنية الحلقية للبنزين إنجازًا بارزًا في مجال الكيمياء العضوية، ويُذكر أنه توصل إلى فكرة الحلقة بعد أن رأى في حلمه أفعى تعض ذيلها» انتهى.

من ناحية أخرى، فإن الصورة الرقمية الواضحة والشفافة للعلوم الطبيعية ليست كلها كما يتصور بعض الناس، فالكثيرون يعدّون العقائد غيبيات وأمورًا غامضة لا تسير حسب قوانين ثابتة، بينما العلوم كلها تسير في نسق معروف لدينا، ومعتمد على معادلات ثابتة، كما هو الحال مع: ١+١=٢، ويرون أن كل شيء «علمي» يسير حسب قانون معروف ومدروس ومحدد، وهذا ليس صحيحًا كما هو مُتَصَوَّر، فهناك أمور يعرفها العلماء بالمشاهدة والتجربة، ومن دون معرفة لأسباب حدوثها؛ بل إنها تُكتب في شكل قوانين، ويستعملها العلماء في أبحاثهم، وفي إنتاج تقنيات متقدمة من دون أن يُعرف لها أصل أو منشأ، ومنها على سبيل المثال: الصيغ العلمية أو التجريبية em-prical formals التي يعرفها المهندسون في كل مجالات الهندسة تقريبًا، وأكثر من ذلك أننا قد نحتاج لتعرُّفها وتحديدها إلى أنواع من الحاسبات غير الرقمية، يطلق عليها الحاسبات الكَمِّيَّة analog computers، التي تختلف تمامًا عن الحاسبات الرقمية المألوفة، وتُستعمل في دراسة العلاقات والظواهر الهندسية المعقدة؛ كالعلاقات بين الجهد الكهربي أو الضغط الهيدروليكي أو الحرارة أو أنواع الطاقة المختلفة.

من مثال فريدريك كيكوليه ومثال الصيغ التجريبية نرى التبجح بعقلانية العلم وغيبية الدين إنما هو تنطع مادي لا يختلف عن تنطع بعض المتدينين. ونحن نؤكد العلاقة الوطيدة بين الدين والعلم الصحيح (أي السنن التي أجراها الله في الكون)، ولعل من العجيب أن نرى ونسمع أن الإنسان يتعمد الإصطدام بهذا والتصدي له، ففي شهر أكتوبر/ تشرين الأول من عام ١٩٩٤م قامت ولاية أريزونا الأمريكية بسحب رخصة طبيب نفساني اسمه الدكتور أولسون، لا لجرم اقترفه؛ وإنما لأنه عالج بعض المرضى بالدعاء

والصلاة، ولم يتبع الطرائق المعتادة في التحليل النفسي، ولم يشفع له أن المرضى قد تماثلوا للشفاء فعلاً.

وهذا مثال آخر قد يكون ألصق بالمادية، لأنه يتعلق بأمراض عضوية ملموسة، فقد بدأت طبيبة أمريكية برنامجًا اسمه «الشفاء التلقائي» لإحصاء وتحليل الحالات التي شفي فيها أناس من أمراض مستعصية من دون تدخل طبي. وليعذرنا القارئ لعدم توافر معلومات أدق عن اسمها ومكان عملها. المهم أنها تحدثت في مقابلة إذاعية عن خطأ علمي - كما قالت - يتمثل في التركيز الكبير على أسباب المرض وإهمال أسباب الشفاء، وقالت: إن الأطباء الذين يكتبون بحوثهم في المجلات العلمية المتخصصة، إنما يكتبون في مجالاتهم، وهي العلاج الكيماوي أو العلاج الإشعاعي، لكنهم لا يكتبون عن الحالات التي يشفى فيها المريض من دون علاج، ولو فعلوا ذلك لتمت دراسة تلك الحالات واستفاد المتخصصون من محاكاة سبل شفائها إن أمكن.

أكدت الطبيبة بأنها تحاول تكثيف الاتصالات وبناء قاعدة بيانات، متعاونة في ذلك مع عدد من العلماء الأمريكيين واثنين من الأطباء في هولندا، لكن خلاصة حديثها وآخر ما توصلت إليه هو ما يلي: حاولت تَقَصِّي الحالات المعروفة - وعددها بضع مئات - لاكتشاف قاسم مشترك لسبب الشفاء، وكان الأمر صعبًا لعدم وجود عامل مشترك واضح، فقد كان بعض المرضى سمينًا والآخر نحيفًا، كان بعضهم يأكلون طعامًا ما والآخرون يختلفون في طعامهم، ولكن الطبيبة لاحظت أمرًا لا تعرف مدى علاقته بالشفاء، وهو أن ٧٠٪ من المرضى في هذه الحالات توجهوا إلى الله بالصلاة والدعاء.

وكثير من العاملين في المجالات العلمية يمكن أن يشهدوا على حدوث ما انتقدته الطبيبة في منهج الأدبيات العلمية؛ أي نشر البحوث النموذجية والنمطية فقط، وطرح غير المألوف منها، ويحق لنا أن نتساءل في هذا المجال: لماذا لا تُكتب النتائج السلبية للبحوث؟ والمقصودة هي البحوث التي لا تؤدي إلى نتائج إيجابية، مثل تجربة لدواء معين أخفق في العلاج بالنسبة المرجُوَّة، والجواب: إن كل عالم يريد أن ينسب إلى نفسه النجاح لا الإخفاق، مع أن البحوث السلبية ذات قيمة علمية كبيرة، ولو نُشرت لوفرت على العلماء كثيرًا من الوقت والجهد والمال، حيث لا يحتاج أحد في بلاد أو مؤسسة أخرى إلى إعادة تجربة هذا الدواء بصيغته تلك إلا بعد إجراء تعديلات عليه.

وهكذا؛ فإن المنشورات العلمية تركز على الجوانب النمطية المألوفة وتتجنب أية إشارة لما هو خارج المألوف، مثل مريض بالسرطان يشفى من دون علاج كيماوي أو إشعاعي. ولا يقول أحد بأن العلاج المادي ليس مهمًا، ففي هذا القول ما يخالف المنهج الرباني الذي يأمرنا بالأخذ بالأسباب، ولكننا في مقابل ذلك ندعو إلى عدم الاتكال التام على الماديات وإهمال ما عداها. والأهم من ذلك أننا ندعو إلى التبصر وإنعام النظر في أن العلم المادي بقالبه الذي نراه ونلمسه لا يقدم لنا جوابًا شافيًا عن أسباب هذا الشفاء الذي ليست له أسباب مما يألفون ويعرفون.

ومن الأمور الأخرى التي تحتاج إلى من يُذَكِّر بها أن الأجهزة العلمية قد تخطئ، والقائمون عليها يمكن أن يخطئوا كذلك، ولو شئنا في هذه الأسطر أن نتنكب طريق البحث الجاد ونسلك طريق القصص والطرائف لأتينا بأمثلة عن أخطاء فادحة، تدعونا إلى أن نستلقي على قفانا من الضحك، ولا غرابة؛ فالإنسان إنسان، مهما طغى وترفع.

سنأخذ مثالاً عن إحدى الشركات العاملة في أكثر المجالات تطورًا، وفي دول تتربع على عرش التقنية العالمية، ولنقرأ عن أحد الأخطاء (أو الحماقات) التي ارتكبتها، فقد قامت شركة شاربر إيميج الأمريكية (للكماليات الإلكترونية المتنوعة) بصنع مناظير للرؤية الليلية تعمل من دون بطاريات، وأطلقت حملة دعائية ضخمة لتسويقها، ولكن الشركة دهشت حينما لم تتمكن من بيع منظار واحد منها؛ بل أصبحت محل سخرية الجميع، والسبب أن مصدر الطاقة فيها مجموعة من الخلايا الشمسية!! وانتبه أصحاب الشركة - متأخرين - إلى المفارقة المضحكة، فكيف يكون منظارًا ليليًا ويزود بخلايا شمسية للطاقة؟

وإذا عدنا إلى النظر الجاد في الأخطاء العلمية المخبرية، فيمكن أن نذكر أن بعض الباحثين قاموا بتحليل عينات من الربيان في دول خليجية، فوجدوا في بعضها نسبة عالية من الزرنيخ، ونشروا النتائج في مجلات علمية محكمة، ولكن الباحثين غفلوا عن أن موجات الطيف لعنصر الألمونيوم المنبعثة من جهاز البلازما تتداخل مع موجات الزرنيخ (أي إن طيف الألمونيوم يحتوي على شعاع ضعيف على موجة الزرنيخ نفسها)، لهذا فإن معظم الزرنيخ الذي ظنوا أنه في الربيان ما هو إلا انعكاس لشعاع الألمونيوم على تلك الموجة الطيفية، وهذا مثال واحد على الأخطاء العلمية التي تحدث بحسن نية، لكنها يمكن أن تؤدي إلى خسائر اقتصادية فادحة. وما خفي كان أعظم.

والأطباء يعرفون كثيرًا من الحالات التي يمكن أن يكون التحليل والتشخيص فيها خاطئًا، فعند تحليل تجلط الدم عند شخص ما، فإن فيتامين ك الموجود في الخضار والأسماك، والكالسيوم الموجود في الألبان يؤثران في سرعة التجلط، ويعطيان نتائج خاطئة لذلك الاختبار، كما أن الرياضة والإجهاد وحبوب منع الحمل وعددًا من الأدوية المختلفة قد تؤثر في مستوى الهرمونات في الدم. أما ملح الطعام المزود باليود فإن تناوله يعطي نتائج مغلوطة لاختبارات الغدة الدرقية.

وفي علم الفلك هناك أخطاء كبيرة، ولنأخذ مثالاً على ذلك اكتشاف الدكتور أندرو لاين، من جامعة مانشستر البريطانية. فقد كان من المهتمين بقضية وجود حياة خارج مجموعتنا الشمسية، وكانت الفرضية الذي بنى عليها العلماء أكبر دلالة على احتمال وجود كوكب «حي» هو أن يكون في فلك نجم، مثل ما هي الأرض تدور حول الشمس. ولكن أنَّى للعلماء أن يروا الأفلاك البعيدة، التي ابتلعتها الأعماق السحيقة للكون؟ فإن كانت رؤية النجوم المضيئة صعبة، فإن رؤية الكواكب مستحيلة! وبما أنهم لا

يستطيعون رؤيتها فقد اعتمدوا على فرضية أخرى، وهي أن النجم في دورانه حول نفسه سوف يترجَّح إذا كان يدور حوله كوكب، والشمس تترجَّح فعلاً بسبب دوران الكواكب حولها .

وحدث أن الدكتور أندرو لاين اكتشف نجمًا نابضًا (بلسار) يترجَّح، أو هكذا ظن، فاستنتج أن هناك كوكبًا يدور حوله، ونشر اكتشافه في مجلة علمية، وعزم على نشر التفاصيل في مؤتمر لعلماء الفلك عُقد في أمريكا، ولكنه، كعالم نزيه، أراد أن يتأكد، فأعاد حساباته، واتضح له أن مقدار ترجُّح النجم النابض يساوي ترجُّح أرضنا نفسها بسبب دوران القمر حولها، حيث إنه نسي أن يغذي الحاسوب بهذه المعلومة ليطرحها من مقدار حركة الترجُّح، فلما تم طرح هذا المقدار تبين أن ترجُّح النجم اختفى، وقام هذا العالم في المؤتمر، وأعلن بكل شجاعة أمام ٥٠٠ من علماء الفلك، أن اكتشافه ما هو إلا خطأ في الحسابات.

ومجال الحاسوب الذي يجزم الكثيرون بأنه درة التاج في منظومة العلوم المتطورة، ومسك الختام لأفضل إنجازات هذا القرن، لم يخل من كبوة سوف نقع فيها في آخر يوم من أيام القرن العشرين، حيث إن مبرمجي هذا الجهاز لم يحسبوا حساب مشكلة العام ٢٠٠٠، فلم يزودوا هذا الجهاز الأصمّ إلا برقمين للتاريخ، ولم يكن لهذا الخطأ ما يسوغه، فهو لم يحدث قبل قرون أو عقود طويلة من الزمن؛ بل هو نتاج خطأ ظل يتسلسل من السبعينيات، وراح يكبر ككرة الثلج (مثلما يقولون) مع الثمانينيات وأوائل التسعينيات، وقد كان يمكن إصلاحه بمئات الدولارات، فأصبح الآن مشكلة تنذر بخسارة مئات الملايين.

وقد يكابر الإنسان فيستنكر أن يقوم أحد بتحجيم أو تقزيم هذا الصرح الهائل للعلوم والتقنية، ولكن هذا ليس كل شئ، إن القضية لا تتوقف عند أخطاء يقع فيها العلماء بحسن نية، بل إن لدينا الكثير من الأسئلة فيما يتعلق بنزاهة العلماء من جهة، واستقامة طرائقهم الاستنتاجية من جهةأخرى. إن العلم الذي أصبح اليوم سيد الساحة قد جذب كثيرًا من المشعوذين والدجالين، وسوف نرى أمثلة عن بعض أدعياء العلم الذين وصلوا إلى أعلى درجات السلم العلمي، ثم اكتشف العالم أجمع أن أبحاثهم غير حقيقية وأن نتائج أبحاثهم ملفقة. ويكفينا أن نعلم (من قاعدة بيانات ويلسون للتقنية والعلوم التطبيقية) أن المجلات الأمريكية العلمية والتقنية المتخصصة قد نشرت في السنوات العشر الأخيرة ما مجموعه ١٣٢ موضوعًا عن الغش في الأعمال الهندسية والتقنية، وما مجموعه ١٨٠ موضوعًا عن الغش في البحث العلمي خاصة.

وأمثلة الغش العلمي أكثر من أن تعد أو تحصى، وهي وإن كانت تحدث في كل مكان في العالم، إلا أننا نستقي الأمثلة التالية من الولايات المتحدة. فقد اهتزت ثقة الناس بأخلاقيات العلماء ونزاهتهم في منتصف العام ١٩٩٧م حين اعترفت عالمة أمريكية اسمها جانيس برافو بأنها ساعدت شركات التبغ الأمريكية في تطوير نبات يحتوي على مستويات عليا من النيكوتين، أكثر من التبغ العادي، لزيادة الإدمان على التدخين، كما قام غيرها بتزوير نتائج التحاليل وتغييرها لإثبات أن نسبة النيكوتين لم تتعد الخطوط الحمراء! وقد سمعنا من قبل عن قصة روبرت غاللو وأبحاثه عن مرض الإيدز، والضجة القانونية والإعلامية التي صاحبت اتهامه بتزوير نتائج الأبحاث، كما أن رئيس مختبر فيرمي للأبحاث النووية، كان قد تقدم بأبحاث زورها؛ وإذا بالموظفين العاملين عنده يفضحون أكاذيبه، ويعلنون للعالم أنهم لم يتوصلوا فعلاً لتلك النتائج.

وأخيراً: مَنْ منّا لم يسمع بقصة اكتشاف «الالتحام الذري البارد» التي أذهلت العالم، واستحوذت على اهتمام إعلامي مثل عاصفة الصحراء، فلما أكبّ العلماء في مختبراتهم على محاولة إعادة التجربة المزعومة وجدوا أنهم يحاولون الإمساك بالسراب. وهذه كلها أمثلة حديثة ومشهورة جدًا عن التزوير العلمي، إن لم يكن سمع بها كل الناس، فقد عرف بها المشتغلون في القطاع العلمي. ولو شئنا الإطالة لتوسعنا في ذكر أمثلة عن التزوير في أبحاث السرطان والإيدز وغيرها، ولكننا نكتفي بمثالين في مجال الإحصاء، الذي يظن بعضنا أنه مجال الأرقام والحقائق القاطعة، لقد كُتبت عدة كتب في كيفية التلاعب بالأرقام والرسوم البيانية، منها علي سبيل المثال :

١- كيف تكذب باستعمال الإحصاء، مؤلفه : د. هاف، عام ١٩٧٣م.

٢- كيف تستعمل (وتسيء استعمال) الإحصاء، مؤلفه: ج. كمبل، عام ١٩٧٨م.

وهناك أمثلة كثيرة استفاد فيها العلماء المزيفون من التطور الهائل للحاسوب، فراحوا يُسَخِّرونه لتزييف الأبحاث العلمية، نذكر في هذا المجال برنامجًا اسمه (أونجراف)، تدخل فيه الرسم البياني بواسطة الماسحة الضوئية، فيخرج لك القيم والأرقام التي يمثلها هذا الرسم، وفي إمكان أي إنسان أن يستعمل برنامجًا كهذا لسرقة نتائج تجارب الآخرين مثلاً ، وكلنا نسمع ونقرأ عن سرقات أدبية وانتحال للشعر، فلا يعتقد أحد أن مجال العلوم الطبيعية بمأمن من ذلك.

ومن منّا لا يعرف البرنامج المشهور «إكسل» لجداول المعلومات؟ حيث يمكن لأحد العلماء المزيفين أن يستغل هذا البرنامج الجبار في تزييف العلم، فيكتب النتائج التي حصل عليها في تجاربه، ويرسم الخطوط البيانية التي تمثلها، فإذا لم يظهر بالشكل الذي يريده، فإنه بلمسة زر واحدة يمكنه أن يضع مؤشر الفأرة على رأس العمود البياني ويزيد أو ينقص من طوله - حسب ما يشتهي - بينما الأرقام في الجدول تتغير تلقائيًا. ويمكن أن يحدث هذا في أي مختبر أبحاث، في أي بلد في العالم.

وقد أفردت محطة التلفاز البريطانية (بي بي سي) حلقة من برنامج آفاق (هورايزن) في شهر يناير/ كانون الثاني ١٩٩٧م خصوصًا لقضية الغش في البحث العلمي، وقال غراهام جاكسون رئيس تحرير المجلة البريطانية الطبية للتطبيب السريري متحدثًا حول الغش العلمي: إن هذا

الانحراف يحدث بسبب الضغوط الكبيرة من أجل إنتاج المزيد من البحوث، وشح الأموال المقدمة، والمنافسة على الشهرة، ونشر النتائج المطلوبة بأسرع وقت ممكن، وهناك ربع مليون بحث مقدم في كل عام، فلا يمكن التحقق منها كلها قبل النشر، كما أن المجلة العلمية قد تتعرض للمساءلة القانونية لو شككت في صحة بعض الدراسات من دون مستندات وإثباتات.

ونتيجة لانتشار حوادث التزوير العلمي فقد ظهرت في بريطانيا مجموعات من العلماء أطلق عليهم اسم مطلقي صفارات الإنذارwhistle blowers، ولأن مطلقي الصفارات لا يرضون بالفساد فهم يجتمعون في السر كأنهم مجرمون، وقد أكدوا للبرنامج الوثائقي أن العلماء الذين يتمتعون بالأمانة كثيرًا ما يخسرون أعمالهم.

وظهر في البرنامج أحد العلماء من وراء ستار، وقال: إنه خائف من رئيسه في العمل، حيث إنه أجرى تجربة دواء على بعض مرضى الأعصاب، وكان قد اختار بطريقة عشوائية من يُعطى الدواء الحقيقي، ومن يُعطى دواء وهميًا لمقابلة النتائج، وكتب ذلك في ورقة أخفاها، حتى لا يعرف العلماء والأطباء حقيقة الدواء المعطى لكل مريض، وتجري متابعة حالتهم بكل نزاهة، لكن رئيسه أخذ الأوراق التي فيها الأسماء، واختار المرضى ذوي الحالات المرضية الخفيفة، فحدد لهم تعاطي الدواء الحقيقي، أما الآخرون فحدد لهم الدواء الوهمي، ثم كتب التقرير بأن نسبة الشفاء عالية جدًا، وأضاف هذا العالم أن التجربة لن تعاد بسبب نقص الأموال المخصصة للبحوث الطبية.

وتعرض البرنامج لما يحدث في الولايات المتحدة، حيث خصصت ٧٦ مليار دولار للبحث العلمي سنويًا، ولكن مكتب نزاهة البحث العلمي اكتشف ٢٠٠ حالة من الغش والتزوير العلمي في عامي ١٩٩٥م و١٩٩٦م فقط. كما أن هناك لجنة مكافحة الفساد في الكونغرس الأمريكي التي يرأسها السناتور جون دنغل، وقد أجرت محاكمات علنية لعلماء زَوَّروا نتائج أبحاثهم، ولكن تواجهها مشكلات كثيرة؛ فإن هناك علماء كبارًا، يعرفون أن النتائج مختلفة، فيُطلب منهم أن يشهدوا فيرفضون لئلا يصبح العلماء الآخرون ضدهم.

وفي الدنمارك، اكتُشفت ٢١ حالة من الغش في عامي ١٩٩٥-١٩٩٦م، ومن أشهر الحالات التي لا تزال تحوم حولها علامات استفهام: تجربة تطعيم الحصبة على الأطفال الأفارقة من قبل الدكتور بيتر آبي، عضو منظمة الصحة العالمية، وقد نتج من التجربة وفاة العديد من الأطفال، ولكن تمت تبرئته.

وذكر البروفيسور مايكل بوم مدير معهد أبحاث السرطان في بريطانيا أنه اكتشف حالة غش في معهده قبل سنوات، ثم أكد أن العديدين ممن هم مثله لا يتحدثون عن ذلك علانية خوفًا على سمعة مؤسساتهم ومكانتها العلمية، وخوفًا من انقطاع المنح والهبات لها إذا فقدت مصداقيتها. واختتم البرنامج الموضوع بضرورة عمل شيء ما في بريطانيا، حيث إن هناك ٧ مليارات جنيه استرليني للأبحاث العلمية والطبية.. وهي طعم يسيل له لعاب الكثيرين.

وبين الأخطاء العلمية والغش هناك آلة تجارية ضخمة تنتج كميات هائلة من البحوث والدراسات لأغراض مختلفة، وفي عدد يونيو/ حزيران ١٩٩٧م من مجلة تقارير المستهلكين CONSUMER REPORTS الأمريكية، وردت مقالة عن الدراسات الطبية ومدى مصداقيتها، فقالت المقالة: إن على الفرد منا إذا سمع بنتائج باهرة في الميدان الطبي أن يسأل أولاً: ما الجهة الممولة لهذه الدراسة والمستفيدة منها؟ وأن يسأل ثانيًا: كيف أجريت الدراسة؟ هل أجريت على البشر وعلى الجنسين؟ أم اقتصرت على جنس واحد؟ أم إنها أجريت على حيوانات المختبر؟ أم أجريت في أنابيب الاختبار؟ ثم يسأل عن نوع الدراسة؟ فالدراسات الاستقصائية المستقبلية تختلف عن الدراسات التاريخية الرجعية، وأخيرًا يستفسر عن حجم الدراسة وشمولها ومدتها. ومن دون ذلك علينا ألا نعطي لأخبار الإنجازات العلمية أهمية لا تستحقها.

بقي سؤال واحد قد يتردد في ذهن القارئ: إذا كان صحيحًا أن الأجهزة العلمية لها محدوديتها، وأنه يمكن خداعها، وإذا كان هناك تزوير في بعض القضايا العلمية، فهل المقصود أن الغرب الذي أنتج كل هذه التقنية الجبارة المعاصرة ليس فيه واحد عاقل يحس بهذا؟ وهل كلهم متواطئون على التزوير العلمي، والتستر على الأخطاء العلمية؟ طبعا لا. إن من المؤكد أن في الغرب كثيرًا من العلماء الشرفاء. أما كيف يمكن أن تفوتهم أمور في غاية الأهمية، أو كيف يسكتون على خطأ، فالجواب السهل (والصعب أيضا): أنهم ربما لا يعلمون أنهم على خطأ!!

إننا لكي نفهم هذا الأمر لابد أن نلقي الضوء على نقطة مهمة تتلخص في طبيعة النظرة المادية الكمية عند الغربيين. أي إن الغربيين - بشكل عام - يفكرون بطريقة خاطئة، أو لنقل بأنها نظرة مسطحة ذات بعد واحد، فليس الاتهام هذا موجهًا بالتحديد إلى العلماء الغربيين ومنهجهم العلمي بالذات؛ بل إلى طبيعة التفكير الغربي والنمط المنطقي الغربي بصفة عامة. ولو فكرنا في مثال فقد يتضح المقال:

بعضنا سمع بالمنطق المرن FUZZY LOGIC، ولاسيما إخواننا المتخصصين في الرياضيات أو هندسة النظم، والذي اكتشف هذا المنطق المرن عالم مسلم اسمه لطفي زاده. وقد ذهب هذا العالم إلى الولايات المتحدة مقدما اكتشافه، وبدأ في الكتابة عنه وشرح خواصه منذ بداية الثمانينيات، فلم يتحمس له الكثيرون، وظل محصورًا في إطار الدراسات النظرية. وفي الواقع فإن الغربيين في طريقة تفكيرهم الاستقرائية للأمور كانوا متمسكين بالمنطق الأرسطوطاليسي، وهو المنطق الذي بنيت عليه كل الآلات الإلكترونية المعروفة مثل الحاسوب الشخصي المتداول، وهذا المنطق المحدد كان كافيًا في نظرهم، ولم يكونوا يظنون أنفسهم محتاجين إلى منطق جديد من ذلك الرجل الشرقي.

لكن اليابانيين علموا باكتشافه وتلقفوه بكل لهفة، وطوروا منه

معادلات رياضية جديدة تمامًا، أنتجوا على أساسها آلات إلكترونية تختلف عما هو مألوف، منها غسالة ملابس تضع فيها الملابس وهي تعرف مقدار الماء والصابون اللازمين، وتضيفهما بالمقدار الصحيح، ومنها فرن للموجات الدقيقة (ميكرويف) تضع فيه الطعام، ويعرف الفرن بنفسه مدة الطبخ ومقدار الحرارة اللازمة، وهناك كاميرات الفيديو التي تلغي بنفسها أية حركة اهتزازية غير مرغوب فيها في الصورة، وثلاجات تعرف نوع الطعام وتعدل درجة حرارتها حسب الطقس، وغير ذلك. وبعض هذه الآلات وصل إلى أسواقنا فعلاً.

وأدرك الغربيون - مؤخرًا - الخطأ الفادح الذي وقعوا فيه، فظهرت في الغرب عدة كتب ومقالات تشرح هذا المنطق المرن، وتشيد بفوائده، وراح الغرب يحاول الاستفادة منه كما استفاد منه «الشرقيون». وهذه أمثلة من مقالات منشورة لإثبات ما ذكر أعلاه:

- نشرت مجلة COMPUTER الأمريكية في الصفحة ٦١ من عدد ١٩٨٣/١٠/٥م مقالاً كتبه لطفي زاده عنوانه: عرض المعارف البديهية اعتمادًا على المنطق غير المحدد.

- نشرت مجلة IEEE SPECTRUM الأمريكية للمهندسين الكهربائيين والإلكترونيين في الصفحة ٢٨ من عدد مارس ١٩٩١م مقالاً عنوانه: المنطق المرن يلقي اهتمامًا جنونيًا في اليابان.

- نشرت مجلة التصميمات الإلكترونية ELECTRONIC DESIGN الأمريكية في الصفحة ٣٧ من عدد ١٩٩٢/٦/٢٥م مقالاً عنوانه: أخيرًا، المنطق المرن يلقى قبولاً في الولايات المتحدة.

- نشرت مجلة تصميم الآلات MACHINE DESIGN الأمريكية في الصفحة ١٦ من عدد ١٩٩٢/٩/١٠م مقالاً عنوانه: اليابان تبدأ المرحلة الثانية من المنطق المرن.

ويتضح من هذه الأمثلة أن لطفي زاده كان يكتب عن المنطق المرن في الولايات المتحدة منذ أوائل الثمانينيات، لكن الأمريكيين تأخروا في فهم هذا المنطق واستيعابه حتى وقت متأخر حيث كانت اليابان تستعد لبدء المرحلة الثانية من تطويره.

وهذا يثبت لنا أن العقلية الغربية فيها بعض القصور المنطقي والاستقرائي، وأن الغربيين ينظرون إلى الأمور ويقيسونها بمقياس قاصر، ذي بعد واحد، وعليه فإن لنا الحق في ألا نعتمد اعتمادًا كليا على استنتاجاتهم حتى لو كانت النزاهة مضمونة فيها. حيث إن النظرة الغربية محكومة بعوامل ثقافية وفلسفية وحضارية معينة. وهذه النظرة لها إيجابياتها، ولها سلبياتها أيضا، ولكنها - كما رأينا - ليست معصومة من الخطأ.

وهنا سأترك شاهدًا من أهلها يدلي بشهادته. ففي عام ١٩٩٣م كتبت كلير كروفورد ميسون المراسلة في شبكة إن بي سي الأمريكية كتابًا عنوانه: التفكير في النوعية. وهي تنتقد طريقة التفكير الأمريكية، وطريقة التخطيط وإدارة الأعمال والإنتاج، وقالت المؤلفة: إن اليابانيين عملوا على تحسين وضعهم الاقتصادي وموقعهم السياسي بسبب عالم أمريكي في الإحصاء هو الدكتور إدوارد ديمنج، هذا الرجل لم يجد من يصغي إليه في أمريكا، فرحل إلى اليابان في سنة ١٩٥٠م، وعلمهم أحسن ما كان يتقن وهو التخطيط والاهتمام بنوعية العمل.

ثم انتقدت المؤلفة بشدة صفات المجتمع الأمريكي، وقالت: إننا صرنا نستعجل في أداء عملنا، ثم نقضي بقية الوقت في تسويغ الأخطاء ورمي تبعتها على الآخرين. وأضافت ما نصه: إننا ورثنا مفهوم كبش الفداء SCAPEGOAT من بني إسرائيل، حيث إنهم كانوا يطلقون عنزًا في الصحراء، وهم يعتقدون أن خطاياهم تختفي في الصحراء مع تلك العنز. وإن العالم يزداد تعقيدًا اليوم، ولم يعد بالإمكان الاستمرار في عمل هذا. ثم قالت: إن المجتمع الأمريكي مهتم بكمية الإنتاج الاستهلاكي بغض النظر عن نوعيته. ودعت بعد ذلك إلى ما سمته بإعادة اختراع الإدارة العامة.

وهذه المؤلفة ليست الوحيدة التي تقرع نواقيس الخطر، وتنبه على وجوب تغيير النظرة السطحية للأمور والاهتمام بالكم على حساب الكيف، فهناك مثلا: الخبيرة الاقتصادية الأمريكية هيزيل هندرسون التي كتبت كتابًا عنوانه: الحياة فيما وراء الاقتصاد. وهي تقول بأن النظرة الغربية للاقتصاد والتخطيط عموما هي نظرة خاطئة جدا. وضربت مثلاً بالمحاسبين القانونيين الذين يعلنون للناس أن الناتج القومي وصل إلى مبلغ كذا وكذا من المليارات، ولكنهم لا يطرحون منه الخسائر الفادحة في الموارد الطبيعية كالغابات والأسماك والمياه الجوفية. وقالت بأن تلك الموارد الطبيعية لابد أن تُحسب ضمن المدفوعات، وعندئذ فقط يمكن الحكم على أي مشروع بأنه رابح أو خاسر. وقد بدأ بعض الغربيين يتنبهون - مؤخرًا - إلى أن النمط الفكري الاستهلاكي والتسطيحي للحياة واختزال مقياس نجاح الأمة عبر رقم واحد هو الناتج القومي هو تبسيط مخل جدا.

أما علاقة هذا كله بالاستقراء العلمي الغربي (وهو موضوعنا الأساس) فقد قلنا بأن الطبيعة العامة للفكر الغربي والعقلية الغربية تميل إلى الاستعجال في الحكم على الأمور (ومنها الحقائق العلمية)، والاكتفاء ببعد واحد وإهمال أية اعتبارات أخرى؛ مما لابد أن يؤدي إلى استنتاجات خاطئة. ولو بحثنا عن مثال محدد يبين علاقة هذه النمطية الفكرية والمنطقية بالبحث العلمي فإن أفضل مثال على هذا هو الضغط الذي يتعرض له كثير من الأكاديميين لنشر أبحاث علمية في المجلات العلمية المتخصصة، واعتماد ترقياتهم عليها، ولهذا ظهرت قضايا وفضائح مثل قضية الالتحام الذري البارد. وهذا وحده يكفي ليجذب انتباهنا إلى وجوب الحذر في تلقي أنباء «المعجزات» والخوارق العلمية المعاصرة.

ختامًا: لابد من التنبيه على نقطة مهمة، فلم تكن السطور السابقة في هذا المقال دعوة لإسقاط العلوم والتقنية والإنجازات الحديثة من حساباتنا، لكنها دعوة لأن نرى وجهها الآخر؛ ومن ثم نضعها في مكانها الصحيح على سلم الأولويات.

الأممية.. وهذا المخاض!!

يوسف فجر رسلان

هذا الحديث موجه، بالمقام الأول، إلى أصدقائنا عشاق الماركسية، من كانوا، ومن لايزالون، مُتيَّمين بالشيوعية، التي هي ـ آخر الأمر ـ الأممية!

فإذا عددت معهم الأنماط الاجتماعية التي تطورت إليها البشرية وهي: المشاعية ـ العبودية ـ الإقطاعية ـ البورجوازية ـ الرأسمالية ـ الاشتراكية، وصلت في آخر المطاف إلى الأممية أو الشيوعية.

هو في الحقيقة حديث موجه إلى مصدوعين يَدلُكون أصداغهم ويَفرُكونها، علَّهم يفيقون من كابوس رهيب خاطف، ميدانه سبعون سنة ضوئية لا ضوء فيها، سبعون سنة مما لا تعدون. ومعاذ الله أن أريد به تشفيًا أو شماتة.

أسألهم أولاً: هل ما حل في بلدان المعسكر الاشتراكي كان قفزة نوعية وحرقًا للمراحل أم لا؟ وأسألهم ثانيًا: أرأيتم كيف أن قفزات نوعية أخرى غير محسوبة تأتيكم من حيث لا تحتسبون؟

فلماذا؟ لأنكم بعدتم في تنظيركم عن فطرة الخلق.. بعدتم عن الله.

لقد نظَّرتم في القفزات النوعية وحرق المراحل، فكان من قفزاتكم النوعية تجاوز الدين السماوي إلى (دين مادي) حتى إنكم درَّستم الإلحاد في مدارسكم تدريسًا. وكان من حرق المراحل عندكم تجاوز مفهوم الأمة بكل ما يميزها من خصائص روحية وأخلاقية واجتماعية وظروف ذاتية وموضوعية، إلى مجتمع بشري عالمي واحد، تُلغى فيه الحدود والتخوم والفواصل والحكومات والدول.. أي إلى الأممية.

وكنا نسأل غير المسلمين منكم: هل أمميتكم هذه نظرية واقعية معقولة، أم إنها وَهْمٌ وطوباوية جوفاء؟

أما المسلمون منكم فكنا ندفع بدعتهم الأممية بكتاب الله العزيز، فنردهم إلى آيات محكمات لا متشابهات، لكن الواحد منكم (من هؤلاء المسلمين بالتصريح وحسب) ما كان ليأخذ من دينه إلا ما يتفق مع (دين) ماركس وإنجلز ولينين، أو مع (لا دينهم):

صديقي القارئ، إليك من كتاب الله العظيم ما يدفع ضلالة الأممية:

١ـ *وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً..* **هود**:١١٨.

٢ـ *وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ..* **النحل**:٩٣.

٣ـ *وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ..* **الشورى**:٨.

فهل لمسلم من رأي وحكم بعد حكم الله عز وجل بأن يجعل البشر «شعوبًا وقبائل»؟ من هنا حكمت على الأممية بأنها نظرية ملحدة.

وأكثر ما كانت تدور هذه المناقشات بيننا نحن الطلبة الجامعيين. والطالب الرجل في مثل هذه السن والمرحلة يُعدُّ نفسه ليكون من الطليعة المثقفة الجادة الساعية إلى حضور مؤثر في الحياة الاجتماعية، ولمثل هذا الجيل تكثر المغْريات والمنزلقات، وتُوجَّه جهود العاملين في محافل الغزو الثقافي بعامة والغزو الديني بخاصة. وفي مثل هذه الحال تكون أمام النمطين الأشهرين من الشباب: النمط الفاعل والنمط المنفعل، أما الحيادي، تجاه دينه وتراثه خاصة، فلا يكون إلا صفرًا اجتماعيًا أجوف.. وكثيرٌ ما هم.

والواقع أني ما وجدت أصدقاءنا الماركسيين من العرب والمسلمين إلا ظلالاً لرجال آخرين.. ما وجدتهم غير انفعاليين، لا يميزون في موضوعة الأممية بين الوهم والحقيقة، وبين الحق والباطل.

كانت المناجزة بيننا وبينهم لا تنقطع، وما من مثقف عاش تلك المرحلة إلا ويشكر لها تحريضَ الأذهان والأفئدة: الأذهان، لتتفتحها على مختلف الثقافات الغربية، بله التراث، مما كانت تقتضيه المناجزة اليومية حتى داخل القاعات والمدرجات الجامعية. والأفئدة، لثباتها على العقيدة الصافية، لأنها صافية أولاً، ولمَا كنا نكتشفه في الفلسفات الأوربية من سفاسف وهرطقات ثانيًا. وإليكم واحدة من تلك الفلسفات المسفَّة. أختارها لأنها أممية من نوع آخر:

من هرطقات الغرب: ديانة الإنسانية!!

كنا منذ ذلك الزمان المبكر من شباب العمر والثقافة نقول لأصدقائنا: إن شطحات ماركس الأممية مسبوقة بشطحات مماثلة من الانحرافات المعتقدية والأوهام العصابية، وكنا نختار لهم مثالاً الفيلسوف

وعالم الاجتماع الفرنسي الشهير أوغست كونت (وضع كونت ديانته بعد جنون واكتئاب). وها أنا ذا أقدمه إليك من ثلاثة مصادر: مصدر عربي مسلم، ومصدر عربي نصراني، ومصدر أمريكي. وكنا نتعمد هذا التنويع لتكون الحجة قاطعة على فساد نظريته بالمحتوى.. وبالمنشأ:

اتخذ ذلك الفيلسوف لمذهبه عنوانًا بارزًا هو «ديانة الإنسانية» كي تكون أمميته ملفّعة بغطاء ديني مبتكر، وسماه أيضا «الدين الواقعي»، وكذلك «الدين الوضعي» وهو بمضمونه «دين جديد خارق يحل محل جميع الأديان» دين عالمي أممي:

«وفي هذا الدين يستبدل الإنسانية بالله»(١).

«لأن الفرد لا يستمد أسباب الحياة المادية والعقلية والخلقية إلا من الإنسانية»(٢). وهذا يعني شطب جميع الكتب السماوية والأخذ بما وضعه كونت.

«وديانة الإنسانية هي عبادة الإنسانية باعتبارها الموجود الأعظم»(٣).

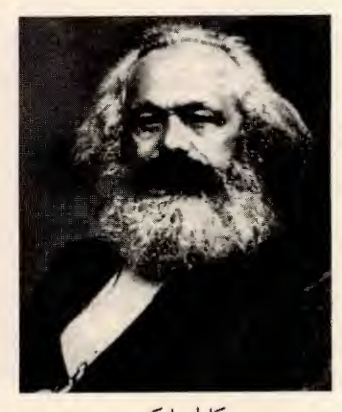
«ولم يَفُتْه أن يضع الطقوس والشعائر لديانة الإنسانية وأن ينصِّب نفسه الراهب الأعظم لها، لكنه يعهد بتربية الأتباع على تلك العبادة إلى هيئة (إكليريكية) أعضاؤها فلاسفةٌ شعراء أطباء معا»(٤).

وقد حدد لمعبوده الأعظم، الموجود الأعظم: الإنسانية، أربعة أبعاد هي: الفلاسفة، وهم دماغ الإنسانية، والنساء، وهن أعضاء العاطفة، ورجال الصناعة والمال، وهم أعضاء التغذية، وأخيرًا العمال، وهم أعضاء الحركة. بهذه الأبعاد يستكمل معبوده الأعظم: الإنسانية.

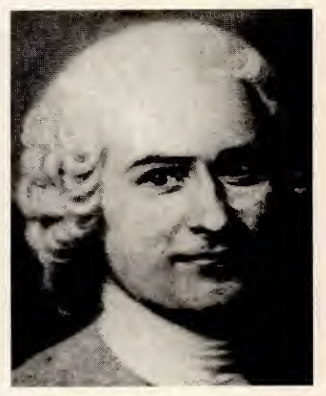
«تلك هي ديانة الإنسانية مسخ بها كونت الديانة المسيحية ونصب نفسه كاهنها الأكبر»(٥). وتستطيع أن تحكم على «حصافة» الفكر الأوربي إذا علمت أن هذه الديانة الأممية لقيت رواجًا في فرنسا وإنجلترا والسويد والأمريكيتين وصار لها أشياع يتبعون كاهنًا في كل بلد ويقيمون لها المعابد.

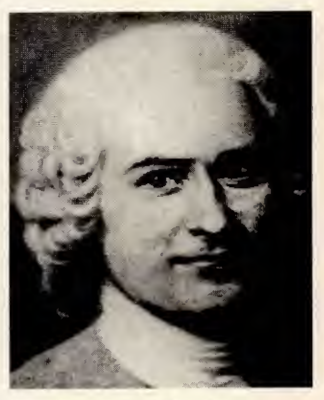
ويمكنك أن تحكم على «حصافة» فكر صاحبها وفطرته «السليمة» إذا عرفت منشأها. وهو منشأ طريف لا يُعفي المسلم من ابتسامة عريضة، ولعله لا يعفي منها أي عاقل:

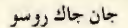
«في عام ١٨٢٥م تزوج من خليلته كارولين، وبعد عام فقط فرّت مع عشيقها السابق، فأصيب بأزمة جنون حادة. وحاول الانتحار غرقًا (في السين) ولم يعد إليه الهدوء إلا بعودة زوجته إليه»(٦) (بعد أن بقيت مع عشيقها ثلاث سنوات تقريبًا). ثم صُدم ثانية بانفصالها عنه نهائيًا. هذا هو صاحب الديانة الأممية، وهذه هي رجولته. في هذه المرحلة من حياته - ويسميها الدارسون بالمرحلة الواقعية - لم تكن ديانته قد نضجت تمامًا في عقله وفؤاده، كانت تختمر على يدي كارولين.



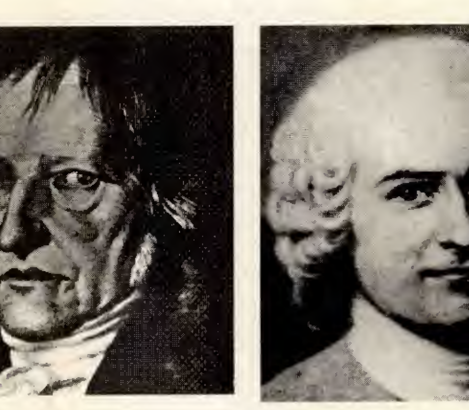
كارل ماركس







جان جاك روسو



هيجل

أما نضجها فكان في المرحلة الصوفية الأخيرة من حياته على يدي السيدة كلوتيد التي صاحبها سنتين بلا زواج ثم ماتت بين يديه، فاستمد من هيامه بها ديانة الإنسانية: «كانت كلوتيد منبِّهًا عنيفًا أعاد إليه نشاطه، فأحبها حبًا جمًا، ولما توفيت.. ازداد بها غرامًا فاتخذها رمز البشرية، ثم اتخذ المرأة (عموما) رمز البشرية.. الكائن الأعظم المعبود في ديانته»(٧).

أرأيت كيف أكملت له المرأة دينه، وأتمّت عليه نعمتها، ورضيت له السفاهة دينًا؟ أستغفر الله العظيم؛ فما أردت غير أن أوازن بين صدور يعمرها الإسلام، وصدور جاهزة للعكر والكدر. أرأيتم كيف تنشأ الأمميات، حتى الدينية، عندما يُؤلِّف الكُتّاب - والعياذ بالله - نيابة عن الله وأنبيائه؟

ولكن الأستاذ يوسف كرم (ت:١٩٥٩م) يقلب الرواية الأولى من ترجمة الفيلسوف إذ يقول: «انتابه أزمة عقلية ترجع إلى مزاجه العصبي وإرهاق العمل وشواغل الحياة، فعنيت به زوجته حتى أعادته إلى اتزانه»(٨).

لقد أغفل عهر الزوجة معللاً جنون الفيلسوف بأسباب مغايرة، بل هو يصور الزوجة المتهتكة شريكة حياة صالحة تُعنى بزوجها المريض، ونحن لا يعنينا من هذه الرواية سوى أنها كانت الأساس الذي بنيت عليه أممية كونت الدينية. كما يشغلنا أن يقلب الرواية مفكر عربي بارز نتوخى منه الدقة والأمانة.

لقد خفف المصدر المذكور في هذه، أما في ما يتعلق بمروق الفيلسوف من النصرانية فقد أورده واضحا حيث قال: «بدأت المرحلة الصوفية من حياة كونت بأزمة عصبية ثانية (أغفل انفصال زوجته عنه) كان من أسبابها هيامه بسيدة تعرف إليها، وتوفيت بعد سنتين فاتخذها مثال الإنسانية، وكان يتوجه إليها بالفكر والصلاة كل يوم»(٩).

ويؤرخ ول ديورانت الرواية ذاتها عن ديانة كونت الأممية، فيؤكد ويضيف شارحًا: «إن العالم لا يمكن خلاصه وانتشاله إلا بدين جديد يغذي قلوب الناس بمحبة الغير الواهنة، ويقويها بتمجيد الإنسانية واتخاذها دينًا جديدًا، وموضوعًا للعبادة، وقد أمضى كونت كهولته في ابتكار نظام معقد من القساوسة والطقوس الدينية، والصلوات لهذا الدين الجديد، دين الإنسانية»(١٠).

قَدَّمتُ أممية كونت الدينية من ثلاثة مصادر متنوعة، ولا بأس بأن نلخصها من مصدر رابع: «إن الدين أكبر عامل في تطور البشرية، فهو رابطة الناس الدائمة.. وإذا أردنا أن نصرف الأزمات والاضطراب والفوضى عن الإنسانية وجب علينا أن نهيئ لها دينًا جديدًا، فالأديان القديمة قد مضى عهدها.. ويجب اطّراحها جميعًا، واستبدالُ دين جديد بها، مقبول لدى الجميع، هو دين الإنسانية.. فالكاثوليكية تدعو إلى الاعتقاد بأن لكل إنسان ملكًا حافظًا، وهذا باطل. أما الواقع فإن لنا ملائكة حَفَظَة كُثُرًا.. هن هؤلاء النساء اللائي يحففن بنا (الأمهات والزوجات والبنات والأخوات والخادمات) فلنعتد جميعًا أن نبتهل ثلاث مرات في اليوم إلى هؤلاء الملائكة القاطنات معنا»(١١).

بقي أن نذكر أن كونت سرق شرف ابتكار علم الاجتماع الوضعي من عالمنا الفذ ابن خلدون، كما سرق غيره كثيرًا من ابتكارات علمائنا وأطبائنا وإبداعاتهم، وراحوا ينسبونها لأنفسهم. ولم أجد مفكرًا عربيًا واحدًا يغالط في هذه الحقيقة غير الأستاذ يوسف كرم، إذ يقول: «هذا العلم - علم الاجتماع - من إبداع أوجست كونت».

ونحن لا نستبعد أن يكون ماركس قد استقى أفكاره الأممية من ديانة كونت، ثم ألبسها ثوبًا ماديًا: فإذا وازنت

بين زمان المرحلة الصوفية من حياة كونت المنتهية بوفاته سنة ١٨٥٧م، وهي التي وضع فيها ديانته الإنسانية، وزمان صياغة بيان الحزب الشيوعي الأول (المانيفست) وصلت إلى هذا الترجيح: فاللقاء الأول بين ماركس وإنجلز (الذي لم يفترقا بعده إلا بوفاة ماركس) كان عام ١٨٤٨م، وإذاعة البيان المذكور - وهو دستور الشيوعيين في العالم كله - كانت عام ١٨٦١م، وهي المرحلة ذاتها التي كانت فيها ديانة كونت الأممية منتشرة في أوربا وأمريكا.

تذكَّرْ أن هذه الديانة اختمرت على يدي «كارولين» ونضجت على يدي «كلوتيد» ثم اغتذى منها الفكر الأوربي والأمريكي «الحصيف». أجل، ومازالوا يفخرون بعالمهم الفذ. وأنا لا أغمط حق الرجل في عطاءات علمية جيدة، لكنها لا تتعلق بالموضوع الذي أتناوله، أخذت أمميته الدينية وحسب، لأكمل بها الحديث عن أممية ماركس، وقد توسعت في إيضاحها لأنها - في الأغلب - أخفى من أممية ماركس التي شهرتها السياسة. وفي الفلسفة الأوربية كثير من هذه الهرطقات.. كثير من ظلال الأممية الفارغة والمخالفة لإرادة الله عز وجل في خلق البشر أممًا لا أمة واحدة: مثال ذلك الفيلسوف الذائع الصيت جان جاك روسو الذي دعا إلى «ديانة مدنية طبيعية» تحل محل الديانات السماوية.. ديانة عامة على نمط «البلازما الكونية»(١٢). مرة ثانية أقول: أرأيتم كيف تنشأ الأمميات البعيدة عن إرادة الله عز وجل في أمم يؤلف لها كُتَّابها نيابة عن الله وأنبيائه؟ أستغفر الله رب العالمين. فلنعد إلى أصدقائنا عشاق الماركسية، وإلى ما كان يدور بيننا وبينهم من حوار حول أمميتهم:

كنا نقول لهم: إن الأممية وهْمٌ طوباوي أجوف، لأنها مخالفة لفطرة الخلق، والله تعالى يقول: *وَجَعَلْنَاكم شُعوبًا وقبائل لِتَعَارَفُوا*. **الحجرات**:١٣. وكم في هذا التعارف من حكمة وبلاغة وإيجاز معجز، لو أدركه العقلاء؛ كم فيه من حض على التعامل الإنساني بين الشعوب. فليس التعارف هنا أن أقدم إليك نفسي، وتقدم إلي نفسك، وإن كان هذا داخلاً في مضمونه، إنه التعاون والتعايش والسلام وتبادل المنافع والعلوم والمعارف بين الشعوب تأسيسًا على جميع القيم والمعاني الأخلاقية الكريمة النبيلة، وبذلك تكون المجتمعات صالحة، ويكون العبد صالحًا عند خالقه ورازقه. وحتى لا أتهم بقول نصف الرأي وترك نصفه الآخر أقدم إليكم عصارة الأممية الماركسية التي أرادوا أن يدوِّخوا بها الدنيا، فما داخ غيرهم، أقدمها معصورة بحيث لا تستطيع أية زند شيوعية أن تضيف إليها، أو تَمْتَح منها، قطرة أخرى:

إنها تعني الانتقال بجميع الأمم والشعوب إلى حال من الضبابية والتعويم والهُلام والسديم، بحيث تزول جميع الحدود والتخوم والفواصل والفروق. تُلغى الحكومات والدول، لتتحول المجتمعات الإنسانية كلها إلى مجتمع واحد، والأمم كلها إلى أمة واحدة: أممية واحدة، وبذلك وحده يتحول المجتمع الإنساني كله من مجتمعات طبقية متحاربة متصارعة إلى مجتمع واحد لا طبقات فيه ولا استغلال، ومن أمم متحاربة متنازعة إلى أمة واحدة: أممية واحدة، ليس فيها غير السلام. إنها - كما قال هيجل في أمر آخر -: «كالليل الذي تبدو فيه كل البقرات سوداء». وقديمًا قال أفلاطون بما يشبه هذه الرعوية، لكنه أبقاها محصورة بمجتمع أثينا، قال بالشيوعية في كل شيء، وبأن يطعم الناس على موائد عامة جَفْلَى، لكنه تراجع عن رأيه في أخريات أيامه.

نعم، كنا نقول ذلك للأمميين من أبناء جلدتنا، ونبين لهم ضبابية نظريتهم وعدم واقعيتها، لكنهم ظلوا ثابتين عليها، حتى انهار أساسها - الاشتراكية - فانهارت معه أحلامهم وأوهامهم الأممية.

كان الحوار معهم يصل إلى المشاحنة أحيانًا، فنتبادل التهم حسبما يقوِّم كل منا الآخر من حيث خلفيته الثقافية وانتماؤه الفكري.

ومن أبرز التهم التي كانوا يوجهونها إلينا: تهمة البورجوازية، إذ كانوا ينظرون إلى أي طرح يخالف أمميتهم على أنه طرح بورجوازي، يلتقي مع الاستعمار والإمبريالية، حتى لو كان صاحبه عاملاً كادحًا، أو طالبًا يستهلك نصف جهد أسرته، أو فلاحًا يمسك المحراث بيد والكتاب باليد الأخرى، أو مثقفًا يقتطع من لقمة عيشه ثمن الكتاب. أجل، لم يكن المنبت الكادح ليعفينا من هذه التهمة على إعجابهم بهذا المنبت.

أما التهم الفكرية فتترجم كلها إلى الرجعية، فكل من خالف نظريتهم (الثورية العتيدة) كان في عرفهم سلفيًا رجعيًا، ومن الطبيعي بعد ذلك أن يكونوا وحدهم تقدميين ثوريين. أما نحن - البورجوازيين الرجعيين - فكنا نرد عليهم بتهمتي (الذيلية) في مقابل البورجوازية، والإلحاد في مقابل الرجعية، الأولى لأن آراءهم من صنع غيرهم، والثانية لأن أمميتهم مؤسسة على الإلحاد تنظيراً وتطبيقًا.

كانت مرحلة مهمة حرضت الأذهان والأفئدة، وخصَّبت الفكر والوجدان، حيث اغتذى كل مثقف من المائدة الفكرية والروحية التي تناسب طبعه وملكاته.

كانوا يقرؤون كثيراً، وكنا نقرأ أكثر: يقرؤون «منتجات» ماركس ورفاقه، أما نحن فنقرأ هذه، ثم نعود إلى مائدتنا الفكرية والروحية: كتاب الله العزيز فلا نرى أمميتهم، وكثيرا من شعاراتهم، إلا غُثاءً أحْوَى.

من ذلك أنهم كانوا يعدُّون الدعوة إلى قومية عربية، أو أمة إسلامية، دعوةً عرقية شوفينية، فهم لم يفرقوا بين أية قومية وبين الفاشية والنازية، وما كان يجدي معهم تذكيرهم بالخصال والشمائل الإنسانية العربية، وبأن الإسلام رسَّخ مكارم الأخلاق العربية، وأنه هو الدين الذي ينبذ التعصب والعرقية، وأنه هو دين الإنسانية الذي لا فضل فيه لعربي على أعجمي إلا بالتقوى. وكنا نذكرهم بأن التزُّمت على نظريتهم هو بحدِّ ذاته صنف مقيت من العرقية وغير العلمية، ومن قبيل الرأي المعلل كنا نقول لهم: إنه لابد من أن يطور معلوموهم في نظريتهم تبعًا لصيرورة الأحوال وسيرورة الحياة، وإلا تحولت إلى قوالب ثابتة. ولا أظلمهم لو قلت: إنهم كانوا دائمًا صدى لغيرهم. وما أظن أن أصدقاءنا ينسون تلك المناظرات المشاحنات.

لقد أسسوا الأممية على الاشتراكية، أما وقد انهار الأساس فماذا بقي لهم من أمميتهم؟

الواقع أن انهيار الأنظمة الشيوعية في أكثر المجتمعات رسوخًا وتزمتًا على اتجاهاتها الفكرية (أيديولوجياتها) وتطبيقاتها، وبوتيرة خارقة مذهلة، يحطم كل المعايير في الدراسات الاجتماعية المقارنة. لقد مرت الشعوب بتجارب كثيرة، انتقلت فيها من حال إلى حال، ومن نظام إلى نظام، ومن الطبيعي أن يكون لكل نظام نظريته وفلسفته وسلطته القائمة على حراسته، لكننا لا نعرف في التاريخ الحديث والمعاصر نظامًا رسخ تربية أجياله على ما وصف لهم من نظريات وفلسفات وسلوك أكثر، أو مثل، ما فعلته الأنظمة الشيوعية. فلقد أرادوا أن تحل الماركسية اللينينية، بماديتها وإلحادها، محل جميع الأديان، بما فيها من قيم روحية وأخلاقية متوازنة في الخلفية النفسية العامة للأمم والشعوب المغلوبة المجلوبة المسحوبة من ذقونها ولحاها إلى الرعوية الأممية، تحت شعار «حل المسألة القومية»، وتوهموا أنهم رسخوا القيم المعاصرة المأخوذة من ماركس ورفاقه المنظرين، وهي قيم مادية جرداء، ظن واضعوها أنها الحل الأمثل لجميع مسائل الإنسان ومشكلاته وعلاقاته. توهموا أنهم وضعوا كل شيء لكل شيء، ومن ثم فإن قيمهم المادية صالحة لكل زمان ومكان، وأن تصديرها واجب عليهم، واستيرادها واجب على الشعوب. توهموا أن أمميتهم ستسود العالم، لكنها ما سادت، بل مادت بها وبهم الأرض، لأنها بعيدة عن الله عز وجل.

ومن المؤسف أن يأخذ عرب ومسلمون بنظرية تبعدهم عن الله، وأن يكونوا أتباعًا وألحاقًا لأفكار كتيمة جرداء بعيدة عن القيم والأسس الروحية.

لقد نبه الفيلسوف الفرنسي هنري برغسون على تراجع القيم الروحية الإنسانية المعاصرة، لأن دائرة المادة تتسع على حساب دائرة الروح. وفي محاضرة له ألقاها في «جمعية البحوث الروحية» (لندن ١٩١٣/٥/٢٨م)

الأممية.. وهذا المخاض!!

تجد الكثير من العبارات الدالة على اليقظة المبكرة عند كثير من الفلاسفة والمفكرين الغربيين وعلى أهمية عودة الإنسان إلى القيم الروحية بعد أن أوغل في عالم المادة. فمن عباراته: «البحث الروحي» وقد توّج بها عنوان المحاضرة وكررها في أثنائها. ومنها أيضًا «الظاهرة الروحية» و«علم النشاط الروحي»؛ بل توّج الكتاب الذي آخذ منه هذه الشواهد بعنوان: «الطاقة الروحية».

دقق في سؤاله وحُكْمه التاليين ثم استنتج: «فما مردُّ سوء الظن الذي لقيته العلوم الروحية وما تزال تلقاه من كثير من الناس؟ نعم إن الذين يحاربون العلوم الروحية هم أشباه علماء»(١٣).

إن أشباه العلماء في هذا الحكم هم علماء المادة المجردة، ولكن الذين يحاربون «العلوم الروحية»، وما من شك في أنه كان يعني - في مقدمة من يعنيهم - الماديين الماركسيين، لأن نظرياتهم كانت في أوج انتشارها بحيث حققوا (الدولة - الثورة) بعد أربع سنوات من محاضرة برغسون.

لم يلتفت الأمميون، حتى ولا أصدقاؤنا (المسلمون) الأمميـــون إلى كل هذا؛ بل ظلوا على مكابرتهم واستكبارهم إلى أن انهار بنيانهم المادي (عمليًا ثم نظريًا لا محالة) وعاد البنيان الروحي إلى الظهور، أما ما يرافق هذه العودة من وحشية وكوارث فليس مردها القيم الروحية، بل مردها البعد عنها وعن الله تعالى من خلال تربية مادية إلحادية دامت - في بعضها - سبعين عاما. إنها ارتكاسات الكفر والمادة الجرداء.

كنا نسأل الأصدقاء المذكورين: أليس بوسع الإنسان أن يكون مؤمنًا وعالمًا في حقول المادة في آن معا؟ ولكن هيهات، إن في المتابعة لشجونًا.

نحن في القرار من أعماقنا الروحية والنفسية نرى البنيان المادي كلّه بفيزيائه وكيميائه وطبيعياته ومخترعاته وحواسيبه ومركباته لا يساوي سقوط قيمة روحية أخلاقية واحدة، لأننا نؤمن بأنه في هذه يكون الإنسان إنسانًا، وبتلك وحدها لا يكون إلا آلة، ونحن نقدم الإنسان على الآلة حتى لو حولت الصخر تبرًا وألماسًا، ومخلفات البترول لحمًا وشحمًا، تعجبنا الآلة، ويعجبنا الإنسان أكثر.

قد يحسبني من لا يتابعني جيدًا داعيةً إلى التخلف الحضاري المادي؛ بحيث يغتذي أو يطعم المسلم من المائدة الروحية الأخلاقية وحسب، أما المتابع فيعرف أن في هذا ظلما.

إن ما أدعو إليه هو استحواز الحُسْنيين في هذه الحياة الدنيا، أعني القيم الروحية والأخلاقية، والتقدم في جميع مجالات العلوم، وأظنها دعوة كل مسلم.

إن في انهيار الأنظمة الشيوعية على تلك الوتيرة المذهلة لحكمةً وعبرة لمن يعتبر، فبعد أن أوغلت في إلحادها، إلى حد تدريسه ودراسته، كان محتمًا أن يَزْهق الباطل عاجلاً أم آجلاً، والله تعالى يهيئ الأسباب على أيدي رجالها أنفسهم (يهدي من يشاء ويُضلُّ من يشاء) فتعالوا نرصد ما ظهر لنا من تلك الأسباب:

- كان في تلك الأنظمة نمط من التمييز الطبقي يساوي التمييز العنصري، وربما فاقه في عهود بعض الحكام، علمًا أن (أيديولوجيتهم) مؤسسة على محاربة التمييز وإلغائه.
- كان فيها شرائح تتورم على حساب الشعب؛ بينما كان محروما.
- كانت حاجات الشعب مفقودة باسم التقشف والتقنين وترشيد الاستهلاك؛ بينما كانت تتسرب إلى الشرائح عبر السراديب والدهاليز، وأحيانًا رأْد الضحى بلا خجل ولا وجل، وبلا حساب أو محاسبة.
- كان الشعب مكتوم الأنفاس حتى عن إطلاق زفرة حزن وتوجع.
- كانت تعاود الشعب بين حين وآخر لفحةٌ من شعور قومي ونفحةٌ من دين محارَب متروك، فتزداد كل منهما اتّقادًا بانتظار يوم هو في علم الله تعالى، مُعِلِّ العلل ومُديل الدول.

إذن، كانت تلك الشعوب معطوبة من حكامها، بعد أن أعطبها منظرو الأممية بدينها وروحها، وإلا لما وقفت تتفرج على انهيار أنظمتها وهَتْك خرائطها الطبيعية والنظرية والسلوكية، بعد أن ظن واضعوها أنها راسخة رسوخ الجبال، ناسين أن العطب الداخلي يفجر الشعوب، مثلما يفجر العطب الداخلي في الجبال همومها وشجونها، فتُخرج أثقالها هزات وبراكين، ليصبح الجبل واديا والوادي جبلا.

إن الإلحاد يُذْكي الخطأ والخطأ يذكي الإلحاد، والحكمة القديمة الدائمة تقول: اخشَ من لا يخشى الله. من هنا راحت الشرائح الأممية تظلم الشعب والشعب يصمت. والشعوب في مثل هذه الحال تكون جاهزة لأن تمزق (أيديولوجياتها) بنفسها، وبكثير من التشفي والنزق ونفاد الصبر والحكمة، في مثل هذه الحال تغلب الحلول الانفعالية على الحلول الواعية المتعقلة المسؤولة. أجل، إن انهيار الأنظمة الشيوعية هو شأنُ شعوبها وحكامها لا شأننا نحن، وإنْ كانت له ارتكاسات على الشعوب الأخرى بنحوٍ من الأنحاء.

وما أريده هنا هو اجتهادٌ بتأسيس انهيار الأممية على الإلحاد.. على دراسته وتدريسه، والجهر به حُمقًا وسفاهة، لكأني أريد: *وقلْ جاءَ الحقُّ وزهَقَ الباطلُ إنَّ الباطلَ كان زَهُوقًا*. **الإسراء**:٨١.

وهذا لا يعني - بوجه مقارن - أن الأنظمة الغربية مؤسسة على الروح والأخلاق والإيمان؛ فلهذه ميقاتٌ بعلم الله وإرادته وإنما أستقي اجتهادي، في تلك، وفي هذه، صدورًا من قوله تعالى: *ولكلِّ أمَّة أجلٌ فإذا جاءَ أجلُهُم لا يستأخرونَ ساعةً ولا يستقدمُونَ*. **الأعراف**:٣٤. *وما نُؤخِّره إلاّ لأجَل معدود*. **هود**:١٠٤. *قل لكم ميعادُ يوم*. **سبأ**:٣٠. *وكم قَصَمْنا من قرية كانت ظالمةً وأنشأنا بعدَها قومًا آخرينَ*. **الأنبياء**:١١. *ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجَلٌ مسمًّى لجاءَهُم العذاب*. **العنكبوت**:٥٣. *ويستعجلُونك بالعذاب ولَنْ يُخلفَ اللَّهُ وَعدَه وإنَّ يومًا عند رَبِّكَ كألف سنة ممَّا تَعُدُّون. وكأَيِّن من قرية أمليتُ لها وهي ظالمةٌ ثم أخَذْتُها وإليَّ المصيرُ*. **الحج**:٤٧-٤٨.

ونحن بعد هذا، وبالعودة إلى تلك الأيام الخوالي، حيث كان الأمميون المحليون يتهموننا بالرجعية وبالبورجوازية المنتهية إلى الإمبريالية، نعود فنسأل: من الذي انتهى إليها، ووقف على أبوابها يفتح الجُعَب؟ ومعاذ الله أن أريد تشفيًا أو شماتة.

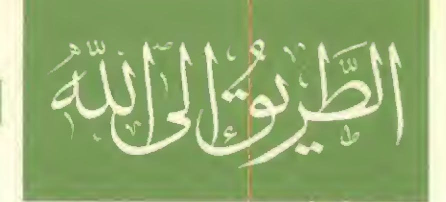
- أجل إن الأممية زبد وغُثاءٌ أحْوى، وأما الزبد فيذهب جفاء.
- أجل، إن الأممية وهْمٌ وطوباوية، وما رأيت وهْمًا تحقق.
- أجل، إن الأممية إلحاد، ولا يمكث في الأرض كفر ولا في السماء.

كان الأمميون يحسبون أنفسهم تقدميين وثوريين. فمتى كان الكفر تقدمًا وثورة؟ أبدا، إن الرجعية هي الإلحاد، وإن الإلحاد هو الرجعية: لأنه يعبر ويَصْدُرُ عن تراجع الفكر، واعوجاج الفطن، واهتراء الروح، وانقباض الصدر، ووحشة النفس، وجفوة الفؤاد، وقصور الملكات.

أولئك هم الذين: *خَتَمَ اللَّهُ على قُلوبِهم وعلى سَمْعِهم وعلى أبصارهم غشاوةٌ*. **البقرة**:٧.

المراجع:

١- يوسف كرم: «تاريخ الفلسفة الحديثة» ص٣٢٧، الطبعة الرابعة، دار المعارف بمصر.
٢- السابق نفسه.
٣- السابق ص٣٢٨.
٤- د. عادل العوا: «التجربة الفلسفية» ص٣٧٨، الطبعة الثانية ١٩٦٤م.
٥- يوسف كرم، مصدر سابق ص٣٢٨.
٦- د. عادل العوا، مصدر سابق ص٣٧٨.
٧- السابق نفسه.
٨- يوسف كرم، مصدر سابق ص٣١٦.
٩- يوسف كرم، مصدر سابق ص٣١٨.
١٠- ول ديورانت: «قصة الفلسفة» ص٤٥٥. الطبعة الأولى، مؤسسة المعارف، بيروت.
١١- د. عبدالكريم اليافي: «تمهيد في علم الاجتماع» ص١٩٥، الطبعة الرابعة ١٩٦٤م.
١٢- د. عادل العوا، مصدر سابق ص٥٨٧.
١٣- هنري برغسون: «الطاقة الروحية» ص٥٦، الطبعة الثانية، دار الأوابد، دمشق، ترجمة د. سامي الدروبي.



روجيه عساف

الإسلام صحح مساره المسرحي

ولد روجيه عساف لأبوين نصرانيين في لبنان الشقيق، في وسط أجواء من الطائفية التي حرص المستعمر على ترسيخها بين أبناء الوطن الواحد؛ تعزيزًا لوجوده، وضمانًا لاستمراره؛ متبعًا سياسة «فَرِّق تَسُد». فأنشأ لدى الطوائف تعصُّبًا لمذاهبها يفوق الوصف، وهو ما أثمر، قبل سنوات، حربًا أهلية ضروسًا لا يزال الشعب اللبناني يدفع ثمنها إلى يومنا هذا.

نشأة في ظلال التغريب!

في ظل هذه الأجواء كان مولد روجيه عساف، وكانت نشأته، ورأى كيف تُستباح القيم تحت دعوى الحرية، وشهد بأم عينيه محاولات الطائفية تغريب لبنان واقتلاعه من جذوره وتراثه العربيين تحت دعوى التحديث.

وعشق روجيه المسرح، أحبه، ووجد فيه ما يحقق حلمه لتأكيد هويته العربية. كان يحس أنه، وإن كان نصراني العقيدة، لكنه مسلم الثقافة والهوية، فكان المسرح وسيلته لتأكيد هذه الخصوصية المهمة بالنسبة إليه بوصفه مواطنًا عربيًا في قطر عربي.

بدايته المسرحية كانت من خلال عمله ممثلاً في عروض مسرحية باللغتين العربية والفرنسية، وعلى إجادته للفرنسية، إلا أنه كان يحس في داخله برفضٍ لها، كان هناك شيء يجذبه إلى لغته الأصيلة؛ اللغة العربية، بما تحمل من معان ومفردات وشفافية لا تتوافر في لغة أخرى.

أفكار يسارية!

في مرحلته الأولى في العمل المسرحي اعتنق روجيه بعض الأفكار اليسارية، ثم ما لبث أن سعى لتأصيل المسرح. ففي المرحلة الأولى أسس مع نضال الأشقر فرقة «محترف بيروت»، وأخرج مجموعة من المسرحيات الكوميدية ذات الطابع السياسي، لكنه لم يجد نفسه فيها، اكتشف أنه لم يستطع أن يوفق بين إشكالية عناصر المسرح الثلاثة: النص، والجمهور، والممثل. فهجر بيروت متجهًا إلى الجنوب حيث القرى البسيطة والمخيمات الفلسطينية، مما أكسبه ثقافة عملية من خلال اختلاطه بهذه التجمعات وما تحمل من قيم سياسية واجتماعية، وجعله يقترب من التراث. فاندفع يطالع التراث الإسلامي بكثافة حتى صار قريبًا من الإسلام: العقيدة والفكر.

وانعكاسًا لهذا الاتجاه في مسيرته كان تأسيسه عام ١٩٧٧م لمسرح «الحكواتي»، الذي اعتمد فيه على محاولة نقل الجمهور من حالة المتفرج إلى حالة المشاركة، فحل بذلك إشكالية تفاعل الجمهور مع النص، لأن مسرحياته تناولت حياة الناس وأوضاعهم وقيمهم. ودفعه هذا النجاح إلى تأسيس «المسرح الشعبي» مع الممثل المسرحي المعروف حسن علاء الدين (شوشو)، مؤكدًا صدق التحامه بالجماهير، ومعايشته لحياتها وهمومها.

الاتجاه للتراث

وقاده اتجاهه المسرحي هذا وقراءاته المستمرة للتراث إلى تعرّف الإسلام، الذي لم يكن غريبًا عنه بحكم احتكاكه الدائم مع أهل الجنوب، ومعظمهم من المسلمين.

ولم يحل عام ١٩٧٩م حتى كان روجيه عساف قد اتخذ أهم قرارات حياته. قرار إنقاذ روحه من ضلال الشرك، والانتقال بها إلى يقين الإيمان، وبالفعل أشهر إسلامه ليولد مرة أخرى من جديد، إنسانًا جديدًا، بقيم وأفكار جديدة، وبروح جديدة متشبعة بالرغبة في العطاء الصادق المخلص.

الإسلام.. والنقلة

لقد أحدث الإسلام ثورة في حياة روجيه عساف ـ كما عَبَّر هو بنفسه في أكثر من مناسبة ـ لكنها ثورة بنّاءة، أعادت رسم علاقاته مع نفسه، وأهله، ومجتمعه، ففي السابق كانت (الأيديولوجيا) ترسم له خطوطًا تعرفه إلى أين يتجه وإلى مَنْ، لكنه حين اعتنق الإسلام وجد أمامه منهج حياة كاملاً شاملاً، يربط العاطفة بالحواس والممارسة، في تناسق بديع لا يتوافر لأية أيديولوجية مصطنعة.

وجد روجيه في الإسلام ممارسة توحيدية، قابلة للتطبيق في كل زمان ومكان، فراح ـ كمسرحي ـ يبحث عن

صيغ يمكن من خلالها تحويل هذه الممارسة الإيمانية إلى قيم تُصب في قالب مسرحي إسلامي؛ يخدم المجتمع، ويجعل المسرح مكانًا لمعالجة مشكلاته وإكسابه كل ما هو مفيد من المبادئ والقيم التي تؤصل الأخلاق وتعلو بها.

أفكار جديدة

لقد أسهم الإسلام في تغيير الكثير من فكر روجيه عساف، من خلال توضيحه لقضايا كانت في مرحلة من مراحل حياته حدسية، مثل علاقة الإنسان بربه وبالآخرين وبالطبيعة والكون من حوله، والتي يقوم فيها الضمير بدور المراقب، مما كان له أبلغ الأثر في إكساب اتجاه روجيه في مجال المسرح رؤية جديدة يمكن تبيّنها بوضوح من خلال كتابه: «المسرحة: أقنعة المدينة»؛ ففيه تصحيح لمسيرته الفنية في الإخراج من خلال رؤية نقدية لأعماله السابقة، حيث اعترف أن الأفكار اليسارية قد أوصلته إلى طريق مسدود في تجربة مسرح «المحترف»؛ موضحًا أن الإسلام أعاد ممارسته المسرحية إلى موقعها الطبيعي في ارتباطها الصادق مع آمال الآخرين وأحلامهم وهمومهم.

ويرى روجيه عساف أن محاولة الأجهزة تأطير الإسلام ومحاولة سلب القيم الإسلامية، يؤدي إلى التدمير، لأن الإسلام لا يحتاج إلى تأطير، ويدعو كُتّاب المسرح ومخرجيه إلى التعامل مع العناصر التراثية الحية، فالتاريخ والتراث جزء من الحياة والمعاش، والممارسة الحقة للحياة تتمثل - من وجهة نظره - في ألاّ يرتمي المرء كليًّا في أحضان التراث وينسى المعاصرة. وألاّ يهجر التراث ليلقي بروحه في أتون الحداثة؛ بل عليه المواءمة بينهما بالشكل الذي يصل الماضي بالحاضر دون أن يخل بمسيرة الحياة المتجددة.



في رحاب العفو

شعر: عبدالله السيد شرف

مني المروق.. ومنك العفو والصفح ... فارفع بفضلك ذنبا ضَمَّه اللوح

إني أتيتك، لا زاد سوى أملي ... وفوق كفي ذنوب هزّها البرح

عريان أرجف.. لا ثوبٌ ليسترني ... ولا رداءٌ به الآثام تتَّشح

الخزيُ أضمرني، والذنب أثقلني ... والرأس من خِزيِهِ قد ضمه الكشح

يومان ياسيدي، في غفلة عبرا ... وليس في جعبتي، نور ولا صبح

أكان متكئي للهو أنهما ... كالسحب في الصيف، لا ظل ولا بوح

أم أن أيامنا طالت طرائقها ... والقلب في لهوه، غاف ولا يصحو

ماعدت أدري سوى أني عبرتهما ... كطرفة العين، أو ومض هو اللمح

مني المروق.. وكم أدلجت في سفهي ... لا ردَّني وازع.. أو صدني النصح

يسوقني الحلم للدنيا فأحضنها ... كنافخِ الكير، لا عطر ولا فوح

وكم أتيت إلى الأوهام أسألها ... وأتبع الوهم مُغترًّا، وبي جرح

قد عَمَّني الحلم والإمهال في زمني ... وغرَّني العفو حتى شدني السفح

وقد حلمتَ على المأفون في زمن ... لو كنت أشقيته، أولى به الذبح

سترته في الدنا، فارفق بشيبته ... فغير بابك زيف، حسنه قبح

لقد رأفت به في وقت غفلته ... فهل تضن به إذ ينشد الصفح؟

يارب أعرف أني آبق.. بَطِرٌ ... أشقيت نفسي بزاد ماله ربح

لكن عفوك زادي.. إذ يحاصرني ... قول الشهود وما يأتي به اللوح

طريق الهدى

فضيلة الشيخ
د. صالح بن سعد اللحيدان

إدراك الركعة بالركوع

في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب». لا شك هذا في كل ركعة. وحديث: «تُدرك الركعة بالركوع». فكيف تُحسب الركعة لمن أدرك الركوع ولم يُحصِّل قراءة الفاتحة؟

طارق إسماعيل
القاهرة، مصر.

هذا مما وقع فيه خلاف بين العلماء أهل الحديث والفقهاء وليس كلهم؛ فإن بعض الفقهاء مال إلى علماء الحديث لما تَبيَّن له الوجه في هذه المسألة.

لكن المسألة فيها تفصيل: المنفرد إذا دخل مع الجماعة مع الإمام وأدرك ركعة يكون مدركًا للصلاة لصحة ما ورد في هذا: «زادك الله حرصًا ولا تعد» قاله النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكرة فإنه ركع ولم يتمكن من إدراك الفاتحة.

أما المنفرد بمفرده فقط فلا صلاة له إلا بقراءة الفاتحة. والله تعالى أعلم.

المنفرد خلف الصف

صلاةُ المنفرد خلف الصف: هل الخلاف حول قبول صلاته؛ أم إنه لا يُحصِّل ثواب الجماعة؟

جاسم القاسم
الدوحة، قطر.

النزاع بين أهل العلم ليس حول هذا ولا ذاك، لكن حول النصوص الواردة في هذا، فالخلاف هنا نَصِّيٌّ لا حُكميّ، وعليه فإن العلماء ضَعَّفُوا حديث «لينوا بأيدي إخوانكم»؛ أي إن المنفرد إذا لم يجد فرجة فله أن يسحب أحد المصلين أمامه. وهذا الحديث ضعيف، لكن المنفرد مُخيَّر بين أمور إذا لم يجد مكانًا:

١ـ يصلي بجوار الإمام عن يمينه.

٢ـ ينتظر حتى يأتي من يصلي معه.

٣ـ ينتظر حتى يجد فرجة ولو صغيرة.

والذين قالوا بجواز صلاة المنفرد لم أقف على دليلهم.

الصلاة في غرفة معدَّة لذلك

كثير من المؤسسات والشركات يصلي أفرادها في غرفة للصلاة أو في الممرات، ما حكم الصلاة فيها؟

خالد هادي القحطاني
جيزان، السعودية.

إذا لم يوجد مسجد مجاور، وإذا لم تقُم الشركة ببناء مسجد، وإذا لم يستطع الموظفون إيجاد مسجد بالتبرع، فلهم الصلاة بالغرف دون الممرات فإنها من الطرق المنهي عن الصلاة فيها إلا في حال الضرورة القصوى.

ولعل الموظفين ومن معهم يكتبون للشركات والمؤسسات التي يعملون فيها لإيجاد مسجد كحال المحطات (محطات الوقود) وسواها.

بين طلب الرحمة وطلب الفضل

عند دخول المسجد يدعو المصلي: باسم الله اللهم صلِّ على محمد وافتح لي أبواب رحمتك، وعند الفراغ من الصلاة يذكر: وافتح لي أبواب فضلك. نرجو بيان الحكمة من ذكر كلمة رحمتك ثم فضلك، ولم خُصَّت الأولى بالدخول والثانية عند الخروج؟

عصام عمر
الرياض.

الدخول للعبادة فالدعاء هنا مناسب لطلب الرحمة بالقبول. والخروج نتيجة لأداء العبادة وهو مناسب طلب الفضل من الله تعالى. وفضل الله تعالى واسع، ومن فضله فتح أبواب الحلال من الرزق كالتجارة والولد والمركب.. إلخ... لأن المصلي بعد خروجه من المسجد يسعى في الأرض طلبًا لفضل الله تعالى.

بين القطيعة واختلاف الأرواح

في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال..» تحريم القطيعة، وفي حديث آخر: «الأرواح جند مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تنافر منها اختلف». فإذا عرفت إنسانًا ثم لم تقبله نفسي فتركته وهجرته. هل أقع في حكم الحديث الأول؟

حصة الفهد
الأحمدي، الكويت.

القبول القلبي والعاطفي يختلف عن إرادة القطيعة. فعدم القبول قلبًا وعاطفة لا يأثم فيه المسلم إلا إذا ترتب عليه ظلمٌ أو هضم حق أو غيبة أو نميمة. لكن الهجر يكون بإتيانه لسبب ما مادي فهنا يحصل الإثم.

المسح على الخفين

توضأ مُصلٍّ ومسح على الجوربين ثم خلعهما، وانتهت بذلك مدةُ المسح. هل يبطل وضوءه كذلك لمجرد خلع الجوربين أو الخفين؟

عمر عثمان
الرياض

لا يبطل المسح إذا خلعهما وقدماه طاهرتان ثم أعاد اللبس، إلا إذا كان أحدث قبل ذلك فإن الخلع يبطل المسح.

هذا من جانب. ومن جانب آخر إذا خلعهما بعد انتهاء مدة المسح فإن الحكم هنا يأخذ صفة الابتداء فيبطل المسح؛ إلا إذا استمر على الطهارة يومًا وليلة للمقيم وثلاثة أيام بلياليهن للمسافر. ولعل هذا مما يندر.

حرب الشيشان: بداية أم نهاية؟

بسام العسلي

جرت انتخابات الرئاسة والانتخابات النيابية في جمهورية الشيشان يوم ١٨ رمضان ١٤١٧هـ (٢٧/١/١٩٩٧م)، وكانت نقطة تحول حاسمة على طريق بناء مستقبل شعب الشيشان؛ بعد جهد طويل وجهاد شاق على امتداد خمسة أعوام من عمر الزمن. فهل كانت الانتخابات نهاية للصراع الروسي - الشيشاني؟ أم بداية مرحلة جديدة من الصراع المستمر والمتطور؟

لقد صدرت في ذلك اليوم المشهود من حياة شعب الشيشان تصريحات متناقضة عن قادة الروس وقادة الشيشان؛ إذ بينما عَدَّ شعب الشيشان وقادته الانتخابات تأكيدَ استقلال الشيشان وسيادة شعبه، رأت القيادة الروسية أنه لا حقَّ لشعب الشيشان بأكثر من إدارة محلية، بحيث يبقى الشيشان تحت السيادة الروسية. وبوضوح أكبر: فإن موقف الرئيس بوريس يلتسين لم يكن إلا إعادة لموقفه من اتفاق ٢٧/٥/١٩٩٦م عندما وقّعه الجنرال ليبيد والجنرال الشيشاني أصلان مسخادوف؛ ثم تنكرت له القيادة الروسية إلى أن اضطرت - مجدّدًا - لعقد اتفاق لوقف إطلاق النار في ٨/٨/١٩٩٦م نَصَّ على أن يؤجل قادة الشيشان مطالبتهم بالاستقلال مدة خمس سنوات؛ في مقابل أن تنسحب القوات الروسية بصورة كاملة من الشيشان. وإذن فقد كان كل من الطرفين بحاجة لوقف نزيف الدم؛ فهل ستعود دوامة العنف لتعصف بما بقي من مسلمي القوقاز؟

على طريق الجهاد

ما كان لشعب الشيشان، مثله كمثل بقية الشعوب الإسلامية التي رفعها الله بالإسلام وأعزَّها بفريضة الجهاد في سبيل الله، أن يتخلف عن أداء هذه الفريضة كلما وجد إلى ذلك سبيلاً. وبصرف النظر عن صفحة الجهاد التي سجلتها الشعوب الإسلامية الآسيوية، ومنها شعوب التتار والترك، في رفع راية الإسلام، والدفاع عنه، وتعريف أهل الدنيا بفضائله منذ القرن الحادي عشر الميلادي - تقريبًا -؛ فقد خاض شعب الشيشان (الداغستان) تجربة مستقلة في الجهاد في سبيل الله على أرض القوقاز (أو القفقاس) في مقارعة الاستعمار الروسي - القيصري -، ثم الاستعمار السوفيتي الشيوعي السابق. فكانت ثورة الشيخ محمد الشامل أفندي ١٢٤٨- ١٢٧٦هـ/ ١٨٣٢- ١٨٥٩م نقطة البداية. وكانت ثورة القائد جوهر دوداييف ١٤١٤- ١٤١٧هـ/ ١٩٩٣-١٩٩٦م هي الأخيرة. وكان ما بين الثورتين نسيج متصل من الجهاد الذي لم يعرف الضعف ولا الاستسلام؛ على الرغم من قسوة الاستعمار الروسي وشدّة بطشه؛ التي لم ينافسها إلا ما عرفته الشعوب العربية والإسلامية من أساليب البطش والتنكيل التي مارسها الاستعمار الغربي في مغرب الوطن العربي ومشرقه - سواء بسواء -. ولئن كان من الصعب جدًا تقويم حجم التضحيات التي قدمها شعب الشيشان عبر مسيرة جهاده الشاقة والطويلة؛ فإنه بالمستطاع على الأقل الإشارة إلى أن بعض الأبحاث - بحسب تصريح وزير الإعلام الشيشاني ونائب رئيس الحكومة مولادي أوروغوف يوم ٢٥ كانون الأول/ديسمبر ١٩٩٦م - قد ذكرت أن حجم الخسائر التي نزلت ببلاد الشيشان قد وصل إلى ما يعادل ١٥٠ مليار دولار، وأن شعب الشيشان قد خسر من أبنائه ١٠٤ آلاف قتيل معظمهم من المدنيين (إذ قُدِّر عدد قتلى المجاهدين الذين يحملون السلاح بأربعة آلاف قتيل). وتُبرز هذه البيانات أكثر من حقيقة: فالعدد الكبير من القتلى غير المقاتلين - من الشيوخ، والنساء، والأطفال - يؤكد طبيعة حرب الإبادة التي شنتها روسيا ضد شعب الشيشان الأعزل. كما أن قلة عدد قتلى المجاهدين - حاملي السلاح - يؤكد الكفاءة القتالية العالية للمجاهدين؛ بحيث كانت ضربات القوات الروسية الجوية والبرية تقع في فراغ. كما يؤكد الحجمَ المحدود لقوات المجاهدين، فإن العدد الكبير في الحرب يؤدي إلى تزايد عدد القتلى على أرض القتال؛ بينما يبقى عدد القتلى في

القوات الصغرى محدودًا وقليلاً نسبيًا. وهكذا، وعلى قلة أعداد مقاتلي الشيشان، فقد أمكن لهم تنفيذ عمليات قتالية رائعة أذهلت أهل الدنيا، واستقطبت اهتمام شعوب العالم وقياداته؛ فكان الصراع أمثولة لقتال قوات نوعية مميزة بروحها المعنوية العالية وكفاءتها القتالية الرفيعة ضد قوات كمية ضخمة تمتلك أقوى وسائط الحرب والقتال؛ ولكنها تفتقر للإيمان بالقضية التي تخوض الحرب من أجلها؛ قَدْرَ افتقارها للكفاءة القتالية الضرورية للقتال على أرض معادية وغريبة.

ولقد أذهلت الحرب الروسية ـ الشيشانية الإعلاميين من كل أقطار العالم؛ إذ من المعروف أن الاستعمار الروسي عبر قرن ونصف القرن قد حوّل الشعوب الإسلامية في آسيا الوسطى إلى شعوب مُستَتزَفَة، وحرمها من فرص التطور الحقيقية؛ فكانت صورة عن المجتمعات البدائية. وجاءت سياسة الستار الحديدي التي طبقها ستالين طوال حكمه (١٩٢٠-١٩٥٤م) لتعزل ما أطلق عليه اسم الجمهوريات الإسلامية، عن كل اتصال عالمي؛ ولتبقى في حالة مجهولة، كصفحة بيضاء في كتاب مغلق. ثم جاءت الحرب لتحول ما كان يطلق عليه اسم القرى أو المدن إلى مجموعات من الحطام؛ وإلى ركام من الأطلال المدمرة. وكانت الظاهرة الغريبة في هذه الحرب العجيبة هي صمت العالم عن مأساة شعب يتعرض للإبادة؛ استرضاء لنظام روسيا في عصر ما بعد النظام الشيوعي، وبحجة أن هذه الحرب هي حرب داخلية. ونظرًا لانفجار حرب البلقان في وقت واحد مع حرب الشيشان، فقد أمكن استخدام حرب البلقان لتحجب بأضوائها وبمسيرة أحداثها ما كان يجري على أرض القوقاز.

ولكن الشعوب الإسلامية وقياداتها؛ لم تشغلها همومها ولا وفرة مشكلاتها عن متابعة ما كان يحدث من تدمير وما يقع من فظائع (جرائم). وكان ذلك مصدر إزعاج للقيادة الروسية التي حاولت، عبر مبعوثيها، وعبر اتصالاتها الديبلوماسية، عزل شعب الشيشان عن كل إمكانات الدعم الخارجي، حتى في حدود الدعم الإنساني والديبلوماسي؛ كما عملت القيادة الروسية، في الوقت نفسه، على ربط حربها ضد الشيشان بالحملة العالمية ضد التطرف والأصولية الإسلامية بهدف الحصول على دعم الغرب ـ الأوربي ـ. فكان من ذلك إصدار بيانات من فترة لأخرى عن دعم يتلقاه الانفصاليون الشيشان (بحسب التعبير الروسي) من العالم الإسلامي.

ويمكن على سبيل المثال الإشارة إلى تقرير نشرته المجلة الروسية «إنترفاكس ـ إيف» يوم ١٩٩٦/١٢/٧م تحت عنوان «العالم الإسلامي كله تصدى للروس في الشيشان»، وجاء فيه: «لقد أعدّت الاستخبارات الروسية تقريرًا ذكرت فيه أن القوات الروسية واجهت العالم الإسلامي كلّه في الشيشان. وأنّ هناك عددًا كبيرًا من رعايا الأردن وسورية والسعودية حاربوا ضمن كتيبة «فتح»، وكتيبة «الجماعة». كما أشرف مدربون من الأفغان ومن الأمريكيين على تدريب المقاتلين الشيشان في معسكرات خاصة أقيمت داخل أراضي الجمهورية وخارجها. وكان قد أقيم معسكر للتدريب في مدينة خيارجا من مقاطعة هراة قرب أفغانستان؛ ثم نُقل إلى منطقة غورغان الإيرانية. وقد تولّت الإنفاق على هذا المعسكر جهات سودانية وسعودية وباكستانية. كما تم تدريب طيارين من الشيشان في جمهورية أذربيجان».

وقد افتضحت هذه المزاعم عندما أعلنت جهات كثيرة تكذيبها الاتهامات الروسية، وطالبت بإرسال فريق من الأمن الروسي للتأكد من زيف تلك الاتهامات (مثل أذربيجان وإيران). كما أن دور بقية الدول الإسلامية كان يسعى لإيقاف النزف في الشيشان ـ لمصلحة الطرفين ـ وفق قاعدة مراعاة المصالح للطرفين الإسلامي والروسي. وجاءت الإجابة الواضحة على لسان الزعيم الشيشاني سليم خان باندرييف في ١٩٩٦/١٠/٣٠م الذي صرح بما يلي: «لقد تضامنت شعوب البلدان العربية والإسلامية معنا بالشكل المتاح لها. أما الحكومات فموقفها مختلف. ولم تكن على المستوى المطلوب. وهذا مدعاة للأسف. ونرى أنه من المهم جدًا في الظروف الراهنة الحصول على دعم اقتصادي ـ عربي وإسلامي ـ سواء على شكل استثمارات أو مساعدات أخرى لإعمار الدولة. وبالطبع ثمة أهمية خاصة للدعم السياسي متجسدًا في الاعتراف باستقلالنا وإقامة علاقات ديبلوماسية



الشيخ محمد الشامل



جوهر دودايف

معنا». ومهما كان عليه الموقف؛ فربما لا تكون هناك حاجة للقول: إن حجم الدعم الذي وصل إلى الشيشان من طريق بعض المتطوّعين لا يشكل جهدًا قتاليًا بالموازنة مع حجم القوات الروسية التي تم زجها للقضاء على مسلمي القوقاز. وإن مثل هذا الدعم ـ مثله كمثل الدعم الذي تلقاه مسلمو البوسنة ـ يبقى دعمًا معنويًا قبل كل شيء وبعده؛ ولا يرتقي أبدًا لحجم خوض حرب ضد روسيا. وإذن، فإن انتصار شعب الشيشان هو ثمرة للتضحيات الكبرى التي قدمها الشعب المجاهد دفاعًا عن دينه وعن وجوده، وهو حلقة في سلسلة التضحيات التي بدأت قبل قرن ونصف القرن. وقد أكدت قيادة الشيشان هذه الحقيقة عندما أصدرت في نهاية العام ١٩٩٦م مرسومًا بتحويل المحاكم إلى محاكم شرعية تطبق نصوص الشريعة الإسلامية وأحكامها. كما أصدرت مرسومًا آخر بأن تصبح اللغة العربية مادة إجبارية في المدارس الشيشانية بمراحلها جميعًا. وقد علّق سليم خان باندرييف على ذلك بقوله: «أنا أرفض تسمية علمانية أو دينية ـ ثيوقراطية ـ والمهم هو القيم المعتمدة وكيف تنعكس على حياة المواطنين، وعلى علاقات الدولة وسياستها الداخلية والخارجية. نريد إقامة دولة تُؤمِّن حقوق رعاياها بصرف النظر عن انتمائها القومي أو الديني؛ ولكن على أساس القيم والشرائع الإسلامية، ويمكن لكم تسميتها كما تشاؤون: علمانية أو ثيوقراطية».

(الروس) في المدرسة الإسلامية

لقد عرفت شعوب العالم خصائص الاستعمار الأوربي والروسي، وأولها الاستكبار والطغيان بغير الحق؛ ولما كانت هذه الخصائص لا تستقيم لطبيعة العلاقات بين الشعوب ـ بعضها مع بعض ـ فقد اضطرت الدول الاستعمارية إلى التعلم في مدرسة

حرب الشيشان: بداية أم نهاية

الشعوب المقهورة بجبروت الاستعمار وقوته وطغيانه. ووجدت روسيا نفسها مرغمة باستمرار على التعلم من فضائل الشعوب الإسلامية؛ ولم يكن ذلك إلاَّ تأكيدًا لحقيقة أن قوة الحق والعدل تبقى أبدًا أكثر صلابة من القوة المادية، ومن جبروت الأقوياء واستكبارهم. ويمكن ـ لضرورة البحث ـ تجاوز كل التجارب القديمة التي قدمت للقيادات الروسية الدروس المهمة والعظات المفيدة لبناء علاقات عادلة ومتوازنة؛ ولكن حاجب الاستكبار منع تلك القيادات من التعلم؛ حتى إذا ما جاءت تجربة الحرب الروسية الأفغانية (١٩٨٠-١٩٩٠م) ظن كثير من المتفائلين أن هذه التجربة ستعيد القيادة السوفيتية ـ سابقًا ـ إلى جادة الحق والصواب. ولكن ـ وكما ظهر بوضوح ـ أن السنن الكونية لا بد وأن تنفذ كمثل ما خلت سنن الأولين. وسرعان ما غرقت القيادة الروسية في مستنقع أرض الشيشان، إذ ظنت هذه القيادة أن الحملة ستكون نزهة؛ إذ كيف يستطيع هذا الشعب الصغير رفع صوته في وجه العملاق الكبير؟ وسرعان ما تبددت الظنون والأوهام، وتبين أن قوة الشعوب كثيرًا ما تكمن في ظاهرة



ميخائيل غورباتشوف

ضعفها. وكان أن لجأت القيادة الروسية ـ قيادة يلتسين ـ إلى أسلوب الاستعمار التقليدي المتمثل في مزيج مُحكم من الخداع السياسي والجبروت العسكري. وتصدى قائد ثورة الشيشان جوهر دودايف لهذا الأسلوب، فقاد شعبه ضد القوة الروسية المقاتلة؛ وسار في الوقت نفسه على طريق المفاوضات، وتبين أن ما حرصت القيادة الروسية على تنفيذه من خلال المفاوضات هو كسب الوقت والإجهاز على جوهر دودايف وقيادته؛ واستبدال قيادة عميلة بقيادته. وأمكن توقيع عدد من الاتفاقات لتسويات سلمية؛ وتبين أن أسلوب

الغدر الروسي يمتلك باستمرار الأبدال من أجل نقض ما يتم الاتفاق عليه. وعندما نجحت القيادة الروسية في قتل الزعيم جوهر دودايف يوم ١٩٩٦/٤/٢١م ظنت أن ذلك سيمهد لها الفرصة للقضاء على مقاومة مجاهدي الشيشان. ولكن خابت ظنون المخادعين؛ وعمل خلفاء دودايف على تصعيد أعمالهم القتالية بتوجيه تهديداتهم إلى روسيا ـ وإلى العاصمة موسكو نفسها ـ، وتعلمت القيادة الروسية درسًا جديدًا هو حتمية إخفاق الخداع والغدر عندما يصطدم بالإيمان والتصميم. واضطر بوريس يلتسين لإبعاد وزير دفاعه بافل غراتشوف وتحميله مسؤولية نتائج حرب الشيشان، وتكليف الجنرال ليبيد الوصول إلى تسوية سلمية مع الشيشان، وإيقاف الحرب؛ وذلك يوم ١٩٩٦/٦/٢٠م. ونجح ليبيد في مهمته، واستطاع الوصول إلى تسوية سلمية واتفاق لوقف إطلاق النار في الشيشان؛ بعد جهود شاقة. وأدى هذا النجاح لتألق نجم ليبيد الذي كان يشغل منصب رئيس مجلس الأمن القومي الروسي، مما حدا برئيس مجلس الوزراء الروسي وأنصار يلتسين إلى التصدي لطموح ليبيد، وأمكن لهم استصدار مرسوم من يلتسين بإبعاده من منصبه يوم ١٩٩٦/١٠/١٧م. وكان ذلك سببًا كافيًا لانتشار قناعة ـ في الشيشان ـ بأن هذا التغير هو من أجل التراجع عن اتفاقات التسوية السلمية، ووقف إطلاق النار. وكانت مناسبة عقد فيها قادة المجاهدين اجتماعًا كبيرًا في نزران من أنغوشيتيا يوم ١٩٩٦/١٠/٢٧م، وأعلن فيه الزعيم المسلم سليم خان باندرايف تمسك المجاهدين بإعلان الاستقلال الذي كان قد أطلقه الزعيم الراحل جوهر دودايف منذ عام ١٩٩١م. ولكن موسكو تجاهلت ذلك؛ كما تجاهلت الإعلان الصادر عن الاجتماع بإجراء انتخابات الرئاسة الشيشانية يوم ١٩٩٧/١/٢٧م، وأرسلت رئيس مجلس الأمن القومي الجديد إيفان ريبكين للقاء رئيس حكومة الشيشان أصلان مسخادوف ولإبلاغه أن موسكو ستحترم اتفاقات السلام مع الشيشان، التي كان قد أبرمها سلفه ألكسندر ليبيد. وظهر من خلال ذلك تناقض موقف الطرفين. وإصرار قادة الشيشان على التمسك بالاستقلال مقابل تصميم موسكو على التمسك بموقفها الرافض للاستقلال. وعندما سئل الزعيم الشيشاني سليم خان باندرايف عن تفسير لهذا التناقض في المواقف، جاءت إجابته التالية: «يبقى احتمال تراجع روسيا عن موقفها من التسوية السلمية احتمالاً متوقعًا في

كل الظروف. ولاسيما أن القوى التي شنّت الحرب ما زالت في القيادة الروسية. ونأمل أن يكون توقيع اتفاقية خساويورت؛ ومن قبلها اتفاقيتي نوفيه أتاغي وموسكو؛ نهاية للحرب. ولكن لا أستطيع التأكيد أن الحرب قد انتهت؛ ومن ثم فإن عملية التسوية السلمية ستبقى مستمرة. وسيظهر في المستقبل ما إذا كانت هذه الاتفاقيات ستضع نهاية للحرب. نحن من جانبنا نطمح إلى ذلك بالتأكيد. وأيًا كان مسار المفاوضات، فإن ذلك لن يغيّر من وضعنا الطبيعي؛ وهو وضع الدولة المستقلة. لقد دافعنا عن هذا الكيان عبر حرب قاسية؛ ومن السذاجة الاعتقاد بأننا سنتخلى عنه». وتتابعت الاتصالات المكثفة بين الطرفين: الروسي والشيشاني؛ ويمكن التوقف عند أحداث يوم الخميس ١٩٩٦/١١/١٤م، حيث أعلن عن انفجار لغمين قرب منزل رئيس وزراء الشيشان أصلان مسخادوف، ولكن لم يؤد ذلك إلى إصابة أحد بأذى. وصرح الزعيم سليم خان باندرايف على الأثر: «إن هذه العملية هي محاولة لإجهاض اتفاقية السلام التي كان من المتوقع توقيعها خلال اليومين القادمين؛ وتتضمن موافقة موسكو على انسحاب كامل من أراضي الجمهورية وتحديد أطر استقلاليتها». وفي الوقت نفسه نشرت وكالة أنباء إيتار تاس الرسمية أن القيادة العسكرية الفيدرالية نفَت تورطها في حادث التفجير، وأنها أرسلت خبراء من جانبها لمشاركة الخبراء الشيشانيين جهودهم في التحقيق، وكشف ظروف تفجير اللغمين ومعرفة الجهة المسؤولة. كما تأكد موعد اجتماع مسخادوف، ورئيس الوزراء فيكتور تشيرنو ميردين للتوقيع على اتفاقية سياسية، كان الخبراء من الجانبين، قد أعدوا بنودها ونصها؛ لإحباط كل أمل للقوى التي تريد استئناف المجابهة العسكرية ـ في أوساط المعارضة الروسية ـ.

وذكرت المصادر الروسية ـ أيضًا ـ أن الاتفاقية تضمنت موافقة على سحب لواءين روسيين، كانت موسكو تصر على بقائهما بصورة دائمة في الجمهورية. كما تتضمن تحديدًا لأطر الاستقلال. وقد شكّل هذان البندان تحوّلاً حاسمًا في موقف موسكو؛ وعودة إلى مقترحات رئيس مجلس الأمن القومي السابق ألكسندر ليبيد الذي كان قد تعرض لانتقادات شديدة وعلنية من الرئيس بوريس يلتسين، ووزير الداخلية أناتولي كوليكوف لدعوته إلى انسحاب عسكري كامل للقوات الفيدرالية ـ

الروسية ـ من الشيشان. ولابد من أن يضاف إلى ما سبق البند الذي نص على إلغاء مرسوم الرئيس الروسي بوريس يلتسين والذي كان قد أصدره عشية بدء القتال في الشيشان، وقضى بإعلان الحرب على الشيشان بحجة إعادة النظام الدستوري للشيشان. وتضمن الاتفاق ـ أيضًا ـ على توقيع معاهدة عسكرية تقضي بعدم اللجوء إلى القوّة، وإيجاد حلول لمشكلة حماية حدود الشيشان مع جورجيا بمفاوضات سياسية، مع الموافقة على مناقشة قضية اشتراك وحدات رمزية من كازاخستان في حراسة الحدود مع الشيشان. فكانت بنود الاتفاقية في الواقع بمنزلة اعتراف ضمني باستقلال الشيشان، على الرغم من إصرار موسكو على عدم استخدام كلمة استقلال. وتأكيدًا لنوايا موسكو (الطيبة) تجاه الشيشان؛ فقد أعلنت الحكومة الروسية اعترافها بالحكومة الشيشانية الشيوعية، التي بقيت موالية لموسكو برئاسة دوكوز افغايف.

مناضلون ضد المجاهدين

لم يكن أمرًا مباغتًا أن يتصدى (المناضلون) في الأحزاب الشيوعية الروسية لاتفاقيات السلام التي وقعتها موسكو مع قادة الشيشان؛ ذلك لأن هؤلاء المناضلين قد أكدوا المرة بعد المرة أن تصلّبهم وتيبّسهم وافتقارهم إلى المرونة، وإلى التعلّم، كانت من الأسباب الحقيقية لحرمانهم من فرصة التعلّم من تجربتهم الذاتية مع المجاهدين الأفغان، ثم لحرمانهم من فرص التعلّم من تجاربهم الذاتية في الحكم والإدارة منذ تحذيرات الزعيم السوفيتي خروتشوف في بيانه الشهير أمام المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي سنة ١٩٥٧م، وحتى تحذيرات الزعيم غورباتشوف صاحب نظريات الإصلاح الاقتصادي (البيروسترويكا) سنة ١٩٨٥م.

فكان ذلك سبب الانهيار الكبير الذي اهتزّ له العالم في مطلع عام ١٩٩١م (تفكّك الاتحاد السوفيتي). وقد تابع الحزب الشيوعي نهجه؛ ولكن من موقع المعارضة، وليس من موقع المسؤولية والحكم. وليس من الضروري البحث عما إذا كان موقف معارضة الشيوعيين للاتفاقات السلمية مع الشيشان هي من قبيل التمسك بأحلام الإمبراطورية العظمى، أو لمجرد المعارضة؛ ولاكتساب دعم شعبي قد يساعد على استعادة السلطة. ولقد عبّر الحزب الشيوعي الروسي عن معارضته للاتفاق مع الشيشان في مواقف كثيرة ـ ومتتالية ـ كان منها على سبيل المثال: بيان زعيم الحزب الشيوعي جينادي زيوغانوف يوم ١٩٩٦/١١/٢٤م الذي ندد فيه بالاتفاق مع قادة الشيشان، وعدَّه غير دستوري، ويؤدي إلى تفكك روسيا. وطلب زيوغانوف أن تنظر المحكمة الدستورية ومجلسا البرلمان في هذا الاتفاق الذي وقعه رئيس الوزراء الروسي تشيرنو ميردين مع الزعيم الشيشاني أصلان مسخادوف لتنظيم العلاقة بين روسيا والشيشان، ودعمه مرسوم الرئيس يلتسين بسحب الجيش الروسي من الشيشان. كما أعرب زيوغانوف عن رغبته في أن تدرس الحكومة ووزارة الداخلية عن كثب المرسوم الخاص بسحب القوات الروسية، وأن تطلعا البرلمان على النتائج التي يتم التوصل إليها. وشبَّه الاتفاق الجديد باتفاق بيلوفيسكايا بوشتشا الذي أنهى في كانون الأول/ديسمبر ١٩٩١م الاتحاد السوفيتي. وأن الاتفاق مع الشيشان: «يقوض الدعائم الأخيرة التي يرتكز إليها الاتحاد الروسي». واتّخذ أصلان مسخادوف الموقف المناسب؛ والذي حظي بدعم شعب الشيشان وقادة مجاهديه؛ وعبّر عن هذا الموقف بقوله: «لابد من أن يحصل شعب الشيشان على الضمانات الدولية لحماية أمنه؛ والتأكد من أن أحدًا لن يقدم على إبادته. لقد قاتلنا ودافعنا عن حقّنا لنكون تابعين للقانون الدولي؛ وحتى لا يفكّر أحد أن قتلنا هو مسألة داخلية. وبخلاف ذلك؛ يصبح بالإمكان البحث في كل أنواع العلاقات مع روسيا؛سواء كانت علاقات اقتصادية أو غيرها». وأمام هذا التصميم من قبل شعب الشيشان وقيادة مجاهديه تراجع زعيم الحزب الشيوعي الروسي جينادي زيوغانوف عن موقفه، فأعلن يوم ١٩٩٦/١١/٢٨م: «أن كتلته في البرلمان لن تطرح موضوع حجب الثقة عن رئيس الدولة أو الحكومة بسبب اتفاقهما مع الشيشان». ولم يكن من الصعب معرفة أسباب هذا التراجع. فقد تبيّن بشكل واضح ضعف موقف الشيوعيين؛ ولاسيما بعد صدور ثلاث مطالعات قانونية تم إعداد اثنتين منها تحت إشراف الشيوعيين؛ وأجمعت على أن الاتفاقية وقرار يلتسين بسحب القوات من الشيشان لا يشكلان انتهاكًا للدستور. واتّخذ وزير الداخلية الروسي أناتولي كوليكوف ـ بصورة خاصة ـ موقفًا حازمًا عندما أعلن سحب قوات وزارة الداخلية من الشيشان، نظرًا لأن وجود أعداد كبيرة هناك، قد حرم الوزارة من إمكانات تنفيذ واجباتها الأساسية في مكافحة الجريمة التي باتت تتهدد المجتمع الروسي، ولاسيما أن عصابات المافيا أصبحت تسيطر على ٥٠٪ من اقتصاد البلاد.

وعلى كل حال؛ وكما يحدث دائمًا في مواجهة الأحداث الكبرى والتحولات الحاسمة؛ إذ لابد لكل تغيير من أنصار وخصوم؛ فكيف إذا كان الأمر يتعلق بمستثمري الحروب وتُجارها ومحترفيها الذين يعيشون على حسابها؟ وهكذا كان موقف الجيش الروسي من اتفاق إيقاف إطلاق النار، والتسوية السلمية مع الشيشان، حيث أُعلن أن هيئة الأركان العامة الروسية طلبت تخصيص مبلغ ٩٠٠ مليار روبل لتأمين انسحاب آخر لواءين روسيين من الشيشان (ومعهما ألفا مدرعة ـ دبابة وعربة وناقلة ـ وأربعمئة طن من الوسائط القتالية المتنوعة)، بالإضافة إلى تأمين إسكان الجنود (٥٠٠ منزل للضباط، وثكنات للجنود). ولقد اقترن الإعلان عن هذا الطلب بالإشارة إلى الاستياء الكبير في أوساط الجيش بسبب الانسحاب من الشيشان: «إذ إنهم لم تتح لهم الفرصة لتحقيق انتصار بدا لهم قريبًا، كما أن هذا الاستياء عززه شعور القادة الروس ـ الجنرالات ـ بأن تسليم مطار غروزني إلى الشيشانيين يؤدي إلى إضعاف احتمال عودة القوات الروسية إلى الشيشان، إذا ما ظهرت ضرورة لذلك». وقد رد سكرتير مجلس الأمن القومي الروسي إيفان ريبكين على ذلك بقوله: «إن بقاء القوات الروسية في الشيشان ينطوي على خطر دائم وتهديد بتدهور الوضع. وإن سحبها باتفاق مع الشيشانيين يلغي بصورة مسبقة أي احتمال لعودة مثل هذه القوات عند الضرورة». وقد تكون المواقف والمقولات السابقة كافية لإبراز الفوارق المميزة والواضحة بين الطرفين المتصارعين: المناضلين والمجاهدين؛ فالأوائل لا يخوضون صراعًا من أجل قضية لها أبعاد جغرافية، أو عمق تاريخي، أو فضائل دينية، أو إنسانية؛ وإنما يخوضون صراعهم إما بدافع قوّة الاستمرار، وإما للاحتفاظ بمكاسب مادية؛ وإما للحصول على مواقع سياسية في سوق المزايدات، بينما يخوض المجاهدون حربهم دفاعًا عن قيمهم ودينهم، ووجودهم، وأرضهم، وإرثهم التاريخي، ودونما إهمال لأمورهم الحياتية التي لابد من وضعها في الحسبان من أجل اكتساب القوة الضرورية لمحاربة الأعداء، ومن أجل تأمين ضرورات بناء المستقبل واحتياجاته. وقد كانت هذه الفوارق المميزة بالتأكيد هي العامل وراء تردد المناضلين وافتقادهم للثقة بنجاح مخططاتهم؛ بينما كان المجاهدون يمتلكون باستمرار الثقة غير المحدودة بحتمية انتصارهم ونجاحهم، وكان ذلك واضحًا في أقوالهم وأعمالهم. وكانت قضية المجاهدين خلال مراحل الصراع المتتالية؛ سامية فوق كل النوازع الشخصية والعوامل الفردية؛ مما

حرب الشيشان: بداية أم نهاية

ضمن التفاف كل المجاهدين واندماجهم في مجموع متكامل على تعدد فصائلهم وتنظيماتهم. وهكذا فإن استشهاد قائد الاستقلال جوهر دوداييف لم يضعف من مسيرة قافلة المجاهدين؛ ولم يخمدها؛ وإنما زادها تصميمًا وثباتًا وتأججًا. فخابت آمال المناضلين الذين ساءت ظنونهم لجهلهم بطبيعة المجاهدين ومضمون الجهاد في سبيل الله. وفي الواقع فإن هذه الظاهرة التي بدت واضحة بكل أبعادها في حرب الشيشان، كانت قاسمًا مشتركًا في كل ما أطلق عليه الباحثون الغربيون اسم «الحروب الثورية الإسلامية»، إذ كان هدف المجاهدين في كل حروبهم - المسلحة والسياسية - هو انتصار قضيتهم التي كان لا بد من أن تبقى فوق كل العوامل. صحيح أن بعض المجاهدين قد عاشوا مع نتائج نجاح قضيتهم وانتصارها؛ بينما حُرم آخرون من إدراك جهودهم وتضحياتهم؛ إلا أن ذلك بالنسبة لأي من المجاهدين لم يكن هو الهدف، وهذا ما عرفه بحق كل من عاش تجارب حروب الجهاد في الأزمنة القديمة والحديثة. ولا ريب أن ذلك هو عامل القوة الأول في وجود الأمة العربية والشعوب الإسلامية، إذ كان هذا العامل هو الذي مكن الشعوب الإسلامية من الاستجابة لكل ما فرضه عليها أعداء الإسلام من التحديات. وبفضل هذا العامل اتصل جهاد جوهر دوداييف بجهاد أسلافه، وفي طليعتهم الشيخ محمد الشامل أفندي.

بناء المستقبل

ويبقى السؤال المطروح: لقد حقق المجاهدون الشيشان بعض أهدافهم على طريق الاستقلال، وبناء المستقبل، وقد يكون ما تحقق هو أقل مما يطمح شعب الشيشان لبلوغه؛ ولكنه أكبر يقينًا مما كان يريده الروس. ولهذا لم يكن غريبًا أن يعدّه العرب والمسلمون انتصارًا للقضية الإسلامية. ولكن هل وصل الصراع الروسي - الشيشاني إلى نهايته؟ وهل سيتوقف الصراع بين المناضلين والمجاهدين؟ وهل يمكن عدم إحاطة فرحة النجاح بنطاق من المخاوف، ولاسيما بعد تجربة الجزائر وأفغانستان، علاوة على تجارب بقية الشعوب الإسلامية الحديثة العهد بالاستقلال؟ إن جهاد الشيشان قد وضع حجر الأساس - إذا ما جاز التعبير - لبناء المستقبل. وقد يكون من الصعب توقع أي نجاح في عملية البناء بمعزل عن تكامل البناء الإسلامي. وهذا ما عرفه جوهر دوداييف وزعماء المجاهدين؛ عندما ربطوا جهاد شعب الشيشان بجهاد بقية الشعوب الإسلامية، وبخاصة جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية. ولكن هل رؤية - أو طموحات - قيادات هذه الشعوب الإسلامية واحدة وموحدة؟ وهل قضية الإسلام ذات مضمون واحد من حيث التطبيق العملي في كل الجمهوريات الإسلامية؟ يقينًا «لا» بحسب الشواهد المتوافرة - حتى الآن على الأقل - وأمثولة صراع الطاجيك ماثلة للعيان؛ حيث تبدو الانقسامات واضحة والتباين شديدًا في مختلف المواقف. وهنا لا يمكن تجاهل حقيقة أن معظم هذه القيادات كانت عندما تفكك الاتحاد السوفيتي منظمة في الأحزاب الشيوعية، وبقيت محتفظة بمواقعها بدعم روسيا الاتحادية. وسيبقى دور القيادة الروسية - حاضرًا ومستقبلاً - هو الرهان على تجزئة الجبهة الإسلامية وتمزيقها من خلال عمل منظم له جذوره القريبة. وقد يكون ذلك تأكيدًا لطبيعة الصراع القاسية التي سيواجهها شعب الشيشان خلال السنوات القادمة، حتى سنة ٢٠٠١م، وإلى ما وراء ذلك من أفق الزمن المنظور، إلا إذا وقعت أحداث مثيرة على أي من جبهات الصراع. فهل يمكن الإفادة من تجربتي الجزائر وأفغانستان بخاصة لبناء المستقبل بثبات وقوّة وأمن؟

لعل متابعة الدور الإسلامي في مسيرة أحداث الشعوب الإسلامية سيكون عاملاً حاسمًا. وليس هناك من ينكر دور المملكة العربية السعودية والباكستان عبر كل المحاولات لإيقاف نزف الدماء على أرض أفغانستان. كما أن الدور الإسلامي هذا قد ظهر واضحًا عبر حرب البلقان، وفي الجهود للوصول إلى تسوية مناسبة للجزائر. ولا ريب أن تطور الأحداث العالمية على طريق السلام والتنمية الاقتصادية سيساعد الدول العربية والإسلامية على تطوير جهودها في دعم مجاهدي الشيشان وبقية الشعوب الإسلامية في آسيا الوسطى وسواها. وستكون هذه الجهود بالتأكيد سياسية - دولية واقتصادية وثقافية وعلى كل جبهات الصراع - إذ ليس من مصلحة روسيا في الحاضر والمستقبل استعداء الشعوب الإسلامية بشن حرب ظالمة على شعب صغير مثل الشيشان، أو الطاجيك، أو سواهما من الشعوب التي كانت خاضعة للاستعمار الروسي.

لقد أظهرت الحرب الروسية - الشيشانية (ربما أكثر من الحرب الأفغانية - الروسية، وربما - أيضًا - أكثر من حرب البلقان السلافية - الإسلامية) إحدى أكبر المشكلات في حياة الشعوب الإسلامية المعاصرة. فالشيشان كانت قوّة ضائعة من كفة ميزان الثقل الإسلامي. وإذا كانت فرنسا - على سبيل المثال - تبحث عن بعض ذوي الأصول الفرنسية في كندا؛ وإذا كانت روسيا تتمسك ببعض الروس في الجمهورية الإسلامية؛ وإذا كانت بقية الدول الكبرى والعظمى تبحث عن رابطة تربطها ببعض الشعوب مثل الأنجلوفونية، أو الفرانكفونية، وتعتقد أن ذلك يشكل ثروة بالنسبة لها؛ فكم هي قيمة الروابط القائمة بين الشعوب الإسلامية وأهميتها، والتي أصبحت ضرورة حتمية في عصر التكتلات، من أجل بناء المستقبل المشترك؟ أليس بحث الدولة العبرية عن شتات من اليهود مثل «الفلاشا» يشكل أمثولة لبناء العلاقات في أفق المستقبل؟ لقد أكدت المنظمات الإسلامية، وفي طليعتها رابطة الشعوب الإسلامية، ومنظمة المؤتمر الإسلامي، والبنك الإسلامي للتنمية وسواها؛ التزامها القضايا الإسلامية، وحرصها على بذل كل جهد مستطاع لدعم الروابط التي تربط الشعوب الإسلامية بعضها ببعض، كذلك أظهرت الشعوب الإسلامية - العربية وغير العربية - تمسكها بالعروة الوثقى لا انفصام لها: رابطة الأخوة في الله، وعبّرت عن ذلك في كل مناسبة؛وهذه مسألة لا تحتاج إلى برهان، ولكنها تحتاج إلى دعم حتى تتطور؛ وحتى تؤتي ثمارها يانعة بإذن ربّها؛ فأصبح من المتوقع أن تتمكن الشيشان من ممارسة الدور الذي تطمح إليه؛ وهو دور الريادة في قيادة الشعوب الإسلامية في آسيا الوسطى نحو مزيد من التلاحم على طريق بناء المستقبل المشترك. وقد عبّر قادة المجاهدين الشيشان عن هذا الطموح بأقوالهم وجهودهم. ولا ريب أن شعب الشيشان ليس من أكبر الشعوب الإسلامية في جمهوريات آسيا الوسطى، أو في سواها من التنظيمات الإسلامية التي حملت صفة شبه المستقلة مثل (الأنغوش) وسواهم. ولكن تصديهم الحازم لريادة الجهاد في سبيل الله قد رفع من شأنهم؛ وهم - من ثم - أهل لما يمكن تقديمه لهم من الدعم على مستوى الشعوب الإسلامية وقياداتها. ويُعدّ ذلك في طليعة العوامل التي تبعث على التفاؤل بمستقبل شعب الشيشان؛ فالصراع بين المناضلين والمجاهدين سيستمر؛ وسيتطور بحسب كل ما هو متوقع؛ وسيكون صراعًا طويلاً وشاقًا بحسب الشواهد المتوافرة، ولكنه لن يكون محفوفًا بالأخطار أو المخاوف مادام تجاوز كل أنواع الابتلاء ممكنًا: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ﴾. **الحج: ٤٠**.

تَصَوُّراتٌ أَوَّلِيَّة لقوانين جدل الشعر العربي

د. نعيم اليافي

هل يمكن أن نضع للشعر العربي من خلال سيرورته التاريخية، في القديم والحديث، قوانين عامة تنظم له أو تصوغ ملامح تطوره؟، سؤال طرحته على نفسي غير مرة منذ ربع قرن أو يزيد، ولا أزال.

لقد حاولت بعض الدراسات المنهجية أن تتناول ظاهرة التطور بصورة عامة، الشعرية وغير الشعرية، في إطاري الثبات والتحول، كما حاولت غيرها أن تتناول الظاهرة نفسها بين حدّي الائتلاف والاختلاف، المشابهة والتغاير، وانتهت كلتاهما بحكم حركة الواقع، حقيقة أو رغبة، إلى تغليب أحد الأفقين، أفق الثبات تارة، وأفق التغير تارة أخرى.

وأزعم أن ما قرأت من دراسات عن الموضوع كانت تركز على الخارج أكثر من تركيزها على الداخل، بمعنى أنها كانت تقترب من بحث الظاهرة، وفي ذهن أصحابها ثلاث مقولات - أو تصورات - مسبقة الصنع، معروفة النتائج، حتى قبل الإقدام على الدراسة: أولاها: أن التغير هو سنة الكون والحياة فلا بد أن يصيب الظواهر كلها ومن جملتها الشعر. وثانيتها: أن هذا التغير حدث في الفكر والأدب الغربيين بصورة حادة حتمية وقاطعة، فلا ضير أن ينعكس ذلك على ما يماثله من فكر وأدب في أي مكان في العالم؛ بغض النظر عن روح الثقافات واختلافاتها في مفهومات التغير ودواعيه وعلله وطرائقه وتجلياته. وثالثتها: أن التغير مطلوب أو مرغوب فيه، حدث أو لم يحدث، وأباح بعضهم لنفسه أن يرسم لهذا التغير مساره المطلوب أو المرغوب فيه.

وقد أدت هذه المقولات/ القوالب المسبقة الصنع والتصور إلى نتائج وعقابيل خطيرة، أخذ يرددها فريق من الدارسين كأنها مسلمات يقينية، تمامًا مثلما نأخذ أية فرضيات قابلة للحوار على أنها بدهيات لا تقبل الجدل أو الرد. وأولى هذه النتائج/ العقابيل الخطرة: قياس الشاهد على الغائب. الشاهد هنا هو ظاهرة تطور الشعر العربي في ظروفها التاريخية، والغائب هو تطور الشعر الغربي ونظرياته ضمن ظروفهما الخاصة وسياقاتهما الاجتماعية. والثانية: الخلط بين واقع موجود وواقع آخر مرغوب فيه أو منشود، ومن ثم عدم التفريق بين ما هو حاصل فعلاً من تطور، والرغبة في التطور ضمن هذا المجال أو ذاك. والثالثة: تحديد مسار أو أفق للتطور حصل في مكانٍ ما وزمانٍ ما وظروف ما، وفرضها جميعا على مسار آخر تحكمه أوضاع مغايرة.

وقد أوصلت هذه النتائج الثلاث/ العقابيل إلى أنواع من الاتهامات والإدانات والتقويمات السلبية، خلاصتها الاعتقاد بأن مصطلح التطور أو التحول له مفهوم ثابت قننته وفرضته المركزية الأوربية وفق تصور محدد لحركة العالم/ التاريخ لا يكون ولن يكون إلا في اتجاه السهم الذي راشته ورمت عنه، وأن كل تطور أو تغير يخالف وجهة النظر هذه يعد نكوصًا أو انحرافًا أو تحجرًا أو حتى تخلفًا، وسنرى بعد قليل كيف كانت هذه الاتهامات ظالمة لنفسها وغير عادلة، قبل أن تكون ظالمة لغيرها وغير منصفة.

انطلاقتنا في الدراسة تختلف عن الانطلاقات السابقة من ثلاث زوايا: زاوية الرصد الداخلي، وزاوية المعرفة الناقدة، وزاوية الخصوصية الثقافية.

وأعني بالرصد الداخلي تتبع الظاهرة من خلال ما هو موجود وقائم، وليس من خلال ما هو مرغوب فيه أو منشود، ويتبع ذلك رصدها من خلال مكوناتها الفاعلة أو المؤثرة وليس من خلال عناصر خارجية دخيلة، قد تنسحب عليها أو لا تنسحب.

وأقصد بالمعرفة الناقدة اعتماد الجهاز المفهوماتي في المقاربة وليس الجهاز (الأيديولوجي)، والفرق بينهما عندي كبير، فأولهما يسلك طريق القراءة الفاحصة المنتجة، ويفضي إلى التعددية المنفتحة، وثانيهما يسلك طريق القراءة الإسقاطية، ويَؤُول إلى الواحدية المنغلقة.

وأشير بالخصوصية الثقافية إلى أن كل مجتمع يصوغ لنفسه عبر سيرورته التاريخية المتحركة لا الثابتة هوية خاصة أو ماهية، تأتلف من جماع الأفكار والأعراف والطرائق وأنماط السلوك، وهي التي نطلق عليها اسم المزاج الحضاري للأمة أو روحها، وعلى ذلك فإن العالم، في رأينا، لا يتشكل من أممية واحدة تسعى إلى أن تلتقي في كل شيء، بل من أمميات شتى قد تختلف في الكثير.

هذه المنطلقات الثلاثة التي أزعم أنها مغايرة ستؤدي بالضرورة إلى نتائج في تحليل الظواهر أفترض أنها ستكون - من ثم - مغايرة.

ولنبدأ بمناقشة العنوان «تصورات أولية لقوانين جدل الشعر العربي». في هذا العنوان ست مفردات/ عناصر أو مكونات تحدد له إطاره ومرجعيته ومادته وأفق تناوله، يحسن أن نقف عندها:

تصورات: ما نقدمه ليس أكثر من مجرد تصورات نبعت من الوقائع العيانية للظواهر، ثم ارتقت إلى أن تكون أفكاراً عامة ما تزال هاجعة في الذهن، وتحتاج إلى إنعام نظر أعمق حتى تتحول إلى معادلات أقرب إلى العلمية.

أولية: وهذه التصورات ليست حقائق نهائية بقدر ماهي تحديدات مقترحة قابلة للحوار، وقد يغير الحوار ما حولها، فيحذف منها أو يضيف إليها أو يبقيها، ولن تتخذ صورتها النهائية إلا بمعاودة فحصها وتقليبها وإرخاء قبضة الإيجاز عنها.

قوانين: هي قوانين أجل، شريطة أن نفهم من كلمة قوانين معايير ناظمة لاتجاهات غالبة لا تعبأ بالتفصيلات، ولا تلتفت إلى الشوارد، بل تُعنَى بما هو عام من حيث الكم، وخاص عيني من حيث النوع.

جدل: نستعمل كلمة جدل بمعنيين متداخلين: معنى التطور الصاعد، ومعنى التداخل بين عنصرين متقابلين أو أكثر. وقد آثرته على مفردات التطور والتغير والتحول لأنه يحمل معناها جميعًا من جانب، كما يحمل معنى التفاعل بين المكونات والعوامل المشكلة للظاهرة من جانب آخر.

الشعر: يدور البحث في نطاق الشعر، أي في نطاق الإبداع اللغوي ديوان العرب الأول.

العربي: وصفنا الشعر بأنه عربي لأن هذه القوانين مستنبطة مما هو خاص بالعربية، لغة وفكراً وجنساً (النعت للفن وليس للقوم)، وقد تنطبق أو لا تنطبق على غير الثقافة العربية، مجتمعًا وشعراً، وهو أمر لا يعنينا هنا الآن.

تتكون خطة الدراسة من أربع خطوات/ حلقات متصلة، بعضها يفضي إلى بعض. أولاها: المسح التاريخي لظاهرة تطور الشعر العربي منذ العصر الجاهلي حتى الوقت الحاضر. وثانيتها: محاولة لصياغة قوانين جدل هذا الشعر في تطوره ومفهوماته، واكتشافها أو فحصها ودرسها والتعليق عليها. وثالثتها: اختبار القوانين في غير حقل الشعر، أو تعميم الظاهرة ما دمنا ربطنا حركة الشعر بحركة الفكر العام للمجتمع وللثقافة. ورابعتها: استخلاص النتائج أو الوصول إلى تحديدات وترسيمات غير ملبسة، قد تكون مرنة أو صلدة، وليس هذا بالمهم، إنما المهم أن تكون مقنعة وتعبر عن وجهة نظر علمية سديدة.

تصالح الدارسون على تقسيم تاريخ الشعر العربي إلى عصور يتحكم فيها السياسي بالأدبي، وهي قسمة تيسر إراءة التطور وإن كانت لا تلبي بالضرورة شروطه الفنية. سنفعل ما فعلوا حتى لا نثير منذ البداية إشكالية على الدرب تنحرف بنا عن القصد، فقد نوقشت غير مرة في إطار التصنيف والتبويب.

أول العصور هو العصر الجاهلي، استقينا كل تصوراتنا عنه، بما فيها التسمية، من العصر النقيض: الإسلامي، لا نعرف الكثير عن فترته السحيقة ولا كيف تلامحت. وُضعنا مباشرة إزاء فترته القريبة في نَظْمٍ عُلِّقت نصوصه الفضلى على أستار الكعبة، ومُنحت من القيمة والمنزلة ما جعلها نماذج تُحتذى، ومهما اختلفنا في مسائل عديدة لا تزال غامضة تتعلق بالنشأة والتطور، والصحة والانتحال، والتراكم: القلة والكثرة، والنوع والتميز؛ فسنتفق على أمر واحد خلف آثاره واضحة على سائر العصور اللاحقة، لخصه بعضهم بقوله: لقد جنى الشعر الجاهلي على الشعر العربي، كما لم يجن شعر على شعر حين ضيق عليه الخناق، وجعله دائمًا يشرئب إليه، ويتطلع بالنمذجة والمثل الأعلى.

وجاء العصر الإسلامي ليَرود فكراً جديداً، ويؤسس لأفق مغاير قاطعًا بجهازه المعرفي والمفهوماتي كلَّ صلة له بالقديم؛ وكان من المفترض أن يمتد هذا القطع إلى حقل الأدب/ الشعر، ولكنها الواقعة التي عبرت عن نفسها في ثلاث صور متناقضة: أولاها: موقف النص/ القرآن من الشعر والشعراء، والذي فُهم على أساس أخلاقي لا فني، وأدى إلى الانصراف عن ديوان العرب والانشغال بـ«ديوان الإسلام». وثانيتها: موقف الدارسين اللغويين بجعل الشعر الجاهلي مرجعية هذا النص والاستدلال بصحته عليه بدلاً من أن يكون العكس هو الصحيح. وثالثتها: الانتهاء بعد ذلك مع النقاد إلى تقرير هذا الصدع البارز بين الدين والشعر برؤية أحدهما بمعزل عن الآخر؛ مما أتاح له أن يسير في اتجاهات شتى نكوصية أو تطورية لا تستقي مادتها جميعا من الدين.

ولعلنا نزعم مع الزاعمين بأن الفترة الإسلامية الأولى (النبوية وفترة الخلفاء الراشدين) كانت من القصر بحيث لم تسمح للشعراء - مخضرمين وغير مخضرمين - بتأسيس قيم جديدة تصاحب أعراف الدين الجديد، بيد أن علينا أن نتذكر أن فريقًا من الشعراء كفَّ عن قول الشعر، وأن فريقا آخر ظل يعتمد على القيم البلاغية للنماذج الجاهلية بوصفها قيمًا مطلقة، في حين حاول فريق ثالث في شعر الجهاد والفتوح أن يستلهم روح الإسلام، فجاءت نصوصه وفيها هذا التعارض الواضح بين المضمون والشكل، المضمون المستقى من حركة الواقع وتطوره والتجربة الحياتية المعيشة، والشكل المهلهل الرخو الذي لم يقو بعدُ على حمل المزاج الوجداني الجديد، وكان، على ذلك أو بسبب ذلك ،أول محاولة في تاريخ الشعر العربي للتغيير من الداخل والتوالد الذاتي من دون مؤثرات خارجية.

في العصر الأموي أخذ خيْطان رئيسان يصنعان نسيج الظاهرة الشعرية، أحدهما يمثل خيط اللُّحمَة، وهو خيط التقليد/ الثبات، وثانيهما خيط السَّدَى، وهو خيط التطور والتجديد/ التغير، ويمكن أن نتملى هذين الخيطين في خمس بيئات شعرية، شكلت جميعها فضاء الظاهرة: أولاها: بيئة شعر الغزل في شقيه: العذري العفيف شعر الصحراء والبادية، والماجن شعر الغناء والمدن. وثانيتها: بيئة شعر النقائض في موضوعيه الرئيسين: الهجاء والفخر (جرير والأخطل والفرزدق). وثالثتها: بيئة الشعر السياسي وأحزابه المتعارضة (الطرمّاح والكميت وقطريّ وابن قيس الرقيات). ورابعتها: بيئة شعر الرجز والرجاز (العجاج ورؤبة). وخامستها: بيئة شعر المقطعات الفنية التي مثلها جملة من الشعراء كذي الرمّة والقَطَاميّ والعَرْجيّ والنُّميري.

وكل بيئة من هذه البيئات صنعت لشعرها أفقًا صاغته عناصر من القلق الوجودي بين الثنائيات المتعارضة (قديم - حديث)، انتهت منه إلى التكيف مع الواقع في شكل من الأشكال، ولم يكن هذا الواقع - على مستوى النص أو مستوى الحياة - بأكثر من توالد ذاتي لم تدخل في حياكته هو الآخر مكونات وافدة من الخارج، فقد كان المناخ كلُّه عربيَّ الطابع والذوق والروح واللسان.

مع العصر العباسي زاد خيط ثالث في نسيج الظاهرة فأضحت الخيوط ثلاثة: التراث القديم، والواقع المتحرك/ المتجدد دائماً، والوافد الأجنبي/ المؤثر المحدث بشقيه العرقي والثقافي، وأحيانًا يغلب أحدها على غيره فيظهر ويتضح، وأحيانًا يندمج أو يغيب، وتجلت، من ثم، ثلاث صور لمبادلات التأثر أو ظواهر التشكيل، الصورة الأولى: صورة النص التقليدي المحافظ، والصورة الثانية: صورة النص المحدث الوافد، والصورة الثالثة: صورة النص المتجدد الموحد للنصين السابقين والمتفرد بعلاقته بالواقع والنابع منه أصلاً، وأزعم أن هذه الصورة كانت هي الطاغية/ الغالبة في العصر العباسي.

ويمكن أن نتبين صحة الزعم أو خطله بالوقوف عند أهم ثورتين شعريتين شهدهما العصر: ثورة أبي نواس وثورة أبي تمام. لقد ثار الأول جهاراً على القديم، كل القديم، ثار على الموضوعات وعلى شكل التعبير: عمود الشعر ومفرداته، ودعا إلى بنيات أخرى ومفردات تلائم هذه الموضوعات. وحين يصمّ الدارس أذنيه عن صيحات التمرد والهجوم الصارخ، ضد أو مع، ليحلل أنظمة النصوص التي خلفها ويفحص ما بقي من علاقاتها بالصور الثلاث لمكونات التشكل: التراث والواقع والوافد، سيفاجأ بأن المكون الثاني: الواقع كان هو الغالب، وأن ثورة أبي نواس لم تكن أكثر من ثورة اجتماعية يُراد بها الهزء والسخرية من تقاليد القوم وأعرافهم في الفكر والفن والدين.

وعلى عكس ذلك كانت ثورة أبي تمام، ولم تكن ثورة اجتماعية؛ بل كانت ثورة فنية في أسلوب الأداء، واستمدت نزوعها الثوري من الخيوط الثلاثة جميعها: القديم:

التراث البلاغي، والواقع: موضوعات الوصف مثالاً، والوافد الأجنبي: الثقافة، وصاغت لنفسها طريقة خاصة متميزة في الرؤية والتعبير هي التي وُصفت بالطريقة الجديدة غير المألوفة قياساً إلى طريقة البحتري التي وُصفت بالعربية المحافظة. فهل كانت كذلك حقًا في تجلياتها (الصورة والإغراب والبديع والتفلسف)؟ يكفي في الرد على هذا القصةُ الشهيرةُ التي أحضر فيها رجل كأسًا فارغة إلى الشاعر ليملأها من ماء الملام، فاستجاب له الشاعر وشرط أن يُحضر له ريشة من جناح الذل.

وتبلغ الصورة الثالثة مداها أو انبثاقها من حركة الواقع وتناسج خيوط مكوناتها القديمة والمحدثة في نصوص المتنبي التي لا نستطيع إلا بشق النفس أن نفرد فيها كل خيط على حدة، ونميزه وننسبه إلى حقله، لأنها ائتلفت في بنية جديدة، وحاكت نسجًا جديدًا يُنسب إلى الشاعر كما يُنسب إلى العصر بأكثر مما يُنسب إلى القديم أو الوافد، وما ذلك إلا لأن الشاعر الحق، مثل المتنبي، كان ويكون في كل مرة يرقى إلى الذروة ابنًا للزمان وللمكان وابنًا للثقافة المتجددة.

وما قيل عن العصر العباسي يقال مثله عن عصر الأندلس، لقد مرّ الشعر هناك في دوراته كلها وأنماطه: التقليد/ المحافظة، والتأثر بالوافد، والمتجدد الجامع لهما والمنخرط في دوامة العصر، ولم تبرز أندلسية الأندلس وقتها المتألقة إلا في مسألتين: مسألة الموشحات، ومسألة تشخيص الطبيعة؛ وإذا ما فحصنا كلتا المسألتين وجدنا فيهما من التراكم التراثي مثل ما لهما من الوافد الأجنبي، ولكن الذي صاغهما الصياغة النهائية، ومنحهما مستوى التفرد إنما هو البيئة/ العصر، واقعهما الخاص المتميز.

ثم جاءت عصور الظلام والتخلف في أزمنة الدول المتتابعة، وأبرزت على الساحة الإبداعية والنقدية مشكلة العقم أكثر مما أبرزت أو نمَّت مسألة الابتكار والإبداع/ التطور والتجدد، ودفعت بها نحو الأمام، ولم يكن بمقدورها أن تفعل ذلك فقد تصالحت جملة من الظروف والمعطيات حالت دون تحقيق أية إضافة نوعية، والسير بعجلة الحياة في اتجاه المستقبل. ولا أظن أنّا نستطيع أن ننظر إلى الوضع نظرة ثنائية/ ازدواجية كما يفعل بعض الباحثين؛ فندّعي أننا هنا بإزاء واقعين لا ترابط أو لا صلة بينهما البتة: واقع الحياة المتخلفة في كل صورها، وواقع الحياة الأدبية المتقدمة في بعض أو كل صورها، وقياس الأمر على حاضر الحركة الشعرية المعاصرة محال، لأن جملة هذه الحركة تابعة أو مستوردة، فمن الصعب أن نقبل إمكان الجمع بين مستويين متناقضين نابعين من واقع واحد، أحدهما يأخذ شكل التقدم وثانيهما يأخذ شكل التخلف.

في العصر الحديث ومنذ بداية النهضة كانت الخيوط الثلاثة تبتعد تارة، وتتلاحم وتلتئم أخرى، وتشكل في مظاهر تلاحمها وتباعدها تجليات مختلفة لتَمثُّل الظاهرة الشعرية وعقابيلها، لقد بدأت حركة الشعر الحديث بفترة البعث والإحياء، حيث العودة إلى الوراء، وبخاصة في عصر الألق الشعري، ضرورةً حضارية. ثم ما لبث أن حلّت نزعة المحافظة والتقليد في فترة الكلاسية الجديدة. وكان يمكن لهذه النزعة أن تكون أفضل مما كانت لو أحسنت استخدام المكون الوافد ووظفته في شبكة من العلاقات جديدة، ويبدو أن الظروف لم تسمح أيامها بذلك، والدليل قصيدة شوقي «خدعوها» وما أحدثته من تفاعلات. وجاءت حركة الديوان لتستمد من الغرب النظرية الشعرية، وتستمد من التراث البنية، وتستمد من الواقع الموضوعات، فكان نصيبها على مستوى النصوص الإخفاق الذريع. فعمادها الأول العقاد لم يكن شاعراً موهوبًا، على كثرة دواوينه، وعمادها الثاني شكري لم يخلف قط في نماذجه ذلك الأثر المنشود، وعمادها الثالث المازني ترك الساحة الشعرية معترفًا بأنه كاتب لا علاقة له بالشعر.

وأعقبت جماعة الديوان، أو عاصرتها، حركة شعراء المهجر ولاسيما شعراء الشمال. فأحدثت بسبب تأثرها المباشر بالنماذج الغربية ما أحدثت من أصوات تكاد تكون متميزة. إلا أن علتها الأساس أمران: أولهما: أنه لم يُنظر إليها إلا منفصلة عن واقعها العربي وبيئتها الأصلية، وثانيهما: أن أثرها في هذه البيئة كان محدوداً وجاء متأخراً، وفي كلا الأمرين أخذت انعكاساتها تبدو في الروح الرومانسية القلقة والمتوثبة أوضح منها في البيئة الفنية، ومهما يكن من أمريها فإن وضعها في خط التطور أبرز منه في خط التأثير، والسيرورة والمواكبة.

وتلتها هي الأخرى، أو زامنتها، جماعة أبوللو التي جمعت بين أفراد شتى وأجيال وربما مدارس، ولكن صبغتها الرومانسية الطاغية وربيبتها الرمزية في صفتها المغلقة ومحدودية مجالها الذي عملت فيه؛ جعلت من كلتيهما مدرسة لم تعش طويلاً على الساحة ولا في وجدان الإنسان العربي لأسباب عديدة لا مجال للخوض فيها، فسرعان ما رجع الواقع بشتى صوره يشد الظاهرة الشعرية إليه، ويمتزج بها ويوجهها أيضًا.

ويبدأ هذا الواقع مع نهاية الحرب العالمية الثانية وبداية تشكل المجتمع العربي الحديث. وكذلك نشأة حركات الاستقلال والتحرر في العالم المعاصر. وفي ظل هذه الألوان من البدايات وفي نطاقها انطلقت حركة الحداثة لتصاحبها وتؤثر فيها وتتأثر بها، فلم تكن، والحالة هذه، وليدة النقل المباشر من الغرب وإن تأثرت بنماذجه وأفكاره، ولم تكن كذلك وليدة التفاعل مع التراث وإعادة إنتاجه، وإن شابها شيء من ذلك. وإنما كانت وليدة الواقع العربي المتطور والمنفتح في أفق تشكله الجديد، فإذا زعمنا بأنها ابنة شرعية لهذا الواقع مثلما هي ابنة شرعية للمؤثّرين: الوافد والتراثي لم نكن في كل ذلك مغالين، بل كنا نمنحها كظاهرة ما تستحق. وإلا لما كان لها مثل هذا الوضع، أو الأهمية والتأثير في تطور حركة الشعر العربي قديمه وحديثه.

ومن الحق أن نعترف - على ذلك - بإشكالية الحداثة في شعرنا/ أدبنا الحديث والمعاصر. أهي نتيجة التلاقح/ التفاعل أم الغزو الثقافي للاستعمار الغربي؟ هل كانت أثراً من آثار التطور عمّقه الوافد الأجنبي أم زاد في شرخه؟ ما الفرق بين مظاهر الاستقبال والتلقي لهذا الوافد بين العصرين العباسي والحديث المعاصر في ظل اختلال التوازن بين الأضعف والأقوى؟ وهل حقيقة أن الأمة الأضعف حضاريًا تكون دائمًا في موقع التبعية مهما كانت سطحية المؤثرات، والأمة الأقوى تهضم المؤثرات وتجعلها جزءاً من نسغها الخاص وحضارتها مهما كانت قوية وعميقة؟ كل ذلك أسئلة ستختلف الإجابة عنها، ولكن الحقيقة الماثلة للعيان أن صدمة اللقاء مع الغرب كانت مع مستعمر له جانبان/ حدان: جانب التفوق في كل شيء وحاجتنا إليه، وجانب الطامع في أرضنا وثرواتنا ورفضنا له، وبين هذين الجانبين/ الحدين ولدت حداثتنا عامة والشعرية منها خاصة.

إذا رجعنا بعد هذا الرصد أو العرض لسيرورة الشعر العربي لنتبين القواعد/ القوانين التي خضع لها في تطوره، أو في جدله كما سميته، فماذا نحن قائلون عنها ومعقبون عليها؟

خضع الشعر العربي في تطوره، خطابًا ومفهومًا ونصًا، إلى ثلاثة قوانين يمكن التمييز بينها: أولها: قانون الثبات المطلق ومحاكاة القديم، وثانيها: قانون التغير والتخطي والتجاوز، وثالثها: قانون الثبات المتغير أو السكون المتحرك، وسأسميه مؤقتًا بقانون التطور والتجديد. وأزعم في هذه القوانين أمرين اثنين: أولهما: أن كل قانون في بدايته يكون موظفًا توظيفًا بنائيًا جيداً، وحين يستقل في ذاته أو يكرر ويجتر يفقد صلاحيته كما يفقد وظيفته البنيوية ويضحي عامل هدم. وثانيهما: أن ما حدث في تاريخ تطور الشعر العربي أن كانت النزعة الغالبة تُصبّ لصالح الواقع البنّاء، ولم تكن تُصبّ لصالح القديم ولا الوافد الغربي بصفتهما وعائين أو طريقين للهدم. أشرح ذلك فأقول:

إن قانون الثبات في كل الظواهر قانون مطلق يسعى إلى تحديد نمط أعلى أولي، ثم مطابقته والقياس عليه ومحاكاته، أو ترجيعه وتقليده ونقله، وفي كل هذه الآليات تنغلق الحركة على ذاتها، أو تضحي معطلة، ويصبح النموذج/ المَرْجع هدفًا للاحتذاء وغاية، مثلما يصبح النص المُرَجَّع صدًى له ومسخًا شائهًا، ويفقد الابتكار أو الإبداع معناه ودلالته في الثاني ليظل حبيس الأول، ومن ثم يفقد كل تقليد ممسوخ وظيفته التاريخية والفنية ليبقى أبد الدهر شاهد صدق على ضمور النمط المُرَجَّع.

ويشبه قانون التغير بوضعه المستورد الوافد قانون الثبات بوصفه نمطًا وطرازًا مُرَجَّعًا، وهو مثله في قضية الأصالة في الاستخدام الأول، والاحتذاء والمحاكاة في الاستخدام

تصوّرات أوّلية

لقوانين جدل الشعر العربي

الثاني، وربما كان أخطر منه على مستوى الظاهرة الشعرية وارتباطها بوجود الجماعة، ويظهر هذا الخطر حين يصبح النمط مَرْجعاً أو طريقاً وحيدة للإبداع، وحين يؤخذ لا كعنصر مكون؛ بل كسياق أو كتلة دالا ومَدلولاً، وحين يُطرح كبديل عن الذات أو عن النموذج التراثي للأمة، ومع ذلك يبقى لهذا القانون دوره الذي قد يفوق في بعض الحالات دور التراث ذاته.

أما قانون الثبات المتحرك، أو ما أسميناه بقانون التجدد والتطور، فهو القانون الذي أثبت جدارته وفعاليته، كما أثبت حيويته في مواكبته حركة الواقع بين حَدّي السيرورة والصيرورة، إنه قانون الحضارة عامة، وقانون ظواهرها وتجليات هذه الظواهر خاصة في انتقالها من العشوائية والتخبط والفوضى إلى الانتظام والتكيف والاتصال. صحيح أنه يأخذ أو يتأثر في تشكله بالقانونين السابقين: الثبات والتغير؛ إلا أن علينا أن نذكر هنا ثلاثة أمور: أولها: أن هذين القانونين يدخلان في صياغة الواقع ويحولانه ويتحولان معه. وثانيها: أنهما يدخلان في نسج الظاهرة كعنصرين وليسا ككتلتين متراكمتين. وثالثها: أنهما بعد دخولهما يصبحان مكونين في بنية جديدة، ويفقدان وضعهما السابق ولا يعودان يشيران إلى مرجعيتهما القديمة بقدر ما يذوبان في كلٍّ هو في حد ذاته مَرْجع لهما وإشارة.

وما من شك في أن هذا القانون يمكن أن يصوغ له نمطه الخاص أو طرازه، ومن ثمة يستدعي أن يُحاكى ويُماثل، وإذ ذاك يفقد وظيفته وأهميته، بيد أن الحركة الصاعدة والدائبة والمتجددة والمتجهة نحو الأمام، حركة المجتمع والواقع، تجعل من تحجره في نمط واحد إمكانية مفترضة أكثر منها إمكانية محتمة، ولذلك ندّعي بأن حيويته وتدفقه تمنعان عنه هذا التحول، وتكفلان له، في الوقت نفسه، صناعة الصيرورة على الدوام.

ولنا أن نتصور هذا القانون حياة بين موتين، أو بناء بين هدمين، فالثبات هدم وموت لأنه سكون وعطالة وانغلاق وتحجّر، والاستيراد/ النقل والوافد وأدب الدرجة السائرة أو التغير المفاجئ... هدم وموت للأمة قبل الفرد؛ لأنه تبعية واضمحلال وإلغاء وذوبان. أما الثبات المتغير أو السكون المتحرك فهو الحياة ذاتها والبناء معا لأنه التجذر بالأرض والتاريخ، المكان والزمان، والتمسك بالهوية والشخصية، واستحضار المختلف في إطار المؤتلف، التنوع والوحدة، وهو غاية ما تسعى إليه الظاهرة الإنسانية، والمدينة الفاضلة بغيتها المنشودة على مرّ الحقب والدهور.

وفي نطاق القانون الثالث: الثبات المتغير/ التطور والتجدد يمكن أن نميز بين ثلاثة أنماط منه قد تتداخل وقد تنفرد وفق الحاجة والنظرة، أولها: قانون التوفيق، وثانيها: قانون التوازن، وثالثها: قانون الصيانة. والقانون الأول محاولة للجمع بين كتلتين متناقضتين أو مستويين من القضايا والأطروحات غير متجانسة ولا منسجمة. والقانون الثاني نوع من عقد التلاقي بين حدين متعارضين، أو هو، كما قيل، فضيلة بين رذيلتين: *وكذلك جعلناكم أمة وسطًا*. والقانون الثالث رؤية حضارية لقضية الاتصال والانفصال في أمور تخص الفرد والجماعة، لا يلاشي أحدهما الآخر، ولا يذيبه في بوتقة التاريخ. وأرى في ضوء هذا التحليل أن نجعل التوفيق بابا مستقلاً في إطار القانون، ونجعل من التوازن والصيانة فصلين في باب واحد، ويكون الفرق بينهما وبينه في الدرجة وفي النوع، إنه الفرق الذي أقمناه غير مرة بين التركيب من جانب، والتوفيق أو التلفيق من جانب آخر.

وأزعم أن هذا القانون: قانون الثبات المتحرك، التوازن والصيانة هو الأكثر توافقًا مع المزاج الحضاري للأمة العربية، ففي دراسات كثيرة صدرت عن علم الروح العربية/ المزاج والطبيعة أشارت إلى أن الفكر كان يتجه نحو إقرار ثنائيات التعارض وجدلها في الطبيعة الإنسانية: الشدة ـ الانفراج، العسر ـ اليسر، التعصب ـ التسامح، البغضاء ـ المحبة، الصرامة ـ الليونة، ولكنه كان يغلب أحد الوجهين/ الحدين (اليسر...) على الآخر (العسر...).

وأظن أن الميل الى التسامح واليسر والمرونة إنما لأنها تتفق مع قانون التوازن والصيانة في كل الأشياء أكثر مما تتفق مع قانون الثبات الصلد الصارم المتحجر.

وبسبب هذا التوافق بين القانون والمزاج العربي نفهم ـ رفضًا وقبولاً ـ كثيرًا من مسائل الاستقبال والتلقي، الذيوع والانتشار، الانحسار والإعراض على طول العصور العربية قديمها وحديثها. فحين تقبل الروح العربية ما تقبل أو ترفض ما ترفض فإنما تفعل ذلك استجابة لمزاجها وتلبية لطبائعها وميولها، هكذا كانت مع الثقافة والأدب اليونانيين، وهكذا تكون الآن مع الثقافة والأدب الغربيين، قبلت في الأولى مبدأ المحاكاة، ورفضت موضوعات المسرح وألوان الصراع، وقبلت في الثانية مسائل الشعر الحر، ورفضت نماذج قصيدة النثر، قبلت الشعر المنثور، ورفضت الشعر الأبيض/ المرسل، قبلت مبدأ الإغراب، ورفضت مبدأ الإغماض والتغميض والغموض، قبلت تجنيس النص، ورفضت نص الكتابة.

كيف يمكن في ضوء هذا القانون أن نناقش مسائل الابتكار والإبداع والنمط ومبادلات التأثر والتأثير والتشكل الشعري؟ أعتقد أن كل ذلك ممكن من خلال القانون ومن خلال المزاج العربي الذي حددنا طبيعته إذا أسقطنا من حسابنا أو ابتعدنا من إشكالية السجال الثنائي بين متقابلي الثبات والتغير، وجعلناها حوارًا بين ثلاثة أطراف: الثبات والتغير والتطور. وإذن نستطيع من وجهة نظرنا الخاصة التي حددت طبيعة تصورنا لجدلية الشعر العربي الدائرة في إطار السكون المتحرك أن نقول: إن مثل هذه المسائل يُناقش عبر عدة مفهومات تأتي في مقدمتها:

مفهوم التراكم: لا بد من تراكم كمي سواء بالنسبة إلى التراث أم بالنسبة إلى الوافد قبل الحديث عن: ماذا نأخذ وماذا ندع؟ وهذا التراكم لا يلغي خصوصية الابتكار ولا خصوصية الذات بل يعد طريقًا إلى فهمهما وتعميقهما.

مفهوم التفكيك: لا بد أن يُفكك كلا التراثين إلى مكوناته سواء القادم من التاريخ أو القادم من الجغرافية. واستلهامه أو الإفادة منه كعناصر، لا كسياقات تامة. ثم إعادة تركيبه وصياغته في نسيج حي متفاعل.

مفهوم التناص: أصبح التناص في الوقت الحاضر طريقة في الرؤية وطريقة في الكشف، وفي كلتيهما يمكن أن نفيد منه لإعادة النظر في قضايا الإبداع وطرائقه وأساليبه، وإذا كان من المرفوض أن يكون الابتكار اليوم اجترارًا أو تكرارًا؛ فإن من الصعوبة أن نتصوره استقلالاً وتفردًا وبداءة، فلا شيء يخرج من لا شيء، ولا شيء يكون إلا في شيء.

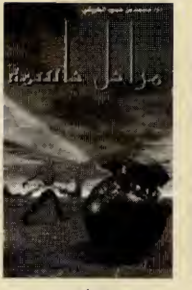
مفهوم الانعطاف والتجاوز: لا يعني الانعطاف ولا التجاوز في ميدان الإبداع القطيعة الكاملة كما هو الحال في ميدان العلم المادي، وإذا كان الإنجاز الأحدث في هذا العلم يلغي الإنجاز الأقدم ليحل محله ويضحي بديلاً عنه، فإن الإنجاز الأحدث في الإبداع الفني يضاف إليه ويتراكم معه، والمفروض أن يتجاوزه دون أن يلاشيه أو يلغيه.

هل هذا القانون أقرب إلى السلب أم إلى الإيجاب؟ سؤال مشروع، والإجابة عنه واجبة. في رأيي أنه ضمن ثقافتنا العربية، هويتنا وخصوصيتنا، وضمن العوامل التاريخيه والموضوعية لطبيعة مجتمعنا والمزاج الحضاري لأمتنا وحاجتنا إلى الاستمرار كوجود متميز ومتطور يعيش عصره ولاينبتّ عن ماضيه، يواكب الزمان دون أن يبتر صلته بالمكان. هو من الإيجاب ما يجعله شبه قانون سرمد ينتظم مختلف أشكال التطور، الأفقي واللولبي والدائري، ويخلص دائمًا لتطلع الأجيال اللاحقة نحو المستقبل.

وأرجع لأقول: إن مقاربتي من الموضوع تدنو من مجرد التصورات الأولية، ولا أطرح ما جاء فيها كحقائق نهائية، حسبي الآن أن أثيرها وأن أدعو غيري لمناقشتها، وقد أعدل فيها ـ كما قلتُ ـ وأطورها، أنقص منها أو أزيد عليها، حين أرخي عنها قبضة الإيجاز، وهي في كل الأحوال لا تخرج عن كونها محاولة لقراءة الظاهرة الشعرية، عساها تدفع سواي إلى إنعام النظر فيها وإغنائها.

العنوان: مراحل حاسمة.
المؤلف: د. محمد بن حمود الطريقي.
الناشر: المركز المشترك لبحوث الأطراف الصناعية والأجهزة التعويضية وبرامج تأهيل المعوقين، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، ٣٤٥ص.


د. محمد بن حمود الطريقي


غلاف الكتاب

يبدأ الكتاب بإهداء، ثم بمدخل تناول فيه المؤلف ثلاث حقائق: الأولى: أن رعاية المعوقين مرت بفترة تشتت أنهتها الدولة بأن أوكلت رعايتهم إلى صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع والطيران المفتش العام حفظه الله. والثانية: تحقيق المركز المشترك أهدافه في تأهيل المعوقين. والثالثة: تنفيذ إصدار ميزانية المركز من وزارة المالية. ثم بمقدمة تحدث فيها عن المعوق والرعاية التي تعطى له، وأسباب الإعاقة ودور الدول المتقدمة في رعاية المعوقين وتأهيلهم.

وقع الكتاب في ثلاثة عشر فصلاً. وقد تناول في الفصل الأول المفهوم الحضاري للإعاقة عبر النظرة الموضوعية إلى إعاقتهم والتعامل معها كأمر طبيعي، ومن خلال نظرة المساواة بينهم وبين الأصحاء في كل الحقوق. واستعرض التاريخ الإسلامي وما قدمه للمعوقين.

وتحدث في الفصل الثاني عن دور المعوقين في التنمية؛ لأن المعوقين يمثلون نحو ١٠٪ من مجمل المجتمعات العالمية. ولقد أوضحت الدراسات التأهيلية أن ٨٢٪ من المعوقين واصلوا حياة اعتيادية تمامًا كزملائهم الأصحاء بعد تأهيلهم نفسيًا واجتماعيًا وصحيًا ومهنيًا.

أما الفصل الثالث «الصحة للجميع» فتحدث فيه عن تخطيط الدول لبلوغ مستوى صحي لائق، وذكر أن منظمة اليونسكو صنّفت المملكة العربية السعودية نموذجًا يحتذى في تطوير أجهزتها الصحية وتحقيق خطط منظمة الصحة العالمية. وتحدث عن الرعاية الاجتماعية في المملكة، ودور المراكز الصحية وما تقدمه للمعوقين من خدمات، مع جداول إحصائية بذلك.

وفي الفصل الرابع تحدث عن بدايات إنشاء المركز المشترك بين جامعة الملك سعود ووزارة الصحة، ثم واقعه الحالي، وهيكله التنظيمي، والأبحاث العلمية المتخصصة بالمعوقين التي نشرها المركز، والخدمات التأهيلية العالية التقنية التي قدمها للمعوقين، وذكر قائمة بأسماء أهل الخير الذين قدموا دعمًا ماليًا للمركز.

وفي الفصل الخامس «المراحل الحاسمة» تناول الأعمال التي يقوم بها المركز المشترك؛ من بحث علمي، وتدريب وتعليم، وتوعية وإعلام ونشر، وفحص مبكر ووقاية من التعويق، ورعاية للمسنين، وخدمات استشارية لجميع مراكز المملكة ودول المنطقة.

وتحدث في الفصل السادس عن المشروع الوطني لأبحاث التعويق والتأهيل، وإعادة التأهيل داخل المجتمع الذي يرعى المعوَّق - من مهده إلى لحده - في المملكة العربية السعودية، وهيكله التنظيمي.

وتناول في الفصل السابع «نظرة في العادات الاجتماعية» صحة الأسرة السعودية مع التركيز على التغذية، وعلى صحة الأم والطفل، وتحدث عن التدخين وأضراره، وأعطى إحصائية للمدخنين في العالم، وذكر أن ٤٪ فقط من السعوديين يدخنون.

وتحدث في الفصل الثامن «الضعفاء في المجتمع» عن المجتمع السعودي ووصفه بأنه مجتمع فتي. وتحدث عن نسب المعوقين فيه من ذكور وإناث، كما تحدث عن الحالة الاجتماعية للمعوقين، وعن التعويق والوراثة، وعن المستوى التعليمي عند المعوقين، وعن دخلهم في المملكة.

وتكلم في الفصل التاسع «عالم الإعاقة في واقع بلادي» على تعريف المعوّق، وأنواع الإعاقة وحجمها كالإعاقة الجسدية والبصرية والنطقية والسمعية والذهنية والنفسية والاجتماعية.

وعقد الفصل العاشر «هل خُدم المعوَّقون حقًا» للحديث عن خدمات المعوقين، وعن المعوقات والمصاعب التي صادفت المعوّقين وحرمتهم من الاستفادة الكاملة من الخدمات.

أما الفصل الحادي عشر «من المحلية إلى العالمية - مجلس العالم الإسلامي للإعاقة والتأهيل» فخصصه للحديث عن التعويق والتأهيل والرعاية الاجتماعية في العالم الإسلامي، وسوء التغذية في دول العالم الإسلامي، وصياغة خطط الوقاية من الإعاقة، والمؤتمرات الدولية المنعقدة لهذا الغرض، وأوضاع الإعاقة في بعض الدول الإسلامية؛ كأفغانستان وفلسطين والكويت ومصر وماليزيا وأندونيسيا وبنغلاديش. ودور مجلس العالم الإسلامي في الحملة العالمية المناوئة للألغام الأرضية.

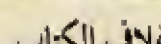
وأما الفصل الثاني عشر «نماذج للتطوير المستقبلي» فذكر فيه التوصيات المقترحة لتحسين أوضاع المعوقين، وتوفير ما يلزمهم من خدمات طبية في المناطق المختلفة بالمملكة، والوصف الفني لمركز التأهيل الطبي، ومركز جراحة أعطاب الحبل الشوكي، وبرنامج الرعاية المنزلية، وإعادة التأهيل داخل المجتمع.

وأما الفصل الثالث عشر «نحو وثيقة شاملة لحقوق المعوّقين» فتحدث فيه عن ضرورة وضع ميثاق شامل للمعوقين ترسيخًا للعدالة الاجتماعية أولاً، وتحسينًا وتطويراً لجهاز الرعاية التأهيلية ثانيًا، وإنصافًا لشريحة المعوقين ثالثًا وأخيرًا. وأشار إلى مراحل وضع الوثيقة ومصادرها، وإلى حقوق المعوقين عبر التاريخ، وأخيرًا إلى الوثيقة التي اعتمد فيها المفهوم الإسلامي للرعاية الاجتماعية الذي يعامل المعوق والسليم معاملة واحدة، ويشعر المعوق بإنسانيته وكرامته، وإيصاله إلى حاجاته الأساسية، وتأكيد حقوقه، وتوفير التعليم له بشكل مجاني وإلزامي.

وختم الكتاب بالحديث عن النتائج التي توصل إليها، وبيان ضعف الإنسان، ومغادرته الدنيا بعد إسدال الستار على حياته. وأخيراً أنهى الكتاب بتقديم كلمة شكر إلى معالي وزير التعليم العالي، ومعالي مدير جامعة الملك سعود، وسعادة عميد كلية العلوم الطبية التطبيقية وبعض الإخوة الذين ساعدوه في إخراج الكتاب، وصنع للكتاب فهرسًا للموضوعات وفهرسًا للأشكال، وفهرسًا للجداول.

العنوان: التوجيه والإرشاد الطلابي مع تطبيقات من المملكة العربية السعودية.
المؤلف: محمد قاري عادل السيد.
الناشر: دار الطرفين، الطائف، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، ٤٥٧ ص.

محمد قاري عادل السيد



غلاف الكتاب

الكتاب دراسة واقعية علمية تربوية ميدانية لأعمال الإرشاد الطلابي في مدارس المملكة العربية السعودية: الابتدائية والمتوسطة والثانوية. وقد تميز بوفرة معلوماته؛ لما لصاحبه من

تجربة في مجال التعليم والتوجيه.

وانتظم الكتاب في أحد عشر فصلاً: تناول الفصل الأول تاريخ التوجيه والإرشاد الطلابي، مع نبذة عن النهضة التعليمية في المملكة، والحاجة إلى التوجيه والإرشاد الطلابي، ومفهوم التوجيه والإرشاد، ومفهومات خاطئة عن التوجيه والإرشاد الطلابي، وعلاقة التوجيه والإرشاد بالعلوم الأخرى، ومستقبل التوجيه والإرشاد وأهدافه.

وتحدث في الفصل الثاني عن أسس التوجيه والإرشاد ومسلماته؛ كالأسس الفلسفية والنفسية والتربوية والاجتماعية. وأفرد الفصل الثالث للحديث عن نظريات الإرشاد الطلابي؛ كنظرية التحليل النفسي، والنظرية السلوكية، ونظرية الذات، ونظرية الإرشاد العقلاني والانفعالي، ونظرية السمات والعوامل. وتكلم في الفصل الرابع على المعلومات الأساسية للعملية الإرشادية، وشروط جمع المعلومات ومصادرها؛ كالطالب، والأسرة، والأصدقاء، والمدرسين والمتخصصين. وفي الفصل الخامس عرض وسائل جمع المعلومات من ملاحظة، ومقابلة، ودراسة الحالة، والبحوث والاختبارات، وسجلات الإرشاد الطلابي. وناقش في الفصل السادس مهام المسؤولين عن التوجيه والإرشاد الطلابي في المدرسة ولجان التوجيه والإرشاد، ودور المدير، والمدرس، والمرشد الطلابي. وأورد شروط المرشد الطلابي ودوره وما يتميز به من سمات وقدرات شخصية وخبرة عملية وتدريبية، وذكر البرنامج اليومي للمرشد، والمفهومات الخاطئة عنه، وتحدث عن دور الأسرة في التوجيه، وكذلك الأطباء، والمشرف الاجتماعي، والمسؤول عن الغياب، وأمين المكتبة، والمسؤول عن الإذاعة المدرسية. واستعرض في الفصل السابع مجالات الإرشاد، وميادينه، وخدماته كالتوحيد والإرشاد الديني والأخلاقي، والتربوي، والاجتماعي، والنفسي، والوقائي، والتعليمي والمهني. وأورد في الفصل الثامن عمليات الإرشاد وطرائقه؛ كالإرشاد الفردي، والجماعي، والمباشر، وغير المباشر، والسلوكي، والإرشاد وقت الفراغ. وعقد الفصل التاسع للحديث عن النموذج الإسلامي المقترح في التوجيه والإرشاد في المجتمع الإسلامي، وتناول فيه خَلْق الإنسان من تراب ثم من نطفة.. ثم نفخ الروح فيه، ثم مراحل نمو الإنسان وطبيعته الجامعة بين الروح والجسد، ومكوناته من جسد وعقل ونفس وروح. وجوانبه السلبية والإيجابية، كالتحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل. وفي الفصل العاشر فصّل الحديث عن التوجيه والإرشاد في مراحل التعليم الابتدائية، والمتوسطة، والثانوية. أما الفصل الأخير فقد تحدث فيه عن علاقة التوجيه والإرشاد بعلم الاجتماع التربوي، والنشاط المدرسي، وغيرها من الموضوعات المتعلقة بذلك.

وختم الكتاب بملاحق عن: استبانة مشكلات مرحلة الطفولة، واستمارة تقويم برنامج التوعية من أضرار التدخين، وبرنامج التوعية من أضرار المخدرات، واستمارة تقويم مركز خدمات التوجيه والإرشاد، واستمارة اختيار نوع الدراسة لطالب المرحلة الثانوية، واستمارة زيارة مشرف توجيه وإرشاد للمدرسة.

وعمل للكتاب فهرسين: الأول للموضوعات، والثاني للمصادر والمراجع.

العنوان: رعاية المسنين في الإسلام.
المؤلف: عبدالله بن ناصر بن عبدالله السدحان.
الناشر: المؤلف نفسه، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، ١٠١ص.



غلاف الكتاب

رعاية المسنين والاهتمام بالكبار والشيوخ أكّدهما الإسلام قبل أربعة عشر قرنًا، وجعل مرحلة الشيخوخة مرحلة تكريم وعناية خاصة وأوصى بمنح أهلها مزيداً من الرعاية والاحترام والتوقير. ذلك لأن صاحبها يتصف بالضعف وبحاجته إلى الآخرين لخدمته والقيام على شؤونه الدنيوية، فهي مرحلة عصيبة.. ولقد تزايد في الآونة الأخيرة التنادي بالاهتمام بهذه الفئة، كما بذلت جهود عملية لخدمتهم.. وأخيرًا تم تخصيص عام ١٩٨٢م سنة دولية للمُسنّين بدعوة من الجمعية العامة للأمم المتحدة لتركيز الجهد من أجل بحث قضايا المسنين ومناقشتها ومعالجة مشكلاتهم، وزيادة الاهتمام برعايتهم الاجتماعية والصحية والنفسية والمعيشية. وقد ذكر الباحث أن هذه الدراسة تستهدف إبراز مظاهر رعاية المسنين في الإسلام ونشرها، وكيف انعكس ذلك على المجتمع المسلم الأول سلوكًا وممارسة؛ علّها تكون دافعًا لأبناء جيلنا الحاضر. ولقد اتضح في نهاية الدراسة سبق الإسلام لكل ما يُنادى به الآن لهذه الفئة، ليس السبق فحسب؛ بل التنوع والتكامل وفتح أفق واسع للمسنين لاستقبال الحياة بثغر باسم، وصدر منشرح، بخلاف النظرة القائمة التي تصورها النظم الغربية لحياة المسنّ، وكأنها موت بطيء. ولقد امتدت رعاية الإسلام إلى غير المسلمين من المسنين متى كانوا يقيمون في دار الإسلام، وامتدت هذه الرعاية لهم حتى في وقت الحرب.

يقع الكتاب في مقدمة وفصلين. الفصل الأول وعنوانه: المسنون ونظرة الإسلام للتغيرات المصاحبة لهم. وقد انشعب هذ الفصل إلى ثلاثة مباحث. تناول في المبحث الأول، تعريف المسن في اللغة والاصطلاح، وعقد المبحث الثاني للمتغيرات التي تصاحب مرحلة الشيخوخة ونظرة الإسلام تجاهها؛ كالتغيرات الجسمية، والاجتماعية، والنفسية، والانفعالية، والعقلية، وتحدث في المبحث الثالث عن المرتكزات التي تقوم عليها رعاية المسنين في الإسلام وأبرزها: الإنسان مخلوق مكرم، ومكانته محترمة في الإسلام. المجتمع المسلم مجتمع متراحم متماسك متوادّ متعاطف متكاتف متعاون. المسنّ المؤمن له مكانته عند الله ولا يزاد في عمره إلا كان ذلك خيراً له. توقير الكبير وإكرامه والتشبه به سمة من سمات المجتمع المسلم. المسن ذو الشيبة المسلم له منزلة ومكانة متميزة في الإسلام. وجوب تقديم الرعاية الشاملة للمسن من قِبَل الدولة.

وأما الفصل الثاني فعنوانه: أوجه رعاية الإسلام للمسنين، وتوزع في خمسة مباحث. تناول في المبحثين الأول والثاني رعاية الوالدين بوصفها مظهراً من مظاهر رعاية المسنين، ورعاية صديق الوالدين بوصفها مظهراً من مظاهر رعاية المسنين في الإسلام. أما المبحث الثالث فقد خصّه لرعاية المسنين في المجتمع المسلم. وعرض في المبحث الرابع رعاية المسنين في الحروب من قِبَل الجيوش المسلمة. وأورد في المبحث الخامس بعضَ الأحكام الفقهية الخاصة بالمسنين. وفي نهاية الكتاب صنع قائمة للأحاديث الواردة في الكتاب، وختم الكتاب بفهرس للمراجع وفهرس للموضوعات.

ذكريات الدراسة في فاس

حلقة من السيرة الذاتية للراحل قدور الورطاسي

١/ ٢

عرضها وقدَّم لها: **د. الصادقي العمّاري**

انتقل إلى عفو الله الكاتب الشاعر قدور الورطاسي الحسني، وفارق عالم الأحياء الفاني إلى عالم الخلود الباقي يوم ٢٠ من تموز/ يوليو ١٩٩٤م. وقد عُرف - رحمه الله - بمواقفه النضالية من أجل استقلال بلاده وكرامتها؛ فذاق مرارة السجون والمنافي، كما ترك مؤلفات وإبداعات أدبية، ومن تلك المؤلفات :

- المطرب في تاريخ شرق المغرب في جزأين.
- فقه المناسك على مذهب الإمام مالك.
- بنو يزناسن عبر الكفاح الوطني (بنو يزناسن قبيلة بشرق المغرب).
- ديوانه الشعري «الحدائق».

كما حاول تسجيل سيرته الذاتية، وقد أنجز في هذا المشروع ثلاث حلقات، خصص كل واحدة بناحية من نواحي شخصيته، وبطور من أطوار حياته. وهكذا أودع ذكرياته عن طفولته ومراحل دراسته في الحلقة التي عنونها بـ«ذكريات الدراسة في فاس»، وسطَّر مظاهر من نضاله الوطني ضد الاستعمار في كتابه «غروب الاستعمار»، وأثبت علاقته بمجريات الأحداث مع جبهة التحرير الجزائرية لمَّا صار رئيسًا لدائرة «أبركان» - بعد استرجاع المغرب لاستقلاله - في كتابه «أربع سنوات مع جبهة التحرير الجزائرية».

نقتصر في هذه الدراسة على الحلقة الأولى الخاصة بطفولته ومراحل دراسته؛ متناولين: ١- المحور الذاتي. ٢- الأبعاد الموضوعية في الجانبين: الاجتماعي والثقافي، ثم لمحة عن الخصائص الفنية لهذه الحلقة من سيرته كما كتبها بقلمه.

المحور الذاتي

ولد قدور الورطاسي الحسني في قرية «واد ورطاس» التي تبعد عن أبركان نحو خمسة كيلومترات، سنة ١٩١٢م. وهي قرية تمتاز بطبيعتها الرائعة ووداعة سكانها وورعهم، وفيها بدأ تعلمه، ثم تنقل عبر قرى تلك الناحية، لحفظ القرآن الكريم ودراسة مبادئ الفقه والتوحيد «بابن عاشر» والنحو «بالآجرومية». وتسنى له أن يتصل ببعض الفقهاء الذين تركوا في نفسه انطباعات حسنة راسخة من حيث سلوكهم القويم ومعرفتهم المكينة، ونبل معاملتهم. وعَدَّ بعضهم نموذجًا ومثالاً يحتذى، وتأثر أيضًا بما لقيه من كرم الناس هناك وتقديرهم الفائق لقراء كتاب الله الكريم.

ثم التحق بمعهد وجدة للتعليم الأصيل الذي كان على نمط القرويين، وذلك سنة ١٩٣٠م. وتنحصر مقررات الدراسة في العلوم الدينية واللغوية والمنطق، وأهم الكتب المعتمدة هي: متن خليل، وتحفة ابن عاصم، وشرح المكودي لألفية ابن مالك. وكان الورطاسي يستعين على دراسته بمنحة يتقاضاها من الأوقاف.

بعد مدة بسيطة تاقت نفسه لمدينة فاس لتعميق دراسته، وكانت فاس حينئذ محط أنظار طلاب العلم من كل آفاق المغرب لوجود جامعة القرويين بها، وهي مستقر العلماء الأعلام، تموج بألوان المعرفة وحلقات الدرس. وعلى قصر ذات يد والده وافق على مراد ولده. وليكفل له تحقيق مطمحه باع البقرة الوحيدة التي هي عماد معاش الأسرة ووضع ثمنها في يد ولده قدور.

حل الورطاسي بفاس يوم ٢٣ شباط/ فبراير ١٩٣٢م، وسكن في المدرسة

باب النداء في مسجد سيدي الشاوي ابتداءً من السادسة صباحًا، وكان يمتاز بجودة الإلقاء وسلوك منهج الوضوح والتيسير؛ مما جعل الكاتب يستفيد منه أبلغ فائدة، إذ تمكن من اكتساب منهج قويم درس على هدي خطواته بقية الأبواب بمفرده.

ويمتاز هذا الأستاذ الجليل بإخلاصه في عمله، ورغبة صادقة في إفادة الطلبة مع عطفه الأبوي عليهم.

٤- رشيد بن علي الدرقاوي: تلقى الكاتب على يد هذا العلامة متن الجوهر المكنون ومختصر السعد. ومن المصادفات الحسنة أن يجده الكاتب في الباب الذي توقف عنده أستاذه السابق في شرح ابن عقيل. ويذكر الكاتب مدى إعجاب العلامة الدرقاوي به حيث جعله السارد (أوالمعيد) في حلقة الدرس، نظرًا لما لمسه فيه من مقدرة على إجادة القراءة وإتقان القواعد اللغوية وحضور بديهته لإجابة بعض الطلاب عما يطرحونه من أسئلة أو استفسارات.

ولقد لقي هذا الأستاذ الجليل من العنت والتنكيل به من لدن المستعمرين ما يبعث على الأسى والإكبار لوطنيته؛ حيث نفته السلطات الاستعمارية مع ثلة من رجال الحركة الوطنية الأفذاذ سنة ١٩٣٧م إلى مركز كوليمة، وهناك مورست عليهم تصرفات وحشية من ضرب وأعمال شاقة.

٥- الأستاذ العلامة بنسعيد المكناسي: تعرف إلى هذا الأستاذ بعد عطلة عيد الفطر لعام ١٣٥١هـ في أثناء اجتياز الكاتب اختبار القبول للدراسة بالقرويين. وتسنى له أن يتلقى على هذا الأستاذ شرح الشافية لابن الحاجب. وقد أدرك الكاتب قدور منذ أول درس مدى تمكن هذا الأستاذ ومهارته في الإلقاء والشرح، وأنَّ من يواظب على متابعة دروسه يمكن أن يصير في عداد العلماء في أقصر مدة؛ فشرحه يغني الطالب عن الحفظ وكد الذهن في فك غوامض الكتاب المذكور. كما تلقى عليه دروسًا تطوعية في مسجد المدرسة العنانية في شرح صحيح البخاري وكان قدور هو السارد.

٦- الأستاذ محمد بن عبدالقادر الصقلي: درس عليه الكاتب علم التوحيد بمتن السنوسية، وقد نَوَّه بمقدرته على تقريب هذا العلم من الأفهام وفك مفاهيم مصطلحاته؛ حتى إن الكاتب علقت بذهنه أمثلة من شرح الأستاذ بنصها، ولهذا كان أكثر تجاوبًا معه متابعًا لما يلقيه بكامل العناية. وبطريقة «السرد اللاحق» ذكر الكاتب أنه زار القرويين وهو رئيس دائرة أبركان سنة ١٩٥٧م فتسنى له أن يتصل بهذا الأستاذ الجليل ويتجاذب معه أطراف الحديث؛ معبرًا له عن وفائه واعتزازه به واعترافه له بالجميل الذي لا تمحوه الأيام والأعوام.

٧- الأستاذ العربي الشامي: عرفه الكاتب في شتاء سنة ١٩٣٢م؛ حيث تطوع هذا الأستاذ بطلب من الكاتب قدور ليدرس له ولرفيقه في الدراسة - إدريس البرحيلي - منظومة الاستعارة للطيب ابن كيران، ومتن الورقات لإمام الحرمين، ومتن السنوسية، ومنظومة الزقاق، وشرح القويسيني للسلم، وكان ذلك «بجامع الرصيف» مدة سنتين. ولم تفتر حماسة الأستاذ في مواصلة التدريس مع أنه يُدَرِّس طالبين فقط - الكاتب ورفيقه -، ولم يتخلف مرة حتى في الأيام الباردة الممطرة. وكان هذا الأستاذ يشجع الورطاسي على المزيد من الاطلاع وقراءة



صورة لجانب من جامعة القرويين

العنانية مع أحد أصدقائه الذي تعرف إليه من قبل، وليتابع دراسته بالقرويين اشترى «لبدة» ليجلس عليها؛ حيث لا مقاعد في المسجد، وكذلك محفظة، وتقدم لاجتياز امتحان القبول. ومن المصادفات أن الذي اختبره هو العلامة عبدالواحد الفاسي - والد المرحوم علال الفاسي - فأسفرت النتيجة عن فوز قدور وقبوله في السنة الثانية من الطور الأول، مع أنه كان يستظهر كتاب الله، وألفية ابن مالك، وجزءًا من متن خليل، وثلثي تحفة ابن عاصم، ولكن الخجل كان يسيطر عليه فلم يظهر أمام الممتحنين على حقيقته.

مكث قدور في هذا الطور ملازمًا حضور حلقات الدرس مدة شهرين، ثم أدرك أن بقاءه فيه مضيعة للوقت، فقرر أن يعتمد على نفسه ويدرس دراسة ذاتية حرة. هذه المدة - على قصرها - أكسبته القدرة على المواجهة والمناقشة، واستطاع التخلص من الخجل إلى حد كبير، كما أن أساتذته أظهروا استغرابهم من وجوده في هذا الطور الابتدائي.

وضع قدور لنفسه برنامجًا دراسيًا خاصًا يتضمن النحو والصرف والبلاغة، وتمكن من حفظ ديوان أبي تمام ومقامات الحريري ولامية الأفعال وغيرها في مدة يسيرة؛ إذ واصل الدراسة من دون انقطاع، وقرر المكوث بفاس خلال العطلة الصيفية لهذا الغرض ومن أجل حضور الدروس التطوعية. ومن الحوافز التي حدت به لمضاعفة الجهد صدور قانون إصلاحي يمنح الطلبة المسجلين مدة ثلاث سنوات، وبعد انصرامها تسري مقتضياته عليهم.

لقد علقت بذهن الكاتب قدور ذكريات عَدَّها من أغلى ذكريات حياته، ألا وهي صور عن أساتذته. ومن تلك:

١- ما أورده عن أستاذه عباس بناني الذي تعرف إليه منذ دخوله القرويين، وقد اشتهر بتضلعه من الفقه والأصول والمنطق والبلاغة، وبرع في النحو والصرف، وقد أعجب الكاتب قدور الورطاسي بفصاحته وقدرته على التبليغ ومهارته في التحليل وتحرره ومرحه.

٢- عبدالهادي بن المواز: درس عليه الكاتب الألفية، ومن عادة هذا الأستاذ أن يقيم لطلبته مأدبة في منزله «بالطالعة» قبل بداية الدراسة لتمتين عرى الألفة.

٣- عباس الأمراني: تلقى عليه الكاتب شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك إلى

الكتب لما رآه فيه من الإقبال على المطالعة.

إن احتفاظ الكاتب بذكرياته عن أساتذته له دلالة عميقة، فهي تنم على تأثره بهم واعترافه بفضلهم عليه لحسن معاملتهم وسعة علمهم وإخلاصهم. واستعادة الكاتب لذكرياته تقدم لنا في طياتها صوراً حيَّة عن الواقع التعليمي السائد في مرحلة من أهم مراحل تحول المجتمع المغربي وتطلعه للنهضة مع تشبث علماء التعليم الأصيل بمتون متوارثة منذ قرون، وهذا مما سنبينه بوضوح حين تعرضنا للبعد الفكري فيما بعد.

وإلى جانب هؤلاء الأساتذة استعرض الكاتب، في هذه الحلقة من سيرته الذاتية، جملة من انطباعات عن أشخاص آخرين ممن كانت له صلة بهم، أو تأثر بهم في ناحية من نواحي شخصيته، وإن لم يكونوا من أساتذته، ومن هؤلاء:

١ـ الزعيم علال الفاسي: تعرف الكاتب بعلال الفاسي لما بدأ يسمع عن الحركة الوطنية وهي في بداية انطلاقها وهو حينئذ طالب بمعهد وجدة. ولم يكن قادراً، حينذاك، على أن يستوعب ما تدعو إليه، إذ كيف تقف جماعة لا سلاح لها في وجه الاستعمار بقوته العسكرية؟! وحسب ما هو مألوف في البادية وتَرَسَّخ في ذهنه أن الغلبة لا تكون إلا للأقوى قوة مادية، أما القوة المعنوية فلا يستوعب لها معنى. ولما قامت المظاهرات واعتصم الناس بالمساجد تعبيراً عن رفضهم للظهير البربري الذي أراد به الاستعمار إيجاد صدع في مقومات الشعب المغربي ـ وكان ذلك سنة ١٩٣٠م ـ تعجب الكاتب؛ إذ لم يدر كيف تتكتل جماعة أغلب أعضائها من سكان الحواضر للدفاع عن مصالح أهل البوادي وهم أقوى أجساماً وأكثر جرأة وصبراً، كما تعجب من أن يكون زعيم هذه الجماعة من الوطنيين شاباً نحيلاً من أهل فاس. كل هذه الهواجس نتيجة قصور مداركه ونشأته في بيئة لم تستسغ بعد مرامي العمل السياسي وأساليبه، ولهذا كان من بين المهام الأساسية للحركة الوطنية في بداية انطلاقها: إشاعة الوعي وإيقاظ المشاعر الوطنية وشحذ الهمم والتمكين للثقة بالنفس، فكانت الدعوة السلفية مهاداً للحركة الوطنية، تلك الدعوة التي أنارت العقول وبَصَّرَت الناس بجوهر الدين ووقفت في وجه الطُّرقية الموالية للاستعمار، والتي ترسخ الانهزامية والاتكالية المتخاذلة؛ فسفَّهت مواقفها وكشفت عن أضاليلها، وكانت كتب السلفية بين أيدي الطلبة رائجة يتناولونها بالمناقشة والتحليل. وكانت دروس العلامة السلفي محمد بن العربي العلوي حديث النوادي يتناقلها العلماء والطلبة بإعزاز وإكبار؛ إلا أن كتب السلفية غائبة عن مجالس الدروس الرسمية. ويعترف الكاتب الورطاسي أنه لم يكن قادراً، حينذاك، على استساغة المرامي العميقة للسلفية، ولاسيما أن والده وأكثر أهل بلدته ورطاس كانوا من أتباع الطرقية، وهم على جانب كبير من التمسك بشعائر الدين فكيف يكونون مخطئين؟!

إن الانفلات من المعتاد والتخلص من التقاليد الراسخة يتطلب وعياً أعمق ومعرفة أوسع واقتناعاً لا يخالطه ريب، وهذا ما حصل بالفعل للورطاسي، فقد تسنى له الاتصال بمن هم أكثر معرفة ونباهة؛ مما مكنه بعد مدة من استيعاب المقاصد النبيلة للسلفية وتوجهاتها الوطنية والنضالية والدينية.

لم تمض على الكاتب الورطاسي إلا أيام معدودة خلال سنة ١٩٣٢م حتى حضر صحبة رفيقه في الدراسة إدريس البرحيلي، أحد مجالس علال الفاسي بالقرويين، وهناك رأى ما أثار اهتمامه وأخذ بمجامع فؤاده: علماء وطلبة ونساء وفتيات ملثمات، ورائحة البخور تعطر المكان، وسمع دوي التكبير لما اعتلى علال الفاسي المنبر. فلما صار يلقي درسه انبهر الورطاسي مما أوتيه علال الفاسي من القدرة الخطابية وحضور البديهة، وقوة الحجة مع الفصاحة وسحر البيان. واقترح الكاتب على صديقه أن يطلبا معًا من علال إلقاء دروس تطوعية لهما في علم العروض، فقاما بزيارته في منزله بدرب المتر، فرحب بهما علال واستقبلهما أحسن استقبال مع أنه كان حينئذ مريضاً؛ إلا أنه اعتذر لهما لمرضه، وكتب لهما توصية إلى العلامة الصديق العلوي. وهذه هي بداية معرفة الكاتب بعلال الفاسي بكيفية مباشرة، ثم توثقت صلته به عندما عاد علال من منفاه بالجابون، والورطاسي أحد عمداء حزب الاستقلال بشرق المغرب، ولم تزد الأيام بعد ذلك عُرى الوشائج بينهما إلا تمتيناً.

ومن خلال استعراض الكاتب لذكرياته عن علال يبدي تقديراً عظيماً له واعتزازاً بزعامته وعلمه. ونستخلص من ذلك أن شخصية علال أثرت في الكاتب أعمق تأثير؛ مما جعل منه وطنياً وفياً مخلصاً، وعالماً مُجداً مجاهداً.



علال الفاسي

إن السيرة الذاتية للكاتب الورطاسي طافحة بصور من ذكرياته عن أشخاص آخرين غير من ألمحنا إليهم، ومن نافلة القول أن نثبت في هذا المقام، أن خبرات الإنسان وتجاربه في الحياة مستمدة ـ في جانب كبير منها ـ من علاقته بالآخرين على اختلاف أصنافهم ومقاماتهم الاجتماعية والفكرية، وأن غنى هذه الخبرات المكتسبة وعمقها يقاسان بمدى تعدد الصلة بالناس وسعتها. ولهذا فهناك أشخاص كثيرون لا يتيح المجال هنا الإتيان على ذكرهم، ويكفي أن نشير إلى أن هؤلاء الذين آثرهم بالذكر لهم تأثير في مجرى حياته وتصوراته واختياراته السلوكية والفكرية.

ولم تخل سيرة الورطاسي من ذكر لبعض خصوصياته، إما بكيفية مسهبة أو مقتضبة، ومن ذلك أنه كان يرتاد مقهى جنان السبيل الذي كان من أرفع المقاهي، ويقضي هناك ساعات لسماع أغاني محمد عبدالوهاب. كما أورد الكاتب تفاصيل عن الحياة الطلابية: مظاهر عيشهم ومساكنهم بالمدرسة العنانية ـ وهو من ضمنهم ـ، وسلوكهم تجاه الأساتذة المطبوع بالاحترام والإجلال والاعتراف لهم بالجميل، وكان الأساتذة بدورهم يعطفون على الطلبة ويبذلون ما في وسعهم لإفادتهم، ولا يتوانون في إسداء النصح وحسن التوجيه لهم بكل صدق وإخلاص أبوي؛ فسادت المودة والمحبة بين الطرفين. ومن جملة ما أثر في تكوينه الثقافي والفكري ـ علاوة على الكتب التراثية الدراسية في العلوم الدينية واللغوية ـ مواظبته على قراءة مجلة «الرسالة» لأحمد حسن الزيات منذ سنة ١٩٣٢م، وكان حريصاً على استيعاب ما يرد فيها من أبحاث ودراسات، وأعجب بصفة خاصة بكتابات رئيس تحريرها وبمصطفى صادق الرافعي وعبدالقادر المازني وزكي مبارك ..

وعبَّر الكاتب في أكثر من موطن عن اعتداده بنفسه واعتزازه بقدراته، وتنويه الأساتذة بفطنته وذكائه وتفوقه في الدرس والتحصيل، كما أنه لم يخف ما كان ينتابه من خجل وقصور في الإدراك لبعض الظواهر والقضايا.

أما عن حياته الخاصة الطلابية من حيث السكن وموارد العيش؛ فقد بسط القول فيها، فمنذ أن حل بفاس سكن بالمدرسة العنانية، وكان يتنقل من حجرة إلى أخرى حيث لم يطب له المقام نظراً لسوء حال هذه الحجرات، لأنها قديمة البناء

حلقة من السيرة الذاتية للراحل قدور الورطاسي

ترتع فيها الحشرات وبخاصة البق والعناكب والفئران، ولم يكن بها أثاث إطلاقًا، والإضاءة بمصابيح الغاز، ولم تعرف الكهرباء إلا في صيف عام ١٣٥٢هـ، وكانت الحجرة التي حصل عليها بعد جهد جهيد ودفاع عن حقه أمام أعضاء المجلس العلمي أحسن حالاً، ولهذا تمسك بها إلى أن غادر فاس عام ١٩٣٦م.

ويبدو أن الورطاسي عاش إبان دراسته بفاس على حال من اليسر؛ فالسكن والإنارة والخبز بالمجان من الأوقاف، ويتقاضى عن قراءة الحزبين في مسجد درب بو حاج خمسة عشر فرنكًا في الشهر، وكان ينفق هذا المقدار وهو ما كان يكفي أربعة طلبة.

وإذا كان الكاتب قد بسط القول في أحداث حياته وما يتعلق بدراسته، فإنه لم يبح بالأسباب الداعية لانقطاعه عن الدراسة بعد أربع سنوات بفاس (من سنة ١٩٣٢م إلى سنة ١٩٣٦م)، كما أنه لم يكشف عن خفايا عواطفه، فقد جَرَّدَ سيرته من أية إشارة عن هذا الجانب مع أنه كان في عنفوان شبابه. ومرجع ذلك - في الغالب - إلى محافظته على التقاليد المتبعة من التكتم حول هذه الظاهرة الطبيعية في حياة الإنسان، وقد دأب على هذا المنحنى كثير من كتاب السيرة الذاتية من العلماء خاصة؛ إذ يرون أن الإبانة عن ذلك - حسب ما يبدو - مظهر من مظاهر ضعف الشخصية، أو أنه دلالة على الانحلال الخلقي.

لقد أولى الكاتب عنايته لظروف نشأته وتأثير البيئة البدوية وقيمها السائدة فيه، وكذلك مظاهر البيئة الحضرية التي لم يكن تأثيرها فيه بعيد الغور، ويتضح أنه كان على وفاق مع ما كان سائدًا من أنماط سلوكية غالبًا، وعلى خلاف مع بعضها أحيانًا؛ فالبيئة البدوية، على ما كان فيها من تخلف، يرى أنها تمثل الطهر والبراءة والصدق، ولهذا فمن الخير المحافظة على سلوك أهلها وقيمهم المتفردة، ويرفض ما كان عليه سكان الإقليم الشرقي من سرعة الانفعال واللجوء إلى العنف، وقلة المرونة أو اللين، وذلك من تأثير البيئة الطبيعية والأحوال الفكرية، ولا يتأتى تغيير السلوك إلا إذا حدث تغيير في العقليات وأنماط العيش ووسائله ومصادره. كما أن الورطاسي لم يبد أي انتقاد لمناهج الدراسة والطرائق التربوية المتبعة في معاهد التعليم الأصيل؛ مع ما فيها من ثبات على متون معينة لا تستجيب لمقتضيات الحياة ومستجداتها، وما في أساليب التدريس من اعتماد على الحفظ، والاقتصار على مواد معينة تنحصر في العلوم اللغوية والدينية، والتي تم تأليفها منذ قرون، مما سنتبين مظاهره في البعد الفكري.

البعد الاجتماعي

تتضمن السيرة الذاتية للورطاسي إشارات ذات دلالة عميقة إلى الوضع الاجتماعي في قرية «واد ورطاس» و«أبركان» و«وجدة» و«فاس». وبما أن المجال لا يتسع هنا لإيراد التفاصيل كما تم استخلاصها، فإننا سنكتفي ببعض اللمحات:

١- قرية واد ورطاس: لا تختلف العادات السائدة فيها عما هو سائد في القرى المغربية في ذلك الوقت عمومًا، ولكنها تتفرد بعض الخصوصيات، من ذلك غلبة الورع على أهلها واعتزازهم بالنسب إلى آل البيت الشريف، وحرصهم على حفظ القرآن الكريم أو بعضه على الأقل، وقلما يفترون عن قراءته حتى في أثناء ممارستهم لأعمالهم، والجميع يواظب على أداء الصلوات في أوقاتها، وطابع البساطة ظاهر بارز في مأكلهم وأثاث بيوتهم وملبسهم.

٢- يبدو أن العناصر السكانية لمدينة وجدة متنوعة؛ فالسكان الأقدمون هم الأبصارة، وبنو موسى وحركات ورسلان، أما الوافدون فهم الفكيكيون والتلمسانيون والمعسكريون والفاسيون وبنو يزناسن. ويمتاز كل عنصر بمميزات خاصة في العادات والتقاليد والملبس والمأكل، وفي الأفراح والأعياد والمآتم، وكذلك في أثاث البيوت، وطرائق التعامل ونوعية اللهجة من الناحية الصوتية.

فالوجديون الأصليون متوسطو الحال غالبًا، لا يفرشون بيوتهم بالصوف، ويكتفون بفراش خفيف وأغطية محلية ولحافات، ولا يكثرون من المأكولات، وقلما يطبخون الدجاج. وإذا أقاموا وليمة يكتفون باللحم والكسكس مع الزبيب أو البرقوق المجفف دون أن يقدموا للمدعوين فاكهة في ختام الأكل، ويستعيضون عنها بالشاي من دون حلويات. والمرأة الوجدية متحجبة، إذا خرجت لفت على جسمها إزارًا ولا يظهر منها إلا عين واحدة، ووسيلتها لمعرفة مجرى الأحداث اتصالها بأخريات في الأفراح والمآتم والحمامات.

ومن المألوف عند الوجديين أن يقتنوا حاجياتهم يوميًا إذ لا يدخرون شيئًا، وهم حريصون على النظافة مع بساطة الملبس، ويحتفظون بما يليق بالأعياد والحفلات.



قدور الورطاسي

وأهم ما يتميز به الوافدون أن أهل ندرومة الجزائريين أقرب إلى أسلوب الوجديين. وأما التلمسانيون فيتميزون بمظهر حضاري أكثر رقة وتأنقًا ومثلهم الفاسيون، وإن تأثروا بأهل وجدة من حيث التخلي عن الوداعة. وهذان العنصران نقلا إلى وجدة مظاهر حضارية في التعامل التجاري والعناية بمظهر البيوت وتنويع الأطعمة والحلويات، ودعوة الفرق الموسيقية في الحفلات. وأهل فكيك منهم الودغيريون الذين يتميزون بالوداعة والليونة، والزناكيون السريعو الغضب.

تعتمد وجدة اقتصاديًا على الفلاحة والتجارة، وصناعتها التقليدية ضعيفة خلاف المدن العتيقة، وبحكم موقع وجدة لا تحيط بها قرى إلا واحة سيدي يحيى. ومما يثير الانتباه في مزاج أهل شرق المغرب ما يغلب عليهم من صرامة ووضوح وهدوء ما لم يُسْتَفَزُّوا، وهم في هذه المظاهر السلوكية والنفسية يخالفون ما يغلب على أهل المدن عمومًا من مداراة وعدم المواجهة المباشرة والتكتم والحذر. ولأهل وجدة تصورات في مخيلاتهم عن أهل فاس، منها: أن هؤلاء يتحايلون على الوافدين لسلب أموالهم أو ذبحهم ليتخذوا من لحومهم «الخليع» أو«الكفتة» أو«الهركمة»، وكلما ذُكرت هذه المأكولات اقترنت في مخيلاتهم باللحوم البشرية! وهذه الأوهام راجعة بطبيعة الحال إلى ما كان بين مناطق المغرب من الحواجز وضعف التواصل، كما أن المستعمر أسهم في تعميق الشقة وإقامة الموانع، فلا يتيسر أن تمتزج العادات ويتقارب الناس إلا في حدود ضيقة.

٣- في فاس يمكن أن نستنتج أن الورطاسي أدرك مدى التباين الحاصل بين بيئة شرق المغرب وفاس، والوافد من هناك يشعر وكأنه قد انتقل من قطر إلى آخر؛ فهناك خلاف في الأمزجة والاهتمامات والسلوك والتصرفات والعادات والمأكل والملابس وأثاث البيوت واللهجات.

إن الوجه الحضاري لمدينة فاس يتجلى في عدة مظاهر: تأنق الناس ملبسًا ومأكلاً، والعناية الفائقة بأثاث المنزل وبتنسيقه، ولطف المعاملة وتحري الصدق - غالبًا -، والعمل بمقتضى الشرع تأثرًا بإشعاع القرويين ومجالسة العلماء. وبها كانت تتمركز الصناعة التقليدية، وهي المزوّد الرئيسي لمختلف النواحي، ومنها المنطقة الشرقية، من ملابس صوفية أو كتانية ومصنوعات نحاسية وجلدية.

الحية في وجدان الشعراء

د. نوره الشملان

الحية أو الأفعى حيوان مفزع، تحدث عنها الجاحظ (ت:٢٥٥هـ) في الحيوان، وفصّل في أنواعها، فهناك الحيات المائية، وهناك الحيات الجبلية. وفصّل في الحديث عن مظهرها الخارجي، فوصف رأسها ولسانها وعينيها وأسنانها وجلدها.. إلخ، كما تحدث عن سُمِّها والتداوي به أحيانًا، وتحدث عن بعض طباعها مثل الدهاء والحيلة والغدر والصبر على فقد الطعام... إلخ(١).

ولكن من العجيب أن هذه الحية التي يتحدث الجاحظ عن صفاتها، والتي تقترن في أذهاننا بكل شيء قبيح ومخيف ومهلك، ينظر إليها الشعراء نظرة أخرى. فهذا شاعر يمدح رجلاً بالقوة والبسالة والإقدام فلا يجد إلا الحية يشبهه بها فيقول:

مازال أمرُ ولاةِ السوءِ منتشرًا
حتى أطلَّ عليهم حَيَّةٌ ذكرُ
ذو مِرَّةٍ تفرَقُ الحيَّاتُ صولَتَه
عفُّ الشمائلِ قد شُدَّتْ له المِرَرُ
لم يأتهم خبرٌ عنه يلين له
حتى أتاهم به عن نفسه الخبرُ

وقال أدهم بن أبي الزعراء - وهو شاعر مشهور بوصف الحيات - مشبهًا نفسه بالحية:

وما أسود بالبأسِ ترتاح نفسه
إذا جلبة جاءت ويطرق للحسِّ
به نُقَط حُمْرٌ وَسُودٌ كأنما
تنضَّحَ نَضْحًا بالكحيل وبالوَرْسِ
أصمُّ قُطاريٌّ يكون خروجه
قبيل غروب الشمس مختلط الدِّمسِ
له منزلٌ أنف ابن قِترَةَ يغتدي
به السم لم يظهر نهارًا إلى الشَّمسِ
يقيل إذا ما قال بين شواهقٍ
تزلُّ العُقاب عن نفانفها الملسِ
بأجرأ منّي يا ابنةَ القومِ مقدرًا
إذا الحربُ دَبَّتْ أو لبست لها لبسي

وقال شاعر آخر يصف الحية وصفًا ينم على الإعجاب والانبهار بمقدرتها الفائقة على سرعة الانفلات من الأعداء، كما ينم على معاشرة للحيات ومعرفة بطباعها وسلوكها، فهي منعزلة في حياتها متغلبة على عوامل الطبيعة، يقول:

لا ينبُتُ العشبُ في وادٍ تكون به
ولا يجاورها وحشٌ ولا شجرُ
ربداء شابكةُ الأنيابِ ذابلة
ينبو من اليُبْسِ عن يافوخها الحجرُ
قد سرحت بالنَّدى ما مسَّها بلل
ولا تكنَّفها الحاوون ما قدروا
قد حاوروها فما قام الرُّقاةُ لها
وخاتلوها فما نالوا ولا ظفروا

وقال عمر بن أبي ربيعة (ت:٩٣هـ) يصف ليلة حاول فيها زيارة المحبوبة ويشبه مشيته بمشية الحية، فهو مترفق يحاول أن لا يشعر به أحد، ولعله اقتبس من الحية الحيلة والخديعة، يقول:

ولما فقدتُ الصوت منهم وأُخفتت
مصابيحُ شُبَّتْ بالعشاء وأنْوُرُ
وغاب قُميرٌ كنت أرجو مَغيبه
وروَّحَ رُعيانٌ ونَوَّمَ سُمَّرُ
ونَفَّضتُ عني الليلَ أقبلت مشيةَ
الحُبابِ ورُكني خيفةَ القومِ أزورُ

والحية كانت مصدرًا يلجأ إليه الشعراء في المدح، فهذا بشار بن بُرد (ت:١٦٧هـ) يجعل الخليفة الهادي حَيَّةً في قوله:

بين الإمام وموسى لامرئٍ شرف
هذا الهمامُ وهذا حيّة الوادي

وهذا أبو نُوَاس (ت:١٩٨هـ) يمدح الخصيب والي الخراج في مصر مبشرًا المصريين برجل شجاع كثير الحنكة والدهاء فيقول:

رماكم أمير المؤمنين بحيَّة
أكولٍ لحيَّات البلاد شَرُوب

ويبدو لي أن المتنبي (ت:٣٥٤هـ) قد وقف على هذا البيت عندما وصف بطش سيف الدولة:

أغَرَّكم طولُ الجيوش وعرضُها
عليٌّ شَرُوب للجيوش أكولُ

إن وصف الحية بالقوة يبدو غريبًا؛ لأن الراسخ في الذهن أن الحيَّة لا تعتمد على قوتها الجسدية؛ وإنما تعتمد على الحيلة وخفة الحركة ونفث السم القاتل في العدو؛ على حين نجد أن من وصفوا الحية من الشعراء ذكروا القوة الجسمية. ويؤكد الجاحظ نظرة الشعراء تلك حين يتحدث عن قوة الحية فيقول: «وليس في الأرض شيء جسمه مثل جسم الحية إلا والحية أقوى بدنًا منه أضعافًا، ومن قوتها أنها إذا أدخلت رأسها في جحرها أو صدع إلى صدرها لم يستطع أقوى الناس وهو قابض على ذنبها بكلتا يديه أن يخرجها لشدة اعتمادها وتعاون أجزائها»(٢).

الهوامش:

١- راجع الحيوان للجاحظ، ٢٩٧/٧.

قطاري: أي يقطر سمي. الدمس: الظلام واختلاط الظلام بالنور بعد غروب الشمس. ابن قترة: حية خبيثة. النفانف: جمع نفنف وهي سفوح الجبال. ربداء: غبراء. يافوخها: رأسها. خاتلوها: خادعوها. الحباب: الحيّة. أزور: مائل لأنه يتخفى.

٢- الحيوان، ١١١/٤.

قرن ونصف القرن على

بداية التصوير الضوئي

بين نظرية أرسطوطاليس وبصريات ابن الهيثم

جان الكسان

من الذي اخترع آلية التصوير الضوئي؟
سؤال ظل مطروحًا على مدى المئة والخمسين عامًا التي انقضت على ما اتُّفق عليه بأنه بداية تاريخ التصوير الضوئي الذي أعلن كبار الفنانين عند مولده خشيتهم من أنه سينهي التصوير الزيتي وأي نوع آخر من أنواع التصوير.



من ريف الرقة، لياسين جدوع

بين أرسطوطاليس والحسن بن الهيثم

الذين يؤرخون لهذا الفن يعودون به إلى حقب مختلفة، وإلى أسماء متعددة، من أرسطو طاليس، إلى تيتوس لوكريتيوس كارومي قبل الميلاد، إلى بطليموس (١٥٠م).. ثم إلى الحسن بن الهيثم(١) عالم البصريات العربي، وليوناردو دافنشي الرسام الشهير؛ انتهاء بلويس داجوير شريك جوزيف نييبس اللذين أُعلِن اختراع التصوير باسميهما عَام ١٨٣٩م في أكاديمية العلوم بباريس، وذلك من طريق استخدام المادة الحساسة، وإن كانت هناك تجربة تمهيدية



لوحة فوتوغرافية ليسرى عجم

بداية التصوير الضوئي

بين نظرية أرسطوطاليس وبصريات ابن الهيثم

لجوزيف نيبس عام ١٨٢٢م في عمل صورة فوتوغرافية.

الصورة الداغرية

ومع مرور ١٥٠ عامًا على بداية فن التصوير الضوئي، ظهرت أبحاث جديدة تعود بأصول هذا الفن إلى لويس جاك ـ ماندي داغر الذي هتف في يوم من الأيام: «استوليت على الضوء.. اعتقلت هروبه» وذلك بعد أن أنتج أول صورة «داغرية» ـ وهي تُنتج باستخدام طريقة قديمة في التصوير الفوتوغرافي على ألواح فضية ـ ولم يدرك أحد أهمية هذه الصورة، لكن العالم سرعان ما أدرك الفائدة منها؛ إذ مرّت عليه قرون عدة من التأملات الفلسفية، والإتقان البصري والتجارب الكيمياوية، إلى أن تمكن داغر من حل الجزء الأخير من هذا اللغز، وافتتح عصرًا جديدًا في فن التصوير(٢).

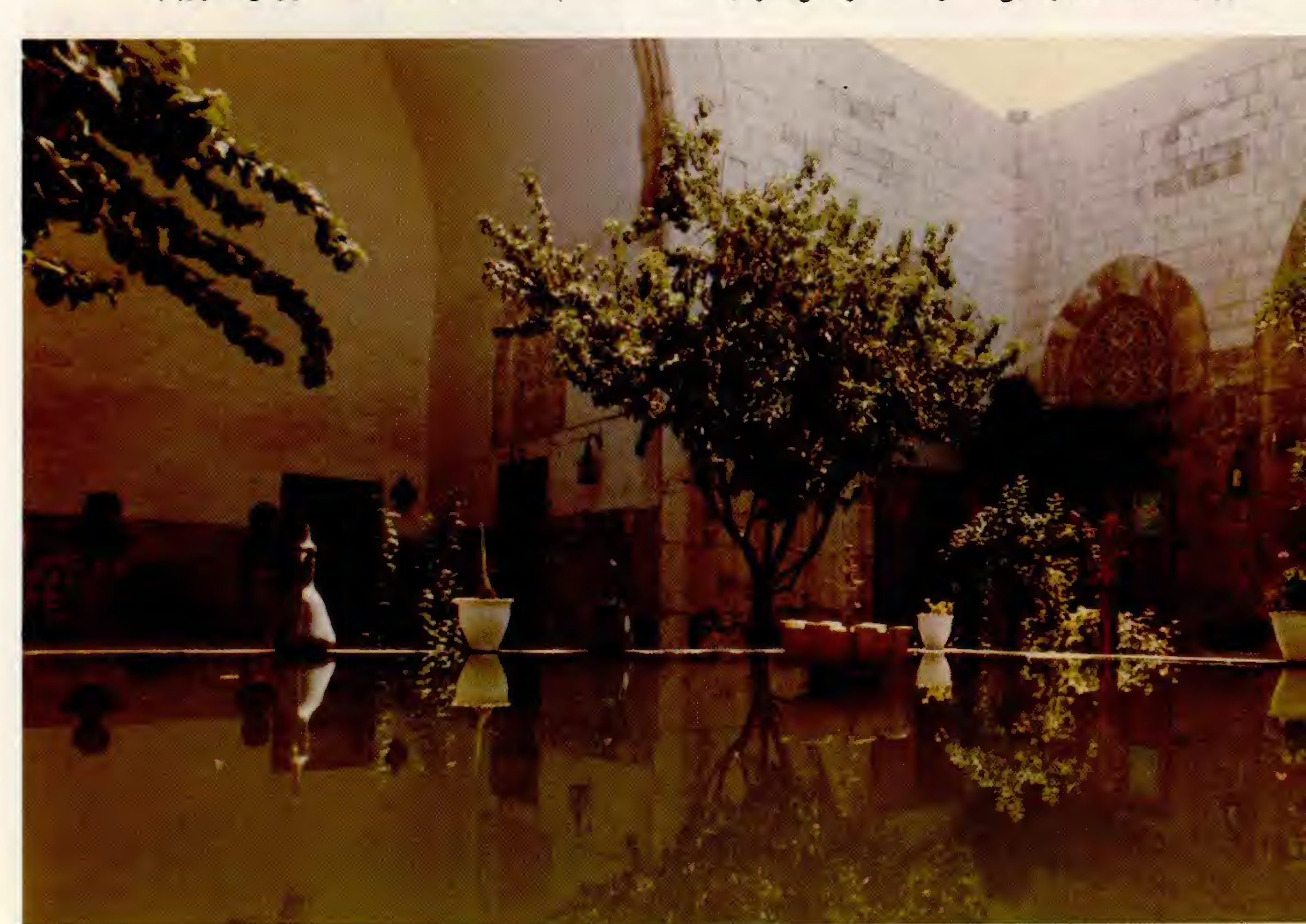
الصورة بدل الأحرف

كانت الصورة أول ما عبر به الإنسان عن أحاسيسه ورغباته في تسجيل ما يراه وما يعيشه، ولهذا كانت تستخدم (كما في الرقم المكتشفة) بدل الأحرف في الكتابات القديمة، ثم طُوِّرت وتم اختزالها وغابت عن الأبجديات لتحل محلها الحروف، ولكنها ظلت أسلوبًا للتعبير لدى الإنسان(٣).

ويعيد أحد الباحثين(٤) هذا الفن إلى المراحل الأولى لتسجيل الحركة، وكان أول من فكر بهذا أرسطوطاليس، إذ طرح نظرية مفادها أن شبكة العين تحتفظ بالصورة مدة تُراوح بين ١/١٠ إلى ١/٢٠ من الثانية حتى تمحى الصورة من العين، ومن هنا كان التفكير في عمل صور متتابعة، بحيث تمحى الصورة من العين لتظهر أمام العين صورة أخرى بها جزء مكمل، وهكذا..

وقد درس «تيتوس» هذه النظرية وطوّرها إلى نظرية جديدة تقول: «عندما تختفي الصورة من شبكة العين وتحل محلها صورة أخرى، يتولد الإحساس بالحركة».

ثم جاء العالم العربي الحسن بن الهيثم وتحدث عن (الصندوق المظلم ذي الفتحة) وبخاصة في كتابه «البصريات»، وكان هذا إيذانًا بمرحلة مهمة في هذا الاكتشاف، إذ وصف دافنشي الغرفة المظلمة وصفًا دقيقًا.. وبدأ الفنانون في استخدام هذه الغرفة لرسم أي منظر باليد لتحديد النسب والشكل، وتوصلوا في عام ١٦٦٤م إلى تركيب عدسة لتوضيح الصورة (الفانوس السحري).. وهكذا نشأت فكرة السطح الحساس للضوء، الذي يحتفظ بالصورة، وطُوِّرت هذه الفكرة حتى مرحلة جوزيف نيبس ولويس داجوير(٥).



متحف التقاليد الشعبية بدمشق، لأيوب سعدية

قرن ونصف القرن على

بداية التصوير الضوئي

بين نظرية أرسطوطاليس وبصريات ابن الهيثم

الصور الضوئية المجسمة

وراجت الصور الضوئية المجسمة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ليصبح التصوير الضوئي بعد ذلك وسيلة مهمة من وسائل تسجيل التاريخ، والوقائع، والأحداث، والوثائق، والمناسبات، وحياة الإنسان، ولاسيما بعد اختراع التصوير اللوني عام ١٩٣٥م، ثم انتشار التصوير الملون، وتطوير آلات التصوير والعدسات والأفلام، بحيث أصبح هذا الفن لعبة بين يدي طفل يحمل الآلة ليلتقط صورة لصديقه أو لأسرته، وفي الوقت نفسه ظل وسيلة بين يدي المصور الفنان يلتقط بها صوراً هي أقرب إلى اللوحات المرسومة باليد.

وتفاجئنا الإعلانات في الصحف، وعلى شاشة التلفاز كل يوم بإعلان جديد عن أحدث ما في عالم التصوير الضوئي:

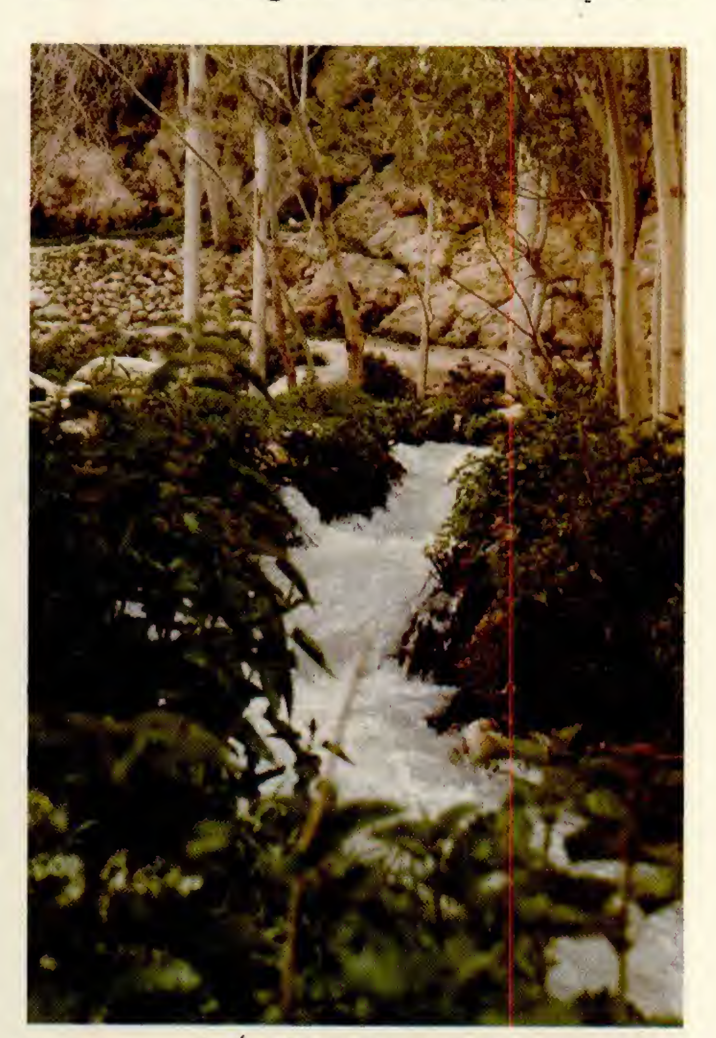
- فهذه آلة تصوير تستخدمها مرة واحدة وترميها.
- وهذه آلة تصوير هي في الوقت نفسه «مشعل لفافات» تستخدم لالتقاط الصور السرية.
- وهذه آلة مجهزة بمجموعة عدسات مقربة.
- وهذه آلة بحجم إبهام اليد.
- وهذه آلة متطورة لا تحتاج إلى أية خبرة في التصوير، فهي تقوم بجميع العمليات الفنية؛ كتحديد فتحة العدسة، وتحديد المسافة، ودرجة الضوء، ومسقط النور بحيث لا يحتاج حاملها إلى أكثر من توجيهها والضغط على الزر السحري فيها.. إلى آخر هذه المبتكرات المتطورة يوماً بعد آخر.

التصوير الضوئي في البلاد العربية

عُرف هذا الفن أول ما عرف في بلاد الشام، وقد عُرف باسم «التصوير الشمسي»، وجاء في كتاب «دمشق تاريخ وصور» للدكتور قتيبة الشهابي، أن سبب دخول التصوير الضوئي إلى سورية كان فتنة عام ١٨٦٠م في لبنان، حيث أرسلت فرنسا بعثة عسكرية كان من بين أعضائها «فيلكس بونفيس» الذي أقام في بيروت استديو للتصوير الشمسي، وكان ذلك عام ١٨٦٧م. ويستند المؤلف في هذا إلى معلومات وردت في مقال للباحث المؤرخ خالد معاذ(٦). ولكن وقائع جديدة جاءت تدحض هذا القول من خلال دراسة نُشرت في المجلة اللبنانية «صباح الخير - البناء»(٧) تقول: ابتدأ التصوير الشمسي في سورية أولاً، بعد بضعة أشهر فقط من إعلان أكاديمية العلوم الفرنسية في باريس (آب/أغسطس ١٨٣٩م) عن اكتشاف التصوير الضوئي، وقبل أن يبدأ فيلكس بونفيس التصوير الشمسي في سورية عام ١٨٦٧م، كان قد سبقه عشرات المصورين أمثال: نيسكة، ودوكامب، وبيرغهايم، وبدفورد، الذين قاموا بتصوير المدن السورية، وكان هذا أول عهد البلاد العربية بهذا الفن الجديد(٨).. ويعدد بدر الحاج بعد ذلك مجموعة من أسماء الذين سبقوا فيلكس بونفيس، وقبل الحرب الأهلية، عام ١٨٦٠م ومنهم: كلوديوس ويلهاوس (١٨٥٠م)، وجوزيف رانفي وجورج كيث (١٨٤٤م)، وألبرت أغسطس (١٨٥٦م)، وفرنسيس بدفورد (١٨٦٢م).

ومن مصوري تلك الحقبة برز في دمشق: حبيب هواويني، وسليمان حكيم، وديمتري طرزي وأولاده. وبرز في بيروت: جورج صابونجي، والإخوة صرافيان، ونصر عمون، ومتري فرنيني. أما في القدس، فكان إبراهيم غيراغوسيان أول من افتتح معهداً للتصوير الشمسي، وخرّج هذا المعهد مجموعة من المصورين البارزين منهم: كريكوريان، وخليل رعد.

وهكذا كانت دمشق وبيروت من المراكز الأساسية للتصوير الضوئي، وبعدهما يافا، والقدس، ثم انتقل هذا الفن إلى بقية البلاد العربية(*).



عين منين، من مصايف دمشق، لرجب أندورة

الهوامش والمراجع:

١- محمد بن الحسن بن الهيثم (ت نحو ٤٣٠هـ/نحو ١٠٣٨م): اشتهر بابن الهيثم، أما اسمه فقد اختلف فيه فقيل: هو الحسن بن الحسن بن الهيثم، وقيل: الحسن بن الحسين، وقال ابن أبي أصيبعة: هو محمد بن الحسن بن الهيثم.

٢- نبيل فاخوري: فلاش والعالم كله عدسة، الكفاح العربي، العدد ٨٤١، ١٩٩٤/٩/١٢م.

٣- محمد صبري: قصة أول صورة فوتوغرافية في التاريخ، مجلة الهلال، القاهرة، يناير ١٩٦٩م.

٤- المصدر السابق.

٥- المصدر السابق.

٦- صدر هذا الكتاب عن وزارة الثقافة السورية عام ١٩٨٧م.

٧- الدراسة بقلم بدر الحاج، وقد نشرت في مجلة «صباح الخير - البناء»، العدد ٥٥٩، ١٩٨٧/١٠/٣م، بيروت. وهي مرافقة بوثائق.

٨- قدم إلى سورية المصور ماكسيم دوكامب وكان يرافقه الكاتب الفرنسي غوستاف فلوبير بين سنوات ١٨٤٩-١٨٥١م، والتقط عدة صور في سورية، كما التقط المصور جيمس غراهام - الذي أقام في القدس في الخمسينيات من القرن التاسع عشر - صوراً لدمشق ظهرت اثنتان منها في كتاب «خمس سنوات في دمشق» للأسقف جورج بورتر الذي صدر في لندن عام ١٨٥٥م.

(*) من المراجع: التصوير والحياة (محمد نبهان سويلم)، والتصوير للهواة (سمير إحسان مارديني)، والتصوير الملون (عبدالفتاح رياض)، والتصوير الفوتوغرافي العادي والملون (فيصل محمود)، والتصوير الضوئي (دار طلاس بدمشق).


كابوريا العنكبوت

كابوريا عازف الكمان الفريد!!

د. أحمد محمد محمد إبراهيم

في الليالي القمرية في أثناء فصلَي الربيع والصيف كنت كثيراً ما أفترش رمال الشاطئ أمام منزلي بمدينة الغردقة (على البحر الأحمر) حينما كنت رئيساً لمحطة الأبحاث البحرية بالغردقة في أواخر السبعينيات، وكنت أنظر إلى السماء الشديدة الصفاء وقد تلألأت بالنجوم، متأملاً عظمة الخالق - بديع السموات والأرض. ومع الصمت الذي كان يسود المنطقة كنت أسمع أنغامًا عجيبة تصدر من بين الجحور التي انتشرت على طول الساحل. وقد تبيَّن لي، بعد ذلك، أن تلك الأنغام الصادرة هي نوع من الأصوات يصدرها عازف الكمان المشهور، وهو أحد أنواع الكابوريا التي أطلق عليها أهل المنطقة اسم «البشبش».

وكابوريا عازف الكمان FIDDLER CRABS

Uca pugilator هو أحد أنواع الكابوريا، أو أبو جلامبو أو أبو مقص أو سرطان البحر، وكلها أسماء أطلقها الصيادون أو أهل المدن الساحلية التي توجد تلك الأنواع على سواحلها الرملية أو الطينية أو الصخرية. وهذا النوع يختلف عن الأنواع الأخرى من الكابوريا؛ حيث يتميز بشكل خاص من حيث تركيب الذراعين؛ فإحداهما صغيرة الحجم تنتهي بمخلب ضعيف، أما الذراع الثانية فكبيرة تصل إلى أكثر من نصف طول الحيوان، وتنتهي بمخلب أمامي ضخم وقوي يتحرك إلى الأمام والخلف ذي فكين مشرشرين (أي إن أسنانه تشبه صفيحة المنشار الخشنة) أحدهما ثابت والآخر متحرك لكي يتمكن بهما من القبض على الفريسة، أو يستخدمهما في الدفاع عن النفس ضد الأعداء. وحركة تلك الذراع الكبيرة مفصليه تبدأ من عند المفصل، يمينًا أو يسارًا، حسب وضع تلك الذراع؛ التي إما أن تكون جهة اليمين، وتكون الذراع اليسرى هي الصغيرة الحجم، وإما أن تكون جهة اليسار وتكون الذراع اليمنى هي الصغيرة الحجم. وبحركة الذراع الكبيرة من عند المفصل، ونتيجة الاحتكاك، تصدر تلك النغمات أو الموجات الصوتية التي يستخدمها الحيوان لنداء النصف الآخر وإغرائه بتلك الأنغام مع رقصات إيقاعية مميزة، أو في أثناء ليالي الربيع القمرية على الشاطئ الهادئ مع سمفونية الأمواج الخفيفة. ويشبه الحيوان في ذلك الوضع بالنسبة إلى ذراعه الكبيرة عازف الكمان. وفي فصل الخريف

تعمد تلك الحيوانات إلى إغلاق جحورها والركون إلى السبات.

وفي الصباح الباكر حينما كنت أتطلع إلى تلك الجحور التي انتشرت على الساحل، وجدت فجأة أحد حيوانات «البشبش» يطير في الهواء على شكل كرة مقذوفة في هلع ورعب خارج أحد الجحور. ويحدث ذلك غالبًا نتيجة أن ذلك الحيوان قد اعتدى على دار حيوان آخر وقد نال جزاءه، أو أن هذا النوع من البشبش يكون «كمانه» في الجهة اليسرى بينما صاحب الدار من نوع مخالف حيث يكون «كمانه» في الجهة اليمنى، فيلقى الجزاء من صاحب الدار ولو كانت أنثى تحمل كمانًا مخالفًا. ومن العجيب أن ذلك النوع من الكابوريا يبني بيته داخل الرمال الشاطئية بحيث يتناسب مع وضع ذراعه الكبيرة؛ فيكون مدخل الدار متسعًا يمينًا أو يسارًا حسب وضع الكمان بحيث لا يسمح المدخل لدخول بشبش مخالف أو أنثى مخالفة من حيث التكوين. وتسمح هذه الدار أو ذلك الجحر بالدخول للأنثى من النوع نفسه فقط من حيث التكوين ووضع الكمان؛ مستجيبة لأنغام كمان الذكر، عندئذ تُعزف الأنغام المشتركة الخاصة مع فرحة اللقاء.

ذهبت يومًا إلى محل لبيع الأسماك الطازجة، وكان أمام البائع صندوق مملوء بكابوريا مازالت حية تتحرك (لأن حيوان الكابوريا يحتفظ ببعض الماء حول خياشيم التنفس مما يمكنه من العيش مدة طويلة خارج الماء حتى تجف خياشيمه بعدها يبدأ في الانحدار). ولحبي الشديد للمأكولات البحرية، ولاسيما الكابوريا، وجدت يدي تمتد إلى صندوق الكابوريا لأنتقي الجيد منها؛ وإذا بأحد مخالب الكابوريا يطبق على أصبعي، ولم أشعر بالألم. ولكن خيالي ذهب سريعًا إلى مرحلة الطفولة؛ إذ كنت في أثناء العطلة الصيفية أذهب مع أصدقائي إلى شاطئ البحر الرملي بمدينة السويس على البحر الأحمر، ونقضي النهار نلعب ونلهو على الشاطئ العريض حيث المساحة الشاسعة من الرمال وقد انحسرت عنها المياه في حالة الجزر - أي انخفاض مستوى الماء -، وننتظر لحظات ارتفاع المد العالي الذي يكسو الساحل بسرعة غريبة في خلال دقائق، وترتفع المياه عدة سنتيمترات. وفي لحظات تغطى الثقوب الموجودة بالرمال لتخرج الكابوريا الزرقاء BLUE SWIMMING CRAB *Callinectes sapidus* في حركة ونشاط فرحة بانتشار الماء الذي يحمل لها الغذاء. وعلى الفور نبدأ بجمع العديد من ذلك النوع اللذيذ الطعم. والماهر من يجمع أكبر عدد منها مستخدمين الأسياخ الحديدية لنتمكن من الإمساك بالكابوريا.



الكابوريا الزرقاء



كابوريا عازف الكمان



كابوريا الناسك

وكنا نتعرض لمهاجمة الكابوريا الزرقاء؛ إذ المعروف عنها أنها تهاجم من تجده في طريقها. وكثيرًا ما كنا نقع فريسة لمخالبها الحادة التي تشبه المقص، وعلى الفور نسرع بكسر تلك المخالب القوية.

كابوريا عازف الكمان الفريد!!

وكانت دماؤنا تسيل ولكن الفرحة بجمع أكبر عدد منها كانت تلهينا عن الألم.. تنبهت فجأة على صوت البائع وهو يحذرني ويصيح: اكسر ذراع الكبوريا يا أستاذ بسرعة.. وعلى الفور تخلصت منها، ولكن في تلك المرة شعرت بآلام في أصبعي ويا له من ألم مبرح. والكابوريا الزرقاء ذات صدفة قرنية سهلة الكسر لونها بني مخضر، وطولها من ١٥ إلى ٢٠ سنتيمترًا، وعرضها من ٨ إلى ١٠ سنتيمترات، ولها أرجل زرقاء اللون، والأطراف والمخالب حمراء اللون أيضًا. وهذا النوع سباح ماهر ويقاتل بمهارة مستخدمًا مخالبه القوية. وربما يدخل البرازخ المائية ويعيش مدة بالأنهار. وهو يستمد اسمه من لون أرجله الزرقاء، ويتغذى على البلانكتون بمساعدة الشعيرات التي توجد حول حافة الفم.

وهناك نوع آخر من الكابوريا يعرف بكابوريا الناسك HERMIT CRAB *Pagurus asper* ويوجد على السواحل ذات المياه الباردة والدافئة. ويعيش الحيوان داخل الأصداف الفارغة للقواقع، ويستخدمها ليحمي بطنه الرخوة أو لحماية الأجزاء الطرية من جسمه حتي لا يقع فريسة سهلة لمن هو أقوى منه. وتلتوي تلك الأجزاء الطرية داخل الصدفة حيث يوجد زوج من الأطراف المتحورة في نهاية البطن يمسك به الصدفة بإحكام. والأرجل والمخالب الأخرى مغطاة بمادة سميكة صلبة كيتينية، وتظل الأرجل عادة خارج الصدفة. وفي بعض الأحيان يسحب الحيوان الناسك جسمه بالكامل إلى داخل الصدفة ويسد فتحتها بأحد المخلبين أو بكليهما ويركن للسبات. وعندما ينمو الحيوان ينتقل إلى صدفة فارغة أكبر حجمًا. وقد يضطر حيوان الناسك إلى جذب حيوان (القوقع) من صدفته إلى الخارج ليحتل صدفته بالقوة إذا لزم الأمر. وتتنافس حيوانات الناسك على الأصداف الفارغة في المناطق التي تندر فيها الأصداف. وتجد بعض الحيوانات التي ليست لها صدفة تشغل الفتحات الصغيرة من المرجانيات أو الصخور أو الأخشاب بدلاً من الأصداف. كما يوجد نوع آخر من كابوريا الناسك يعرف بالناسك العملاق، ويصل وزن الواحد منها إلى أكثر من الرطل GIANT HERMIT CRAB *Petrochirus diogenes*.

داخل صدفة أحد حيوانات القواقع

ويوجد عمومًا أكثر من ٤٥٠٠ نوع من الكابوريا، منها نوع عجيب يعرف بكابوريا العنكبوت SPIDER CRAB له جسم مستدير وأرجل طويلة رفيعة، ويميل إلى الحركة البطيئة، ويصل عرضه إلى سنتيمترين. وهناك نوع آخر منه يعرف باسم كابوريا العنكبوت العملاق GIANT SPIDER CRAB *Macrocheira kaempferi* ويوجد في أعماق البحار القريبة من شواطئ اليابان على عمق أكثر من ٤٥٠ إلى ١٢٠٠ قدم، ويصل عرضه إلى أربعة أمتار، وجسمه مغطى بزوائد على شكل عقد، ومتوسط عمره عشر سنين، وهو ينمو ببطء شديد. ولحم هذا النوع في مرحلة النضج يكون لذيذًا. والحيوان الذي ينجو من فخاخ الصيادين قد يستمر إلى عمر يناهز الخمسين عامًا. ويتميز هذا النوع بارتفاع أرجله التي قد تصل إلى ١٢ قدمًا، وهو يتغذى على الأسماك والقشريات والرخويات من المحارات، ويُعدّ الطبق المفضل عند أهالي الشرق الأقصى.

كما يوجد نوع آخر من الكابوريا يعرف بملك الكابوريا KING CRAB يكون على شكل حدوة الحصان HORSESHOE CRAB *Limulus polyphemus* له زوج من المخالب يستخدمه في القبض على الفريسة. وهذا النوع ليس بينه وبين الكابوريا الحقيقية أي صلة. وكابوريا الحدوة ظهرت على الأرض منذ ملايين السنين ولما تنقرض بعد. ويوجد منها أربعة أنواع أكبرها حجمًا يصل طوله إلى قدمين؛ حيث يتكون الجسم من جزأين منفصلين هما الرأس الصدري والبطن. والجزء الأول تغطيه صدفة ذات فتحتين للعينين. وللحيوان ستة أزواج من الأرجل، ويوجد بالزوج الأول مخلبان يستخدمهما الحيوان في القبض على الفريسة، ويستعمل الأزواج الخمسة الباقية في المشي. وفي البطن ستة أزواج من أجسام مسطحة تشبه الصفائح، وتوجد الأعضاء التناسلية في الزوج الأمامي منها. وكل واحدة من تلك الصفائح تحمل نحو ١٥٠ خيشومًا طريًا يتنفس الحيوان بواسطتها. وتبرز من نهاية البطن شوكة عظمية مفصلية تعرف بالذيل يستخدمها الحيوان في الحفر للبحث عن غذائه. وهو يتغذى ليلاً بالديدان والرخويات الصغيرة التي يلتقطها من الطين والرمال.

ويتم التزاوج في موسم الربيع، وتقوم الأنثى بالبحث عن النصف الآخر (الذكر)، ثم تحمله على ظهرها عدة أيام وتتجه به إلى الشاطئ، ثم تقوم بحفر عدد من الحفر في الرمال، وتضع في كل حفرة من ٢٥٠ إلى ١٢٠٠ بيضة؛ بينما تكون مهمة الذكر هي تلقيح البيض.

وهناك العديد من تلك الأنواع، منها على سبيل المثال لا الحصر: الكابوريا الحمراء، وكابوريا المرجانيات، والكابوريا الصخرية، وكابوريا الشبح..

وسبحان الله العظيم تبارك فيما خلق.



الدر الفريد وبيت القصيد

تأليف: محمد بن أيدمر العلائي

الشعر ديوان العرب كما يقولون، واهتمام العرب بالشعر لا نجده عند أمة أخرى من الأمم، فبه - بعد كتاب الله الكريم - حُفظت اللغة، فما نجد كتابًا في النحو وقواعد العربية يخلو من استشهاد بشعر من أشعار الجاهليين وشعراء الصدر الأول من الإسلام؛ إضافة إلى استخدامه في الأغراض الأدبية المختلفة من مديح وهجاء ورثاء وفخر وحكم وأمثال، وغير ذلك. فنجد كتب الأدب زاخرة بأبيات مفرقة من أشعار العرب استشهدت بها في مواضعها المناسبة.

لذا اهتم اللغويون والنحاة بجمع أبيات الاستشهاد في الشعر العربي لتعم الفائدة منها، ولكن جهودهم كانت محدودة إلى حد ما، وبقيت الحاجة ماسة إلى إيجاد كتاب جامع، يحوي بين دفتيه أكبر قدر ممكن من أشعار العرب مرتبًا ترتيبًا نافعًا يسهل معه الانتفاع بما فيه، ويغني، في الوقت نفسه، عن البحث والتنقيب في دواوين الشعر وكتب الأدب.

وقد كفانا أحد الأدباء هذا العمل الضخم، إنه الأديب والمؤرخ محمد بن سيف الدين أيدمر العلائي، المعروف بابن دُقماق، الذي ولد سنة ٦٣٩هـ وتوفي في أوائل القرن الثامن الهجري، فقد جمع كتابًا حافلاً في أشعار العرب مما يُستشهد به في مختلف المناسبات، فكان درة بين الكتب العربية، وحق لمؤلفه أن يقول: ووسمته بكتاب الدر الفريد وبيت القصيد.

جمع المؤلف مادة كتابه من الكثير من كتب الأدب، ودواوين الشعراء، إضافة إلى مشافهة أهل الأدب، ويقول في هذا الشأن: قد ألفتها من محاورات الأصحاب ومحاضرات أولي الألباب، ونظمتها إلى أخواتها من إيراد الكُتّاب وإنشاد ذوي الألباب، وتصفحتها من فاتحة كل كتاب، وجمعتها من سائر ما ورد في هذا المعنى من الأبواب، وأقول:

تخيّرت من نوع العلوم لطيفه
ويُعرَفُ مقدارُ الفتى باختياره
وأهديتُ ما يبقى على الدهر ذكرُه
وكلُّ امرئ يُهدي بحسب اقتداره

واستغرق المؤلف في تأليف كتابه هذا أكثر من خمس وعشرين سنة، حيث أنهى مُسَوَّدة المجلد الثاني سنة ٦٨٠هـ، بينما فرغ من استنساخ المجلد نفسه سنة ٧٠٥هـ، إلا أنه يتواضع تواضعًا جمًا، فيقول: فإنني أنفقت في ابتغائها بضعة أيام من العمر، وأنفذت في إحصائها ومن جَرَّاها معظمَ الصبر.

بلغت عدة أبيات كتابه عشرين ألف بيت، حوتها خمسة من المجلدات الضخام، التي كتبها المؤلف بخطه الجميل، وزانتها حواشٍ وهوامش مهمة تبين قائل كل بيت على الأغلب والبيت الذي قبله والذي بعده.

وقد أحسن المؤلف، رحمه الله، انتقاء أشعار كتابه واختيارها، فيقول: وأرسلت فيه عشرين ألف بيت فرد قائم بذاته شرود، فذ محكم مضبوط، منقح محكك محتوٍ على الشروط، فصيح المعنى واقع التشبيه، جيد الكناية، مستول على أساليب الحُسن والجمال، مشتمل على أوصاف التمام والكمال، منتخب مُعَدٍّ لمبتغيه، قابل لكل معنى يصاغ فيه. ويقول أيضًا: وهذا الشعر المشار إليه هو ضالتي التي أنشُدُها، وحكمتي التي أحفظها وأنشِدُها، لأنني أتبع المثل المشهور، وأطلب اللفظ الظاهر الجزالة الفاخر، الذي قد هذبه العقل وصقله العلم والفضل، فجمع بين فصاحة العرب ومتانة الأدب، قد أُحكِمَتْ مبانيه، وتكافأت ألفاظه ومعانيه، إذا سُمِعَ طُمِعَ فيه، وإذا طُلِبَ صَعُبَ على مبتغيه..

ويبين منهجه في الكتاب وطريقته في ترتيبه، فيقول: وقفَّيتُه على حروف المعجم اقتداءً بمن سبق من المؤلفين وتقدم في كتب اللغة والأحاديث والطب والتواريخ، وهو أن نراعي حروف أول كلمة من البيت المفرد، فنورده في بابه على ترتيب حروف أ ب ت ث في أوائلها، ليسهل طريق الطلب على متناولها، ثم نراعي ما يترتب من حروف البيت بعد ذلك حرفًا حرفًا، فنقدم ما هو متقدم ما أمكن، حذرًا من التكرار وليؤمن، حتى نأتي على الأبواب الثمانية والعشرين على هذا النسق.

> حفل التراث العربي بأنواع شتى من التأليف، فلم يدع المؤلفون موضوعاً لم يكتبوا فيه، فقد ألّفوا في الموضوعات الجادة في دقائق العلوم والفنون، ولم يغفلوا الموضوعات الطريفة، كما خصوا كل موضوع بتأليف، وكل مسألة بمصنف، وكل فن بكتاب أو رسالة، في جد أو هزل.

قدَّم المؤلف لكتابه بمقدمة ضافية استغرقت قرابة المئتي صفحة من الكتاب، تحدث فيها عن أنواع الشعر حسنة ورديئة، فقال: إن منها ضربًا حَسُنَ لفظه وحلا معناه، وضربًا جاد معناه وقصُرَ لفظه، وضربًا قصُرَ لفظه ومعناه.

كما تحدث عن أركان الشعر، فبين أن الشعر مثل الكائن الحي، له جسم وروح، حيث فصاحة اللفظ وحسنه يمثلان الروح، وإبداع المعنى هو الجسم، وحسن اللفظ يعمل على نعومة ذلك الجسم وحسن بشرته وصفاء لونه، كما أن إبداع المعنى هو شرف تلك النفس وكمالها، ويكون بأن يأتي الشاعر بمعنى غريب لم يُسبق إليه.

وتحدث كذلك عن أنواع البديع في الشعر العربي، مثل التشبيه والتجنيس والتضمين والتطبيق وبراعة الابتداء ولطف المخلص والملاءمة بين الصدر وعجزه، وغير ذلك. ومما طرقه أيضًا: موضوع السرقات الشعرية وأنواعها، وما يُستشنع منها وما يغتفر.

وهو في كل ما سبق يأتي بأمثلة حية ومعبرة من الشعر العربي الذي ألم به إلمامًا جيدًا.. ومما يزيد في نفاسة الكتاب - كما يقول الدكتور فؤاد سزكين -: أنه «يكتسب أهمية متزايدة بما أورده المؤلف في الحواشي من أبيات الحكماء واللغويين وأقوالهم وتراجم الشعراء والإشارات إلى المراجع»، فهو يورد البيت من الشعر ويبين قائله في معظم الأحيان.

بقي أن نقول: إن هذه النادرة من نوادر التصنيف العربية ليست كمثيلاتها مما عرضنا له في الأعداد السابقة من هذا الباب، إذ لا يزال هذا الكتاب مخطوطا لم يُطبع بعد، وقد قام الدكتور فؤاد سزكين بنشره من طريق تصوير مخطوطته التي كتبها المؤلف بخطه الرائع، وهي من أجمل وأهم ما حفظ لنا من وثائق الأدب العربي.

لكن ما نُشر من هذا الكتاب بالتصوير يبقى عددًا محدودًا جدًا، فَعَلَّ نخبة من المهتمين بأدب العرب وشعرهم يقومون على خدمة هذا السفر العظيم وتحقيقه تحقيقًا علميًا، وحبذا لو تبنت هذا العمل جهة علمية مثل مجامع اللغة العربية والمراكز العلمية في الجامعات وغيرها، فهل من مشمِّر؟



الحكاية

صدر هذا الكتاب عن المطبوعات الجامعية الفرنسية PUF في سلسلة «الآداب الحديثة»، وهو يقع في ٢٢٢ صفحة من الحجم المتوسط، ويتألف من مقدمة وقسمين، ويشتمل كل قسم على فصول عدة.



تأليف:
ميشيل سيمونسن
عرض وتحليل:
د. نجيب غزاوي

تعرض المؤلفة في مقدمتها لأصل كلمة «حكاية» CONTE باللغة الفرنسية ومعناها، وتقول: إنها مشتقة من فعل «حكى» الذي يعني في الأصل «سرد» و«عَدَّدَ» ثم «سرد فقرات قصة». وتضيف أن حكاية وحكى وحكّاء مفردات غير محددة المعنى بسبب أصولها الشعبية وعدم خضوعها للدراسة العلمية إلا مع مطلع القرن العشرين. وتقول: إن مضمون الكلمة قد تغير عبر العصور، وتضرب أمثلة تاريخية على ذلك، فقد بقي معنى حكى: «رواية أشياء حقيقية» حتى القرن السابع عشر، ثم شمل معناها في عصر النهضة «رواية أشياء حقيقية وأشياء مُختَلَقَة». أما قاموس الأكاديمية الفرنسية لعام ١٧٩٤م فقد عَرَّفها على أنها «رواية مغامرات حقيقية أو خيالية، جدية أو هزلية». وبذلك تحدد المعنى الحديث للكلمة: «رواية وقائع وأحداث خيالية من أجل التسلية»، كما جاء في قاموس الروبير LE ROBERT.

تشير المؤلفة بعد ذلك إلى ارتباط الحكاية بالتقاليد الشفهية الشعبية وبالأدب المكتوب في الآن نفسه، وتحدد نقاط اللقاء بين هذين الجنسين الأدبيين على مستوى الصور الفنية، كما تعزو سبب هذا اللقاء إلى التأثير الوراثي: إذ يرث هذا الجنس من ذاك بشكل مباشر أو من خلال معالجة موضوع مشترك.

تقول المؤلفة: إن استخدام كلمة حكاية في الأدب لم يخضع إلى استعمال محدد؛ فهي لم تشكل جنسًا محددًا في الوعي النقدي، ومع ذلك فإنها تلاحظ بعض الوعي الضمني بمعنى الكلمة في تقابلها مع أقصوصة أو قصة قصيرة، وذلك من خلال التقابل بين واقعي/ غير واقعي. وعلى الرغم من ذلك، لا يشمل هذا التعريف المبسط خصائص هذا الجنس، ولاسيما أن الأقصوصة غير محددة بشكل جيد، لذلك لا بد من اللجوء إلى تحديد عناصر الحكاية غير المتجانسة بطريقة أخرى. تقول المؤلفة بهذا الصدد: إن الحكاية تتميز بالشفهية والخيال الواضح والبنية النموذجية الصارمة والوظيفة الاجتماعية، ضمن جماعة ريفية في الغالب.

تتطرق المؤلفة في القسم الأول من كتابها وفي فصله الأول «الحكاية الشعبية والفلكلور»، إلى معالجة الحكاية والأجناس السردية، منطلقة من التعريف الذي يؤكد أن الحكاية تُحكى وتُنقل شفهيًا، وتلاحظ أن هذا التعريف الذي قدمه المختصون بالفلكلور لم يشر إلى أصل الحكاية، وتضيف أن هذا التعريف يجعل من الحكاية جزءًا من الفلكلور الشفهي، أضف إلى ذلك أنها رواية، على عكس المثال والأحاجي والنكات والأغاني الشعبية.

وتذكر المؤلفة أن الفلكلوريين قد استخدموا منهجيات عدة في تعريف الحكاية: الموضوعاتية LA THEMATIQUE، البنيوية LE STRUC-TURALISME، الوظيفية LE FONC-TIONALISME، غير أن أفضل تعريف لجنس أدبيٍّ ما هو ذلك التعريف الذي يشير إلى العلاقات بين مميزاته واستخداماته وعلاماته الاجتماعية؛ لذلك تقدم المؤلفة جدولاً

الشعبية

بالعلاقات التمييزية لكل جنس أدبي شعبي وفق التالي:

ـ الحكاية: خيالية، منثورة أو سجعية، أبطالها: بشر أو حيوانات خارقة، وظيفتها الاجتماعية: التسلية.

ـ الأسطورة: ذات طابع طقسي، تحتوي على مضمون ديني وثني.

ـ الخرافة: تتحدث عن وقائع غير متجانسة تُعدّ حقيقية من قبل المتحدث ومستمعيه.

تذكر المؤلفة تحت عنوان «تصنيف الحكاية الشعبية» أن الفلكلوريين قد حاولوا تصنيف الحكايات وفقًا لمعايير غير متجانسة غالبًا، وأنهم قد بالغوا في التسميات، وتعرض للتصنيف العالمي الذي قام به العالمان تمبسون وآرن: الحكاية الحقيقية، الحكاية الواقعية، الحكاية الدينية، حكاية الغيلان الغبية، حكايات الحيوان، الحكايات الهزلية. وتستخلص بعد ذلك من هذا التصنيف عوامل أساسية هي أهمية التخيل والبعد من الواقع من خلال الخارق والهزل واللعب.

تعالج المؤلفة في الفصل الثاني من القسم الأول العلاقة بين التقاليد الشعبية والأدب المكتوب، وترى أننا نجد في الأدب المكتوب أجزاء من السرد الشفهي: إذ نقع غالبا على صورة بسيطة معزولة تعود إلى الموروث الموضوعاتي المشترك وليس إلى روابط وراثة مباشرة بين الأدب المكتوب والأدب الشفهي، مثل وجود عناصر خارقة في أدب العصر الوسيط الأوربي وحكايات الرومانسيين الخيالية. كما ظهر في عصر النهضة أدب قائم بشكل كامل على الحكاية الشعبية. وقد أدى الانتقال إلى الكتابة إلى تعديل الوظيفة الاجتماعية لهذه النصوص وإلى تغيُّر في دلالتها. وتعرض المؤلفة بالأمثلة الواقعية تأثير الحكاية الشعبية في الأدب المكتوب على مر العصور: ففي العصور القديمة، ارتبطت حكاية «ملك الأسماك» الكثيرة الانتشار في فرنسا بحكاية «الإخوة» المصرية من القرن الثالث عشر قبل الميلاد. كما تأثر أدب العصر الوسيط الأوربي بالخارق المستقى من مصادر مختلفة، فاستوحت القصائد الغنائية وقصص الفروسية الحكايات الشعبية وحكايات بروتانيا المشبعة بالخارق. كذلك كان الأمر بالنسبة لقصص الثعلب والأمثولة التي استوحت حكايات الذئب والعنزة. ويظهر تأثير الحكاية الشعبية في أدب عصر النهضة لدى بوكاش في «أقصوصات الضحك»، ولدى رابليه في قصة «غار غانتيا»، وكذلك في مجموعة حكايات أدبية إيطالية: «ليالي سترابارول الهزلية» و«بنتا مريون» بازيل. كما شهد القرنان السابع عشر والثامن عشر الكثير من الاقتباس من الأدب الشفهي في مجال القصص. أما في القرن الثامن عشر، فقد اهتم الرومانسيون بالإبداع الشعبي واستلهموا الكثير من الحكايات والخرافات الشعبية مع تغيير شامل في المعنى، فقد طور كل من غي دو موباسان وتيوفيل غوتييه وبروسبير ميريمي الحكايات والخرافات.

مع قدوم التحليل النفسي و(السريالية) في القرن العشرين، توسع مفهوم الواقعية؛ مما أضعف التعارض الذي جرى الحديث عنه بين الواقع والخيال، لذلك فقد اعتمدت حكايات مارسيل أيميه مثلاً، التكتيك العكسي للسذاجة الظاهرة، حيث تروي الأحداث غير المعقولة بوصفها واقعية.

تتحدث المؤلفة في الفصل الثالث من القسم الأول عن جمع الحكايات، فتشير إلى أن الاهتمام بجمع الحكايات الشعبية أمر قريب العهد، وقد عكس اهتمام الأدباء بالشعب وخوفهم من فقدان التقاليد والتراث.. وتضيف أن هذا الجهد لم يوفق في إعطاء هذا النوع الأدبي حقه بسبب الصعوبات التي صادفها: عملية تحويل الشفهي إلى كتابي، وتعدد غايات جامعي الحكايات، مما أثر في تعاملهم مع مصادرهم وإخلاصهم لها.

وكان أول من جمع الحكايات الشعبية الأخوان فيلهيلم وجاكوب غريم GRIMM الألمانيان (١٨١٢-١٨١٥م). وقد سعيا من خلال ذلك، وهما فقيها لغة ألمانية، إلى إثبات نظرياتهما حول الشعر «الطبيعي» في تعارضه مع الشعر «الأدبي». ولقد تميز جمعهما بالأمانة إلا في بعض النصوص حيث عدّلا في الأسلوب كي يلائم الأطفال.

وقد شهد جمع الحكايات في مرحلة ما قبل الحرب الأولى نشاطا كبيرا، ولاسيما في فرنسا، إذ قام الإخصائيون في مجالات مختلفة (اللسانيون، الرومانسيون، علماء الأجناس) بجمع الأدب الشفهي لما يحمله من معلومات ثمينة. وقد نشأ علم الفلكلور في المرحلة نفسها، وراح علماؤه يجمعون الحكايات، واهتموا بشكل رئيس بمضمونها، وحسّنوا في شكلها، وترجموها إلى لغة الكتابة. وظهرت في مرحلة ما بين الحربيين مؤلفات أساسية في دراسة الحكاية، إذ نشر بولت BOLTE وبوليفكا PO-LIVKA مؤلفًا من خمسة أجزاء بعنوان «مشروع حكايات غريم» يوردان فيه حكايات مماثلة لحكايات تمبسون وآرن، جُمعت من مختلف أنحاء العالم. وتطورت الدراسات حول الحكاية بعد الحرب العالمية الثانية متأثرة بعلم الأعراق (الإثنولوجيا).

وتضيف المؤلفة أن جمع الحكايات الشعبية قد تجدد في أيامنا هذه بتأثير من الإثنولوجيا فاستُخدمت آلات التسجيل وفرق العمل، وظهر الاهتمام بأسلوب الحكي وإظهار الصوت والحركة والنبرة وحركات الحكّاء، وكذلك المحيط الاجتماعي للحكي. وتعاونت مراكز البحث والجامعات والمراكز الثقافية في الدراسة والتحليل وإصدار النتائج.

تتحدث المؤلفة في الفصل الرابع عن ممارسة الحكي، فتقول: إن الأدب الشفهي ليس نتاجًا عفويًا صادرًا عن الشعب، بل هو متعمق بقوة ضمن إطار اجتماعي وثقافي محدد، وهو لا يعيش وينتشر إلا ضمن نظام مؤسسات نقل معقدة إلى حدٍّ ما، ويشير (الإثنولوجيون) إلى أن نظام المؤسسات هذا يمكن أن يكون جامدًا جدًا كما في إفريقية، ومرنًا جدًا كما في المجتمعات

الأوربية. وتضيف المؤلفة أن هذه المؤسسات قد غابت في أيامنا هذه، وترى الحرب العالمية الأولى منعطفًا في هذا المجال: إذ انتشرت قبلها الاجتماعات العامة حيث تُروى الحكايات في مجتمع راشد. أما في أيامنا هذه، فقد اقتصرت الرواية على الأطفال اليافعين في المنزل أو المدرسة وحلت القراءة محل الاستماع. وتقدم المؤلفة صورة عن هذه المؤسسات فتقول: كانت هذه المؤسسات تأخذ طابع الاجتماع حيث يتحدث الراوي أمام الجمهور الذي يشتمل على جميع أعضاء الجماعة الاجتماعية، وتتم الرواية ضمن محاور ثلاثة أساسية: إطار الاجتماع (المكان، الفصل السنوي، الساعة المناسبة)، اختيار المشاركين (وفق معايير الجنس والسن والمهنة)، أنواع الحكايات (إذ كان هناك تطابق معين بين نوع مؤسسة النقل وأنواع الحكايات التي تحكى فيها). وتذكر بعد ذلك أنواع مؤسسات النقل هذه: السهرات الجماعية، والاجتماعية الذكورية، واجتماعات النساء، واجتماعات الأطفال.

ثم تتطرق إلى شخصية الحكّاء فتقول: إنه اختصاص قائم بذاته، فتعقيد نص الحكاية يتطلب المهارة والذاكرة وإمكانيات جسدية: إننا إذن أمام مختصين تعلموا حكاياتهم من الأقدمين، من أب أو جد في طفولتهم، أو في سن متأخرة. وقد حفظوا نصوصهم جزءًا جزءًا أو مرة واحدة. وكان الحكاؤون فخورين بمهنتهم ويُدعون إلى الأعراس والسهرات، وكان لكل منهم حكاياته واختصاصه: حكايات خارقة، حكايات هزلية.. كما كانت عملية الحكي تخضع لمراقبة الجمهور الذي يحتج إذا أخطأ الحكاء أو نسي.

أما فن الحكي، فترى المؤلفة أن له موقعًا متوسطًا بين الإبداع وإعادة إنتاج الحكاية، ففي كل حكاية عناصر ثابتة وأخرى متحركة يمكن أن تتغير من موقف إلى آخر، لدى الحكّاء نفسه، الذي يرتجل مستخدمًا تقنيات معينة وتراكيب تقليدية من تعداد وسلاسل كلام وتطوير موضوعات وتكرار ثنائي أو ثلاثي. وتكون التراكيب التقليدية مسجوعة وتلقى بطريقة إيقاعية أو تُغنَّى. وتستخدم في بداية الحكاية ونهايتها عبارات تشير إلى الطابع التخييلي الوهمي وتعيد المستمع إلى الواقع الراهن.

يتحدث الفصل الخامس عن انتشار الحكاية الشعبية، وتقول المؤلفة: بينما يقدم الأدب المكتوب نماذج ثابتة ووحيدة لكل جنس أدبي، يقدم الأدب الشفهي عددًا كبيرًا من القصص التي تحتوي على تشابهات بديهية وفروق واضحة.. وتعود هذه الفروق إلى كفاءة الجماعة وأداء الحكّاء وتغيره من جلسة إلى أخرى، مما دفع الفلكلوريين التقليديين المختصين في جنس الحكاية إلى التمييز بين حكاية نموذج ونسخة ومتغيرة. فهم يرون أن لكل حكاية نموذجًا أساسيًا وشكلاً أوليًا تنبثق عنه الحكايات الأخرى. وسعى هؤلاء الفلكلوريون إلى كشف هذا النموذج الأساسي ذي الطبيعة التاريخية، إلا أن الفلكلوريين الحديثين رأوا هذا النموذج مفهومًا مجردًا من صنع المحلل، وهو يتغير وفق وجهة النظر المعتمدة (نفسية، اجتماعية، أسلوبية). ويعود هذا الاختلاف في وجهات النظر لأسباب نظرية تتعلق بأصل الحكاية وانتشارها: فترى المدرسة الفنلندية أن أصل الحكايات واحد، فكل حكاية ـ نموذج ولدت في مكان محدد انتشرت منه، وهي تتغير مع انتقالها من محيط ثقافي إلى آخر، إلا أن كارل فيلهيلم فون سيدو رفض هذا الرأي، إذ يرى أن الفلكلور ينتقل بواسطة قفزات غير منتظمة، ويميز بين الناقلين الفعليين، أي من يروي ويغير، والناقلين السلبيين أي من يسمع. غير أن البحث في الأصل الجغرافي للحكاية قد أهمل في أيامنا هذه لعدم جدواه العلمية.

يبحث الفصل السادس في أصل الحكاية. وتقول المؤلفة: إن الدراسات الحديثة لا تهتم بأصل الحكاية، بل تدرس معناها وبنيتها الفنية ودورها في الجماعة. وتذكر أن فلكلوريي القرن التاسع عشر قد بحثوا في أصل الحكاية، فقد جذب انتباههم وجود حكايات متشابهة في مختلف أنحاء العالم فأرادوا حل هذا اللغز وقدموا نظريات عدة لم تعد لها قيمة علمية في وقتنا الراهن، نذكر من هذه النظريات:

١ـ النظرية الهندو أوربية أو الأسطورية:

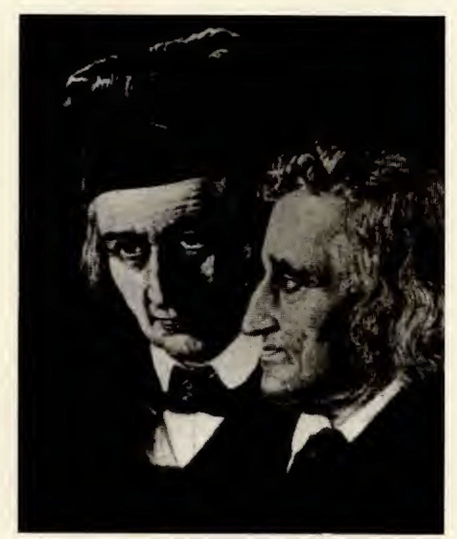
وأسسها الأخوان غريم وطورها ماكس موللر، الاختصاصي باللغة السنسكريتية. ترى هذه النظرية أن الحكايات تعود إلى أساطير آرية ولدت في حقبة ما قبل التاريخ في الهند، مهد الشعب الهندو أوربي.

٢ـ النظرية الهندية:

وأسسها تيودور بينفي BENFEY عام ١٨٥٩م. لقد رأى صاحب هذه النظرية أن الحكايات العجائبية قد أتت من مركز مشترك؛ هو الهند، وأنها استخدمت حكم الكهنة والبوذيين وأمثالهم .

٣ ـ النظرة العرقية (الإثنوغرافية):

ومثلها أندرو لانغ A. LANG، في إنجلترا.



الأخوان ياكوب وفيلهلم جريم

وهي تتعارض مع النظرية الأسطورية، إذ ترى أن الحكاية شكل سابق على الأسطورة، وهي أكثر بدائية وبساطة، وتولد في أماكن متعددة وثقافات متباعدة جغرافيًا.

٤ـ النظرية الطقسية:

وأسسها بول سانت إيف P.SAINT YVES. وهي نظرية تكرر وجهة النظر العرقية فترى في شخصيات الحكاية ذكريات شخصيات طقسية، ففي حكاية «حسناء الغابة النائمة» تمثل الشابة السنة الجديدة أما العجوز فتمثل السنة الآفلة.

٥ـ النظرية الماركسية:

مثلها فلاديمير بروب PROPP، عالم الفلكلور الروسي وصاحب أول دراسة بنوية

للحكاية الخارقة. عدّ بروب الحكاية بنية فوقية، وحاول أن يجد فيها أنظمة الإنتاج القديمة أو الأنظمة الاجتماعية التي أنتجتها. وقد رأى أن الحكايات الخارقة تحتوي على بقايا المعتقدات والطقوس البدائية للمجتمعات العشائرية في نظامي الالتقاط والصيد.

يعالج الفصل السابع التحليل البنوي للحكاية الشعبية فتذكر المؤلفة أن هذا التحليل قد بدأ مع سيبيلو SEBILLOT وآرن ARNE وبيديه BEDIER، غير أن بروب قد طبقه فعليًا في دراسته للحكاية العجائبية الروسية عام ١٩٢٨م. انطلق بروب من دراسة تاريخية



جي دي موباسان

ودلالية للحكاية تستوجب دراسة بنيتها أولاً، فوجد أن في الحكاية عناصر ثابتة وأخرى متغيرة، فاهتم بالثوابت وأسماها الوظائف، أي الأفعال التي تقوم بها الشخصيات، وكشف إحدى وثلاثين وظيفة في هذه الحكايات تقوم بينها علاقة تلازم.

وقد أكد عالم الفولكلور الأمريكي آلن دوندس ALAN DUNDES، آراء بروب من خلال دراسته لحكاية الهنود الحمر في أمريكا الشمالية مع تطوير من خلال التمييز بين الوظيفة الأساسية ومتغيراتها: فالأولى بنوية، أي إنها تتعلق ببنية الحكاية، أما الثانية فدلالية.

أما العالم الفرنسي كلود برومون C. BRE-MOND، فقد قدم وجهة نظر أكثر تجريدًا؛ إذ انطلق في تحليله من جدول أولي ذي ثلاث فقرات: انهيار - تحسن، استحقاق - مكافأة، عدم استحقاق - عقوبة.

ورأى برومون أن ليس من الضروري أن تحتوي حكاية ما على عناصر الجدول هذه كلها. وأعاد عالم السيمياء (الدلالة) الفرنسي جوليان غريماس J. GREIMAS النظر في جدول الشخصيات الذي أسسه بروب، وبنى نموذجًا قائمًا على مفهوم العامل ACTANT (العامل هو كل عنصر يسهم في السرد) يصلح لكل أنواع القصص:

مرسل ← شيء ← متلق

مساعد ← ذات ← معارض

يرى غريماس أن التسميات التي تشير إلى العاملين تغطي وظائفهم العامة، كما أن العلاقات القائمة بينهم تتطابق مع الصيغ الأساسية للنشاط البشري: الإرادة (ذات ترغب في شيء) والمعرفة (يخصص المرسل شيئًا للمتلقي) والقدرة (الذات تجابه المعارض ويساعدها المساعد). كما تبني هذه العلاقات مخططًا سرديًا عامًا يعرف بالبحث.

يبحث الفصل الثامن من الكتاب في الحكاية والتحليل النفسي. تقول المؤلفة: إن التحليل النفسي قد أعطى انطلاقة جديدة للحكاية الشعبية في بداية القرن العشرين؛ فقد رأى فرويد فيها شكلا مخففًا للأسطورة التي تعبر عن بقايا شوهاء لخيالات الرغبة للأمم والأحلام الدائمة للإنسانية الشابة. أما تلميذه كارل أبرهام، فقد وجد في الأساطير ممارسات للمجتمعات البدائية حُرِّمَت ثم ظهرت تدريجيا في شكل رغبات مكبوتة في اللا وعي. لذلك فقد أصبحت الحكايات والأساطير المجال المفضل لعلماء النفس التحليلي وقدموا بصددها وجهات نظر عدة.

أما يونغ وأتباعه فقد رأوا في شخصيات الحكاية الشعبية وأحداثها ظواهر نموذجية توحي رمزيًا بضرورة النضج والتجديد الداخلي من خلال انضمام عدم الوعي الفردي وعدم الوعي الجماعي إلى شخصية الفرد.

تخصص المؤلفة الفصل التاسع لعرض الدراسات الدلالية للحكاية الشعبية، فتقدم التنظيم الدلالي للحكاية الشعبية الذي قام به ميليتنسكي MELETINSKI ومدرسته؛ وذلك من خلال اعتماد موازنات أساسية: الخصم الأسطوري أولاً (شيطان، غول، عملاق، ساحر) البطل نصف إله أو بشري، ساع أو ضحية، سعيه غيري (لمصلحة الأسرة أو الجماعة) أو أناني (لمصلحة خاصة)، موضوع السعي سحري أو كوني أو ثقافي، النزاع عائلي (بين أفراد الأسرة) أو غير عائلي (مع كائن خارج عن الأسرة).

تتحدث المؤلفة بعد ذلك عن مفهومي البطل والعقد الاجتماعي من خلال عرض آراء كل من علماء الدلالة غريماس وفيغو رودر VIGGO RODER ومارسيل درولهي M. DRULHE الذين ينظرون إلى الفئات الدلالية الأساسية في الحكاية الشعبية من خلال التعارض بين زوجين متقابلين: التمتع بالقيم المرتبط باحترام العقد الاجتماعي، وفسخ هذا العقد بسبب ما تتطلبه الحرية الفردية، مما يؤدي إلى ضياع القيم. ويحدد فيغو رودر أسباب فسخ العقد الاجتماعي في الأولية التي تعطى للحاجات الذاتية: أي الاستهلاك العشوائي أو اختراق التنظيم الاجتماعي لتبادل القيم.

وأخيرا تبحث المؤلفة في عالم القيم، وأصل الحكاية، وترى أن عالم القيم هذا يشكل المستوى الدلالي للحكاية، فهو عالم المفهومات الثابتة غير الزمنية السابقة للقص. ويقوم التنظيم القيمي للحكايات على تعارضات مترابطة وفق المربع الدلالي الذي اقترحه غريماس مثل:

ثقافة تقابل وحشية.

نضج يقابل طفولة.

قوة جسدية تقابل ضعفًا جسديًا.

مكر يقابل سذاجة.

في القسم الثاني من الكتاب تعرض المؤلفة نماذج من الحكايات الشعبية الفرنسية مع ذكر الحكائين وأعمارهم والمناطق الجغرافية التي ينحدرون منها، كما تذكر أصداء كل حكاية وتأثيراتها في الأدب، مع تحديد للأعمال الأدبية التي استقت من الحكاية موضوعاتها؛ مما يُفسح المجال للدراسة المقارنة بين الأجناس الأدبية.

التنوّع والاختلاف

في المذاهب النقدية ٢

د. حامد أبو أحمد

بنوية براغ

فيما يتعلق ببنوية براغ نقول إنها كانت استمراراً للشكلية الروسية، لكنها استلهمت مصادر أخرى، ثم إنها كانت أكثر قربًا من التراث الألماني. وكان جان موكاروفسكي هو أكثر أعضائها دخولاً في حقل دراسة الأدب، وهو الذي بلور أطروحة تينيانوف عن أن الدراسة المثولية INMENENTE (أي اللغوية أو الشكلية الصرف) للنص مستحيلة في الأساس. كما أن تحديده للفن جعله يختلف عمن سبقوه، حيث قال: إن الفن ما هو إلا حدث سيميولوجي. وذلك أن الفن - في نظره - يجمع بين ثلاثة أشياء في وقت واحد هي: العلامة SIGNO، والبنية ESTRUCTURA والقيمة VAL-OR. ومن أقواله أيضا أن العمل الفني لا يمكن أن يقتصر على مظهره المادي أو على معناه، لأن الجانب المادي للفن أو ما يسميه بالجهاز ARTEFACTO ما هو إلا مدلول لا يكتسب معناه إلا من خلال عملية التلقي. ولهذا عُدَّ موكاروفسكي من المرهصين بنظرية التلقي، وأطلق هانز جانتر HANS GUNTHER الكاتب الألماني، في كتاب له صادر عام ١٩٧١م على بنوية موكاروفسكي اسم «البنوية الدينامية»، ويعني به البنوية التي تتضمن، في بحثها، إضافة إلى العمل الفردي المغلق، نظام القواعد الخاصة بالقارئ(١). وقد وردت كلمة الديناميكية في توصيف موكاروفسكي للبنية، حيث عرفها بأنها ذات طابع حيوي ودينامي، يتسبب عن أن كل عنصر له وظيفة محددة يرتبط من خلالها بالمجموع، وهذه الوظائف والصلة فيما بينها تخضع لعملية تغيير. والنتيجة المترتبة على ذلك هي أن البنية، في وضعها الكلي، تكون في حركة دائمًا. ويترتب على ذلك أن القيمة الجمالية عند هذا البنوي البراغي ليست مفهومًا ساكنًا (استاتيكيًا) وإنما هي عملية تتطور بالتعارض مع رصيد التراث الفني الحالي، وبالتلاقي مع السياق الثقافي والاجتماعي الذي هو في حالة تغير مستمرة. ولهذا كان موكاروفسكي يولي أهمية خاصة للعملية الاتصالية والثقافية وانعكاس ذلك على العمل الأدبي.

وقد قال بتعددية القراءة وفقا لعمق الاجتماعي والثقافي. ولعل أقرب المعاصرين لتفكير موكاروفسكي هو الفيلسوف البولندي رومان إنجاردن، وله نظرية معروفة عن طبيعة العمل الأدبي، والاثنان كانت لهما معرفة وثيقة بالتراث الفلسفي الألماني. وهكذا نجد أن بنوية براغ، وبخاصة عند موكاروفسكي قد أدخلت تعديلات كثيرة على الاتجاه الشكلي الروسي الذي تمثل نظريًا في بعض من ذكرناهم فيما سبق، وعمليًا في فلاديمير بروب - بصفة خاصة - وعمله الشهير في تحليل الحكايات الخرافية.

نأتي إلى السيميوطيقيين السوفييت فنجد أن هؤلاء قد حدثت لهم دفعة قوية نحو عام ١٩٦٠م بفضل ظهور اتجاه عام لوقف التوتر في مجال الثقافة، بعد مدة طويلة من المزايدة على التوجهات الشكلية والبنوية بدأت منذ أوائل الثلاثينيات من جانب منظّري الواقعية الاشتراكية، الذين كانوا يرون في أعمال الشكليين والبنويين خروجًا على توجهات الحزب الشيوعي وعلى أسس الاشتراكية العلمية ومبادئها. وقد عُرفت السيميوطيقا بأنها العلم الجديد الذي يدرس أي نظام للعلامات مستخدم في المجتمع البشري. وقد كان ملتقى أعلام هذه المدرسة في موسكو، وبالتحديد في أحد أقسام معهد الدراسات السلافية والبلقانية في أكاديمية العلوم. وليس من شأننا الآن التوقف عند هؤلاء ولو بالإشارة إلى أسمائهم وبعض أعمالهم، لأن ما يهمنا هو أبرز العلماء في هذه المدرسة وهو يوري لوتمان، ولاسيما أن أعماله كانت تنطوي على نقد صريح وواضح للتوجهات السابقة، إضافة إلى تركيزه على الجانب أو المظهر الدلالي للأدب.

كان يوري لوتمان يعيش في تارتو TARTU التابعة لمقاطعة إستونيا، لكنه كان قريبًا من أساتذة معهد الدراسات السلافية في موسكو. وقد نشر معظم كتاباته ضمن سلسلة تابعة لجامعة تارتو تسمى «أعمال عن أنظمة العلامات» (١٩٦٤م). كان لوتمان متخصصاً في الأدب الروسي في القرن الثامن عشر وبدايات التاسع عشر، وقد نشر في ذلك كتابين مهمين عامي ١٩٦٤م، و١٩٧٠م على التوالي. ويمكن أن ينظر إلى أعمال لوتمان على أنها امتداد للشكلية الروسية، لكنها تنطوي، في جوانب كثيرة منها، على أصالة واضحة. فقد استخدم مثلهم - على سبيل المثال - مصطلح الآلية لكنه عرَّفه بأنه «عنصر بنائي له وظيفة»، أو «عنصر بنائي له وظيفة في بنية محددة». وهذا التعريف يختلف عن مفهوم الشكلي الروسي «شلوفسكي» للآلية، الذي كان يرى أن العمل الأدبي هو مجمل الآليات الخاصة به،

إضافة إلى أنه كان يرى أن المظهر الدلالي للأدب غير جدير بالاعتبار. وعلى العكس من ذلك تمامًا نجد أن يوري لوتمان قد ركز كل اهتمامه على المظهر الدلالي للأدب. وقد أقام ذلك على الفكرة السيميوطيقية التي تقول: إن كل دال لا بد له من معنى. لكن هذا لا يعني أننا لا يمكن أن نفصل بين الشكل والمعنى. وفي هذا الصدد يأتي تأثير ميخائيل باختين الذي قال من قبل: إنه من المستحيل في مجال الثقافة أن نقيم انفصالاً واضحًا بين التعبير والمضمون. وقد رفض لوتمان أطروحة ياكوبسون القائلة بأنه من خلال تحديث العناصر الصوتية تبحث اللغة الشعرية عن هدم المدلول المتواضع عليه CONVENCIONAL للكلمة وصولاً إلى المدلول النموذجي للغة متعالية على العقل TRANSRACIONAL. وبذلك رأى ياكوبسون أنه عندما تكون هناك كلمتان مترادفتان معروضتين في أسلوب شعري فإن الكلمة الثانية لا تكون حاملة لمعنى جديد. وقد رد لوتمان على ذلك بأن التقنية الشعرية لا تقتصر على الشكل، بل إن تكرار الكلمات المتساوية دلاليًا (أي المترادفة) له أثر

رولان بارت

دلالي في الشعر. وقال لوتمان أيضًا: إن الأثر الشعري أو الأدبي يحدث بسبب العلاقة الحميمة بين الجوانب الشكلية والدلالية في النص الأدبي، لهذا فإنه يعتقد أن بعض الخصائص الشكلية التي ليس لها مدلول في اللغة الشائعة يكون لها معنى في النص الأدبي(٢). وقد ربط لوتمان بين هذه الفكرة والطابع الإيقوني ICONICO للأدب، وهو طابع مأخوذ - كما هو معروف - من حقل علم الدلالة (السيميوطيقا). وفي هذا يقول: «إن العلامات SIGNOS في الفن لا تقوم على المواضعة الاعتباطية، وإنما هي، بالأحرى، ذات طابع إيقوني، تمثيلي». وبذلك تتشكل العلامات الإيقونية وفقا لمبدأ الاتصال القائم بين التعبير والمدلول، أي إن العلامة تكون بمنزلة نموذج لمضمونها. والنتيجة هي قيام دلالات لعناصر ليست لها في اللغة العادية أو الشائعة دلالات (لوتمان، بنية النص الفني، ١٩٧٢م، ص٤٠)(٣). وعندما توصل لوتمان في أبحاثه إلى النتيجة التي قالت إن الجمال إخبار INFORMACION، لم يكن هذا مجرد رفض لفكرة التركيز على الشكل عند الشكليين، بل إنه كان يمثل اعترافًا بأن الشكل الفني لا بد أن يكون له تفسير، ومن ثم فإن له معنى. ولا شك أن ملاحظات لوتمان حول دور الأيقونات في الأدب (ونظام الأيقونة في السيميوطيقا مأخوذ أساسا - كما هو معروف - عن بيرس) وقوله بوجود دلالات للخصائص الشكلية، كل هذا يمثل مرحلة مهمة في دراسة الأدب. ولا يستطيع أحد أن يزعم أن كل أفكار لوتمان أصيلة أو تعود إليه وحده، لأن كثيرًا منها مأخوذ عن آخرين، كما رأينا بالنسبة للأيقونة، لكن الفضل يعود إليه - دون شك - في تنمية هذه الأفكار وتطويرها بما يلائم الدرس الأدبي.



أنوريه دي بلزاك

وكان قد سبقه إلى إعطاء دلالة للخصائص الشكلية كل من تينيانوف (١٩٢٤م) وبريك BRIK (١٩٢٧م)، لكنه أيضا استطاع تطوير هذه الآراء ومنحها قوة وتألقًا جعلا الأنظار تتجه إليه. وهذا يؤكد ما أقوله دائما من أنه لا شيء يأتي من فراغ، وأننا لو أعدنا قراءة أي كتاب أو اتجاه أو مذهب فسوف نكتشف في كل مرة أشياء جديدة كانت غائبة عن وعينا في المرة الأولى.

ومن أفكار لوتمان المهمة فكرة (سمطقة) النص التي تشمل النص اللغوي والنص الأدبي على حد سواء، إضافة إلى السينما، والرسم، والسيمفونية. وقد وضع لوتمان شروطًا ثلاثة لهذا النص السيميوطيقي هي: ١- أنه واضح، أي يُعبَّر عنه بواسطة علامات محددة. ٢- وأنه محدود، أي له بداية ونهاية. ٣- وأن له بنية نتيجة للتنظيم الداخلي على مستوى التركيب SIN-TAGMATICO، ويترتب على ذلك أن علامات أي نص تدخل في صلة تقابل OPOSICION مع علامات وأبنية من خارج النص. وغالبًا ما تأتي العوامل الفارقة لنص ما وعلاماتها المشكلة لها مؤهلة لإمكانية تعرفها من خلال التلاقي أو الصلة مع نصوص أخرى وأنظمة أخرى. ولهذا فإن غياب عنصر منتظر كغياب القافية مثلا في تراث أو تقليد ترد فيه بشكل طبيعي يمكن أن يصدم القارئ بوصفه آلية سالبة أو آلية منقوصة MIMUS - ME-CANISM وهو شيء يشبه درجة الصفر في الصوتيات. ويشير لوتمان في هذه النقطة إلى رولان بارت (١٩٥٣م)، مثلما كان يمكن أن يشير إلى شلوفسكي (١٩٢٥م) أو ياكوبسون (١٩٣٩م). ويتضح مما سبق أن فكرة الآلية الناقصة لا تتعارض مع طريقة التفسير الملتزمة الاستقلال للنص الأدبي، وإن كان بعض الباحثين يرى أن النص الأدبي لا يمكن النظر إليه على أنه مستقل بالمعنى الدقيق للكلمة. ولكن ميزة مقاربة لوتمان - في رأي مؤلفي كتاب «نظريات الأدب في القرن العشرين» - أنه أدخل هذا المنهج السيميوطيقي نفسه لتحليل الأبنية الأدبية الداخلية، وللعلاقات الخارجية بين النص والسياق الاجتماعي - الثقافي. وإذا استطاع هذا المنهج أن يتخطى الهوة العميقة التي تفصل بين دراسة تلقي الأدب (ياوس ١٩٧٠م) وسوسيولوجيا الأدب في التفسيرات المستقلة التي يمارسها النقد الجديد NEW CRITICISM وكذلك ما يسمى بالتفسير الجوهري، وأن يقيم روابط بين نتائج هذه المناهج المختلفة جدا فيما بينها، نقول إذا استطاع ذلك فإنه يمكن القول بأن أعمال لوتمان أدخلت ثورة كوبرنيكية في دراسة الأدب(٤).

رولان بارت في حومة التعدد

كان رولان بارت يميل بشكل غير معتاد للمتعدد والمتبدد في مقابلة المفرد المتسق. ومن ثم قيل عنه - بحق - إنه بطل عدم التحديد، وإن كانت هذه المقولة «عدم التحديد» يمكن أن تأتي من جانب المعارضين له علامة على السلب. لكن بارت كان يقصد منها أن تُناقض ما يراه معتقدات تقليدية في مجال الهوية الإنسانية. وهذه - كما يقول جون ستروك - مفارقة PARADOX بالمعنى القديم للكلمة، معناها الافتراق عما يؤمن به الناس في عصر من العصور. غير أن المفارقة ظلت دائمًا بضاعة بارت الرئيسية، فقد رأى أن وظيفته في الحياة، منذ بداية سيرته كاتبا، أن يقف على الطرف الآخر، عدوه الأكبر هو «الدوجما»، أي الرأي السائد حول الأمور، الرأي الذي يسود إلى حد ينسى معه الناس أنه ليس أكثر من

التنوع والاختلاف في المذاهب النقدية ٢

رأي واحد من بين عدة آراء أخرى ممكنة. وربما لا يتمكن بارت من تحطيم المعتقد، ولكنه قادر على التخفيف من سطوته بأن يربطه بمكان محدد، وأن يخضعه لواحدة من مفارقاته. ويبلغ من عشقه للمفارقة في الحقيقة أنه لا يتورع عن قلب ظهر المجن لآرائه السابقة والتنكر لها(٥). ومن أبرز مواقفه التي تثبت رجوعه عن آراء قال بها من قبل تخليه عما أسماه ذات يوم بحلم العلمية، وهو الحلم الذي سعت أعماله الأولى إلى تحقيقه، لكنه منذ منتصف الستينيات تقريبا أخذ يتخلى عن هذه الطموحات العلمية. ويمكن أن نتلمس ذلك في كل كتاباته الصادرة بعد التاريخ المذكور، لكننا نفضل الآن أن نتوقف بشكل موجز عند كتابين فقط هما: ١ـ عناصر السيميولوجيا (١٩٦٧م)، ٢ـ كتاب S/Z (١٩٧٠م).

ففي الكتاب الأول أكد بارت أن المنهج البنوي يمكن أن يشرح كل أنظمة العلامات في الثقافة الإنسانية، لكنه قَبِل، في الوقت نفسه، بأن الخطاب البنوي ذاته يمكن أن يصبح موضوعًا للدراسة. ذلك أن الباحث السيميوطيقي ينظر إلى لغته ذاتها على أنها خطاب من الدرجة الثانية (يسمى ما وراء اللغة META-LENGUAJE أو اللغة الشارحة)، يعمل بكل ما في وسعه على اللغة ـ الموضوع LENGUAJE - OBJETO، ذات الدرجة الأولى. وعندما أدرك بارت أن أي لغة شارحة يمكن أن تتحول إلى لغة من الدرجة الأولى فقد رأى في ذلك دوراً غير نهائي (أو APORIA) يهدم سلطة كل اللغات الشارحة. وهذا يعني أننا عندما نقرأ بوصفنا نقاداً، لا نستطيع أبدا أن نخرج عن نطاق الخطاب، وأن نتبنى موقفًا معصومًا إزاء أية قراءة مسائلة. ومن ثم فإن كل أنواع الخطابات، بما في ذلك التفسيرات النقدية، تتساوى في كونها تخييلية، ولا أحد منها بإمكانه أن يستأثر بالحقيقة(٦). فيما يتعلق بالكتاب الثاني S/Z، وهو تحليل نقدي مطوّل لقصة «ساراسين» لبلزاك، نجد أن رولان بارت قد أنكر فيه أن تكون لغته مؤهلة لأن تحتل مكانة متميزة أو يمكنها ادعاء السيطرة على ما تبحثه. وعن هذا الكتاب يقول رامان سلدن إنه أكثر كتبه إثارة للإعجاب في مرحلة ما بعد البنوية. ذلك أنه يبدأ بالإشارة إلى عقم طموحات منظّري القص البنويين الذين يحاولون حصر كل قصص العالم داخل بنية بسيطة. فهذه المحاولة الخاصة بالكشف عن البنية محاولة غير مجدية، لأن كل نص يمتلك نوعا من الاختلاف، وهذا الاختلاف ليس من قبيل التفرد، وإنما يأتي نتيجة للخاصية النصية ذاتها. فكل نص يشير بطريقة مختلفة إلى المحيط غير النهائي لما هو مكتوب. وهناك بعض الكتابات تحاول أن تحبط القارئ حتى لا يقيم روابط حرة بين النص وما هو مكتوب (من قبل) وذلك بالإلحاح على إشارات ومعان مخصوصة. فالرواية الواقعية (مثلاً) تقدم نصًا «مغلقًا» ذا معنى محدد. ولكن هناك كتابات أخرى تشجع القارئ على أن ينتج معاني مختلفة. فالأنا التي تقرأ هي في ذاتها مجموعة من نصوص أخرى، والنص الطليعي يمنحها الحرية الكاملة في إنتاج المعاني من طريق إيجاد صلة بين المقروء وهذه المجموعة من النصوص(٧).

ولرولان بارت مجموعة من الأقوال توضح مفهومه عن جماعية النص، من ذلك قوله في كتاب «لذة النص»: «ولعل الذات أن تعود، حينئذ، لا من حيث هي وهم، بل من حيث هي منتج خيال. هناك لذة ما تتأتى من طريقة تخيل الإنسان لنفسه فردا، ومن ابتداع منتج خيال أخير، هو من بين أندر منتجات الخيال: الجانب الخيالي للهوية. هذا المنتج الخيالي لم يعد توهمًا لوحدة، بل هو على العكس من ذلك مسرح جماعي نجعل تعددنا يُمثل فيه: إن لذتنا فردية، ولكنها ليست شخصية»(٨)، ومن ذلك أيضا قوله في كتاب «صورة وموسيقى ونص»: «إن النص هو نسيج من الاستشهادات صُوِّر من مراكز ثقافة لا حصر لها»، ويضيف: «وثمة مكان تتوجه إليه هذه الجماعية، وهذا المكان هو القارئ، وليس ـ كما قيل حتى الآن ـ المؤلف. فالقارئ هو الفضاء الذي تندرج فيه كل الاقتباسات التي تشكل بنية»(٩). ويقول بارت في كتاب S/Z: «إن مصالح العمل الأدبي (أو الأدب بوصفه عملاً) هي ألا نجعل من القارئ مستهلكًا؛ بل أن يكون منتجًا للنص»(١٠).

وهذا التنوع في شخصية بارت وفي إنتاجه جعل النقاد يدرجونه ضمن اتجاهات نقدية مختلفة: فهو بنوي منذ البدايات حتى منتصف الستينيات تقريبًا، حيث شارك في النقد البنوي بكتابه «عن راسين»، ومقالاته المجموعة في كتب مثل «التاريخ أو الأدب؟» و«النشاط البنوي» و«النقد والحقيقة» إضافة إلى كتاب «درجة الصفر في الكتابة» (١٩٥٣م) وهو أول كتبه وأكثرها شهرة. شارك بارت أيضا في النقد الروائي البنوي وله إسهامات مهمة في هذا المجال. ثم إنه منذ التاريخ المذكور (أي منتصف الستينيات) بدأت تحولاته الكبرى على نحو ما رأينا: فهو من منظّري نظرية التلقي أو من المرهصين بها على الأقل كما رأينا في كتابه S/Z، وهو تفكيكي اعترف بتأثير كل من جاك دريدا وجاك لاكان وسواهما فيه، وإن كان ـ كما يقول كريستوفر نوريس ـ قد احتفظ بهذا التأثير على بعد مسافة وقائية محددة(١١). أي إنه «ما بعد بنوي» اشترك بصورة فعالة في صياغة المفاهيم الجديدة التي هزت، بل قَوَّضت، مشروع البنائية مثل اكتشاف الطبيعة غير الثابتة للدلالة، وتحرير الدوالّ كي تؤدي إلى توليد المعنى حين تشاء، وبذلك يصير القراء أحرارا في أن يفتحوا أو يغلقوا العملية الدلالية للنص دون أن يضعوا المدلول في الحسبان. كل هذا جعل مؤلفا مثل رامان سلدن يقول: إن ما بعد البنويين هم في الأساس بنويون اكتشفوا خطأهم، ومن ثم فإنهم عندما يسخرون من هؤلاء فكأنما يسخرون من أنفسهم(١٢).

وهكذا نرى أن رولان بارت كان له دور مهم في ترسيخ قواعد التعددية والاختلاف، ونقول قواعد لأننا ندرك أنه على الرغم مما تُشْعِر به التعددية من انفلات إلا أن ثمت أسسا صارمة تحكمها. فرولان بارت ـ على سبيل المثال ـ كان ـ كما يقول جون ستروك ـ: يجد متعة في تعايش الآراء المتناقضة وليس في قضاء أحدها على الآخر(١٣)، ومن ثم فإن التناقض الظاهري عنده يخفي وراءه التزاما بالنظام والأصولية(١٤).

ولاشك أن موضوع التعددية الثقافية ـ في رأينا ـ من أكثر الموضوعات إثارة للاهتمام الآن، وبخاصة بعد أن اتضحت أخطار الرأي الواحد والتوجه الواحد، وبعد أن ذاعت أعمال مفكرين من أمثال جاك دريدا التي قوضت الفكر الغربي من أساسه وقضت على مركزية الصوت LOGO CENTRISM، وأعمال ميشيل فوكو وهي أيضا خطاب بلا مركز يقلب كل ما هو عادي أو لائق، وجاك لاكان وغيرهم. وكل هذه الأعمال المهمة تحتاج إلى دراسات موسعة تكشف عن المتعدد والمتبدد فيها، وتوضح أن الفكر الفلسفي والفكر النقدي، مثله مثل الكتابة الإبداعية، لا يجمد عند مرحلة بعينها، بل إنه في حالة صيرورة دائمة تؤدي إلى حركية (دينامية) الخطاب في مقابلة السكون والجمود.

الهوامش:

١ـ انظر في ذلك كتابنا «الخطاب والقارئ ـ نظريات التلقي وتحليل الخطاب وما بعد الحداثة»، سلسلة كتاب الرياض، يونيو ١٩٩٦م، ص٦٤.
٢ـ انظر «نظريات الأدب في القرن العشرين»، ص٥٩.
٣ـ السابق، ص٦٠، وقد ترجم كتاب لوتمان «بنية النص الفني» إلى اللغة الإسبانية ونشر في مدريد عن دار نشر ISTMO عام ١٩٧٧م.
٤ـ السابق، ص٦٣.
٥ـ انظر جون ستروك في مقالته عن «رولان بارت» ضمن كتاب «البنوية وما بعدها» المذكور، ص٧٧.
٦ـ رامان سلدن، النظرية الأدبية المعاصرة، الطبعة الإسبانية (الثانية)، دار نشر أريل ARIEL ١٩٨٩م، ص٩٢، ولهذا الكتاب ترجمة عربية للدكتور جابر عصفور وقد استعنت بها أيضًا للوصول إلى مزيد من الوضوح.
٧ـ السابق، ص٩٤.
٨ـ رولان بارت، لذة النص، الترجمة العربية لفؤاد صفا والحسين سبحان، دار توبقال للنشر، ١٩٨٨م، الطبعة الأولى، ص٦١.
٩ـ نقلاً عن جوناتان كولر، عن التفكيك، الطبعة الإسبانية، ص٣٤.
١٠ـ السابق، ص٣٩.
١١ـ كريستوفر نوريس، التفكيكية ـ النظرية والممارسة، ترجمة د. صبري محمد حسن، دار المريخ، الرياض ١٩٨٩م، ص٣٨.
١٢ـ رامان سلدن، النظرية الأدبية المعاصرة، الطبعة الإسبانية، ص٨٩.
١٣ـ جون ستروك، البنوية وما بعدها، ص٨٦.
١٤ـ كريستوفر نوريس، المرجع المذكور، ص٤٣.

ابن فضلان

سفير الحضارة الإسلامية المفترى عليه!

د. ناصر عبدالرازق الموافي

أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد، اسم شهير في الأوساط العلمية والثقافية الغربية، بينما لا يعرفه إلا قليلون في الأوساط الثقافية والعلمية العربية الإسلامية. وسبب شهرته تلك السفارة التي كان أحد أعضائها، والتي انطلقت من بغداد في الحادي عشر من صفر سنة ٣٠٩هـ، قاصدة بلاد ملك الصقالبة «ألمش بن يلطوار» الذي أرسل كتابًا إلى «أمير المؤمنين المقتدر يسأله البعثة إليه بمن يفقهه في الدين، ويعرفه شرائع الإسلام، ويبني له مسجدًا، وينصب له منبرًا ليقيم عليه الدعوة له في بلده وجميع مملكته، ويسأله بناء حصن يتحصن فيه من الملوك المخالفين له، فأجيب إلى ما سأل من ذلك»(١).

وبعد وصف ابن فضلان لهذه السفارة سبب شهرته، فقد تتبع الشعوب التي مرت السفارة بأراضيها، وفصّل عاداتها وتقاليدها، وكيفية تعاملها مع السفارة وأعضائها، حتى إن كراتشكوفسكي صاحب الكتاب الرائد: «تاريخ الأدب الجغرافي العربي» ذهب إلى أن ابن فضلان يحتل المكانة الأولى بين الرحالة الذين زاروا الأصقاع القريبة مما كان يُطلق عليه الاتحاد السوفيتي، وأن لريادته جانبين: السبق الزمني، والأهمية الذاتية؛ فابن فضلان يقدم لنا في رسالته صورة حيّة للظروف السياسية في العالم الإسلامي، والعلاقات بين بلاد الإسلام والبلاد المتاخمة لها في آسيا الوسطى أو الأصقاع النائية التي كانت تمثل أطراف العالم المتمدن آنذاك مثل حوض الفولجا. وتحفل الرسالة بمادة إثنوغرافية (دراسة وصفية لعلم الإنسان والسلالات) قيمة جدًا ومتنوعة بصورة فريدة، وهي تمس عددًا من القبائل التركية البدوية القاطنة آسيا الوسطى، وعددًا من الشعوب التي كانت تمارس آنذاك دورًا أساسيًا في تاريخ أوربا الشرقية كالبلغار، والروس، والخزر، كما لا يمكن إنكار قيمتها الأدبية، وأسلوبها القصصي السلس، ولغتها الحية المصورة التي لا تخلو بين آونة وأخرى من بعض الدعابة التي ربما لم تكن مقصودة(٢).

ليس كراتشكوفسكي المعجب الوحيد برسالة ابن فضلان، فقد شاركه كثير من علماء شمال أوربا هذا الإعجاب، حتى وُصف بعضهم بالغلو في حب ابن فضلان، لذا حظي نص الرسالة باهتمام شديد؛ حيث عمل هؤلاء على تجميع نصوصه المتفرقة في المصادر العربية التراثية، كما تتبعوا مخطوطاته تحقيقًا ونشرًا ودرسًا، وكان العثور على مخطوطة مشهد عام ١٩٢٤م فتحًا مهمًا في مجال الدراسات المتعلقة بابن فضلان، إذ أدى الكشف عنها إلى اتساع المادة عن ابن فضلان بشكل ملحوظ، وإذا صرفنا النظر عن خاتمتها المفقودة، فإن هذه المخطوطة الأخيرة تمكننا لأول مرة من الحكم على الرسالة في صورتها الكاملة... ومن المستحيل بالطبع الجزم بأن جميع المسائل المتعلقة بمتن الرسالة قد حُلّت نهائيًا(٣).

وإذا كانت مخطوطة مشهد قد أعطت تصوُّرًا شبه كامل لرسالة ابن فضلان، فإن اعتماد نصها نصًا أساسيًا أصبح سائغًا، لذا حُقِّقَ أكثر من مرة، كان منها تحقيق الدكتور سامي الدهان الذي رأى النور للمرة الأولى عام ١٩٥٩م بعد ثماني سنوات من العمل الشاق، ومنذ ذلك الحين أصبح لدينا نص يمكن الاطمئنان إليه نسبيًا، لأن تحقيقه تم على يد عالم عربي كبير.

رسالة ابن فضلان: لوحة ورواية!!

يبدو أن الجاذبية الخاصة لنص رسالة ابن فضلان جعلت كثيرًا من المبدعين يطمحون إلى تحويله إلى أعمال إبداعية، فالرسالة «تفصل الدقائق وتوضح الحركات بشكل دقيق لا نراه في مصدر عربي أو غربي غيرها، ويستطيع المصور أن يتخذ من التفصيلات مادة للوحة الحرق عند الروس في ذلك الزمان، لدقتها الشديدة ووضوحها البين. وقد استقى فنان روسي اسمه هنري

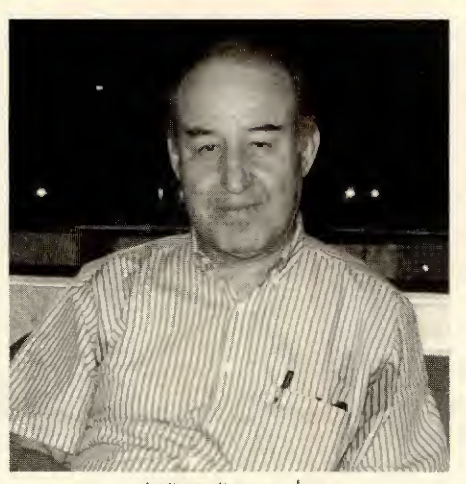
سميرادسكي من هذه الرسالة لوحة للدفن تزين اليوم أزهى متاحف الروس في لننغراد [سان بطرسبرج الآن] رفعت اسم ابن فضلان إلى مراتب الخلود والشهرة، وأكسبت رسالته سمعة عالمية»(٤).

لم يقتصر الأمر على مجال الرسم، فقد تحولت رسالة ابن فضلان إلى رواية عام ١٩٧٦م على يد الكاتب مايكل كريتشن MICHEAL CRITCHON أسماها: أكلة الأموات EATERS OF THE DEAD. ويبدو أن هذه الرواية اكتسحت الأسواق، حتى قالت الديلي تلغراف بأن الكتاب من أروع روايات السنة(٥). وقد اعتمد مايكل - في استقاء الخطوط الأساسية لروايته - على مجموعة من النصوص التي جمعها العالم النرويجي بير فراوس - دولوس ونشرها مترجمة في مجلة «محاضر متحف أوسلو الوطني» ١٩٥٩-١٩٦٠م. وهذه النصوص - فيما يزعم كريتشن - ممتدة عبر أزيد من ألف سنة، ومكتوبة بالعربية واللاتينية والفرنسية والدانمراكية والسويدية والإنجليزية، وقد شُغل بير فراوس - دولوس بالتوفيق بين هذه النصوص وترجمتها في الفترة من عام ١٩٥١ إلى ١٩٥٧ - عام وفاته -، وحرص - فيما يقول - على أن تكون ترجمته حرفية. ويبين كريتشن عمله في هذه الترجمة قائلاً: «لقد قمت بتعديلات طفيفة عند إعدادي لترجمة (فراوس - دولوس) الكاملة والمحشاة؛ فقد حذفت بعض الفقرات المكررة، وهي مشار إليها في النص، وغيرت ترتيب الجمل بحيث يبدأ كلام كل شخص يروي عنه ابن فضلان بمقطع جديد - حسب الحوار العصري -، وحذفت العلامات المميزة للأسماء العربية، وأخيراً أعدت ترتيب الجمل بحيث أصبحت - من الناحية اللغوية - واضحة»(٦).

واضح من العرض السابق أن نص الرواية التي ألفها كريتشن يعتمد على مجموعة من النصوص المخطوطة، وأن هذه النصوص كتبت بلغات مختلفة في فترات زمنية متعددة، وأن عمل دولوس تمثل في جمع هذه النصوص والتأليف بينها، ثم جاء كريتشن ليعيد صياغة ما ألفه وترجمه قلم دولوس، وليجعل منه رواية حققت نجاحًا كبيرًا آن صدورها، ويبدو أن كلا من دولوس وكريتشن كان على قناعة بأنه أمام نص من نصوص ابن فضلان نفسه، بل بالغ كريتشن في إضفاء الصدق على نص ابن فضلان الملفق هذا؛ فابن فضلان «لم يرجم بالغيب قط، وكل كلمة كتبها تنطق بالصدق، وكلما كتب شيئًا سمعه من غيره حرص على أن يقول ذلك، وهو حريص كذلك على إثبات ما شاهده بنفسه، وذلك سبب استعماله العبارة «رأيت بعيني» مرات متعددة. وهذا الصدق هو الذي يجعل في النهاية روايته مرعبة بهذا الشكل؛ فقد قص حكايته مع «أغوال الضباب» أكلة لحوم البشر بالعناية بالتفاصيل نفسها، وبالحذر والشك اللذين يميزان الأجزاء الأخرى من المخطوط»(٧).

نصوص ابن فضلان: الأصل والتقليد

غير أن نص ابن فضلان العربي المكتشف، وما نُقل عنه في كتب التراث العربي، وما تعرض له ابن فضلان نفسه من نقد على يد خبراء كياقوت الحموي - في معجم البلدان - كل ذلك يشهد بأن ما جمعه دولوس، وأعاد كريتشن صياغته، يختلف في معظم أجزائه عن نص ابن فضلان الأصلي؛ بل



أحمد عبد السلام البقالي

إن هناك أحداثًا في القصة تتعارض مع الأحداث الحقيقية لسفارة ابن فضلان، ربما كان أظهرها الزعم بأن ابن فضلان لم يؤد مهمته؛ لأن مجموعة من مقاتلي الشمال الإسكندنافيين أرغموه على الذهاب معهم لمقاتلة أغوال الضباب الذين عاثوا في الأرض فساداً. وهكذا - كما جاء على لسان ابن فضلان في الرواية -: «حيل بيني وبين متابعة سفري إلى مملكة يلطوار ملك الصقالبة، وهكذا لم أستطع تبليغ رسالة المقتدر أمير المؤمنين وخليفة مدينة السلام، فأعطيت ما تيسر لي من تعليمات لنذير الحُرَّمي، وكذلك السفير عبدالله بن باشتو الخزري، وكذلك للغلامين تكين وبارس، وودعتهم ولم أدر قط بعد ذلك ما فعل الله بهم»(٨). وتبلغ المفارقة ذروتها حينما يمر مع المجموعة المقاتلة بعاصمة ملك الصقالبة، دون أن يتمكن من مقابلته، فقد «سافرنا في النهر مدة ثلاثة أيام، ومررنا في طريقنا بعدد من القرى على ضفافه، ولم نقف عند أي منها، وبعد ذلك وصلنا إلى محلة واسعة على منعطف نهر الفولغا، وهناك كان مئات الناس يسكنون بلدة غير صغيرة يقوم في وسطها كريملين أو قلعة عظيمة حيطانها من طين، وسألت «هيرغر» عن هذا المكان، فقال لي: هذه مدينة «بلغار» من مملكة الصقالبة، وذلك كريملين اليلطوار ملك الصقالبة. فأجبت: هذا هو نفس المكان الذي أرسلني إليه الخليفة، وتوسلت إليهم أن ينزلوني إلى الشاطئ لإبلاغ رسالة الخليفة، وطلبت ذلك مظهراً الغضب على قدر جرأتي، ولم يعرني الشماليون أيّ اهتمام، ولم يجب هيرغر على أسئلتي ومطالبي، وفي النهاية ضحك في وجهي، وحول انتباهه إلى السفينة المبحرة. وهكذا مرت السفينة الإسكندنافية بمدينة البلغار قرب الشاطئ، لدرجة أنني كنت أسمع صياح التجار وثغاء الغنم، وأنا عاجز لا أملك إلا النظر إلى المدينة وهي تمر أمامي، وبعد ساعة لم أعد أرى حتى ذلك المشهد، فقد كانت مدينة البلغار تقع على منعطف النهر - كما قلت - فغابت عن عيني»(٩).

أضف إلى ما سبق أن نص ابن فضلان ما هو إلا تقرير رسمي رفعه للخليفة المقتدر - حسبما يذهب كثير من الدارسين له - ومنهم كريتشن، ومع ذلك فإن رواية كريتشن تتضمن سبًا عنيفًا من ابن فضلان للخليفة؛ إذ يقول في بداية التقرير المفترض رفعه للخليفة: «ولم يكن أمير المؤمنين المقتدر - كما يعرف الكثير - خليفة قويًا عادلاً؛ بل كان خليعًا ينساق وراء الشهوات، وينخدع بملق وثناء رجال بلاطه الذين كانوا يستغفلونه ويسخرون منه كثيراً وراء ظهره، ولم

مخطوطات رسالة ابن فضلان تنقصها خاتمة منطقية تتعلق برحلة العودة، كما أن الأستاذ البقالي خلط بين نص تحقيق الدكتور الدهان، وترجمة رواية كريتشن، وهو خلط لا يستند إلى أساس علمي!

أكن أنا من حاشيته، ولا ممن يتمتعون بعطفه، وذلك للسبب الآتي..». ثم يورد حكاية غريبة عن رجل اسمه ابن قارن يعاديه، ويحاول ابن قارن الانتقام من ابن فضلان فيستغل فرصة وفود سفارة ملك الصقالبة فيشير «ابن قارن الخبيث بإيفادي أنا، وهكذا أُرسلت...»(١٠). وهكذا تصبح الصورة كالتالي:

١- ابن فضلان ينتقد الخليفة ويسبه في تقرير يرفعه إليه.

٢- ابن فضلان أُرسل في سفارة انتقامًا منه، ولذا فالسفارة أقرب إلى أن تكون عقابًا؟!

٣- ابن فضلان لم يصل إلى حاضرة ملك الصقالبة، ولم يسلمه الكتاب ولا الهدايا.

٤- أضف إلى ذلك تفاصيل كثيرة غصت بها الرواية؛ مما يتنافى مع الواقع الذي يؤكده النص الأصلي للرسالة، وهو ما يدفعنا إلى القول بأن نصّي دولوس وكريتشن نصّان خياليان استندا إلى واقع متمثل في نص رسالة ابن فضلان. ونحن لا نمانع في أن يبني روائي مادة روايته على أساس من نص أصلي واقعي؛ شرط عدم التحريف المفضي إلى التشويه والإساءة حتى مع توافر النوايا الحسنة.

ترجمة واتهام وخلط

قد يبدو الأمر طبيعيًا حتى الآن، وربما لا تكون هناك قضية واضحة المعالم، غير أن ما يثير الدهشة أن يُترجم نص الرواية السالفة الذكر إلى العربية دونما التفات إلى المزالق التي سبقت الإشارة إليها؛ بل مع تشديد النكير على هؤلاء الذين فرطوا في حق ابن فضلان. والواقع أن هذه الترجمة التي قام بها الأديب المغربي الأستاذ أحمد عبدالسلام البقالي، وقدمها تحت عنوان تجاري هو «مغامرات سفير عربي في إسكندنافيا منذ ١٠٠٠ عام» تثير مجموعة من الأسئلة والقضايا المتعلقة بتراثنا عامة، وتراثنا في أدب الرحلات خاصة:

أولاً: أخذ الأستاذ البقالي على نص تحقيق الدكتور الدهان لرسالة ابن فضلان أنه ناقص، لأنه لا يتضمن إضافات دولوس - كريتشن، وواقع الحال أن نص كل مخطوطات ابن فضلان تنقصه خاتمة منطقية تتعلق برحلة العودة، غير أن ذلك النقص لا يتعلق بإضافات دولوس - كريتشن التي بلغت ثلاثة أضعاف النص الأصلي تقريبًا (النص الأصلي من ص١٩ إلى ص٥٨ والمغامرة تستغرق الصفحات من ٥٨ إلى ١٦٠)، وتعلقت بمغامرة قام بها ابن فضلان مع كتيبة شمالية مقاتلة للقضاء على غيلان الضباب - ويقصد بهم سلالة بشرية بدائية. ويبدو أن هذه الإضافة الواضحة التبس أمرها على الأستاذ البقالي، فراح يقول - في ثقة يُحسد عليها -: «وفي نظري أن ما لم يصل إليه الدكتور الدهان من رسالة ابن فضلان - يقصد المغامرة مع الشماليين - هو أهم كثيرًا، وأعظم تشويقًا وإثارة من وجهة النظر الروائية والتاريخية والعلمية على السواء، ففيه تبدأ المغامرة الإسكندنافية الحقيقية»(١١). وهذا الجزم يحتاج إلى أدلة تدعمه، أقلها أن يكون هناك أصل عربي واحد يشير - ولو لمامًا - لهذه المغامرة المزعومة.

ثانيًا: خلط الأستاذ البقالي بين نص تحقيق الدكتور الدهان وترجمة رواية كريتشن مستندًا إلى أنه «لحسن الحظ أن ما نقله كريتشن عن فراوس دولوس يبدأ حيث ينتهي ما عثر عليه الدكتور الدهان، فالكاتبان إذن يكمل بعضهما البعض»(١٢). وهذا الخلط لا يستند إلى أساس علمي؛ بل ينطوي على دمج لنصين أحدهما واقع والآخر خيال لم تقم على صحته دلائل تذكر. ولنتأمل مغزى أن يبدأ أحدهما من حيث ينتهي الآخر، كما ينطوي على إهدار لجهد صاحبي النصين كليهما، فنحن لم نعد أمام نص واقعي خالص ينتمي إلى أدب الرحلات، أو أمام نص روائي متخيل! وفض الاشتباك بين النصين يستلزم ترجمة نص رواية كريتشن ترجمة كاملة مع النص على كونها رواية كما فعل المؤلف نفسه، وكما وُصف عمله.

ثالثًا: لم ير الأستاذ البقالي - باعترافه - الأصل العربي الذي نقل عنه دولوس، كما لم ير ترجمته الإنجليزية؛ بل نقل مباشرة من رواية مايكل كريتشن، وهذا ما يجعلنا نتوقف طويلاً عند صحة مغامرة ابن فضلان. يقول الأستاذ البقالي في هذا الصدد: «وكم تمنيت لو عثرت على الأصل العربي الذي ترجم منه فريق الأستاذ (بير فراوس دولوس) إذن لنقلته للقارئ العربي بأسلوبه الأصلي، ولما اضطررت إلى ترجمته عن الإنجليزية بأسلوب مخالف لأسلوب ابن فضلان»(١٣). وواضح أن دولوس ينقل - كما قدمنا وقدم الأستاذ البقالي نفسه - عن نصوص مكتوبة بالعربية واللاتينية والألمانية والفرنسية والدانمركية والإنجليزية، لا عن نصوص مكتوبة بالعربية فحسب، بل يُستبعد أن يكون نص عربي محتويًا على أية إشارة لمغامرة ابن فضلان، وأن تكون هذه المغامرة من وضع نص بلغة أخرى، إن لم تكن من خيال كريتشن.

رابعًا: هذا الظلم البين لنص رسالة ابن فضلان والخلط بينه وبين نص خيالي، لم يجذب نظر أحد من الباحثين العرب، فلم يتحرك أحدهم لتصحيح الوضع، أو الإشارة إلى وجه الصواب فيه. ولو أن الأمر كان متعلقًا بشاعر لَهَبَّ كثيرون للدفاع عنه، وهذا الوضع الغريب يعكس انحيازنا للشعر على حساب الفنون النثرية.

خامسًا: ليس في كل ما سبق مظنة اتهام للأستاذ البقالي، فقد اجتهد وأتعب نفسه حينما قام بترجمة رواية مايكل كريتشن - إضافة إلى تضمين نص تحقيق الدكتور الدهان -، وربما كانت حماسته الشديدة لابن فضلان السبب في تصديقه أن مغامراته مغامرات واقعية، على تناقضها الشديد مع النص الأصلي.

سادسًا: حتى يتم رفع الظلم عن ابن فضلان، فإننا ندعو الباحثين العرب إلى البحث عن الأصول التي اعتمد عليها دولوس، وعن ترجمته لها، ومقابلة ذلك بما فعله كريتشن، كما أدعوهم - قبل ذلك - إلى رد الاعتبار لابن فضلان بين أهله؛ فلسنا أقل من الغربيين اهتمامًا به.

الهوامش:

١- رسالة ابن فضلان في وصف بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة، لأحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد، حققها وقدم لها: د. سامي الدهان، مكتبة الثقافة العلمية، بيروت ١٩٨٧م، ص٦٧-٦٨.

٢- تاريخ الأدب الجغرافي العربي، لأغناطيوس كراتشكوفسكي، ترجمة: صلاح الدين عثمان هاشم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص٢٠٢.

٣- السابق، ص٢٠٢.

٤- رسالة ابن فضلان، المقدمة، ص٢٣.

٥- رحلة ابن فضلان إلى بلاد الصقالبة وإسكندنافيا، محمد علي حسين الحريري، مجلة عالم الكتب، دار ثقيف، الرياض، رجب ١٤١١هـ - ١٩٩١م، ص١٠٦.

٦- مغامرات سفير عربي في إسكندنافيا منذ ١٠٠٠ عام، أحمد عبدالسلام البقالي، مطبوعات تهامة، جدة ١٤٠٨هـ، ص١٢.

٧-١٣- السابق، ص١٤، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ١٩، ٢٠، ١٦، ١٦.





إعداد:
د. عبد الفتاح محمد العيسوي



استدلال REASONING

يُقصد بالاستدلال فعل الذهن الذي يلمح علاقة بين قضية وأخرى أو بين عدة قضايا، وينتهي إلى حكم بالصدق أو الكذب أو إلى حكم بالضرورة أو الاحتمال.

فإن كان طريقنا في الاستدلال هو انتقال الذهن من حكم إلى آخر بلا واسطة بينهما سُمِّي استدلالاً مباشرًا.

وإن كان انتقال الذهن من حكم إلى آخر بواسطة الحد الأوسط سُمّي استدلالاً غير مباشر.

فالاستدلال المباشر هو انتقال الذهن بلا واسطة من حكم إلى حكم لوجود علاقة بين الأول والثاني. أما الاستدلال غير المباشر فهو انتقال الذهن بواسطة الحد الأوسط من حكم إلى حكم.

والقول بصدق إحدى القضيتين يتوقف على اعتقادنا في صدق القضية الأخرى ونوع العلاقة بينهما وتقابلهما.

استغراق ABSORPTION

هو شمول الحكم جميع أفراد الموضوع أو جميع أفراد المحمول، ومنه استغراق الحد، واستغراق كلي.



برهان DEMONSTRATION

يشير البرهان إلى الإثبات المنطقيّ القاطع، وقد يكون عقليًا ينتقل فيه الذهن من قضايا مسلمة إلى أخرى تنتج منها بالضرورة، ويقوم على أساس من مقدمات يقينية، وينتهي تبعًا لذلك إلى نتائج يقينية، وأوضح صوره البرهنة الرياضية، ومنه برهان الخلف الذي يقوم على إثبات صحة المطلوب بإبطال نقيضة، وهو يماثل التجربة الحاسمة في المنهج التجريبيّ.

ومن الممكن أن يكون البرهان تجريبيًا يستند إلى التجارب والأشياء والحوادث.



تجريب EXPERIMENTATION

يشير التجريب إلى الاختيار المنظم لظاهرة أو أكثر وملاحظتها بدقة للتوصل إلى نتيجة معينة، كالكشف عن فرض أو تحقيقه، ومنه التجريب الذهنيّ في مجال الفكر، ويحدث حيث يتمثل الذهن ظروفًا واقعية يربط بها توقعه لنتائج معينة. فهو تجريب لا ينصب على الأشياء، بل على تصورها وتمثلها في الذهن.

تعريف DEFINITION

هو لغة: التوضيح، ومنه الاسمي، وهو قول يشرح المعنى الذي يدل عليه اللفظ، فيزيل ما ينطوي عليه من غموض، ويقابل التعريف الحقيقي، وهو أساس التعريف المنطقي، واصطلاحًا هو: تحديد مفهوم الكلي بذكر خصائصه ومميزاته. والتعريف الكامل يساوي المعرف تمام المساواة ويسمّى «جامعًا مانعًا»، ويدل على ماهية الشيء وحقيقته ويسمى الحد أو التعريف الحقيقيّ، ويتكون من الجنس القريب والفصول الذاتية، ويقابل التعريف بالرسم وهو تام وناقص، والتام هو ما يتركب من الجنس القريب والخاصة كتعريف الإنسان بالحيوان الضاحك، والرسم الناقص هو ما يكون بالخاصة وحدها، أو بالخاصة والجنس البعيد، كتعريف الإنسان بالضحك أو بالجنس الضاحك، أو بذكر مميزات عرضية تختص بحقيقة واحدة، كقولنا في تعريف الإنسان «إنه ماشٍ على قدميه مستقيم القامة ضاحك بالطبع...» إلخ.



الثالث المرفوع TIERS EXCLU

أحد المبادئ الأولية، ويتلخص في أن القضيتين المتناقضتين إذا صدقت إحداهما كذبت الأخرى، ولا ثالث بينهما.



جزئي PARTICULAR

مصطلح منطقيّ توصف به القضايا أو الأحكام التي ينصب فيها المحمول على جزء من ما صدق الموضوع. وجزء الشيء ما يتركب ذلك الشيء منه ومن غيره.

جمع منطقيّ LOGICAL ADDITION

هو حاصل الجمع لصنفين أو أكثر، وهو حاصل جمع الأفراد الداخلة في ما صدقات كل منهما، ويتم في جمع المفردات، كما يتم في جمع القضايا.

وحاصل الجمع المنطقيّ هو إضافة الحالات المتشابهة بعضها إلى بعض، فحاصل الجمع المنطقيّ في التصورات هو جملة الأفراد التي تدخل في ما صدق واحد، وحاصل الجمع المنطقيّ في التصديقات هو القضية التي تصدق على عدة قضايا.



حد LIMIT

يشير الحد بوجه عام إلى ما يحصر قطعة من المكان والزمان، وهو بهذا يفصل بين شيئين. وهناك حدود ماديّة كالخط الفاصل بين سطحين، وحدود معنوية كحدود المعرفة، والحد بين الصواب والخطأ، ويقابله TERM ويكثر استعماله في المنطق وبخاصة في القضايا، فهو أحد طرفيها من محمول أو موضوع، وفي القياس هو الطرف الأكبر أو الأصغر أو الأوسط. وقد أطلق في اللغة العربية على القول الدال على ماهية الشيء.

والحد الأصغر هو موضوع المطلوب مثل «جسم» إذا كانت هيئة القياس: كل جسم مؤلف، وكل مؤلف محدث، فكل جسم مؤلف.

والحد الأكبر محمول المطلوب مثل قولنا «محدث» في قياس صورته: كل جسم مؤلف، وكل مؤلف محدث، فكل جسم محدث.

والحد الأوسط هو ما تشترك فيه مقدمات القياس، وهو أيضا المحذوف من النتيجة مثل «مؤلف» في مقدمتي القياس: كل جسم مؤلف، وكل مؤلف محدث، وبوساطته توجد علاقة بين الأكبر والأصغر.

أمّا الحدّ الأدنى فهو قيمة لمتغير أو دالة أصغر من التي سبقتها وأوقعت تالية لها مباشرة، والحدّ الأعلى هو قيمة أعلى من التي سبقتها وجاءت تالية لها مباشرة.



خطأ FAULT

يشير إلى مخالفة القواعد والنظم التي كان ينبغي اتباعها. ومنه مخالفة القواعد السلوكية أو المنهجية أو المنطقية أو النحوية أو الرياضية أو الأخلاقية والجمالية.

ومنه أيضًا ما ليس للإنسان فيه قصد، وهو عذر يصلح لسقوط حق الله تعالى إذا حصل عن اجتهاد، ويصير شبهة في العقوبة حتى لا يؤثّم الخاطئ، ولا يؤخذ بحد ولا قصاص، وفي الوقت نفسه لم يُجعل عذرًا في حق العباد، ووجبت به الدية.



دلالة SIGNIF ICATION

يشير هذا المصطلح إلى شيء أو معنى يفيده لفظ أو رمز ما، ومنه دلالة الكلمة والجملة. يقول الجرجانيّ: «الدلالة هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأول هو الدال والشيء الثاني هو المدلول». وللدلالة شأن كبير في الدراسات المنطقية لبيان الصلة بين المنطق واللغة. ففي المنطق الرياضي مثلاً تشير دالة القضية إلى قول يشتمل على متغير أو أكثر، بحيث إذا أبدل المتغير بقيمة ثابتة أضحى هذا القول قضية صادقة أو كاذبة على حسب القيمة المختارة.



ذهن MIND

هو ما يتم به الشعور بالظواهر النفسية المختلفة، ويُطلق أيضًا على التفكير وقوانينه أو على مجرد الاستعداد للإدراك.



رابطة COPULA

يقصد بالرابطة ما يدل على العلاقة بين المحمول والموضوع ويربط أحدهما بالآخر في حالة الإثبات أو النفي، وكثيرًا ما يصرح بها في اللغات الأوربية.

وقد لاحظ المناطقة الإسلاميون أنها تُضمر عادة في اللغة العربية، وقد يحل محلها لفظ «هو» أو «يكون». ويرى بعض المناطقة المحدثين أن هذه الرابطة متكلفة، ويمكن الاستغناء عنها؛ لأن الحكم يتم دون فعل الكينونة؛ بل بلفظ واحد مثل «حسن» و«جميل».





سلب NEGATION

يقصد به عمل ذهنيّ قوامه رفض قضية أو فكرة. والسالب هو ما يدل على نفي ينصب على مفهوم الحد أو رابطة القضية.



شكل FIGURE

يشير هذا المصطلح في المنطق الصوري إلى الصورة التي يمكن أن يأخذها القياس تبعًا لموضع الحد الأوسط في المقدمتين، وأشكال القياس ثلاثة أو أربعة، ولكل شكل ضروب منتجة وأُخر غير منتجة.

والشكل الأول: قياس يكون الحدّ الأوسط فيه محمولاً في الصغرى موضوعًا في الكبرى مثل: كل جسم مؤلف، وكل مؤلف محدث، فكل جسم محدث.

الشكل الثاني: قياس يكون الحد الأوسط فيه محمولاً في المقدمتين، مثل: كل إنسان حيوان، ولا شيء من الجماد بحيوان، فلا شيء من الإنسان بجماد.

الشكل الثالث: قياس يكون الحد الأوسط فيه موضوعًا في المقدمتين مثل: كل إنسان حيوان وكل إنسان ناطق، فبعض الحيوان ناطق.

الشكل الرابع: قياس يكون الحدّ الأوسط فيه موضوعًا في الصغرى محمولاً في الكبرى مثل: كل إنسان حيوان، وكل ناطق إنسان، فبعض الحيوان ناطق.



صوريّ FORMAL

الصوري هو ما يتعلق بالصورة وحدها دون النظر إلى المادة. وقوانين الفكر صوريّة وكليّة وضروريّة. والمنطق الصوريّ ينصب على قوانين الفكر وشرائط إمكان الاستدلال، فهو دراسة للاستدلال من حيث كونه منتجًا بقوة صورية فحسب؛ لأنه يقيم قوانينه دون استفتاء التجربة.



ضد CONTRARY

يدل هذا المصطلح المنطقيّ على تقابل صنفين مختلفين كل الاختلاف يتعاقبان على موضوع واحد ولا يجتمعان كالسواد والبياض، ويكون ذلك بين المعاني الكلية والقضايا. والضدان لا يجتمعان، وقد يرتفعان؛ في حين أن النقيضين لا يجتمعان ولا يرتفعان.



طرفان EXTREMES

الحد الأكبر والأصغر في القياس الحمليّ.



ظن OPINION

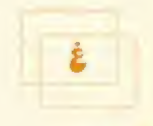
يشير الظن إلى الاعتقاد الراجح مع احتمال النقيض.



عقل REASON

يقصد به بوجه عام ما يُمَيَّز به الحق من الباطل والصواب من الخطأ، ويطلق على أسمى صور العمليات الذهنية بعامة، وعلى البرهنة والاستدلال بخاصة، ويراد به أيضًا المبادئ اليقينية التي يلتقي عندها العقلاء جميعًا.

وقد قسم ليبنتز العقل إلى نَظَريّ: وهو ينصب على الإدراك والمعرفة، وعمليّ: وينصب على الأخلاق والسلوك، والعقل عند البعض هو ما يعين على التجريد واستخلاص المعاني الكلية، وهو أيضًا وسيلة المعرفة، فيدرك الجزئي كما يدرك المعاني العامة.



الغصب FORCE

يقصد به في اللغة أخذ الشيء ظلمًا أو إرغامًا أو إكراهًا سواء أكان مالاً أم غيره، وفي المنطق ومناهج البحث هو منع نفي مقدمة الدليل قبل إقامة المعلل الدليل على ثبوتها، سواء أكان يلزم منه إثبات الحكم المتنازع فيه، أم لا.



فصل DIFFERENCE

يشير الفصل من الناحية المنطقية إلى الصفة الذاتية التي تميز نوعًا من بقية الأنواع الأخرى الداخلة تحت جنس واحد، وهو الفصل القريب.



قضية PROPOSITION

تشير القضية إلى قول يحتمل الصدق والكذب، وقد يكون في المنطق الرياضي رمزًا. ومن بين أنواع القضايا ما يلي:

١ـ القضية التجمعية: تلك التي يقوم

صدقها على الملاحظات السابقة التي تثبت انطباقها على كل فرد من أفرادها، وهي تجميع لملاحظات جزئية مثل: الأنهار الكبيرة التي تصب في البحر المتوسط لها دلتا، وتختلف عن القضية الكلية.

٢- القضية التحليلية: وهي التي يكون محمولها مُتَضَمَّنًا في موضوعها بالضرورة، مثل كل جسم ممتد؛ لأن مفهوم الامتداد مُتَضَمَّن في مفهوم الجسمية.

٣- القضية التفسيرية: وهي التي توضح موضوعها في مقابل القضية الإنشائية.

٤- القضية الشخصية: وهي ما كان موضوعها شخصًا أو شيئًا واحدًا وتقابل القضية الكلية.

٥- القضية الوجودية: وهي القضية التي تثبت الوجود أو تنفيه عن نوع بسيط أو مركب.

٦- القضية الضرورية: هي التي تكون صادقة لبداهتها أو لقيام البرهان عليها، وتقابل القضية الإخبارية.

٧- القضيتان المتداخلتان: هما المتفقتان في الكيف والمختلفتان في الكم؛ كالموجبة الكلية مع الموجبة الجزئية، وكالسالبة الكلية مع السالبة الجزئية.

قياس SYLLOGISM

هو ضرب من الاستدلال الاستنباطيّ، وهو عند أرسطو: قول مؤلف من أقوال، إذا وضعت لزم عنها لذاتها قول آخر غيرها ضرورة. فماهية القياس عنده في لزوم النتيجة من المقدمتين. وللقياس أنواع مختلفة منها ما يلي:

١- قياس احتماليّ: وهو الذي كبراه يقينية، وصغراه محتملة، لهذا فالنتيجة تكون في قوة الصغرى أو دونها.

٢- قياس استثنائي: وهو ما كان عين النتيجة أو نقيضها مذكورًا فيه بالفعل. مثل قولنا: هذا العدد إمّا زوج وإما فرد، لكنه زوج، فليس بفرد. ويلاحظ أن قسمة القياس إلى اقتراني واستثنائيّ قسمة عربية.

والقياس الاقترانيّ: هو ما لم يكن عين النتيجة أو نقيضها مذكورًا فيه بالفعل، مثل: كل جسم مؤلف محدث فكل جسم محدث.

٣- قياس حمليّ: وهو ما كانت مقدمتاه حمليتين، مثل كل جسم مؤلف، وكل مؤلف محدث، فكل جسم محدث.

٤- قياس سابق: وهو ما كانت نتيجته مقدمة لقياس آخر.

٥- قياس لاحق: وهو ما كانت مقدماته نتيجة لقياس سابق.

٦- قياس شرطي: وهو ما كانت إحدى قضاياه شرطية، مثل: كل كثير معدود، وكل معدود إما زوج وإما فرد، فكل كثير إمّا زوج وإمّا فرد.

٧- قياس شرطيّ متصل: وهو ما كانت كبراه قضية شرطية متصلة.

٨- قياس العلامة: وتشتمل مقدماته على علامة تشير إلى النتيجة، مثل قولنا: هذا الرجل يترنح، إذن هو سكران.

٩- قياس مركب: وهو سلسلة من قياسين أو أكثر حيث تصير النتيجة في أولها مقدمة لما يليها.

١٠- قياس مضمر: وهو الذي طويت مقدمته الكبرى أو الصغرى، إما لظهورها والاستغناء عنها، وإمّا لإخفاء كذبها، مثل قولنا خطأ «أ ب»، «أ ج» خرجا من مركز الدائرة إلى محيطها فخطأ «أ ب»، «أ ج» متساويان.



كليّ UNIVERSAL

يعني هذا اللفظ من الناحية المنطقية ما صدق على كثيرين ويقابل الجزئي، ويأتي الكليّ وصفا للفظ والجملة، فيقال: حدّ كلي، وقضية كلية. والكليات هي المعاني العامة التي تصدق على كثيرين، ولها مفهوم يدل على خصائصها ومميزاتها، ولها ما صدق يشمل الأفراد التي تقع تحتها.

وقد أُطلق اللفظ على الجنس والنوع، والفصل والخاصة، والعرض العام. وسميت الكليات الخمس كما سميت المحمولات.



لا مبرهنات (غير المبرهنات) UNDEMONST

تشير غير المبرهنات إلى القضايا التي لا يمكن أن يبرهن عليها؛ لأنها في غنى عن البرهان أو لأنها لا سبيل إلى البرهنة عليها، مثل بعض الأوليات الرياضية. وغير المبرهنات الخمس هي صور من الاستدلال واضحة في ذاتها.



منطق LOGIC

تشير كلمة المنطق من الناحية اللغوية إلى الكلام، يقال نطق العود، وأنطقه، أي: جعله ينطق.

ولقد لخص «التهانوي» رأي المناطقة بقوله: «إنما سمي بالمنطق؛ لأنّ النطق يطلق على اللفظ، وعلى إدراك الكليات، وعلى النفس الناطقة».

ولما كان هذا الفن يقويّ الأول، ويسلك بالثاني مسلك السداد، ويحصل بسببه كمالات الثالث اشتق له اسم منه،





وهو المنطق. ولقد ميّز الفلاسفة العرب بين نوعين من النطق: نطق ظاهريّ وآخر باطنيّ، والأول يشير إلى الكلام أو الحديث، والثاني يشير إلى إدراك المقولات. وبهذه التفرقة أعطوا للكلمة مدلولها الأصلي والاصطلاحيّ معًا؛ حيث يشير المعنى الاصطلاحي إلى أن المنطق: علم يبحث في قوانين الفكر التي ترمي إلى تمييز الصواب من الخطأ، فينظم البرهنة، ويقود إلى اليقين. فالمنطق آلة قانونية تعصم مراعاتها الذهن من وقوع الخطأ في الفكر. وقد أطلق عليه الغزاليّ: معيار العلم أو علم الميزان. والمنطق ضربان:

١ـ منطق صوريّ: وهو الذي يبحث في الأحكام والبراهين من حيث صورتها بصرف النظر عن مادتها، ومنه المنطق الرمزيّ الذي يبحث في القواعد العامة والرموز الدالة عليها، ويسمى المنطق الرياضيّ أيضًا.

٢ـ منطق ماديّ: وهو الذي يعنى بالبحث عن مادة البرهنة كالفرض والتجربة، وأوضح صوره الاستقراء ومناهج البحث.

ن

نزعة منطقية LOGICISM

يقصد بها الاتجاه الذي يرمي إلى إعطاء مكان الصدارة للمنطق في البحث، فيهمل الاعتبارات السيكلوجية والأخلاقية ويحاول رد العلاقات جميعها إلى علاقات منطقية.



هو هو IDENTIQUE

هو ما طابق الشيء، وما يشبهه من كل وجه. ومبدأ الهوية من أولى المبادئ المنطقية، ومؤداه: أن الموجود هو ذاته دائمًا، فلا يختلط به غيره، ولا يلتبس به ما ليس منه، أو هو أساس ما يبقى دائمًا ثابتًا على الرغم مما يطرأ عليه من تغيرات، فالجوهر هو هو وإن تغيرت أعراضه.

أما ثانيها: مبدأ عدم التناقض ومؤداه: أنه لا يمكن أن يكون الشيء في آن واحد موجودًا وغير موجود.

وثالثها: مبدأ الثالث المرفوع، ويقصد به أن القضيتين المتناقضتين لا واسطة بينهما.

ويضاف إلى هذه المبادئ الثلاثة مبدأ القياس، وهو مبدأ التضمن الذي يقضي بأنه إذا كانت «أ» تتضمن «ب»، و«ب» تتضمن «ج» فإن «أ» تتضمن «ج» لا محالة.



وضع بالرفع

TOLLENDO - PONENS

يشير إلى صورة من صور القياس الاستثنائي يوضع فيها أحد طرفي الانفصال في القضية الشرطية المنفصلة برفع نقيض الطرف الآخر مثل: س إما «أ»، وإما «لا أ»، لكن «س» ليس «لا أ». إذن «س» هو «أ».

ويشبه هذا ما أسماه مناطقة العرب: مانعة الخلو.

الوضعية المنطقية

POSITIVISME LOGIQUE

هو اتجاه فلسفيّ معاصر يعول أساسا على التجربة، تحقيقا للدقة والتحليل المنطقيّ للغة العلماء ولغة الحديث، ويعدّها المصدر الوحيد للمعرفة، وليس للعقل من عمل إلا مجرد تنسيق معطياتها وتنظيمها. ثم تحول هذا الاتجاه الآن إلى دراسة تحليلية منطقية للغة العلم لتحقيق وحدة مشتركة بين فروع العلوم المختلفة.



يقين CERTITUDE

يشير اللفظ من الناحية اللغوية إلى العلم وزوال الشك، ويقال: يقنت الأمر بمعنى أنا على يقين.

واليقين منطقيا أعلى درجات الاعتقاد الذي يقوم على الأدلة الأكيدة، ولا يلحقه أدنى شك، ومنه اليقين ببعض الأوليات أو الاستدلال الموضوعيّ الذي يفرض نفسه على العقول كاليقين العلميّ.

وتُعدّ كلمة CERTITUDE مرادفة لكلمة CERTAINTY إلا أن الأولى أكثر تجريدًا، وتتصل بالذات، بينما تتصل الثانية بالظواهر والنواحي الموضوعية.

المراجع:

١ـ محمد مهران: مدخل إلى المنطق الصوريّ، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٥م.

٢ـ حسن الشافعيّ، محمد السيد الجليند: في المنطق ومناهج البحث، مكتبة الزهراء، القاهرة، دون تاريخ.

٣ـ علي بن محمد بن علي الجرجانيّ: كتاب التعريفات، دار الريان للتراث، القاهرة، دون تاريخ.

٤ـ مجمع اللغة العربية: المعجم الفلسفيّ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٨٣م.

٥ـ أحمد زكي بدوي: معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، دون تاريخ.

٦ـ المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت، ط٣٤، ١٩٨٦م.

٧ـ محمود قاسم: المنطق الحديث ومناهج البحث، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٣، دون تاريخ.

٨ـ زكي نجيب محمود: المنطق الوضعي، جـ٢، ط٥، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٠م.

٩ـ محمود فهمي زيدان: المنطق الرمزي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٩م.

قصة قصيرة

ألف مبروك!!

سيد محمد عبدالعال

امتلأت حجرة الضيوف في بيت الحاج طنطاوي بالزوار أنفسهم، مثلما امتلأت البلدة بالأخبار المتضاربة عن أسباب إعادة عقد الجلسة المهمة في هذه العشية الباردة. وبذا صار الواجب على «أم صبيّة» خبيرة الاتصالات بالقرية أن تتخلى لإحدى مساعداتها عن قيادة فرقة البحث عن دجاجتها الضائعة، ثم تسرع لتقعد وسط وفد الجالسات بدار الحاج لمتابعة وقائع الجلسة الصاخبة وترقب بيانها الختامي لتوزيعه مبكرًا على بقية نساء البلد لدراسته، أما «عطوة» الحلاق كبير المراسلين المتجولين بالقرية والمجاورات فقد طار إلى البيت الكبير بحري البلد بحجة قص شعر الحاج طنطاوي؛ فتهيأت له الفرصة لتزويد «جماعة متولي» بتقرير مفصل عن الجلسةالطارئة.

كان ضجيج الجالسين بالحجرة الواسعة المضاءة قد غطى على الأزيز المميز للمصباح الأثري الكبير المعلق بسقف الحجرة، أما التوتر فقد بدا على الحاج وهو جالس بين زواره يتابع ثرثرتهم الفارغة ويتفحصهم بتقزز، لم يكن الحاج طنطاوي يحسب أن الدنيا ستدور بهذه السرعة فيطمع أحد أولاد «السقاقوه» بطلب يد كريمته، وبدأت الخواطر المؤلمة تتزاحم في رأس الوجيه المعروف وتتقلب بشدة مزعجة: سبحان مغيّر الأحوال لقد عشت لترى بنفسك يا طنطاوي هؤلاء الذين كانوا يسرحون في البلاد بالحمير لبيع الخضروات وهم يأتون إليك هذه الليلة لطلب يد ابنتك لأحد أبنائهم!!، هل كان من الممكن حدوث هذا قبل عشرين سنة؟ كان طنطاوي يقول لنفسه بألم: آه يا زمن و.. هل تكفي النقود لمطاولة الأصول العريقة؟

إن الشاب المرشح خطيبًا لابنتك لا يصلح إلا خادمًا، فوالده كان يأتيك لتعطيه ثيابك القديمة ولكنه الآن يرتدي الملابس الصوفية الثمينة كأعيان البلد، أما والدة الخطيب يا طنطاوي فلم تنقطع عن الخدمة في بيوت الأعيان إلا بعدما سافر ولدها للخارج وحذرها من خطورة عملها. وها هي الآن أمامك يا طنطاوي لابسة القطيفة وعلى رأسها شال من الحرير الثمين وتزين فمها بأسنان ذهبية! آه يا طنطاوي آه.. قال الحاج لنفسه بأسى وهو يستعيد وقائع الزيارة السابقة: «فنجري» يخطب ابنتك يا طنطاوي؟ فنجري يريد أن يضع نفسه في كفة واحدة مع ابن عمدة «المقاطعة» زوج ابنتك الكبيرة؟! كل هذا يا طنطاوي بسبب عدة آلاف من الجنيهات جاء بها من الخارج؟ يتصور فنجري أن عمارته التي بناها هنا في البلد والثانية التي في البندر تكفيان لمطاولة وجهاء البلد ومصاهرتهم؟

ها.. لقد لوح لي هؤلاء «السقاقوه» بمهر كبير عشرين ألف جنيه، وقالوا إن عش الزوجية سيكون فيه من إبرة الخياطة إلى جهاز التكييف.. لكن هل يلغي هذا كله أصل فنجري ويجعله مساويًا لابن عمدة المقاطعة؟

تطلع الحاج في الجالسين حوله ثم قال يتوعدهم في نفسه:

- صبركم عليّ يا أولاد «السقاقوه».. ستخرجون من هنا وقفا كل واحد منكم يقمر عيشًا!! فنجري يخطب ابنتي أنا؟!

انتبه الحاج على صوت أحد الجالسين وهو يقول مستعجلاً:

- ها يا حاج.. قل لنا كلمة موافقة!!

نظر إليه الحاج متأملاً ثم قال:

- الأصول تحتم أخذ رأي عمها «شهاب بك» لأن لديه أولادًا كبارًا، وطبعًا أي واحد منهم أحق بابنة عمه من الغريب، وعمها وصل ليلة أمس كما تعرف، ولكنه خرج الليلة لميعاد مع العمدة. والأصول أن تكون الكلمة لشهاب بك.. فلننتظر عودته من عند العمدة..

ثم صاح الحاج مناديًا أحد خدمه:

- اعمل لنا الشاي يا محروس..

فاعترض والد فنجري قائلاً:

- لا يا محروس.. شربنا الشاي مرتين.. انتظر لنشرب الشربات بالمرة..

فقال الحاج مهدئًا والد فنجري وهو يشير إليه بيده كالمتوعد:

- اصبر حتى نسمع كلمة عمها شهاب بك..

فهب والد الخطيب المؤمل وسوّى ثيابه ثم قال للحاج بثقة:

- لا تحمل همًا.. سنذهب لاستعجاله.. وأسرع الرجل الفخور خارجًا من البيت يتبعه بعض أقاربه.

لم يكن الحاج طنطاوي أقل استعجالاً إذ كان ينتظر سماع كلمة أخيه على أحر من الجمر، فبها يستطيع تلقين «السقاقوه» درسًا لن ينسوه. وراح الحاج يقلب أفكاره: هل فهم أخوك شهاب تلميحاتك عن العرف السائد في البلد في مثل هذه الأمور؟ لا بد أنه سيتدخل لإنقاذك من هذا الموقف الصعب فيعلن أمام وفد «السقاقوه» أنه يطلب يد ابنتك لأحد أولاده!!

كان الصمت قد خيم على الجالسين انتظارًا لمجيء شهاب بك من عند العمدة فبدأ أزيز المصباح الكبير يملأ جو الحجرة الواسعة ويشوش على همس الجالسات بداخل الدار. فلما كان حضرة العمدة وشهاب بك آتيين بصحبة وفد «السقاقوه»، وكانت المكلفة بالبحث عن دجاجة «أم صبية» قادمة من قبلي البلد وهي ممسكة بالدجاجة الغالية التي لم تكف عن إطلاق صيحاتها القوية المفزوعة لتشق سكون تلك العشية الباردة؛ ونظرًا لأن «أم صبية» تملكتها فرحة غامرة لسماع صياح دجاجتها العزيزة فأطلقت زغرودة طويلة فتشجعت النسوة المصاحبات لوفد «السقاقوه» وجاوبنها بسيل جارف من الزغاريد، وبينما كان الحاج طنطاوي يترقب سماع كلمة شقيقه كتلميذ ينتظر سماع اسمه بين الناجحين في الامتحان، ولما وقف شهاب بك تجاه أخيه المتوتر واحتضنه، أحَسَّ الحاج كأنما قلبه سيقفز من بين ضلوعه.. ثم شد شهاب بك على يدي أخيه المضطرب وهو يقول له مهنئًا:

- ألف مبروك يا حاج.. عريس ابنتك ابن حلال ولقطة.. وهو شاريك وشاري بنتك.. ربنا يتمم بخير.. لا تفرط فيه...

فتح باب القبول للدراسات العليا في أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية

أعلنت أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية عن فتح باب القبول للدراسات العليا بمعهد الدراسات العليا، وذلك لدرجة الماجستير، في الأقسام العلمية التالية: قسم العلوم الشرطية، وقسم العدالة الجنائية، وقسم العلوم الإدارية، وقسم العلوم الاجتماعية.

كما تم فتح باب القبول لدرجة الدبلوم (من حملة البكالوريوس) في التخصصات التالية: مكافحة المخدرات، التحقيق والأدلة الجنائية، إدارة المرور، الحماية المدنية وطرق السلامة، الإدارة الأمنية، إعداد برامج التدريب، التأهيل داخل المؤسسات الإصلاحية. وستكون بداية العام الدراسي ١٤١٩/١٤٢٠هـ في يوم ١٤ جمادى الأولى ١٤١٩هـ الموافق ٥ سبتمبر/ أيلول ١٩٩٨م.

وعلى الراغبين من أبناء الدول العربية كافة تقديم طلباتهم ووثائقهم الرسمية قبل الدراسة بثلاثة أشهر للدارسين على حسابهم الخاص، أما من ترشحهم الجهات الرسمية فقبل شهرين.

معرض جماعي تشكيلي

برعاية صاحب السمو الملكي الأمير مشعل بن ماجد بن عبدالعزيز، محافظ جدة، أقيم في شهر ذي القعدة الماضي المعرض التشكيلي الجماعي في مركز العلوم والتكنولوجيا.

شارك في المعرض مجموعة كبيرة من الفنانين التشكيليين السعوديين منهم: بكر شيخون، وعثمان الخزيم، وفؤاد مغربل، ونوال مصلي، ومها الرضوي، ونجلاء السليم، وطه صبان، وآخرون، حيث عبرت الأعمال المشاركة عن تاريخ الفن السعودي وإبداعاته، ومدارسه، ملقية ضوءًا على الطروحات والتيارات التشكيلية التي تبرز النتاج الفكري والثقافي لمرحلة النصف الأول من عقد التسعينيات.

نادي أبها الأدبي يكرم الحفظي وشعراء الشباب

احتفى الملتقى الشعري الأول الذي نظمه نادي أبها الأدبي بالشاعر الراحل الشيخ الحسن بن علي الحفظي، وكرَّم، في الوقت نفسه، عددًا من الشعراء الشباب.

فقد نظم النادي أمسيتين شعريتين، أولاهما عن الحفظي - يرحمه الله -، والثانية لشعراء الملتقى الفائزين بجوائز العام الحالي، تم خلالها تسليمهم دروع التكريم.

المؤتمر الثاني للأدباء السعوديين

تقرر عقد المؤتمر الثاني للأدباء السعوديين خلال المدة من ٢ إلى ٥ شعبان المقبل ١٤١٩هـ. يناقش المؤتمر خمسة محاور: روافد الأدب السعودي، الشعر، النثر (قصة - رواية - مسرحية - مقالة)، الدراسات الأدبية، وصناعة الكتاب.

ودعا بيان أصدرته اللجنة التحضيرية للمؤتمر الراغبين في



صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبد العزيز

ولمن يرغب في مزيد من المعلومات الاتصال بإدارة القبول والتسجيل بالأكاديمية: هاتف رقم ٢٤٦٣٤٤٤، تحويلة ١١٢٠ أو ١١٢١ أو ١١٢٣، ص.ب ٦٨٣٠، الرياض ١١٤٥٢، فاكس ٢٤٦٤٧١٣.

المشاركة إلى إرسال مشاركاتهم إلى مقر اللجنة بجامعة أم القرى بمكة المكرمة في موعد غايته الأسبوع الأول من شهر صفر المقبل ١٤١٩هـ.

«الزواج»

هذا هو اسم أحدث مجلة إسلامية اجتماعية صدر عددها الأول مؤخرًا.

يشرف على المجلة الشيخ عبدالعزيز ابن غبيشة الغامدي، وتهتم بشؤون الأسرة بعامة، والزوجين بخاصة، من النواحي الاجتماعية والشرعية والنفسية والطبية.

المسابقة الثقافية لجمعية الثقافة والفنون بالمدينة المنورة

أعلنت اللجنة الثقافية في فرع جمعية الثقافة والفنون بالمدينة المنورة عن مسابقتها الثقافية لموسم ١٤١٩هـ التي يدور موضوعها عن «الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود ـ رحمه الله ـ»، على أن يكتب المتسابق في أحد الجوانب التالية:

- التعليم.
- الإصلاح الاجتماعي.
- الوحدة الوطنية.

أما شروط المسابقة فتتلخص في الآتي:

- ألا يقل الموضوع عن ٣٠ صفحة ولا يتجاوز ٥٠ صفحة.
- أن يكون مكتوبًا باللغة العربية الفصحى ومطبوعًا على الآلة الكاتبة أو الحاسوب (الكمبيوتر).
- أن يرسل المتسابق نسخة أصلية مع صورة من الموضوع، ويرفق معه بياناته الشخصية.
- آخر موعد لقبول الأعمال نهاية شهر ربيع الآخر ١٤١٩هـ.

كتب جديدة

منهجية البحث العلمي وضوابطه في الإسلام، تأليف د. حلمي عبدالمنعم صابر، صدر عن رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة.

حكم الزنا في القانون وعلاقته بمبادئ حقوق الإنسان في الغرب، تأليف د. عابد بن محمد السفياني، صدر ضمن سلسلة «موقف الشريعة الإسلامية من الحريات» عن مؤسسة المؤتمن في الرياض.

معجم أسبار للنساء السعوديات، إعداد مجموعة باحثين، صدر عن دار أسبار للدراسات والبحوث والإعلام.

تطوير الإعلام الأمني العربي يؤكد على وجوب تلاحم الإعلام الأمني العربي، دراسة صدرت عن أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية بالرياض.

رؤية في أدب الأطفال، تأليف د. عبدالرزاق حسين.

الغرب من الداخل، دراسة للظواهر الاجتماعية، تأليف د. مازن مطبقاني.

صدر الكتابان السابقان عن نادي أبها الأدبي.

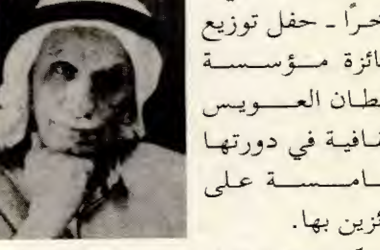
«الطيب» مجموعة قصصية للقاص محمد المنصور الشقحاء، صدرت ضمن سلسلة «نوافذ» التي تصدرها وكالة الصحافة العربية بالقاهرة.



الإمارات

توزيع جوائز مؤسسة سلطان العويس





سلطان العويس

احتضنت دبي ـ مؤخرًا ـ حفل توزيع جائزة مؤسسة سلطان العويس الثقافية في دورتها الخامسة على الفائزين بها.

وكان قد فاز بالجائزة كل من: الكاتب والمفكر الفلسطيني الأصل الأمريكي الجنسية إدوارد سعيد (الإنجاز الثقافي)، والشاعر المصري أحمد عبدالمعطي حجازي والشاعر الأردني الفلسطيني إبراهيم نصرالله (الشعر)، والروائي المصري جمال الغيطاني والروائي السوري وليد إخلاصي (الرواية)، والناقدان المصريان د. شكري عياد، ود. جابر عصفور (النقد الأدبي)، والباحثان: الفلسطيني الأردني فتحي جدعان، والبحريني د. محمد جابر الأنصاري (الدراسات الإنسانية والمستقبلية).

وعلى هامش الاحتفال أحيا المفكر الكاتب د. إدوارد سعيد لقاء مع جمع من المثقفين أجاب خلاله عن أسئلتهم حول الثقافة العربية والصراع الحضاري.

مسابقة عربية لقصص الأطفال

أعلنت اللجنة العليا لجائزة فاطمة بنت هزاع آل نهيان عن فتح باب تلقي الترشيحات والمشاركات لمسابقة القصة للطفل العربي.

والمسابقة مفتوحة أمام الكُتّاب العرب على اختلاف أعمارهم وأقطارهم، ويشترط أن تتميز القصة بالشروط الفنية التي تغني خيال الطفل

وتوسع مداركه وتصقل حسه الأخلاقي والوطني وتنمي خيـاله العلمي، وأن تكون باللغة العربية الفصحى وخالية من الأخطاء اللغوية والإملائية، ومراعية لمستوى الأطفال الموجهة إليهم، ولا تخرج عن مضامين عادات مجتمع الإمارات وتقاليده - بخاصة - والمجتمع العربي الإسلامي بعامة، وأن يُراوح عدد صفحاتها بين ١٠-١٥ صفحة من القطع الكبير، تحوي ما لا يقل عن ٣٥٠٠ كلمة وما لا يزيد على ٥٠٠٠ كلمة، وأن تكون مطبوعة على الآلة الكاتبة أو الحاسب الآلي، وألا يكون قد سبق نشرها أو طباعتها.

وتقرر تخصيص عشر جوائز بواقع عشرة آلاف درهم إماراتي للفائز الأول، تتدرج تنازليًا حتى ألف درهم للفائز العاشر.

ودعت اللجنة الراغبين في المشاركة إلى إرسال مشاركاتهم على عنوانها: ص.ب ٤٥٤٤٣ فاكس ٤٤٤٤١٦ - أبو ظبي، الإمارات. في موعد غايته ٦ ربيع الأول ١٤١٩هـ الموافق ٣٠ يونيو/ حزيران ١٩٩٨م مع إرفاقها بالسيرة الذاتية للكاتب وبياناته الأساسية.

الملتقى الثالث للأطفال العرب

استضافت الشارقة - مؤخرًا - الملتقى الثالث للأطفال العرب الذي نظمته أندية الفتيات بالإمارة تحت شعار «أطفالنا علماء الغد».

تضمن الملتقى لقاءات تعارفية بمشاركة ستين طفلاً من ١٥ دولة عربية، إضافة إلى نشاطات ثقافية وعروض سينمائية ووثائقية ومسابقات فنية وأوبريت بعنوان «هو ذا طفل العرب».

الكويت

جوائز مؤسسة الكويت للتقدم العلمي

تشرف الفائزون بجوائز مؤسسة الكويت للتقدم العلمي بلقاء مع سمو أمير دولة الكويت الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح.

وكانت المؤسسة قد أعلنت عن أسماء الفائزين بالجوائز في مجالاتها المختلفة؛ حيث نال جائزة الكويت في مجال العلوم الأساسية (الفيزياء الحيوية) مناصفة كل من: د. فرانسوا عبود، ود. شيرين صلاح الدين عبدالمجيد، وحازت جائزة الفنون والآداب (دراسات حديثة في النشر العربي): د. فدوى مالطي دوجلاس، وحاز جائزة الإنتاج العلمي لعام ١٩٩٧م في مجال العلوم الاجتماعية: د. زينب علي الجبر، وفي مجال العلوم الإدارية والاقتصادية: قسم التمويل والمنشآت المالية بجامعة الكويت، وفي مجال العلوم الطبيعية والرياضية: د. ضاري ناصر العجمي مناصفة مع د. عبدالحميد عبدالله الهاشم، ونال جائزة العلوم الطبية: د. ناصر جوهر حيات، وجائزة العلوم الحياتية: د. سميرة أحمد سيد عمر. وكانت جائزة أفضل بحث في مجال العلوم من نصيب كل من: د. عبدالنبي عبدالله الغضبان، ود. فاطمة خضير العبدلي، ود. محمد سمير مسعود. وفي مجال الإنسانيات: د. أحمد عبدالرحمن محمد الملحم.

اختيار د. فايزة الخرافي عضوًا في مجلس جامعة الأمم المتحدة

اختيرت مديرة جامعة الكويت د. فايزة محمد الخرافي لتكون عضوًا في مجلس جامعة الأمم المتحدة مدة ست سنوات.

جاء الاختيار بصفة شخصية بناء على ترشيح الأمين العام لمنظمة الأمم المتحدة كوفي عنان. يذكر أن د. فايزة تعد أول كويتية تتبوأ منصب مدير الجامعة. وهي حاصلة على درجة الدكتوراه في العلوم من جامعة الكويت عام ١٩٧٥م.

المهرجان الثالث لثقافة الطفل

نظم المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - مؤخرًا - المهرجان الثقافي الثالث للطفل.

شارك في المهرجان نحو عشرين دار نشر محلية تعمل في مجال نشر أو توزيع كتب الأطفال، وتضمن مسابقات متنوعة للأطفال المشاركين منها: مسابقة لكتابة القصة القصيرة، وأخرى للرسم، وثالثة للعزف والموسيقى، وعرضت خلاله أشرطة سينمائية كرتونية ومسرحيات.

يذكر أن المهرجان يسعى إلى صقل مواهب الأطفال وإبرازها بما يمكنهم من التعبير عنها.

كتب جديدة

الله والجماعة، تأليف محمد سلمان غانم، صدر عن دار قرطاس للنشر.

لماذا ينفرد الإنسان بالثقافة: الثقافات البشرية: نشأتها وتنوعها، تأليف مايكل كاريذرس، ترجمه إلى العربية شوقي جلال.

المعلوماتية بعد الإنترنت: طريق المستقبل، تأليف بيل جيتس، ترجمه إلى العربية عبدالسلام رضوان.

صدر الكتابان السابقان ضمن سلسلة «عالم المعرفة» عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

تلبيس الجن بالإنس، أخلاق المسلم وآدابه، كتابان جديدان للدكتور بدر عبدالرزاق الماص، صدرا عن مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع.

البحرين

خطة لتطوير الخدمات الثقافية

تقرر تطبيق خطة خمسية لتطوير الخدمات الثقافية تمتد إلى العام ٢٠٠٣م. وتتضمن الخطة إعادة طرح مسابقة التأليف المسرحي، ومنح مكافأة مالية وجائزة للإنتاج المسرحي المتميز، وتقديم مِنَح للعناصر المسرحية في مجال الدراسات العليا

كما تضمنت الخطة تأسيس فرقة للمسرح البحريني، وإنشاء صالات جديدة للعرض المسرحي من خلال

مشاركة القطاع الخاص، ومنح جوائز لأفضل عشرة كتب، وتبني نشر المخطوطات التي يعجز أصحابها عن طباعتها.

وتضمنت الخطة إجراءات تتعلق بتحسين أوضاع فرق الفنون الشعبية، ودعم الدراسات الأدبية والنقدية، والتركيز على الدراسات في مجال أدب الأطفال.

اليمن

مؤتمر دولي للآثار والحضارة اليمنية

شارك ما يزيد على مئة باحث ومؤرخ من خمس دول عربية وعشر دول أوربية، إضافة إلى اليمن، في أعمال المؤتمر الدولي الرابع للآثار والحضارة اليمنية.

ناقش المؤتمر قرابة الخمسين بحثًا، واستمر أربعة أيام، وسعى إلى تطوير بحوث الحضارة والآثار اليمنية وإغنائها. وكشف المؤتمر عن مجموعة حقائق تتعلق بالحضارة اليمنية من أهمها الوصول إلى تحديد عمر سد تحويلي كبير بالجهة اليمنى من أرض الجنتين بمنطقة مأرب، حيث ثبت أنه يعود إلى القرن الثامن قبل الميلاد في الحقبة السبئية.

وأقيم على هامش المؤتمر معرض للصور الفوتوغرافية التي توضح نتائج المسح والتنقيب الآثاري في مناطق مختلفة من البلاد، إضافة إلى صور لمراحل عمليات ترميم تنفذها بعثات دولية في عدد من المواقع الآثارية والتاريخية، علاوة على بعض اللقى والآثار المكتشفة.

مصر

توصية بتأسيس مركز عربي للدراسات الفلسطينية

أوصى مؤتمر مصادر تاريخ القدس بتأسيس مركز عربي للدراسات الفلسطينية تشارك فيه مختلف الجامعات العربية، ليقوم بإجراء بحوث ودراسات متخصصة موثقة عن تاريخ القدس وفلسطين، تُنشر بالعربية واللغات الحية، إضافة إلى عقد ندوات تلفازية وإعلامية لتعريف العالم بحقيقة التاريخ العربي في القدس وفلسطين.

ووجه المؤتمر في ختام أعماله التي عُقدت - مؤخرًا - في كلية الآداب بجامعة القاهرة الشكر لخادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز، والرئيسين حسني مبارك وحافظ الأسد، لمواقفهم المشرفة في الدفاع عن القضايا العربية والإسلامية وفي مقدمتها قضية فلسطين.

ودعا المؤتمر الجامعات العربية إلى تخصيص يوم علمي اتفق أن يكون ٢١ مارس من كل عام لقضية القدس وعروبتها.

بدء تلقي الترشيحات لجوائز ابن تركي

أعلنت مؤسسة ابن تركي للإبداع الشعري والبحوث الفكرية والتراث عن فتح باب الترشيح لجوائزها في مجالاتها الأربعة: الإبداع الشعري، الترجمة، البحوث والتخطيط المستقبلي، والبحث القومي باللغة الإنجليزية.

وتُمنح جائزة الإبداع الشعري لأفضل عمل ترشحه الهيئات الثقافية المعنية أو يتقدم به صاحبه، ويكون قد نُشر خلال السنوات الخمس الأخيرة. أما جائزة الترجمة فتُمنح لترجمة الشعر العربي إلى اللغات الأجنبية أو ترجمة الشعر الأجنبي إلى اللغة العربية على أن يكون للعمل مردود ثقافي، وأن يكون قد نُشر خلال السنوات الخمس الماضية. وتُقَدَّم جائزة البحوث والتخطيط المستقبلي لأفضل عمل يتناول الفكر أو التخطيط المستقبلي العربي أو الإسلامي بما يخدم العرب، على أن يكون قد نُشر خلال السنوات الثلاث الأخيرة، بينما تُقَدَّم جائزة البحث القومي باللغة الإنجليزية لأفضل الأعمال التي صدرت بهذه اللغة دفاعًا عن العروبة والإسلام، أو للتعريف بفضل العرب والإسلام على العالم، على أن تكون قد نُشرت خلال السنوات الثلاث الماضية.

وبدأت المؤسسة اعتبارًا من الثامن عشر من شهر ذي الحجة المنصرم (١٥ أبريل/ نيسان ١٩٩٨م) في استقبال الأعمال المرشحة، ويستمر استقبالها بواقع ٤ نسخ من العمل مدة ثلاثة أشهر من التاريخ المذكور، وذلك على عنوان المؤسسة: ٢٤ شارع عدن، المهندسين، الجيزة، مصر.

افتتاح أول قاعات العرض المتحفي الدولية

افتتحت قرينة الرئيس المصري محمد حسني مبارك قاعة عرض (أفق - ١) في متحف محمد محمود خليل بالجيزة.

وتعد هذه القاعة باكورة سلسلة من قاعات العرض المتحفية الدولية من المقرر إقامتها في قاعات مستقلة عن المعارض المتحفية التقليدية.

وبمناسبة افتتاح القاعة تم عرض ٣٠ لوحة تحت عنوان «وجوه من الفيوم» يرجع تاريخها إلى المدة من القرن الأول إلى القرن الرابع الميلادي.

«المنار الجديد»

هذا هو اسم أحدث مجلة فصلية صدر عددها الأول - مؤخرًا - في القاهرة، ويرأس تحريرها جمال سلطان.

ضم العدد مجموعة من الكتابات المتميزة بالأصالة لعدد من أبرز الكُتَّاب، وفي مقدمتهم المفكر الإسلامي د. محمد عمارة الذي كتب تحت عنوان «لماذا المنار؟» مشيرًا إلى أهمية التجديد الإسلامي بين قرن مضى وقرن يجيء.

مؤتمر دولي للإعلان

يرعى الرئيس محمد حسنى مبارك



في الرابع من شهر محرم الجاري (١٠ مايو/ آيار ١٩٩٨م) افتتاح أكبر وأول مؤتمر دولي للإعلان تستضيفه عاصمة عربية.

يحمل المؤتمر رقم ٣٦ ويحضره ما يزيد على مئتي شخصية إعلامية وإعلانية من مختلف أنحاء العالم، ويتم في جلسته الختامية التي تترأسها قرينة الرئيس المصري الإعلان عن المشروع الدولي لتشجيع الجهد التطوعي لمساندة الطفولة تحت شعار «خذ بيد الطفل».

يذكر أن المؤتمر تنظمه الجمعية الدولية للإعلان، وهذه المرة الأولى التي يعقد فيها في منطقة الشرق الأوسط وإفريقية. ويتواكب عقده مع احتفال الجمعية بمرور ستين عامًا على تأسيسها.

طبعة لأعداد السنة الأولى من مجلة «العصور»

استمرارًا لموجة إعادة إصدار المجلات القديمة، قامت دار زويل للنشر بإصدار طبعة جديدة في كتاب لأعداد السنة الأولى من مجلة «العصور» التي كان يحررها إسماعيل مظهر.

قام بتصدير الكتاب د. إمام عبدالفتاح إمام، ويتضمن الأعداد من سبتمبر ١٩٢٧م إلى فبراير ١٩٢٨م.

معرض للكتاب في الإسكندرية

شارك ٧٥٠ ناشرًا ينتمون إلى ٢٥ دولة عربية وأجنبية في معرض دولي للكتاب اختتم أعماله في الاسكندرية مؤخرًا.

أقيم المعرض في متحف الفنون الجميلة، ويُعدّ امتدادًا لمعرض القاهرة الدولي للكتاب، حيث ضم قرابة مليوني كتاب، وحفل بنشاطات ثقافية وفكرية متنوعة.

الفكر العربي الحديث في ندوة بآداب طنطا

نظمت كلية التربية بجامعة طنطا - مؤخرًا - ندوتها العلمية الدولية الأولى حول موضوع «تطور الفكر العربي الحديث».

شارك في الندوة باحثون ومفكرون من مصر وتونس وفرنسا، وناقشت قضايا الفكر العربي الحديث، مثل: الرؤية العربية لقضية فلسطين، وانشطار الفكر العربي المعاصر، وغير ذلك من الموضوعات.

كتب جديدة

قراءة جديدة في العلاقات السودانية المصرية، تأليف د. بركات موسى الحواتي، صدر عن مكتبة مدبولي في القاهرة.

نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، تأليف د. مصطفى حميدة، صدر عن دار لونجمان.

أحاديث الحرب والسلام والديموقراطية: جـ١: الحرب، تأليف د. عمرو عبدالسميع، صدر عن الدار المصرية اللبنانية.

الرائدة المجهولة: زينب فواز (١٨٦٠-١٩١٤م)، تأليف حلمي النمنم، صدر عن دار النهر.

المثقفون، تأليف بول جونسون، ترجمه إلى العربية طلعت الشايب، وصدر عن دار شرقيات.

أطلس العلوم، إشراف د. محمد إبراهيم أحمد وآخرين، صدر بالعربية والإنجليزية عن دار سفير للنشر.

الأيام الأخيرة في حياة عظماء السياسة، تأليف حنفي المحلاوي، صدر عن دار نهضة مصر.

أيام العمر: رسائل خاصة بين د. طه حسين وتوفيق الحكيم، أعدها للنشر إبراهيم عبدالعزيز، وصدرت عن الهيئة المصرية العامة للكتاب.

بونابرت والإسلام، بونابرت والدولة اليهودية، تأليف هنري لورنس، ترجمه إلى العربية بشير السباعي، وصدر عن دار مصر العربية.

«خلف النهاية بقليل» مجموعة قصص قصيرة جدًا لوحيد الطويلة، صدرت عن مركز الحضارة العربية بالقاهرة.

محاضرات وندوات

«القلق وعلاجه في القرآن»، عنوان محاضرة ألقاها د. زهير أحمد السباعي في دار الجوف للعلوم بمدينة سكاكا.

«تأثير الفكر الصهيوني على الثقافة الغربية»، عنوان محاضرة ألقاها ميشال إدّه في النادي الثقافي العربي ببيروت.

«الفرنكفونية والبلاد العربية»، عنوان محاضرة ألقاها د. بطرس غالي في منتدى المحاضرات الدولية بباريس.

«الإدارة المحلية وتحديات التطوير والتحديث: تجربة مدينة عربية»، عنوان محاضرة ألقاها الأستاذ عبدالله العلي النعيم في نادي القصيم الأدبي في بريدة.

«أدب الطفل.. المقدمة والمفهوم»، عنوان محاضرة ألقاها د. محمد مبارك الصوري في منتدى أصحاب القلم بالكويت.

«مختارات من دراسات حول المصريات من جامعة بيزا»، موضوع محاضرة ألقتها د. فلورا سيلفانو في المعهد الثقافي الإيطالي بالقاهرة.

«نظرية الثقافة عند د. عبدالعزيز الأهواني»، عنوان محاضرة ألقاها د. سيد البحراوي في كلية الآداب بجامعة القاهرة.

«هموم الصحافة المصرية»، موضوع محاضرة ألقاها جمال بدوي في مقر جمعية النداء الجديد بالقاهرة.

«مستقبل الأمة بين التفاؤل والتشاؤم»، عنوان محاضرة ألقاها الشيخ د. يوسف القرضاوي في مقر جمعية المرأة الظبيانية بأبو ظبي.

«صورة متألقة من المجد العربي في الأندلس»، عنوان محاضرة ألقاها د. حسن بن أحمد النوش في كلية إعداد المعلمين بالباحة في السعودية.

«التعليم والمستقبل»، موضوع محاضرة ألقاها د. حسين كامل بهاء الدين في مقر الجمعية المصرية للاقتصاد والتشريع بالقاهرة.

«الجنوب من واقع الاحتلال إلى مناورات الانسحاب»، عنوان

السودان

معرض دولي للطوابع السودانية

أقامت الجمعية السودانية لهواة الطوابع في المدة من ١-٤ مارس الماضي معرضًا دوليًا لهواة الطوابع في السودان، بمناسبة مرور مئة عام على إصدار أول طابع بريد سوداني.

اشتمل المعرض على محاضرات عن تاريخ البريد في السودان، وتجربة سيرة ذاتية لأحد مصممي طوابع البريد السودانية قدمها العقيد المهندس عزت فرحات، إضافة إلى موضوع «إصدارات الطوابع السودانية» لطلعت أبو العلا، والتزوير في الطوابع والأختام محاضرة ألقاها تشارلز هش نائب رئيس مجموعة الدراسات السودانية بلندن ورئيس فرعها في أمريكا وكندا، وقد عرض مجموعة نادرة من الخطابات عن المدة من ١٨٩٧-١٩١٧م. ومن غير السودانيين الذين شاركو في هذا المعرض: البريطاني كاردينار براين، والمهندس حاتشو المصري، والإسباني سلفادور بوفلر، والأمريكي جونسن سلكي.

الأردن

أسبوع للفرنكفونية

أقيم في عمان - مؤخرًا - أسبوع للفرنكفونية بمشاركة تسع دول عربية وأوربية إلى جانب الأردن.

نظمت الأسبوع أمانة عمان الكبرى والمركز الثقافي الفرنسي بالتعاون مع سفارات: مصر ولبنان والمغرب وتونس وفرنسا وبلغاريا وكندا ورومانيا وسويسرا.

سورية

كتب جديدة

الرواية والأيديولوجيا في سورية: ١٩٥٨-١٩٩٠م، تأليف د. فادية المليح الحلواني، صدر عن دار الأهالي.

بمثابة البيان الروائي، تأليف نبيل سليمان، صدر عن دار الحوار باللاذقية.

أهرامات السراب، تأليف خالد زغريت، صدر عن دار المعارف في حمص.

وقف يتفرج مبهورًا، مجموعة قصصية لماهر منزلجي، صدرت عن دار الحصاد.

فلسطين

جوائز فلسطين في الآداب والفنون والعلوم

أعلنت وزارة الثقافة الفلسطينية عن فتح باب الترشيح لجوائز فلسطين للآداب والفنون والعلوم الإنسانية لعام ١٩٩٨م.

وتضم الجوائز المذكورة:

١- جائزة القدس وقيمتها عشرة آلاف دولار أمريكي، وتمنح لمبدع فلسطيني أو عربي أو عالمي دافع من خلال نتاجه الإبداعي عن عروبة فلسطين، وأسهم في صيانة طابعها الثقافي العربي وفي ترسيخها بلدًا للحب والعدل والسلام.

٢- جائزة فلسطين لمجمل الأعمال الإبداعية وقيمتها خمسة آلاف دولار.

٣- جائزة فلسطين لعمل إبداعي واحد وقيمتها ثلاثة آلاف دولار. وتمنح هاتان الجائزتان للفلسطينيين فقط، ويجوز لوزير الثقافة الموافقة على منحها لغير الفلسطيني إذا قدم نتاجًا ذا قيمة خاصة بفلسطين، كما يمكن منحها في حالات خاصة لمؤسسة فلسطينية أو عربية لها دور متميز في الميدان الثقافي.

ومن الشروط العامة للجوائز أن يكون النتاج المرشح منشورًا أو معلنًا،

محاضرة ألقاها محمد فنيش في جامعة لندن.

«مفاتيح القلوب»، عنوان محاضرة ألقاها الشيخ د. أحمد عبدالله العمري في مسجد الدعوة بمحافظة خليص.

«تدفق المعلومات وانعكاساتها على الأمن العربي»، عنوان محاضرة ألقاها اللواء د. عبدالرحمن بن عبدالعزيز بن عبدالواحد في أكاديمية الشرطة الملكية في الأردن.

«الفكر الشعري لدى الأعلام في العصر العباسي»، عنوان محاضرة ألقاها د. محمد عبدالعزيز الموافي في نادي جدة الأدبي الثقافي.

«التنقيب والاكتشافات الجديدة في مقبرة رمسيس الثاني بوادي الملوك»، عنوان محاضرة ألقتها كريستيان لبلون في مكتبة الكتب النادرة بالجامعة الأمريكية في القاهرة.

«الإيمان: حقيقته وثمراته»، عنوان محاضرة ألقاها الشيخ د. سعيد بن مسفر القحطاني في الجامع الكبير في ينبع.

«خلق النبي صلى الله عليه وسلم»، عنوان محاضرة ألقاها الشيخ أنس ابن مسفر في مسجد الحمودي بجدة.

«وقفات مع جهود العلامة حمد الجاسر في الأدب والنقد»، عنوان محاضرة ألقاها د. عبدالله بن عبدالرحيم العسيلان في نادي القصيم الأدبي ببريدة.

«إشكالية عالمية الأدب»، عنوان محاضرة ألقاها د. محمد مريسي الحارثي في نادي المنطقة الشرقية الأدبي.

«تاريخ البصرة التجاري والملاحة في شط العرب»، عنوان محاضرة ألقاها د. نصيف الجبوري في جاليري الكوفة في لندن.

«الشباب والتيارات المعاصرة»، عنوان محاضرة ألقاها د. محمد بن سعد الشويعر في المركز الثقافي بحائل.

«تصحيح قصر النظر بزرع عدسة داخل العين»، عنوان محاضرة ألقاها د. يواكيم باراكير في فندق البريستول في بيروت.

«العرب وآسيا»، عنوان محاضرة ألقاها د. محمد السيد سليم في دار الندوة في بيروت.

غير مقتبس، وأن يتوافر فيه التميز والتجديد، وأن يشكل إضافة نوعية في حقله، وألا يكون قد قُدِّم للحصول على درجة علمية، وألا يكون قد مر على نشره أو إعلانه أكثر من خمس سنوات من تاريخ تقديمه للحصول على الجائزة، كما لا يحق لمن نال الجائزة عن عمل واحد التقدم لنيلها مرة ثانية إلا بعد خمس سنوات من نيله الجائزة، ويمكن أن يتقاسم الجائزة الواحدة شخصان.

وتسلم طلبات الترشيح باليد لمديرية الآداب في وزارة الثقافة، رام الله، أو ترسل بالبريد المسجل على العنوان التالي: وزارة الثقافة، مديرية الآداب، رام الله، ص.ب ١٤٧، في موعد غايته ٥ صفر ١٤١٩هـ الموافق ٣١ مايو/ آيار ١٩٩٨م، وتعلن النتائج في موعد غايته نهاية فبراير/ شباط ١٩٩٩م.

الخليل تفوز بجائزة «مدن من أجل السلام»

اختيرت مدينة الخليل لنيل جائزة منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة «اليونسكو» المسماة جائزة «مدن من أجل السلام».

وتلقى رئيس بلدية الخليل مصطفى النتشة رسالة بهذا المعنى من المدير العام لليونسكو فدريكو مايور. وأشار إلى أن هذه الجائزة تُمنح سنويًا لست مدن من قارات العالم الخمس، وفقًا لما تبذله بلدياتها لمواجهة أوضاع استثنائية مثل إغاثة لاجئين أو مهاجرين أو تقديم حلول لمشكلات خدماتية تتعلق بأحياء فقيرة.

لبنان

كتب جديدة

الأفغاني: صفحات مجهولة من حياته، تأليف محمد الحداد، صدر عن دار النبوغ في بيروت.

سر أباد، دقات لا يبلغها الضوء، ديوانان جديدان لعبد الكريم كاصد، صدرا عن دار الكنوز الأدبية.

الإنسان في فلسفة الفارابي، تأليف إبراهيم العاتي، صدر عن دار النبوغ.

الأبيات الأدبية الحاصرة، تأليف عبدالسلام بن برجس بن ناصر آل عبدالكريم، صدر عن دار البشائر الإسلامية.

الحياة في المفاوضات الفلسطينية - الإسرائيلية، تأليف د. شريف الموسى، صدر عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية.

شهوات مبكرة، مجموعة شعرية لشوقي بزيع، صدرت عن دار الآداب.

ما العمل؟ حديث إلى الأجيال العربية الطالعة، تأليف قسطنطين زريق، صدر عن مركز دراسات الوحدة العربية.

الجذور التاريخية للشريعة الإسلامية، تأليف خليل عبدالكريم، صدر عن دار الانتشار العربي.

ضربة قمر، مجموعة قصصية لهاديا سعيد، صدرت عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

شامات، ديوان لنديم محسن، صدر عن دار الجديد.

قال البحر، مجموعة قصصية لنزار سيف الدين، صدرت عن دار الحداثة ببيروت.

«الأدب والأندية الأدبية في المملكة العربية السعودية»، كتاب للناقد جهاد فاضل صدر عن دار الجديد في بيروت.

العراق

الأصل المشترك للغات العراقية القديمة

دعت ندوة «الأصل المشترك للغات العراقية القديمة» إلى توحيد جهود الآثاريين والمختصين باللغات العراقية القديمة من أجل تعريب تلك اللغات بالتعاون مع علماء اللغة العربية.

وطالبت الندوة التي نظمها - مؤخرًا - المجمع العلمي العراقي المؤسسات العلمية بتقديم بحوثها ودراساتها من أجل خلق «تكاملية علمية» في قراءة التراث القديم.

وكانت الندوة قد عقدت جلستين ناقشت خلالهما عددًا من البحوث التي ركزت - في غالبيتها - على أهمية دراسة اللغة الأكدية والإحاطة بالنصوص المسمارية.

من الكتب الجديدة

الأسلوب العالمي في العمارة بين المحافظة والتجديد، تأليف شيرين إحسان شيرزاد، صدر عن دار الشؤون الثقافية في بغداد.

من معجم أبي حيان التوحيدي، تأليف نعمة رحيم العزاوي، صدر ضمن سلسلة «الموسوعة الصغيرة».

تونس

ملتقى الأدباء العصاميين

اختتمت في الشهر الماضي أعمال الدورة الخامسة للملتقى الوطني التونسي للأدباء العصاميين.

شارك في برنامج الملتقى عدد كبير من الأساتذة والأدباء، وتضمن ثلاث ورشات عمل، واحدة للنقد، وأخرى للقصة، وثالثة للشعر، بالإضافة إلى تنظيم أمسيات شعرية وإلقاء محاضرات تناولت سيرة عدد من الأدباء العصاميين التونسيين.

جوائز نسائية

وُزِّعت - مؤخرًا - جوائز مركز البحوث والدراسات والتوثيق والإعلام حول المرأة على الفائزات بها.

نالت جائزة زبيدة بشير الأدبية لعام ١٩٩٧م القاصتان رشيدة الشارني عن مجموعتها «الحياة على حافة الدنيا»، ومعالة الباجي عن مجموعتها «الخداع الثقافي» الصادرة باللغة الفرنسية.

وللمرة الأولى منح المركز جوائز للكتابات العلمية النسائية؛ حيث نالت



الجائزة كل من: عفيفة المرزوقي عن بحثها بالفرنسية «أمابل تاستو شاعرة من الحقبة الرومانسية» وسلوى بلحاج صالح العايب عن بحثها «المسيحية العربية وتطورها».

وتضمن حفل توزيع الجوائز محاضرة لعبدالرزاق الحمامي عن «نظرة الفرنسيين إلى المرأة التونسية بين الحربين».

ملتقى المبدعات العربيات

يُختتم ملتقى المبدعات العربيات الذي تستضيفه مدينة سوسة حاليًا تحت عنوان «الرواية العربية النسائية: خصائصها ومميزاتها واتجاهاتها» في السادس من شهر محرم الجاري (٢ مايو/ آيار ١٩٩٨م).

وكان الملتقى قد بدأ أعماله في الخامس والعشرين من شهر ذي الحجة المنصرم بمناقشة عدة مداخلات من أبرزها: نشأة الرواية العربية إلى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي في مصر وبلاد الشام، وخصائص الرواية النسائية العربية، وهموم النص الروائي النسائي، والفروق بين الكتابات النسائية في شرق العالم العربي ومغربه من حيث الفكر والتقنية.

المغرب

الملتقى الأول للشعر العربي

تحتضن مدينة فاس أعمال الملتقى العربي الأول للشعر والشعراء خلال شهر محرم الجاري ١٤١٩هـ.

يسعى الملتقى إلى طرح إجابات عن عدد من الإشكاليات التي من أهمها: الشعر العربي بين الماضي والحاضر: أية خصوصية، حقيقة الهوية، من شعرية المكان إلى شعرية المكان: أية علاقة؟.

يُنتظر أن يشارك في المؤتمر مجموعة من أبرز شعراء الوطن العربي ونقاده.

كتب جديدة

الطفل البحري، مجموعة شعرية لإدريس علوش، صدرت عن دار قرطبة بالدار البيضاء.

ثلاثية الرباط، رواية لعبدالكريم الخطيبي، ترجمها إلى العربية فريد الزاهي، وصدرت ضمن سلسلة «الأعمال الكاملة» عن دار الرابطة.

دور حرية الرأي في تحقيق الوحدة الفكرية بين المسلمين، تأليف د. عبدالمجيد النجار، صدر عن المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو) في الرباط.

كشك الموسيقا، مجموعة قصصية لسعيد الكفراوي، صدرت عن دار الفنك.

دوائر من حنين، تأليف سعيد الكفراوي، صدر عن دار توبقال.

الحقل السياسي المغربي بين الأمس واليوم، تأليف عبدالهادي غازي، صدر عن دار النجاح الجديد.

القدس والخليل في الرحلات المغربية، كتاب للمؤرخ الدبلوماسي الدكتور عبدالهادي التازي، صدر عن المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة.

موريتانيا

معرض للكتاب

أقيم - مؤخرًا - معرض للكتاب في نواكشوط استغرق أسبوعًا، وعُرض فيه قرابة ٢٤٠٠ عنوان جديد إلى جانب مخطوطات نادرة.

توزعت العناوين على مجالات المعرفة المختلفة من فكر واجتماع ودين وثقافة واقتصاد، وقدمتها عشرون هيئة ثقافية وعلمية.

الصين

أكبر مكتبة جامعية في آسيا

تفتتح جامعة بكين بمناسبة الذكرى المئوية لتأسيسها أكبر مكتبة جامعية في آسيا خلال شهر محرم الجاري.

تبلغ مساحة المكتبة خمسين ألف متر مربع، وتتسع لنحو سبعة ملايين كتاب، وتضم قاعات مطالعة تستوعب ٤٥٠٠ مقعد، وهي مزودة بأحدث الأجهزة الإلكترونية، ومقامة على الطراز المعماري الصيني التقليدي.

اليابان

متحف جديد

افتتح في مدينة ناروتو - مؤخرًا - متحف «وتسوكا» الذي يعد أكبر متحف في اليابان.

يتكون المتحف من ثمانية طوابق، وتكلف قرابة ملياري فرنك فرنسي، ويضم أكثر من ألف عمل فني، تم الحصول عليها من ١٧٠ متحفًا تنتمي إلى ٢٦ دولة، ويصور ثلاثة آلاف عام من تاريخ الفن الغربي في فرنسا واليونان وهولندا.

روسيا

«رمال» مجلة عربية في موسكو

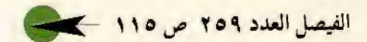
«رمال» مجلة عربية فصلية صدر عددها التجريبي في موسكو - مؤخرًا -، وهي تهتم بالعلاقات الروسية العربية: ماضيها وحاضرها ومستقبلها.

ويرأس تحريرها الدكتور هيثم الجنابي الأكاديمي العراقي المختص بتاريخ الفكر السياسي العربي والإسلامي وتاريخ العلاقات السوفيتية العربية.

إيطاليا

تنقية المناهج المدرسية من المغالطات حول الإسلام

بناء على اتفاق بين رابطة الجامعات



الإسلامية ووزارة التعليم الإيطالية تقرر العمل على تنقية المناهج الدراسية بمدارس إيطاليا من كل ما من شأنه أن يسيء إلى الإسلام سواء أكان ذلك عن عمد أو لعدم توافر المعلومات الكافية.

من ناحية ثانية اتفقت رابطة العالم الإسلامي مع البرلمان الإيطالي على إقامة ندوات مشتركة في إيطاليا تبرز المفاهيم الصحيحة للعقيدة الإسلامية.

يذكر أن الإسلام يعد الديانة الثانية من حيث أعداد المؤمنين به في إيطاليا بعد المذهب الكاثوليكي.

جائزة نونينو لأمين معلوف


أمين المعلوف

مُنح الكاتب اللبناني أمين معلوف جائزة مؤسسة نونينو الإيطالية عن أعماله الروائية. وقد تسلم معلوف - الذي يكتب بالفرنسية - الجائزة في حفل أقيم بمدينة أودينا.

وكان الكاتب الفلسطيني الأصل الأمريكي الجنسية إدوارد سعيد قد فاز بالجائزة في العام الماضي.

فرنسا

مهرجان دولي للإبداعات الفنية

استضاف مركز ثقافات العالم في باريس - مؤخرًا - أعمال المهرجان الثاني للإبداعات الفنية.

شاركت في المهرجان دول من قارات العالم المختلفة من بينها دول عربية هي: السعودية، ومصر، ولبنان، واليمن، والأردن، والعراق.

جائزة حوض المتوسط لبطرس غالي

مُنح الأمين العام الأسبق للأمم المتحدة د. بطرس غالي جائزة حوض البحر المتوسط للعام الحالي عن كتابه «الطريق إلى القدس».

وتُمنح هذه الجائزة سنويًا لكاتب غير فرنسي عن أفضل كتاب يتصل موضوعه أو يتعلق بحوض البحر المتوسط.

صدور رواية مجهولة لجول فيرن

صدرت - مؤخرًا - عن دار نشر أرشبيل رواية لم يسبق نشرها لكاتب أدب الخيال العلمي الراحل جول فيرن.

تحمل الرواية اسم «في ماجيلاني»، وكتبها جول فيرن عام ١٨٩٧م، وأعاد ابنه صياغتها عام ١٩١٩م.


جول فيرن

يذكر أن جول فيرن ترك بعد وفاته عام ١٩٠٥م ست روايات لم يستكملها، نُشر منها اثنتان هما: «البركان الذهبي» و«أسرار وليم ستوريز».

جائزة أدونيس لمرام المصري وعبدالمنعم رمضان

مُنحت الشاعرة السورية مرام المصري، والشاعر المصري عبد المنعم رمضان جائزة أدونيس للإبداع العربي، التي قررها - مؤخرًا - المنتدى الثقافي اللبناني في فرنسا.

جاء فوز مرام عن كتابها «كرزة حمراء على بلاط أبيض»، وعبدالمنعم رمضان عن مجمل شعره.

يذكر أن الجائزة جديدة تُمنح للمرة الأولى هذا العام، وتقرر أن تحمل في كل عام اسم أحد كبار المبدعين من الرواد اللبنانيين أو العرب، الذي يشارك أساسيًا في اختيار الفائزين.

رسائل جامعية

« أبرز الاتجاهات العقدية لمسلمي البوسنة والهرسك من الفتح الإسلامي حتى الوقت الحاضر.. عرض ونقد»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، تقدم بها زهدي بن بكر عادلوفيتش.

«التعريب في التعليم العالي في الأردن: نظرًا وتطبيقًا»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في قسم الدراسات الأدبية واللغوية بمعهد البحوث والدراسات العربية بالقاهرة، تقدم بها مصطفى عوض عويضة بني ذياب.

«أبو بكر الرازي ومكانته العلمية مع تحقيق كتاب (جراب المجربات)»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب بجامعة الاسكندرية تقدم بها خالد الحربي.

«دراسة آثارية للكنائس الباقية في مصر الوسطى خلال العصر الإسلامي»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الآثار بجامعة القاهرة، تقدم بها أشرف السيد محمد حسن.

«مساهمة الجيوفيزياء في تحديد تأثير المياه الجوفية على هضبة أهرامات الجيزة»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة عين شمس، تقدم بها عباس محمد عباس.

«السخرية في أدب عبد العزيز البشري»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، تقدمت بها سها عبدالستار السطوحي.

«فاعلية العلاقات العامة في المؤسسات العلمية»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب بجامعة الإسكندرية، تقدمت بها شدوان شيبة.

«العوامل الاجتماعية المرتبطة بجرائم المسنين في المجتمع السعودي»،



أحدث الكتب

الموجة الجديدة، تأليف ماري ميشيل، صدر عن دار نشر ناثان.

الثورة الصناعية، تأليف باتريك فيرلي، صدر عن دار نشر فوليو.

تاريخ الرقابة على المؤلفات، تأليف روبرت بتنر، صدر عن دار نشر بوف.

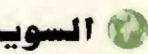
اليمن: فن البنائين.. هندسة معمارية وحياة يومية، تأليف جوزي ماري بيل، صدر عن دار نشر أميريس.

كندا

اليهود اقتبسوا من مقامات الحريري

أكدت دراسة علمية أن فن المقامات العبري والأدب اليهودي بعامة قد تأثر بفن المقامات الذي ابتدعه بديع الزمان الهمذاني.

وأشارت الدراسة التي نشرتها مجلة «دراسات سامية» الفصلية الكندية إلى أن يهود الأندلس قد وصل إليهم فن المقامات، وتأثروا به، مشيرة إلى أن الشاعر العبري يهودا الحريزي الذي عاش في القرن الثاني عشر الميلادي قام - قبل أن يؤلف مقاماته باللغة العبرية - بترجمة مقامات الحريري، ليثبت ما زعمه من أن اللغة العبرية لا تقل باعًا في مرونتها عن رصيفتها العربية.



السويد

من أحدث الكتب

الدفان والغجرية، رواية لحمودي عبدالمحسن.

أحزان الفصول، مجموعة شعرية لفيفان صليوا.

صدر الكتابان السابقان عن دار المنفى.

الحضارة والاغتراب، تأليف عبدالله الخطيب، صدر عن دار أوراسيا في استكهولم.

موت الوحيد الثاني، رواية لبختيار علي، صدرت عن مركز هند للدراسات الكردية.

الولايات المتحدة

«فورين أمبرز» تسعى لإصدار طبعة عربية

تعتزم مجلة «فورين أمبرز» التي تصدر عن مجلس العلاقات الخارجية في نيويورك إصدار طبعة عربية منها.

وتعد «فورين أمبرز» - التي تصدر كل شهرين - واحدة من أعرق المجلات السياسية في الولايات المتحدة الأمريكية؛ حيث تأسست عام ١٩٢٢م، وتوزع قرابة ٢٧٠ ألف نسخة بواقع ١٠٠ ألف في الولايات المتحدة، و١٥٠ ألفًا في اليابان، و ٢٠ ألفًا في البرازيل.

الطبعة العربية من المجلة ينتظر أن تصدر من إحدى عواصم المنطقة لو تمكنت إدارتها من تجاوز العقبات الإدارية، ومن المرجح في حالة نجاح المساعي أن تصدر في القاهرة أو أبو ظبي.

وفاة الناقدة أديث أوليفيه

توفيت الناقدة أديث أوليفيه، إحدى رائدات النقد الأدبي والمسرحي في الولايات المتحدة الأمريكية، إثر أزمة قلبية عن عمر ناهز ٨٤ عامًا.

وتعد أديث، التي اعتزلت النقد عام ١٩٩٢م، من أنشط الناقدات الأمريكيات؛ حيث عملت - على امتداد عقود - ناقدة في صحيفة «النيويوركر»، كما كتبت الكثير من برامج المسابقات

عنوان رسالة ماجستير نوقشت في أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية بالرياض، تقدم بها عبدالكريم خالد الجبرتي.

«استخدام الألعاب التعليمية في إنماء مهارات الإنتاج في اللغة الأجنبية وعلاقته ببعض سمات الشخصية»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة عين شمس، تقدمت بها كريمة الأنصاري.

«الإعلام الخارجي اليمني: المشكلات والطموح المستقبلي»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة صوفيا في بلغاريا، تقدم بها محمد معمر عبدالوهاب.

«المتغيرات النفسية المصاحبة لمهنة الصحافة»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة أسيوط بمصر، تقدم بها عدنان المهنا.

«نظرية تعدد الأصوات مع التطبيق على رواية (جاك معتنق الجبرية) لديدرو»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب بجامعة القاهرة، تقدم بها عصام الدين محمد عبدالفتاح.

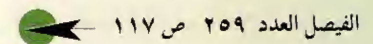
«ألف ليلة وليلة والديكاميرون.. دراسة مقارنة»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الألسن بجامعة عين شمس، تقدم بها حسين محمود.

«المبيدات وأثرها على الأرض الزراعية»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية الزراعة بالمنوفية في مصر، تقدم بها إبراهيم عبدالجواد أحمد.

«رؤية جارودي لمفهوم الإنسان ودوره في بناء الحضارة»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب بجامعة الإسكندرية، تقدمت بها فوزية شمسان.

«موقف بعض مفكري الإسلام النقدي كالقاضي عبدالجبار وابن حزم والشهرستاني من فكر الصابئة»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب بجامعة الزقازيق فرع بنها، تقدمت بها هدى حسن.

«تحليل سردي لمقامات الهمذاني»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب في بني سويف بمصر، تقدم بها أيمن بكر.





للإذاعة وأشهرها برنامج «صواب أم خطأ».

من أحدث الكتب

تسييس الإسلام، تأليف د. محمد الهاشمي الحامدي، صدر عن دار نشر وستفيو برس.

رؤية لإفريقية الجديدة، تأليف كارل ماييه، صدر عن دار نشر ويلي.

بريطانيا

محاضرات
حول شعر السبعينيات

نظمت مكتبة الشعر في رويال فستيفال هول على امتداد الشهرين الماضيين مجموعة محاضرات تحت شعار «شعر السبعينيات».

ركزت المحاضرات على دراسة الفروقات والخصائص والمميزات التي تميز بها الشعر البريطاني خلال تلك الحقبة مقابلة بالحقبتين السابقتين عليها، بهدف تقصي مسيرة الشعر وتطوره شكلاً ومضمونًا.

معرض
لتراث بادية الأردن

استضافت الجمعية الجغرافية الملكية البريطانية في لندن - مؤخرًا - معرضًا لتراث البادية الأردنية نظمه برنامج بحث وتطوير البادية الأردنية.

ضم المعرض بيتًا للشعر وأعمالاً يدوية، وملابس فلكلورية، إلى جانب مجسمات وصور للمشروعات التي ينظمها البرنامج الذي تأسس عام ١٩٩٢م برعاية ولي العهد الأردني الأمير الحسن، ودوق كنت.

لوحات قياصرة روسيا للعرض

تُعرض حاليًا في رويال أكاديمي في لندن خمسون لوحة فنية نادرة يعود تاريخها إلى القرنين السادس عشر والثامن عشر الميلاديين.

وكان قياصرة روسيا بعد الحقبة المنغولية، قد جمعوا تلك اللوحات التي تعود أصولها إلى مناطق مختلفة من روسيا وبلدان أخرى.

أحدث الكتب

أطياف الأزقة المهجورة، الجزء الثالث: الكراكيب، ثلاثية د. تركي الحمد، صدر الجزء الثالث منها عن دار الساقي في لندن.

أبو كاطع على ضفاف السخرية الحزينة، تأليف عبدالحسين شعبان، صدر عن نادي الكتاب العربي.

راضية ملكة الهند المحاربة، تأليف سلمان آصِف، رسوم كيث مونتجمري.

محمد الفاتح، تأليف إيما كلارك، رسوم لورا دي لامار.

كليوباترة ملكة الملوك، تأليف عبدالرحمن عزام، رسوم لورا دي لامار.

ابن بطوطة وأميرة التتار، تأليف عبدالرحمن عزام، رسوم خالد سيدو.

موسى والفرعون، تأليف نورا دوركي، رسوم أحمد جابر.

صدرت الكتب الخمسة السابقة للأطفال عن دار الهدهد.

الثورة الإعلامية، تأليف بول ليفنسون، صدر عن دار نشر روتليدج.

«هوني دو» رواية للكاتبة البريطانية لويس دوتي، صدرت عن دار نشر ستون.

ألمانيا

وفاة الروائي أرنست يونجر

توفي - مؤخرًا - الكاتب الألماني أرنست يونجر، أحد أكثر كتاب ألمانيا غزارة في إنتاجه وغرابة في أطواره، عن عمر ناهز ٩٠ عامًا.

قدم يونجر ما يقارب مئة كتاب ورواية، واشتهر بعدائه للديموقراطية وتمجيده للرايخ وإعجابه بهتلر؛ حتى كاد يُقَدَّم للمحاكمة كمجرم نازي في أعقاب الحرب العالمية الثانية.

كما عرف بحبه الشديد لحشرة «الخنفساء». وكان يربي منها الآلاف، ويصف أبطال رواياته بأنهم كالحشرات وتحديدًا كالخنفساء!! ومن كتبه «عاصفة الرصاص».

أحدث الكتب

في إطار المسؤولية: هانز ديتريش جينشر، تأليف كلاوس كينكل، صدر عن دار نشر زيدلر فرلاج في برلين.

تاريخ ألمانيا، تأليف مجموعة من المؤرخين، صدر عن دار نشر كوهلر واميلنج.

الجواهري: شاعر من القرن العشرين، كتاب للباحث العراقي د. جليل العطية، صدر عن دار الجمل في كولون.

إسبانيا

معرض للوحات التشكيلي السوداني
حسان علي أحمد

أقام الفنان التشكيلي السوداني حسان علي أحمد معرضًا لأعماله في المركز الثقافي الإفريقي في مدريد، وهو مؤسسة إسبانية تهتم بتطوير الصلات الثقافية بين إسبانيا والدول الإفريقية.

وقد قدم الفنان محاضرة باللغة الإسبانية عن تاريخ حركة الفن التشكيلي في السودان.

وافتتح المعرض مدير المركز الثقافي الإفريقي بارد لوميه الذي نوه بأن الفنان التشكيلي السوداني راشد دياب هو أول مدرس للفنون من أصل إفريقي في تاريخ كلية الفنون، وذلك في معرض كلمته عن الحركة التشكيلية السودانية.

لماذا لا يداوي الطبيب نفسه؟

د. غسان حتاحت

يقول المثل الشعبي: «الإسكافي حـافي الحايك عُـريان».

ويرى كثيرون أن هذا القول ينطبق، حقًا وصدقًا، على معظم ذوي المهن إن لم نقل كلهم. وتراهم يخصون الأطباء بالذكر، لأن الناس مولعون بأن يوازنوا بين كيفية معالجة الطبيب نفسه عندما يمرض، وكيفية معالجته مرضاه، لأن مهنة الطب ذات علاقة بحياة الإنسان في واحدة من أقسى أزماتها وهي المرض.

فثمة قسم من الأطباء غير قليل، لا يلجأ لتناول الدواء إلا عند الضرورة القصوى، وقسم آخر لا يجري فحوصًا مخبرية أو إشعاعية له أو لأسرته إلا فيما ندر، وحدّث عن العمليات الجراحية ولا حرج، إذ قليل من الأطباء من يُعَرِّض نفسه لإجراء عملية جراحية إلا عندما يضطر إلى ذلك اضطرارًا، ويجبره المرض على ذلك إجبارًا.

وهنا يخطر بالبال سؤال، وهو: لماذا يصدق هذا المثل إلى تلك الدرجة؟

والحق أنني لست أدري لماذا يكون الإسكافي حافيًا والحائك عريانًا، ولكنني أعرف لماذا يكون الطبيب أقل الناس لجوءًا إلى الأدوية والفحوص المخبرية والعمليات الجراحية.

وما ذلك لنقصٍ في الثقة بالطب أبدًا. فالطبيب يعلم - قبل سواه - أن التقدم الهائل للعلوم الطبية في القرن العشرين يفوق كل تقدم سابق في هذه العلوم بمراحل ومراحل. فليس نقص الثقة بالطب هو دافع الطبيب إلى الابتعاد من العلاج، ولكن الدافع الحقيقي هو فرط الثقة بالجسم البشري. هذا الجسم الذي خلقه البارئ فأحسن تقويمه، وصَوَّره فأبدع صورته، ووضع فيه من القوة والمتانة ما يفوق أقوى الآلات وأحدث الأجهزة، والطبيب هو من يعلم - وما يعلمه ليس إلا قليلاً من كثير - كم في جسم الإنسان من قوة ودقة ونظام.

وتحضرني في هذا المجال بضع ملاحظات للدكتور لويس توماس، الرئيس السابق لمركز سلون كتيرنغ للسرطان في نيويورك، ومؤلف كتاب «الميدوسة والحلزون» الذي تحدث فيه عن غرائب المخلوقات وعجائب جسم الإنسان، وهو كتاب بيعت منه ملايين النسخ.

يقول هذا الطبيب وقد درس مختلف المخلوقات: «إننا بني البشر الأحدث عهدًا، والأكثر شبابًا، والأذكى فكرًا، من جميع المخلوقات الأخرى». ونراه يسترجع بعض ذكرياته عن والده - وهو الطبيب ابن الطبيب - فيقول: «إن معظم الأدوية التي كان يصفها والدي كانت غير ذات فائدة - وفق ما نعلمه الآن -؛ ومع ذلك فقد كان معظم المرضى يشفون أو يتحسنون، وما ذلك إلا لأن في جسم الإنسان آلية دفاعية قوية».

من هنا، من معرفة الطبيب تأتي ثقته بالجسم البشري.

فالصحة هي الأساس والقاعدة، والمرض هو الشذوذ والاستثناء، أما الصحة فلا يعكرها إلا الخوف من فقدانها، أو توهمنا وجود ما يمكن أن ينغصها، أو مرض عارض يأتي ثم يزول.

أما ساعة المرض فثمة من آليات الدفاع عن الجسم ما يطيح بكثير من الأمراض، ولا يغير من ذلك وجود قليل من الأمراض لا تزال تبحث عن علاج، لكنها الشذوذ الذي لا يلغي القاعدة أو يمحو واقعًا، ويبقى معدل حدوث هذه الأمراض إلى الأمراض الأخرى ضئيلاً؛ أقول معدل حدوثها ولا أقول معدل أهميتها، فلو كان المرض يصيب واحدًا من مليون من البشر، لكان علينا أن نهتم به كما لو كان يصيب المليون كله.

وكم من مرض تم القضاء عليه قضاءً مبرمًا. فأين الجدري اليوم وقد غدا تاريخًا يُروى؟ وهذا شلل الأطفال، وقد انتشر اللقاح الواقي منه، يقل ويقل كلما تقدمت الأمم وارتقت الشعوب، وسوى هذين المرضين كثير.

وهذه علوم الطب في سير حثيث إلى الأمام لا يعلم إلا الله منتهى غاياتها.

ولكن لو لم يكن للجسم البشري تلك القوة وذلك التنظيم، ولو لم يكن لهذا الجسم تلك الآليات الدفاعية المنيعة، ما كان الطب بمستطيع أن يرد كيد المرض. ويكفينا من الأدلة على ذلك أن الطب القديم - مع خلوه من كثير من الأدوية الفعالة المؤثرة - كان قادرًا على أن يدرأ المرض ويجلب الشفاء.

بعد ما تقدم، نأتي إلى ملاحظة طريفة، وهي أن بعض الناس يطلبون مني أن أعالج طفلهم كما لو كنت أعالج طفلي، وهم يرون طلبهم منطقيًا ومعقولاً، ولا أراه كذلك؛ فهم مشغولو الفكر بمرض طفلهم، وارتفاع حرارته، مثلاً، ولذلك جلبوه إلى الطبيب، بينما لم يبلغ انشغال فكري بمرض ابني أن جلبته إلى الطبيب. وما أصبر عليه أنا من ارتفاع الحرارة لدى طفلي ربما لا يصبر الأهل عليه، وما أعرفه عن سير مرضه لا يعرفه أهل الأطفال الآخرين؛ ومن هنا كان لكل حالة علاج مختلف، فنحن نعالج الأهل والطفل في آن واحد.

وخير للأهل أن يطلبوا منا أن نداوي أطفالهم، حسبَ ما تقتضيه الحال، وهذا ما نقوم به - بغض النظر عن كل شئ - سواء أكان الإسكاف حافيًا أم منتعلاً!

قصة قصيرة

أرواح شريرة !!

يوسف يوسف

مثل إطلالة بوم هرم طالعني وجهه. حاجبان كثيفان يتّصلان ببعضهما، وأنف مفلطح ينفرش بين وجنتين بارزتين، يقبع أسفله فم يتقعر إلى الداخل. عينان ماكرتان تتدفق منهما شماتة وسخرية عفنتان. ما الذي حدث؟ وما الذي يريده من تلك الزيارة الصباحية التي تأتي على غير المعتاد من علاقته بي؟!

ومدير الإدارة يدرك جيداً أنني لا أحمل له أي احترام، وأكثر من هذا، أنني أمقته. هو الآخر كذلك، يمقتني، بل لا يحب رؤيتي، وحدها صحبة العمل جمعتنا، هو في الطابق التاسع، وأنا في الثامن من البناية.

ضحك بسماجة وهو يسحب الكرسي الذي أمامي، ثم يضع رجلاً فوق الأخرى، ويلقي جسمه إلى الخلف. ألقى أمامي العدد الأخير من مجلة فنون.

ـ أهلاً..

قلت بعدم اكتراث.

فحّ بوجهي كلمات شدّد في تأكيد نهاياتها:

ـ دراسة جميلة عن معرضك يا أستاذ.

سحبت المجلة، وقلّبت أوراقها بسرعة. توقفت أمام الكلمات، ألتهمها. فحّ ثانية بوجهي:

ـ تبدو كاتبة جيدة.

علقت دون أن ألتفت إليه، وتظاهرت بعدم الاكتراث:

ـ أصبح واضحًا يا محترم.

انتصب غاضبًا وشفتاه ترتجفان:

ـ ما هذه الفلسفة يا وجدي؟ هل تضحك مني؟

ـ لا..

قلت مهدئًا، ووقفت أتفحص رعشته..

وأضاف:

ـ من الأصول أن تقرأ الدراسة.

انفجرت بوجهه:

ـ ليست هذه دراسة يا محترم، إنها مقالة ومن النوع السخيف.

لم يفارقه انفعاله، وهو يلحّ بيد مرتجفة، زحر مثل حمار هدّه التعب:

ـ دراسة، مقالة، هذه تقديراتك، المهم، الكلام الذي فيها.

ـ لا يهمني أن أعرف ما فيها.

ازدادت دهشته، وابتلع ريقه بصعوبة:

ـ عجيب!

ـ أتعرف من تكون الآنسة؟

ـ وما أدراك أنها آنسة؟

ـ أعرفها... لا همّ لها سوى مداراة عجزها بالهجوم على الآخرين.

ـ ما هذا؟

ـ مثلما أقول لك، وأنت جئتني على هذا الأساس، تريد الانتقام ولا شيء سواه،

ـ صدقني أنت مثل أخي..

كدت أصرخ:

ـ لو كان يمكن، لوضعت رأسك تحت قدمي وسحقته.

قاطع صمتي:

ـ لماذا تكرهني؟ أنا جئت من حبي لك..

ـ أشكرك.

ألقيت إليه المجلة. حاول أن يعيدها، وسرعان ما خطف نفسه من أمامي بعجلة، وأقفل الباب خلفه.

دارت بي الغرفة، كأنما وقعت على يأفوخي مطرقة حادة، فأحسست معها بانعدام الوزن، والغثيان، وبرغبة شديدة في أن أضرب رأسي بالحائط، مرّة، وثانية، وثالثة، إلى أن أسقط، لأهرب من تلك التساؤلات التي بدأت تسوط دماغي.

تملكتني جلطة حقيقية من جلطة في الدماغ. رأسي لم يعد يحتمل. عاودتني نوبة الصداع الحاد. قمت من مكاني دون هدف واضح. خرجت من الغرفة. تنفست بعمق. لم أبصر أحدًا في الممر. وجدته ساكنًا فارغًا لا حياة فيه. توقفت أمام غرفة صالح علوان المقفلة. إجازة الزواج أبعدته عني. كنا نجلس معًا، نضحك، ونتناقش ونحتسي القهوة. عبر من أمام عيني مثل البرق، ابتسم، فبانت أسنانه البيضاء اللامعة. فهو لا يدخن، ولا يثمل. أحسست بحاجتي إليه، لعله الرجل الوحيد الذي يفهمني، وكان يستقبل

لوحاتي بود كبير. عصفت بي رغبة شديدة في أن أكسر لوحة أهديتها للدائرة، لم تكن بعيدة عني. كانت تتدلى بصمت فوق أحد الجدران لتزينه.

تبًا!!

رددت مع نفسي، ما جدوى كل ما رسمته حتى الآن! طفولة شبه جادة لفنان واعد. هذا ما قاله أحدهم. ولكنه لم يقنعني برأيه. صحيح أن واحدة من لوحاتي هنا، لكن ماذا يعني هذا؟ قد تكون جميلة، وفيها الكثير من الفن، لكن هل تبدلت الوجوه التي تراها في كل يوم؟ ربما جذبت الأنظار إليها في اليوم الأول، أو الأسبوع الأول، ولكن ما الذي حدث في الأيام اللاحقة؟ لم أعد أرى أحدًا يقف قبالتها، أصبحت مجرد قطعة باردة من الديكور.

يا للنتيجة البائسة! هل نرسم لتزين الجدران فقط؟ سحبت أنفاسًا متقطعة، ميتة، واستدرت مبتعدًا، استقبلتني غرفتي الرتيبة من جديد. نعم، بدت رتيبة في كل شيء. قعدت وقمت. قمت وقعدت. لم أعد أشعر بغير مذاق واحد يطفح من حلقي. مذاق مر. يدعو للتقيؤ، ويثير الاشمئزاز والقرف مما حولي، من صحف، وكراسات، وكتب، وألوان، بل إنني أصبحت أشمئز من نفسي، من وجهي، من عيني، ومن كل شيء.

انزلقت مهرولاً مع الدرج النازل إلى الكافتيريا. اخترت لعزلتي زاوية قصيّة وفنجان قهوة. هناك دخنت سيجارة، وثانية، قبل أن يشاركني الخلوة بدري عطا.

تركته يتحدث. ظل يقرقر مثل دجاجة راخمة. لم أقل شيئًا، وحدس أنني قلق بصورة ما. لم يمارس فضولاً، وهو كذلك في الغالب. همّ بالذهاب فتشبثت به. قلت:

ـ كل الفنانين العظماء لم يولدوا في ثياب الفخار، لعلهم أخفقوا في البدء، لكنهم نجحوا أخيرًا.

لم يحر جوابًا، وواصلت:

ـ المهم أن يواصل الفنان. أن يستمر في الرسم، الإخفاق يقود إلى النجاح، أليس كذلك؟

أومأ موافقًا، وابتسم، ثم قاطعني:

ـ أنت لست فنانًا فاشلاً..

ملأني زهو مفاجىء. غمرني وهزّ وجداني من الجذور. فرحت، ولعقت ابتسامة دفينة.

ـ وماذا بعد يا أستاذ بدري؟

فأردف:

ـ أتوقع أن يكون لك شأن في المستقبل.

لم تفارقني كلماته. حملتها في أعماقي إلى البيت. اكتفيت بتحية سريعة ألقيتها على نبيلة وأنا أعبر إلى المرسم. وقفزت خلفي مثل ظبية شاردة، لا تكاد أظلافها تلامس الأرض. ألقيت المجلة فوق المنضدة.

ـ هل حدث شيء؟ هل تشاجرت مع مدير الإدارة من جديد؟

ـ كدنا نفعل.

ـ ولكن وجهك يخفي شيئًا.

سحبت نفسًا عميقًا، وأنا أطيل النظر إليها:

ـ جاءني ومعه هذه المجلة.

تضاعفت حيرتها، ثم سحبت المجلة.

ـ وماذا فيها؟

ـ فيها مقالة لميسون عن المعرض.

ـ لم أكن أتوقع أن يهتم بما يكتب عنك للدرجة التي تجعله يأتيك بالمجلة إلى غرفتك.

لم أحتمل سذاجتها، قلت محتدًا:

ـ لو أن المقالة لصالحي لما جاء بها، ولما أراني وجهه.

زعقت لحظتها مثل نمرة شرسة:

ـ ماذا؟

أضفت بيأس:

ـ وجدها مناسبة للتندر بي في الدائرة طوال اليوم، كان واضحًا أنه عرض المقالة على الكثيرين.

ـ ولماذا يفعل هذا؟ هل أنت عدوه إلى هذا الحد؟

ـ لا أدري من فينا عدوه، أنا أم الفن؟

ربتت نبيلة على كتفي، ثم ألقت يدها خلف رقبتي، وطوقتني بحرارة:

ـ وجدي، أنت تنفعل وتغضب من أمور يفترض ألاّ تؤثر فيك. إذا كان هذا أو ذاك يؤثر فيك إلى هذه الدرجة، فكيف ستواصل الرسم؟

ـ سأواصل، نعم، قلت وأنا أضرب المنضدة بعصبية.

ـ وماذا تقول المحترمة؟

ـ تتهمني بالاغتراب عن الواقع، وبأنني ما أزال أحبو في الفن كالطفل.

انفجرت نبيلة ضاحكة، وضحكت أنا الآخر:

ـ تحبو! ألا ترى أنه تعبير ساذج؟

ـ ربما، ولكنه يمزقني، أصبحت يائسًا من الوصول إلى ما أطمح إليه.

صرخت محتدة:

ـ وسهرك، وتلك النهارات الطويلة التي لم تغادر فيها المرسم، أنسيت كل هذا؟

ـ يبدو أنني مازلت أهوّم في اللا مكان، وأنني لست وفيًا لوطني.

فغرت فمها على اتساعه، وجحظت عيناها:

ـ ماذا؟ هذا شعور خطير!

ـ هذا ما تقوله الآنسة. كأنني أعيش في بلد آخر، وقارة بعيدة.

سحبت المجلة بغضب، ولحظة ألقت جسمها فوق الكنبة، كان ثمة هسيس يطن في أذني، وتلاحقني كلمات ميسون، بلدغاتها العنيفة. أشعلت سيجارة لأطرد الأرواح الشريرة التي بدأت تحوم فوقي، سوداء مثل غربان جائعة، أراها وسط دوائر الدخان التي تتطاير متصاعدة من فمي، وأنا ألتهم السيجارة بنهم حقيقي، ليس لها فقط، إنما لكلمة طيبة، أسمعها هنا وهناك من أي من الناس الطيبين.


الجزيرة
الجزيرة
تكفيك
المسائية
تثري
مساءك
تصدران يوميا عن: مؤسسة الجزيرة للصحافة والطباعة والنشر.. ص.ب: ٣٥٤ الرياض: ١١٤١١ هاتف: ٤٠٢٥٥٥٥ ، تلكس ٤٠١٤٧٩ جزاتي اس جي.

العلاج الغذائي للأمراض

كتاب يشتمل على جملة من النصائح الغذائية في علاج ما يصيب الإنسان من علل صحية. وقد ضمّن الدكتور محيي الدين لبنية كتابه عشرة فصول تتحدث عن معظم الأمراض الشائعة بالإضافة إلى ملحق غذائي إرشادي.

انتهج المؤلف في كتابه الاختصار في وصف الأمراض، وتحديد أسبابها وأعراضها الصحية، وهو أحيانًا يضيف تفاصيل أخرى، كما يسهب في شرح النصائح الغذائية في علاج المرض أو الوقاية منه، كما لجأ إلى تبسيط المعلومات العلمية الحديثة في مجال العلاج الغذائي للأمراض.

وقد أشار المؤلف في مقدمة الكتاب إلى ما يشهده العالم من نزوع إلى العلاج الغذائي للأمراض، وكيف أن إدخال تعديلات غذائية في طعام الإنسان يسهم في تقليل إصابته بالأمراض؛ إلا أنه ينبه على خطورة تفاقم مشكلة لمسها من خلال تجربة عملية طويلة، وهي: أن العلاج الغذائي للأمراض يسهم فيه من الناس من يعرف القليل عن التغذية، ومن يجهل الكثير عنها.

يقع الكتاب في ٣٦٠ صفحة من القطع المتوسط، وصدر في طبعته الأولى عام ١٩٩٨م، عن دار الصابوني في كل من حلب وبيروت.

همسات الفؤاد

ديوان شعر مفعم بالقصائد الرائعة التي سطّر صورها وصاغ معانيها الشاعر الفلسطيني سليمان محمد غزال. وشعره، ولاسيما الوطني منه، يأسر الألباب، ويبعث فيها روح الإيمان، ويشعل فيها شعلة الكفاح والجهاد ضد الصهاينة الغاصبين المجرمين. وشعره الوطني هو الباب الأول من ديوانه، وقد نشر فيه ١٤ قصيدة.

وفي الباب الثاني أشعار وقصائد سماها شعر المناسبات. وأكثر قصائد هذا الباب تهان في زواج أو مباركة أو شفاء أو لقاء، أو ولادة، أو تخرج في جامعة وما شاكل ذلك. وخصّ أبناءه وبناته وأبناء عمه وبعض أصدقائه بشعر كثير، وفي هذا الباب قصيدة عصماء من وحي هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة وسرد لأحداثها.

أما الباب الثالث فقد قصره على الرثاء، ونشر فيه ١٥ مرثية، بدأها برثاء والده، ثم برثاء الملك فيصل بن عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ، ثم برثاء بعض الأقارب والأصدقاء، أو مشاركة لبعض أصدقائه ومشاطرة لهم بأحزانهم.

والباب الرابع الذي سمّاه «الوجدانيات والإخوانيات» يبدو فيه ظرف الشاعر ودعابته، ومزاحه وفكاهته، وفرحه وسروره وخواطره في مناسبات شتى؛ فلا تكاد تمر مناسبة إلا وتفيض نفسه بأروع الشعر وأجمله وأعذبه، فإذا ودّع صديقًا قرض الشعر الجميل في وداعه، وإذا دُعي إلى وليمة أفرح الحاضرين وأبهجهم بأرق الأشعار وأطرفها، وإذا حضر دعوة عرس أو مناسبة وقف يطرب الحاضرين بأحلى الأنغام الشعرية، ويعطر مجالسهم بأعذب النفحات وأعطر النسمات.

وأما الباب الخامس والأخير في الديوان فجعله للأطفال وسماه «ديوان الأطفال». وأغلب قصائد هذا الباب وأناشيده ومسرحياته أنشدها للأطفال لغرض تعليمي يرشدهم فيه ويعلمهم حب الوطن والدين والوالدين، ويغرس في نفوسهم المثل العليا والقيم الإسلامية النبيلة الأصيلة، من صدق وخلق، وفخر بالأمجاد والأجداد، وحب للمسجد والصلاة، وغرس للأشجار، وكره لإهمال الواجبات، وبعد من أصدقاء السوء، وغير ذلك.

يقع الديوان في ٣٨٤ صفحة من القطع المتوسط، وصدر بطبعته الأولى عن دار اليمامة للنشر بدمشق ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

الملك العالم أبو الفداء ملك حماة

كتاب يحكي سيرة الملك العالم، والأديب الشاعر، والمؤرخ الجغرافي، والمجاهد الشجاع، والحكيم العاقل، والسياسي المدبّر الذي اقترن اسمه باسم مدينة حماة، فأصبح يطلق عليها مدينة أبي الفداء، وهي المدينة الوحيدة التي لم يتمكن الصليبيون من دخولها في أثناء الحروب الصليبية. كان أبو الفداء محبًا للعلم والعلماء، والأدب والأدباء، والشعر والشعراء، حتى قيل: إنه لم يجتمع من العلماء والأدباء والشعراء في مجلس أحد من الملوك بعد سيف الدولة كما اجتمع في مجلس الملك أبي الفداء. وقد قدّم لنا البحّاثة أحمد قدري الكيلاني سيرته العطرة في هذا الكتاب. وقد كتب مقدمة الكتاب الدكتور عبدالرزاق الكيلاني وهي مقدمة ضافية واسعة، وصنع حواشيه كذلك.

يبدأ الكتاب بذكر نسب الملك أبي الفداء ومولده، فهو من الأسرة الأيوبية، وولد سنة ٦٧٢هـ. ثم ذكر أساتيذه، وتحدث عن علومه، وأخلاقه الفاضلة وجهاده وتجاريده. كما تناول وظائفه المتعددة قبل الملك، وإقامته في دمشق. ثم تكلم على تقليده حماة نيابة عن السلطان الناصر سنة ٧١٠هـ، ثم تمليكه لها وللمعرة سنة ٧١٢هـ. وأخيرًا تعيينه على حماة سلطانًا لها سنة ٧٢٠هـ يفعل فيها ما يشاء من إقطاع وغيره.. وذكر مدح الشعراء له، وأورد قصائد كثيرة لعدد من الشعراء في مدحه؛ بل إن بعض الشعراء نظم ديوانًا كاملاً في مدحه. كما ذكر أسفاره إلى مصر للمثول بين يدي السلطان، وأشار إلى صدقات السلطان الملك الناصر عليه. وتحدث عن حجّاته الثلاث إلى بيت الله الحرام، وزيارته بيت المقدس. وتحدث عن تصانيفه النفيسة التي كانت سبب شهرته، وذكر منها: المختصر في أخبار البشر، وتقويم البلدان، والتبر المسبوك في تواريخ الملوك، وغيرها. كما ساق بعض أشعاره. وأخيرًا ذكر وفاته سنة ٧٣٢هـ وهو في أوائل الستين من عمره، وأنه دُفن بتربته التي أنشأها في جامع أبي الفداء الكبير بحي باب الجسر، وهو لا يزال موجودًا حتى الآن. وختم الكتاب بذكر مراثي الشعراء الكثيرة له التي ساق كثيرًا منها، وبفهرس للموضوعات.

يقع الكتاب في ١١٠ صفحات من القطع المتوسط، وصدر عن المكتبة العربية في حماة بطبعته الأولى عام ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.


كن مع
المنهل
AL MANHAL
مجلة العرب الأدبية

للاشتراك املأ هذه القسيمة
(عنوان الاشتراك من الخلف)
الاسم: ....
العنوان: ....

مسابقة مجلة الفيصل

1- جوائز كثيرة تقدمها المجلة لأصحاب الحلول الفائزة على النحو التالي:

أ- ثلاث جوائز مالية تمنح لثلاثة فائزين (500 ريال، 350 ريالا، 150ريالا).

ب- خمس جوائز اشتراك مجاني في المجلة مدة عامين (24 عددًا).

ج- عشر جوائز اشتراك مجاني في المجلة مدة عام واحد (12 عددًا).

د- خمس جوائز عبارة عن مجموعات من إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض.

2- ترسل الإجابات على العنوان التالي في مدة أقصاها 60 يومًا:

مسابقة مجلة «الفيصل» ص ب (3) الرياض (11411) المملكة العربية السعودية

(مع ضرورة ذكر رقم المسابقة على المظروف)

أجوبة مسابقة العدد ٢٥٦

ج١ : نهى الإسلام عن الفرقة والتنازع والاختلاف أشد النهي؛ إذ إنها أسباب تؤدي إلى الهزيمة، وإلى ذهاب قوة المسلمين؛ مما يصيبهم بالضر والعجز والخسران. ومن الآيات الكريمة التي نهت عن الفرقة والتنازع والاختلاف:

* قول الله تعالى: *واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرَّقوا واذكروا نعمَة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألَّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانًا*. **آل عمران**:١٠٣.

* وقوله عز وجل: *ولا تكونوا كالذين تفرَّقوا واختلفوا من بعد ما جاءهمُ البيِّنات وأولئك لهم عذابٌ عظيمٌ*. **آل عمران**:١٠٥.

* وقوله عز من قائل: *وأطيعُوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهَبَ ريحكم*. **الأنفال**:٤٦. والآيات في هذا المعنى كثيرة جدًا.

ج٢ : بلغ السيل الزُّبى: مثل عربي مشهور يُضرب لما جاوز الحد. والزُّبى: جمع زُبْية، وهي حفرة تُحفر للأسد إذا أرادوا صيده، وأصلها الرابية لا يعلوها الماء، فإذا بلغها السيل كان جارفًا مجحفًا.

نتائج مسابقة العدد ٢٥٦

أ- فاز بالجائزة المالية الأولى، وقدرها ٥٠٠ ريال سعودي، أحمد التجاني بن محمد البخاري سيسي، باماكو، مالي.

وفاز بالجائزة المالية الثانية، وقدرها ٣٥٠ ريالاً سعوديًا، محمد دهري قمر الدين، جاكرتا، إندونيسيا.

وفاز بالجائزة المالية الثالثة، وقدرها ١٥٠ ريالاً سعوديًا، محمد نور الدين، نيروبي، كينيا.

ب- وفاز بجائزة الاشتراك المجاني في المجلة مدة عامين (٢٤ عددًا)، كل من:

١- مصلح حسين دايم الشراري، القريات، المملكة العربية السعودية.
٢- هنى جمال عبدالفتاح نوفل، عمَّان، الأردن.
٣- حسن إبراهيم بدران الرزي، الإسكندرية، مصر.
٤- ابتسام بنت محسن إبراهيم، المهدية، تونس.
٥- شيخة يوسف سعيد عبدالله، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة.

ج- وفاز بجائزة الاشتراك المجاني في المجلة مدة عام واحد (١٢ عددًا)، كل من:

١- المأمون سعيد عبدالرحمن، مكناس، المغرب.
٢- سعد بوه ولد القاسم، اللاذقية، سورية.
٣- أمينة أحمد علي المقابي، المنامة، البحرين.
٤- خالد عوض صالح باشراحيل، حضرموت، اليمن.
٥- محمد ضياء محمد يوسف عطا، الدقهلية، مصر.
٦- أنور عبده أسعد حداد، عمَّان، الأردن.
٧- محمد خليف الشمري، الخفجي، المملكة العربية السعودية.
٨- نبيل بلعباس عبدالكريم، بو سعادة، الجزائر.
٩- محمد سليمان الأنباري، بغداد، العراق.
١٠- بكلان أرجمند إيب، إسلام آباد، الباكستان.

د- كما فاز بجائزة مجموعة من إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض، كل من:

١- مريم بنت خليفة بن لولي، نواكشوط، موريتانيا.
٢- أحمد عبدالسلام الوهابي، صحار، سلطنة عُمان.
٣- عارف خان عيسى خان، الدوحة، قطر.
٤- خضرة الطيب محمد الشيخ، الخرطوم، السودان.
٥- يحيى أحمد جسري، دمشق، سورية.

أسئلة مسابقة العدد ٢٥٩

(سؤالان فقط)

س١ : قال تعالى: *إنَّ أوَّل بيت وُضع للنَّاس للَّذي ببكَّة مباركًا وهُدًى للعالمينَ*. **آل عمران**:٩٦. لماذا سميت مكة المكرمة: بكة؟ مع ذكر بعض أسمائها الأخرى.

س٢ : كريستيان يوهان دوبلر، فيزيقي ورياضي نمساوي، وضع قاعدة فيزيقية باسمه. ماهي؟

ويأتيك بالأمثال

لا تُوكِ سقاءَكَ بأُنْشُوطَة

أي أحكمْ أمرك، ولا تعتمد إلا على الجانب الأقوى. والقربة التي يُحمل فيها الماء تسمى سقاء، وقد يُربط فم القربة بأنشوطة فتكون عرضة للحل، لأن الأنشوطة عقدة سهلة الحل، فيخرج الماء ويضيع. أما إذا رُبط فم القربة ربطًا محكمًا فقد أمن ألا تحل وألا يضيع الماء.

وهكذا من عقد الأمر وأحكمه فقد أمن خطره، ومن لم يحكم أمره ويشده ويقويه فليس في مأمن أن ينحل فيفسد.

ففي ذلك يقال: «لاتوك سقاءك بأنشوطة»؛ أي لا تكن مثل ذلك الرجل الذي ملأ قربته بالماء ثم ربطها بأنشوطة، فهو لا يأمن لأدنى سبب أن تحل فيذهب الماء.

أبواب القدس

لمدينة القدس العربية ثمانية أبواب شهيرة هي:

١ـ باب الساهرة أو باب هيرودس، وهو يؤدي إلى حي الساهرة خارج السور.

٢ـ باب الأسباط أو باب السيدة مريم أو باب ستيفن، وهو يؤدي إلى حي العامود ومدينة أريحا.

٣ـ الباب الذهبي الذي أقفل إبان الحكم العثماني لوجود المقبرة الإسلامية في الخارج، ولوجود بناء باب الرحمة أو باب التوبة داخل ساحة الحرم الشريف، كما يوجد قبر القائد شداد بن أوس الملاصق للسور في الخارج، والذي يبعد من الباب الذهبي إلى الشمال ٧٣ مترًا.

٤ـ باب النبي داود، وهو يؤدي إلى مقامه في حي الدجانية.

٥ـ باب المغاربة، وهو يؤدي إلى بلدة سلوان.

٦ـ باب الخليل أو باب يافا؛ حيث يوجد شارع ملاصق للباب يقال إنه فُتح من السور القديم في عهد السلطان عبدالحميد عام ١٩١٢م ليمر منه موكب إمبراطور ألمانيا لزيارة الأماكن المقدسة.

٧ـ باب طلعة المنزل، وقد أقيم في سنة ١٩١٢م في أثناء تولي السلطان عبدالحميد الحكم.

٨ـ باب العمود أو باب دمشق، وهو يؤدي شمالاً إلى حي الشيخ جرّاح وإلى مدينتي رام الله والبيرة.

جرأة في الحق

كان سليمان بن عبدالملك مهيبًا، لا يجرؤ أحد أن يكلمه. وكان بعض وزرائه قد استأثروا بشؤون أغضبت العامة، فدخل عليه أعرابي فصيح اللسان، شديد العارضة، جريء الفؤاد فقال له بلسان عربي مبين:

ـ يا أمير المؤمنين إني مكلمك بكلام فاحتمله إن كرهته، فإن وراءه ما تحب إن قبلته.

فقال سليمان:

ـ هات يا أعرابي.

قال: سأطلق لساني بما سكتت عنه الألسن أداءً لحق الله وحق أمانتك. إنك قد أحاط بك وزراء اشتروا دنياهم بدينهم، ورضاك بسخط ربك.. خافوك في الله ولم يخافوا الله فيك، فلا تصلح دنياك بفساد آخرتك.

فقال سليمان: أما أنت فقد نصحت، إلا أنك جردت لسانك فهو سيفك.

فقال الأعرابي بثبات: أجل يا أمير المؤمنين، لكنه لك لا عليك.

أكثر الشخصيات تكرارًا

شخصية «شارلوك هولمز» التي أبدعها آرثر كونان دويل هي من أكثر الشخصيات ظهورًا في الأعمال السينمائية، فقد قام بأداء دور «شارلوك هولمز» أو المحقق السري ٧٢ ممثلاً في أربعة ومئتي فيلم سينمائي. أما أكثر الشخصيات تكرارًا في أفلام الرعب، فهي شخصية الكونت دراكولا الذي أبدعه قلم الكاتب الإيرلندي برام ستوكر.

ولا زال الإقبال شديدًا على هذه الأفلام في كل أنحاء العالم، وتعرض آلاف الفنادق في كل مكان هذه الأفلام، ولاسيما أفلام دراكولا في برامجها التلفازية الخاصة.

من عجائب الخلق

يضخ القلب نحو ثلاثة آلاف جالون من الدم يوميًا، أو ما يعادل ٧٧ مليون جالون خلال حياة تمتد ٧٠ عامًا، وهذه الكمية تكفي لملء ناطحة سحاب، ويستلزم دفعها قوة كافية لرفع جسم يزن عشرة أطنان إلى ارتفاع عشرة أميال. وخلال ساعة واحدة يستطيع القلب أن يرفع رجلاً داخل مصعد من الطابق الأرضي إلى الطابق الخامس!

ثمن حياته!

كان المفكر الشاعر الفرنسي فولتير يسير على شاطئ السين حين شاهد رجلاً غنيًا يوشك أن يبتلعه النهر، ولكن رجلاً فقيرًا خاطر بحياته وأنقذه؛ فمنحه الغني ثلاثة بنسات؛ أي ما يساوي قرشًا!!

وكان عدد كبير من الناس قد تجمعوا وشاهدوا ما حدث؛ فكادوا يفتكون بالرجل الغنيّ وحاولوا إلقاءه في النهر مرة أخرى ولكن فولتير تدخل قائلاً: كفكفوا من غضبكم، إن السيد الغني يعرف أكثر من غيره كم تساوي قيمة حياته!

إلا هؤلاء..

كان الإمام مالك بن أنس رحمه الله تعالى جالسًا في حلقته في المسجد عندما سأله أحد الطلبة: ممن يؤخذ العلم؟

فقال الإمام الجليل: سؤال طيب!.. إن العلم لا يؤخذ من كثيرين، سأذكر لك منهم أربعة، ويؤخذ ممن سوى ذلك إذا كان عالمًا: العلم لا يؤخذ من سفيه.. ولا يؤخذ من صاحب هوى يدعو الناس إلى هواه.. ولا يؤخذ ممن يكذب في أحاديث الناس.. ولا يؤخذ من شيخ له فضل وصلاح وعبادة إذا كان لا يعرف ما يحدّث به!

خلاف

قيل لأمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز رحمه الله: لماذا نرى كثرة الخلاف بين الناس على أشياء يمكن التجاوز عنها؟

فقال: هذا حق! فإن هذه الأمة لم تختلف في دينها ولا في نبيّها ولا في كتابها.. وإنما اختلفت في الدينار والدرهم!

استراحة العدد

لا تعاد أحداً

قال يونس النحوي: لا تعاد أحداً، وإن ظننت أنه لا يضرك، ولا تزهدنَّ في صداقة أحد وإن ظننت أنه لاَ ينفعك.. فإنك لا تدري متى تخاف عدوك، وترجو صديقك.. ولا يعتذر أحد إليك إلا قبلت عذره وإن علمت أنه كاذب، وليقلّ عتب الناس على لسانك..

البترول.. والبيبسي!

جاء في صحيفة «باري ماتش» الفرنسية:

سأل سفير إحدى الدول المنتجة للبترول في واشنطن: كم من الأمريكيين يعرف أن ثمن برميل البترول لا يزال أقل من ثمن برميل البيبسي كولا!

الخبز والجرذان

يروى أن امرأة رقيقة الحال وقفت بباب «قيس بن سعد بن عبادة» وكان كريمًا سخيًا، وقالت له وهي خجلى:

ـ لقد مشت جرذان بيتي على العفاء (أي على التراب؛ كناية عن خلو بيتها من الزاد).

فتبسم سعد وقال: ما أحسن هذه الكناية، سأجعلهم يثبون وثوب الأسود.

ثم أمر بمن ملأ لها بيتها أقطًا وسمنًا وحبوبًا.

رجل صدق

يروى أن رجلاً قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: إن فلانًا رجل صدق.

فقال عمر متعجبًا: أسافرت معه إلى بلد؟

قال الرجل: لا.

فقال عمر: أكانت بينك وبينه خصومة؟!

قال الرجل: لا!

فقال عمر: فهل ائتمنته على شيء ووجدته أمينًا؟

قال الرجل: لا يا أمير المؤمنين.

فقال عمر، رضوان الله عليه: فأنت الذي لا علم لك به! أراك رأيته يرفع رأسه ويخفضه في المسجد!

دهاة العرب

قال الأصمعي في حكاياته: بحثت في سيرة قادة العرب في صدر الإسلام عن «الدهاة» فلم أجد غير أربعة تنطبق عليهم هذه الصفة، ومن الغريب أنهم جميعًا ولدوا بالطائف وهم: معاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، والسائب بن الأقرع!

كما يرزقهم!

سئل علي بن أبي طالب رضي الله عنه: كيف يحاسب الله الخلق والخلق كثير؟

فقال: كما يرزقهم وهم كثير!

فسألوه: وكيف يحاسبهم ولا يرونه؟

قال: كما يرزقهم ولا يرونه!

من أجله

يروى أن لويد جورج، السياسي الإنجليزي المخضرم، كان يخطب في اجتماع انتخابي، فانبرى له أحد عمال المناجم صائحًا من وسط الناس ووجهه ملطخ بتراب الفحم الأسود:

ـ دعك من هذا وقل لي ما السلع التي سينخفض سعرها إن انتخبناك.

فنظر إليه لويد جورج طويلاً ثم قال:

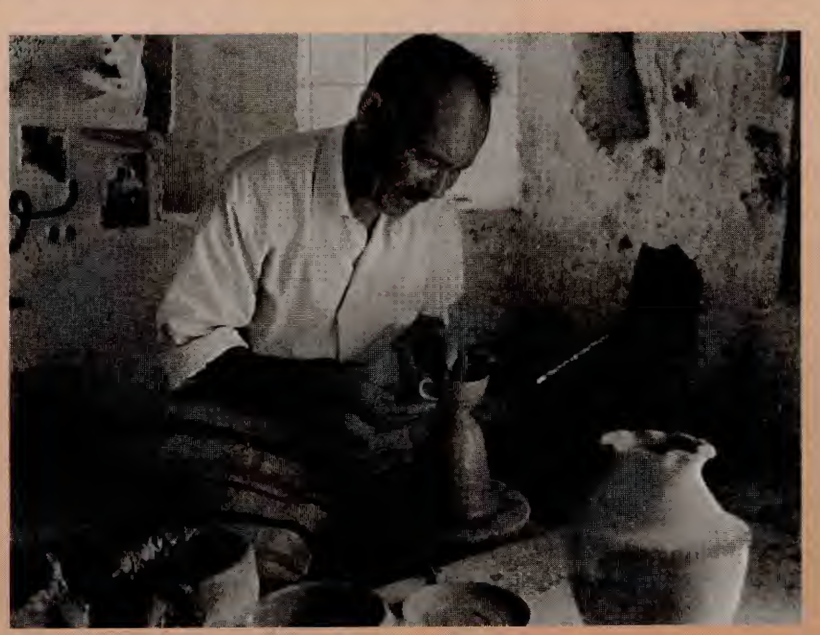
ـ من أجلك أنت.. سأخفض سعر الصابون!

خصال كريمة

كان عبدالله بن عمر رضي الله عنه من أكرم الناس خصالاً. ومن خصاله: أنه كان إذا أعجبه شيء من ماله تصدّق به، وكان كثيرًا ما يتصدق بالسُّكَّر، فسُئل عن ذلك فقال: إني أحبه، والله تعالى يقول: *لَنْ تنالوا البِرَّ حتَّى تُنفِقوا مِمَّا تُحبون*. آل **عمران: ٩٢.**

وكان إذا رأى فتًى من فتيانه ملازمًا للصلاة أعتقه، فقيل له: إنهم يخدعونك! فقال: من خدعنا بالله انخدعنا له!

وقد بلغ ما أعتقه ألف عبد! وقال الأعمش: كنت عنده يومًا، فجيء له باثنين وعشرين ألف درهم فلم يقم من مجلسه حتى فرقها!



أحد صانعي الفخار في جربة ـ تونس



يقصد الباب إلى تشجيع المواهب الناشئة التي تتلمس لها سبيلاً إلى الإبداع الفني والكتابة الأدبية، ولذلك تقوم تباشير باختيار عمل أدبي أو أكثر وفق معايير فنية محددة وحسب المساحة المتاحة، ومن ثم يُعرض على أحد النقاد المعروفين الذي يتناوله بالمتابعة النقدية أو التعليق أو التوجيه لتكون خطوة ثابتة لهذه المواهب في طريق الإبداع. وهذه دعوة للمواهب الأدبية الناشئة للمشاركة في هذا الباب، علماً بأن هناك مكافأة رمزية تشجيعية للعمل الذي يحظى بالنشر.

قصة قصيرة

مأساة تشريد

غادة الحمود
الرياض، السعودية.

رمقته من بعيد.. يجلس على مقدمة التل وعلى جبينه برز أسى يصبغ وجهه.. قرأت في عينيه الحزن والألم معًا.. كان يجوب ببصره الآفاق.. ويطلق بين الحين والآخر آهة تلو آهة.

اندفعت في شوق جارف لمعرفة سر هذا البائس.. حاولت ردع فضولي عبثًا.. اقتربت منه.. كانت خطواتي واهنة.. مرتجفة؛ سألته عن سبب حزنه فرفع يده بصعوبة إلى عنقه وفتح أعلى قميصه كأنما اختنق من سؤالي.. أعدت السؤال للمرة الثانية.. باغتني: لا أستطيع الإجابة!.. كررها مرارًا.. ثم عاد إلى دوامته الصامتة.. خجلت.. ونهضت من مكاني ألتمس الخُطا في جنبات طريقي.. أستشعر مرارة الندم.. وأوبخ ضميري على هذا الإقدام الفضولي.. فجأة.. لم أشعر إلا بيد ضخمة تحط على كتفي.. استدرت بسرعة إلى الخلف.. فرأيته.. نعم رأيته.. ورأيت دمعة ساخنة تصارع جفنيه، ولكن ما إن نطق بأول حرف حتى سقطت دموعه.. خاطبني: اجلسي.. لم أتحرك.. عاد: هيا اجلسي.. لأحكي لك قصتي. جلست.. فأردف قائلاً، وهو يتطلع إلى الأفق البعيد.. وعيناي لا تكادان تبرحان موضع شفتيه: ها أنا كما ترين.. أعيش على أمل الموت.. أقتات الحزن.. أذرف الدمع وأصارع معمعات الحياة..

سادت بعد ذلك لحظة صمت قاسية قضيتها بقراءة تجاعيد وجهه الشاحب.. بعدها.. أكمل بقوله: كلما تذكرت قصتي تلك يذوب قلبي أسى.. وتتمزق روحي حسرة.. كلما تذكرت ابنتي التي ماتت سليبة الكرامة والعفة.. يتملكني الخزي والعار.. وزوجتي التي أُلحقت بابنتها فشاركتها نفس المصير! أشعر بالحسرة تدك جوانحي..

أطلق زفرة بات صداها يحرك شجون الحزن في قلبي الذابل.. لم أطق الصمت.. فكلمته وعبرة تأثر تحرك النبض في خلدي: هل لك أبناء.. غير ابنتك تلك؟

التفت بسرعة يتطلع إلي.. فتتابعت دمعاته.. ارتجفت.. لملمت أطراف ثوبي محاولة الفرار.. فعاد ليجذبني مرة أخرى.. قائلاً بحرارة لم أعهدها منه منذ التقينا:

توقفي يا صغيرتي.. لأكمل لك قصتي.

سيطرت الرحمة على مفاصل رجلي فجثمت.. وقلت بنبرة يعتريها البكاء: أكمل.. ها أنا أسمع.

عاد ينفث جُمله الكئيبة على مسامعي المنبهرة: لي ابنٌ واحد عمره مقارب عمرك.. يبلغ اثنتي عشرة سنة.

- هل هو معك الآن؟! قلتها بلهفة..

فأجاب: كلا.. لقد صحبته معي في أثناء قدومي إلى هنا.. ولكن في الطريق.. لحق بنا جنديان تابعان لمستشفى احتله الأعداء.. وأمسكا بابني وأخذا كل قطرة دم سرت في جسده الصغير.. استخلصا دمه بالحقن حتى لم يبق منه سوى القليل.. كل ما أخذوه أرادوا به إنقاذ جرحاهم.

- وابنك؟!

- ابني.. لم يستطع النهوض من مكانه فقد أصيب بإغماءة نتيجة لنضوب دمه.. فحملته أنهب الأرض.. أتعثر حينًا وأواصل حينًا آخر.. وحينما ظهرت لي بعض معالم هذه المدينة ابتسمت فرحًا.. ولكن الابتسامة لم تلبث أن تحولت إلى عبرة ساخنة حينما لفظ صغيري أنفاسه الأخيرة...

بعدها خبأ رأسه بين رجليه وبكى كما يبكي طفل صغير.. فتبعته بالبكاء.. وما هي إلا لحظات حتى مالت الشمس للغروب، فتذكرت نصائح أمي بأن لا أبقى خارج المنزل بعد المغيب.. نهضت متثاقلة.. لكنه في هذه المرة لم يجذبني للجلوس.. ودّعته بحرقة.. وجريت نحو المنزل مخلفة ورائي تجاعيد مأساة على وجه شريد.

التعليق: **إن ما كتبته الأخت غادة مشروع قصة من الممكن أن تكون جيدة لو توافرت لها بعض عناصر الإتقان التي ينبغي لها أن تتوافر في هذا النوع الأدبي.**

أوّل هذه العناصر: سلامة اللغة ومتانة الأسلوب، فلغتك يا أخت غادة تحتاج إلى عناية وضبط، ولا يتوافر لك ذلك إلا إن أدمت القراءة في كتب البلغاء والمتمكنين من فن القصة القصيرة وغير ذلك من فنون الأدب.

تقولين: «سألته عن سبب حزنه فيرفع يده» والصواب: «فرفع يده». وتقولين: «فأردف قائلاً وهو يتطلع إلى الأفق البعيد.. وعيناي لا تكادان تبرحان موضع شفتيه» ولا أستسيغ قولك: «موضع شفتيه». ويدخل في ذلك قولك: «سيطرت الرحمة على مفاصل رجلي». وتصفين مسامعك بأنها «منبهرة» وأظنك تودين القول «مبهورة» وذلك لا يكون للمسامع وإنما للأبصار. وتضعين نقطتين على الضمير المتصل في قولك «جُمله وجسده» والصواب هكذا بلا نقطتين. ولا يأتي العدد مُستخدمًا كما هو حقه في قولك: «اثني عشر سنة» والصواب «اثنتي عشرة سنة». وكلمة «ابن» همزتها همزة وصل وليست همزة قطع. والأفصح في كلمة «أثناء» أن تأتي مجرورة بحرف الجر «في».

وثاني عناصر الإتقان: معرفة ربط مفاصل القصة بروابط فنية تبتعد من المباشرة التي تفسد لذة النص وتجعله مفككًا ويبدو ذلك في قولك: «هيا اجلسي.. لأحكي لك قصتي». هذه العبارة التي تريدين متابعة السرد بها وسيلة مخفقة في الربط، وكذلك تدخلاتك في السرد: «أكمل.. ها أنا أسمع». لذا ينبغي البحث عن وسائل ربط أكثر إتقانًا من الناحية الفنية.

وثالث عناصر الإتقان: السبك الجيد؛ وأعني سبك الأحداث والاقتصاد في الوصف. أرجو أن تكثري من القراءة وتلقي بكثير مما تكتبينه في هذه المرحلة، مع تمنياتي لك بالتوفيق.

الأخ زكريا معين حسن محمد، مصر، قنا، قفط، ص.ب ٨٣٧٣٦ نجع معين:

تسلّمنا رسالتك العاتبة وقرأنا القصيدة المرفقة التي كُتبت باللهجة الدّارجة، والمجلة تهتم بالنصوص الفصيحة مراعاةً لمساحة قرائها من أهل العربية أو الناطقين بها من غير العرب. نرجو أن نرى لك أعمالاً بالفصحى وسنكون عند حسن ظنك بإذن الله.

الأخ نازك ضمرة، عمان، الأردن:

قصتك القصيرة هي - في الحقيقة - نص حكائي تقريري يُعبِّر عن تجربة ذاتية لا يفيد نشرها في تربية أي جانب من جوانب التثقيف التي تتعهدها القصة القصيرة بالعناية؛ بوصفها فن التكثيف الكلامي، وفن اللغة الموحية، وفن الأسلوب البرقي الذي لا يحتمل التطويل والوصف المستفيض.

إن بعض التجارب الذاتية يُعَبِّر عن حالة إنسانية يمكن تعميمها، ويمكن لنشر النصوص التي تعالجها أن يسهم في رفع مستوى الحالة الثقافية. ولكن تجربة الأستاذ نازك مغرقة في الذاتية؛ إضافة إلى أن السرد الحكائي التقريري جعل البناء الفني عاديًا ولا خصوصية فنية له.

وإنّ هناك في النص ميلاً وعظيًا لا تحتمله القصة القصيرة: «... إنني أستطيع التأثير على أهلي (كذا والصواب: في) وهم صغار فقط، آتي بهم حولي، وألفت نظرهم لكيفية التعامل مع حيواناتنا.. لكنهم إذا كبروا..» هذه الطريقة العادية في التعبير يمكن أن تكون في حديث عادي ولكنها تسيء إلى البناء الفني لما نسميه قصة قصيرة.

نرجو للكاتب أن يتجاوز الحالة الحكائية التي تقترب من الشفاهية العامة في محاولاته القادمة.

د. محمد خير البقاعي



الأخ محمد مصطفى كامل عبدالحليم، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة:

سعدنا كثيرًا بترجمتك لإحدى رسائل الشاعر البنغالي المحمود، وكنا نود أن توضح: هل هذه الترجمة سبق نشرها في مكان آخر، أم إنها خاصة بالفيصل؟ لأن المجلة، كما تعلم، لا تنشر إلا ما يُكتب خصيصًا لها. ونحن في انتظار توضيحك، وكذلك في انتظار مشاركاتك الأخرى؛ سواء أكانت مقالات لك أم ترجمة لقصص أو أعمال بنغالية.

الإخوة والأخوات: فريد إسماعيل، ولاية باتنة، نجم جمال الدين، جيجل، لعمش عارف، سطيف، بو عرعار عبدالكريم، البليدة، بن ذهبية نعناع، مستغانم، لجوسين الصادق، بو مرداس، عباسية شباب، الجزائر العاصمة، ساسان عمر، الطارف، الجزائر، سعد العطا الله، حسين علي، الدمام، السعودية، محمد الهادي بن مصطفى الشريف، تونس، إقبال هداية، إندونيسيا:

نفيد الذين طلبوا منكم اشتراكات مجانية في المجلة أن هذا مطلب عزيز علينا، ولكن يصعب كثيرًا تلبيته؛ نظرًا لكثرة الطلبات التي ترد إلى المجلة من جميع أنحاء العالم، وكل ما نستطيعه إرسال بعض الأعداد، لعلها تكون مفيدة في التعريف بسياسة المجلة، وطبيعة الموضوعات التي تنشرها، حتى يُتاح للذين يريدون مراسلتها التزام هذه السياسة؛ فمرحبًا بمشاركات الإخوة القراء في كل مكان.

أما الذين طلبوا نشر صورهم وأسمائهم في ركن التعارف، فنفيدهم أن المجلة لا ترى فائدة ترجى من مثل هذا الباب، من منطلق أن تبادل الآراء والأفكار عبر صفحاتها أكثر جدوى وفائدة، ولاسيما أن المجلة تنشر تعريفًا كاملاً بكل كاتب تنشر له مقالة أول مرة.

ونعتذر كذلك من عدم إجابة الطلبات الخاصة بالمساعدات أو غيرها من الطلبات التي لا تدخل في دائرة اهتمام المجلة. ومع أن هذا كله موضح في زاوية «إيضاحات» إلا أن كثيرين يفوتهم الاطلاع على ما فيها. وللذين يريدون الاشتراك السنوي في المجلة، فإن هذا الأمر موضح في الصفحة الثالثة، إذ إن الاشتراك السنوي للأفراد: ١٥٠ ريالاً سعوديًا، وللمؤسسات: ٢٥٠ ريالاً سعوديًا، أو ما يقابل هذه القيمة بالدولار الأمريكي.

الإخوة: أحمد الأمين الحاج قاسم، محمد بشير، معاذ شعيب يحيى، كوماسي، غانا:

يسعد المرء كثيرًا بقراءة خطاباتكم التي تعبر عن انتمائكم الإسلامي الأصيل، والتي تفصح عن غيرتكم على دينكم، وحرصكم على نشره، ولا نملك إلا أن نشد من أزركم، وندعو الله أن يوفقكم في مسعاكم لخدمة دينه، وسوف تصل إليكم بعض أعداد المجلة وبعض إصدارات دار الفيصل الثقافية.

الأخ عكاشة آدم أحمد هوساوي، الظهران، السعودية:

اقتراحك بنشر مقتطفات من الأعداد القديمة للمجلة يبدو مقبولاً للوهلة الأولى، ولكن الكم الكبير من المقالات الجديدة الذي يصل إلى المجلة، يجعل تحقيق مثل هذا الاقتراح أمرًا صعبًا؛ لأن الأفكار الجديدة التي تتضمنها تلك المقالات مع ضيق المساحة المتاحة، يجعل من الأولى أن يكون المجال المتاح للجديد من الأفكار، وبخاصة أن معظم قراء المجلة يحتفظون بأعدادها كمراجع يعودون إليها، إذا اقتضت الحاجة ذلك.

الأخ ميساوي جمال، سورية:

قصتك «أفكار منزلقة» سيقوم بالتعليق عليها د. محمد خير البقاعي كما طلبت في رسالتك، أما ما ترجمته من قصائد من العبرية إلى العربية فيمكنك أن تبعث به إلى د. حسن ظاظا (من طريق المجلة) على أن تكون هناك صورة من الأصل العبري حتى يمكن موافاتك بالرأي المناسب والتوجيه الذي تحتاج إليه لتمضي في هذه السبيل راسخ القدم.

الإخوة الذين يبعثون بموضوعات مترجمة:

نأمل من الإخوة الذين يبعثون إلى المجلة بموضوعات مترجمة من اللغات الأخرى، أن يرفقوا الأصل المترجم أو صورة منه، حتى يمكن التأكد من صحة الترجمة، ولدرء الشبهات نظرًا لأن هناك من ينسب إلى نفسه ما لغيره من ترجمات. فنأمل من الإخوة التزام هذا الشرط، الذي يقصد إلى تحقيق النزاهة العلمية أولاً وأخيرًا.

بين القارئ والقارئ

آمل الحصول على موسوعة صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز «الموسوعة العربية العالمية».

زايد سويد براك العصيمي
ص.ب ٢٨٩ الحوية، الطائف.

أرغب في الحصول على أعداد ومجلدات القصص المصورة الصادرة في بيروت قبل أكثر من عشرين عامًا مثل: «طرزان»، «الوطواط»، «سوبرمان»، «بساط الريح»، «المغامر»، وغيرها، وذلك للدراسة والبحث، وإنني على استعداد للمبادلة بمطبوعات أخرى أو تقديم مقابل مادي.

محمد فالح الجهني
ص.ب ٦١٠٣، المدينة المنورة، السعودية.

آمل الحصول على أعداد من مجلات: الجيل، النور، المجتمع، الأسرة، بالإضافة إلى كتب عن النباتات المنزلية.

بعيطيش حميدة
البريد الباقي، سطيف ١٩٠٠٠، الجزائر.

أرغب في الحصول على بعض الكتب الدينية التي تعين المسلم على فهم دينه، وهذا مطلب ضروري في بلد إسلامي مثل إندونيسيا، فهل أجد استجابة لرغبتي هذه؟

D.S PAGGUNG, NO. 69 HARUYAN
HST. BANJARMASIN, INDONESIA
POST CODE 71363

أنا معلم ابتدائي، ومن ضمن تلاميذي بعض الذين يعانون من إعاقة في السمع والكلام، فأرجو مساعدتي في الحصول على نسخة من قاموس الصم والبكم، أو أي مراجع علمية تساعدني في أداء عملي.

خالد الحمد
شارع الانطلاق، دير الزور، سورية.
جانب عيادة الدكتور محمد الخلف
تصل ليد الساعاتي أحمد الحمود، ومنه ليد خالد الحمد.

ملحوظة:

تسعى هذه الزاوية «بين القارئ والقارئ» إلى إيجاد قناة مباشرة بين القراء أنفسهم لتبادل المعلومات عن الكتب النادرة أو المجلات التي توقفت عن الصدور أو نفدت أعدادها.

عناوين

الأخ كريمي عبدالسلام،
الرشيدية، المملكة المغربية:
إليك عنوان وزارة الحج السعودية، وعناوين بعض المنظمات والمراكز الإسلامية داخل المملكة العربية السعودية وخارجها:

وزارة الحج:
ص.ب ٢٤٧٥، مكة المكرمة،
المملكة العربية السعودية.
هاتف ٥٤٤٠٨٢١، فاكس ٥٤٥٢٧٧٧

مركز دراسات العالم الإسلامي:
ISLAMIC WORLD STUDIES CENTRE
P.O. BOX 528
VALLETTA, MALTA
TEL: (00356) 345541 / 320127
FAX: (00356) 345542

جمعية الأسرة المسلمة:
ص.ب ١١٢٧، الرمز البريدي ١١٥١١
٤٢ شارع شريف، القاهرة، مصر.
هاتف: ٣٩٢٢٣٠٨-٣٩٢٣٧٢٩

جمعية البعث الإسلامي:
ص.ب ٣٧٥، تطوان، المغرب.

جمعية الإصلاح الاجتماعي:
ص.ب ٤٨٥٠، الصفاة ١٣٠٤٩
هاتف: ٢٥٦٠٥٢٥-٢٥٦٠٥٢٦
فاكس: ٢٥٦٠٥٢٤-٢٥٢١٨٢٦، الكويت.

WISE:مركز دراسات الإسلام والعالم
P.O. BOX 16648, FLORIDA 33687
TAMPA. U.S.A
TEL: (813) 985 - 4343
FAX: (813) 985 - 4664

مركز الدراسات والتوثيق الإسلامي (C.D.I):
B.O.BOX 172,
FIRMINY CEDEX 42704, FRANCE

مركز الدراسات الإسلامية:
CENTRE OF ISLAMIC STUDIES
P.O.BOX 1568, B10 OTE
SMAII HEATH
BIRMINGHAM, U.K
TEL: (021) 766 - 7365
FAX: (021) 766 - 7364

منظمة الدعوة الإسلامية:
ص.ب ١٩٩ الخرطوم، السودان.

منظمة المؤتمر الإسلامي، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية (IRCICA):
P.O.BOX 24,
80692 BESIKTAS
ISTANBUL, TURKEY
TEL: (90 - 212) 2591 - 742
FAX: (90 - 212) 2584 - 365

منظمة العواصم والمدن الإسلامية:
ص.ب ١٣٦٢١، الرمز البريدي ٢١٤١٤
جدة، المملكة العربية السعودية.
هاتف: ٦٦٥٧٥١٦-٦٦٥٥٨٩٦
فاكس: ٦٦٥٧٥١٦

إيضاحات

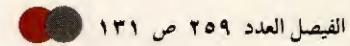
تعتذر المجلة سلفاً من عدم تقديم اشتراكات مجانية، ومن عدم التجاوب مع طلبات الحصول على إصدارات أخرى (كتب ومجلات) لاعلاقة لها بها.

المسائل الشخصية كطلب وظائف أو مساعدات مالية أو إعانة على زواج، أو ماشابه ذلك والتعارف بين هواة المراسلة، ليست من اختصاصات المجلة ولا اهتماماتها، ومن حقها عدم الالتفات إلى رسائل تختص بهذه الأمور أو الرد عليها.

يتعذر على المجلة الرد الشخصي البريدي على جميع القراء الذين يراسلونها وذلك لكثرة الرسائل، وتكتفي بالرد عليهم من خلال «ردود خاصة»، أو بنشر مشاركاتهم في الصفحات المخصصة لذلك.

الرسائل ذات العلاقة بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية أو بأي نوع من خدماته، يُرجى توجيهها إليه مباشرة على عنوانه: ص.ب ٥١٠٤٩ الرياض ١١٥٤٣ المملكة العربية السعودية.

عند مراسلة الصفحات المخصصة للقراء (مناقشات وتعليقات، بريد، المسابقة، تباشير، ردود خاصة ـ بما في ذلك زواياها الجديدة: بين القارئ والقارئ، عناوين) يرجى ذكر اسم الباب أو الزاوية على المظروف، مع شكرنا للجميع.



تعقيب على مقال:

«بين بيع الوهم وتأصيل الفهم»



طالعت، وطالع معي القراء الكرام، بكثير من الإعجاب والتقدير المقال القيِّم الذي كتبه الدكتور زيد الحسين في العدد ٢٥٦، ولقد استهواني هذا المقال وحفزني إلى التعليق عليه من فرط إعجابي بالمقال وبصاحبه، الذي يقدم لنا دائمًا المقالات القيمة والبحوث الرائدة فنتعلم منه الكثير والكثير.

جاء المقال دسمًا حافلاً بالعديد من الأفكار والقيم والمعاني والمبادئ التربوية الهادفة، والتوجيهات الضرورية اللازمة لترشيد البث الإعلامي، وتنظيم عملية المشاهدة، والسعي لتحقيق الاستفادة منها، وتحاشي أضرارها على الشخصية العربية بعامة، وعلى شخصية الأطفال والمراهقين بصفة خاصة، وهم في طور التكوين والإعداد والتهيّؤ، وأنهم أصبحوا يقضون ساعات طوالاً برفقة التلفاز في شكل يمكن وصفه «بالإدمان». ولقد وفق الكاتب حين وصف التلفاز بأنه الأب الجديد للطفل، وإن شئت فقل: الأب البديل. وإن الواقع يوضح أننا لا نبحث عن أي بديل للطفل إلا في حال غياب الأب الحقيقي بالموت أو السجن أو المرض العضال أو الهجرة. وهذا الأب المستعار لا يقوم بوظيفة الأب في التوجيه والتربية والتنشئة والتقويم والإصلاح؛ ولكنه «يسرق» دور الأب وهو على قيد الحياة. ولقد أصاب الدكتور زيد الحسين وجه الحقيقة عندما عدَّد، في مقاله القيم، الأضرار البالغة الناجمة عن المشاهدة، وبخاصة الطويلة والمزمنة، وبنوع خاص عندما تكون المادة المعروضة مادة فاسدة من الناحية الدينية والأخلاقية والوطنية والاجتماعية والاقتصادية؛ مما يجعل التلفاز أداة إفساد وتدهور في النسق القيمي الذي ورثناه عن حضارتنا الإسلامية وأصولنا العربية الخالدة، ولذلك لا يمكن أن نتركه ليكون أداة هدم لقيمنا وشخصيات أبنائنا. وتشمل هذه السلبيات إلهاء الطفل - والكبير أيضًا - عن ممارسة الأنشطة الإيجابية والنافعة الأخرى؛ كالاستذكار، والمطالعة والبحث والتنقيب، وممارسة الهوايات الأخرى، أو حتى ممارسة الأعمال والوظائف. يضاف إلى ذلك ترسيخ السلبية في أذهان المشاهدين، حيث لا يوجد لهم دور يُذكر، بل يستسلم الواحد منهم مستغرقًا ومحملقًا أمام التلفاز لساعات طوال، لدرجة أن الدراسات الحديثة في هذا المضمار كشفت عن أنه يقضي على أواصر الروابط الأسرية، ويشغل أعضاء الأسرة الواحدة عن المسامرة والمحادثة بعضهم مع بعض، وبذلك يسبب العزلة النفسية والوجدانية بين أفراد الأسرة، ويقضي على الاتصال والتواصل والتفاعل بينهم وإن جَمَعَهم مكان واحد وسقف واحد. ومنذ أمد بعيد حتى قبل استفحال وتعاظم أخطار البث الفضائي وأضراره، وانفلات الرقابة عليه، كانت الدراسات النفسية (السيكولوجية) تؤكد أضرار التلفاز من حيث إنه يسبب ضعف الإبصار، ويؤدي، بسبب الجلوس مدد طويلة، إلى السمنة، ويعلّم الكسل والخمول والسلبية في تلقي المعرفة واكتساب المعلومات؛ إضافة إلى ما ينشب بين أفراد المشاهدين من منازعات بسبب الرغبات المتضاربة في البرامج المعروضة في آن واحد.

ومنذ مدة طويلة قمت بإجراء دراسة ميدانية على فوائد التلفاز وأضراره، واتخذت عينة من الشباب اللبناني، وضمّنت نتائج هذه الدراسة في مؤلفي «الآثار النفسية والاجتماعية للتلفزيون العربي» من منشورات الهيئة المصرية العامة للكتاب ودار النهضة العربية ببيروت. وتناولت فيه نشأة التلفاز العالمي، وتطوره، وخصائصه، والآثار النفسية والاجتماعية للتلفاز والراديو، وكشفت الدراسة الميدانية عن الوظائف التربوية للتلفاز وآثاره الإيجابية والسلبية في نظر عينة البحث، ودوره في الترفيه. وأسفرت الدراسة عن النتائج التي يلخصها الجدول الآتي:

الاستجابات
لا أقوم بأعمال أخرى أثناء المشاهدة
يؤدي التلفاز إلى انتشار الجريمة والعنف
يؤدي التلفاز إلى ضعف الإبصار
يؤدي التلفاز إلى شيوع الرذيلة والجنس
يشغل المشاهد عن القراءة
يشغل التلاميذ عن الاستذكار
يؤدي لشيوع أساليب النصب والاحتيال
يؤدي إلى تقييد حركة الجسم وحرمانه من الرياضة
يؤدي إلى السلبية والكسل والتراخي
بالنسبة لأفراد المجتمع ككل يضر أكثر مما ينفع
بالنسبة للشباب التلفاز لا يفيدهم

هذا، ولا تنكر الدراسة، كما لا ينكر مقال الأستاذ الدكتور زيد، أن للبث التلفازي فوائد عظيمة إذا أُحكم ترشيده وتوجيهه والإشراف على مواده وتطويرها باستمرار.

وتتفق المعلومات والآراء القيمة التي تضمنها مقال الدكتور زيد مع معطيات العلم والدراسات الميدانية الحديثة والقديمة. ولقد عرض، بأسلوبه البليغ والجزل، أوجه الخطر، ودق ناقوس الخطر لحماية الهوية الثقافية والحضارية من أخطار الغزو الثقافي والإعلامي؛ ذلك الغزو الكاسح الذي يتعين التصدي له

بكل حزم وقوة، حمايةً لـلشباب من أن يغترب وينسلخ من جلده الثقافي.

ولقد أجاد المقال حين نبه على ما يتضمنه البث الغـربي من ضـروب الحرب النفـسيـة، وعـمليات غـسيل الدمـاغ لأبناء أمتنـا العربيـة والإسـلاميـة، وجـذب الأنظار إلـى خطورة محاولة الغرب وأمريكا السيطرة على أذهان الناس في مجتمعنا وتخريب عقولـهم وتلوينها باللون الغـربي. ولا شك أن الفلسفـات الغربيـة فلسفـات مادية خطيرة بغيضة مبتورة عـرجاء تُعنَى بالتقدم العلمي على حساب القيم الروحية والأخـلاقيـة والإنسانيـة، ولا تعرف العـدل في تعاملها مع الدول الأخرى، وهي تحاول اختراق

العينة كلها ٪	ذكور ٪	إناث ٪
٥٣	٥٥	٤٧
٤١	٤٤	٣٨
٦٤	٦١	٦٩
٤١	٤٣	٣٩
٦٤	٦٠	٦٨
٦٣	٦٤	٦٣
٤٧	٤٧	٤٧
٤٤	٣٧	٥٤
٤٦	٤٣	٥٠
٧٢	٧٣	٧١
٣٢	٣٠	٣٥

الهويـة الإسلاميـة والعربيـة والنيل منهـا، وإبعاد الشبـاب وصرفـهم عن جـذورهم الحـضـارية والثقـافية، وهدر القيم الإسـلامية والعـربية التي هي أداة اللُحمـة والتواصل والتساند والتـضامن والوحـدة والاتحـاد في جسم العـالـم العربي. ولذلك أشار الدكتور زيد ـ حفظه الله وحماه ـ إلى ضرورة تحصين العقل العـربي ضد حملات الغـزو الثـقـافي والأفكار الوافـدة والمسـتـورة، وضـرورة المحـافظة عـلى القـيم الأصـيـلة، مما يستـوجب ضرورة الانتـقاء والاختيار لما يقدَّم لجمهـور المشاهـدين، ولا يمكن أن يترك الأمـر للعفوية أو العشوائيـة أو المصادفة، كما لا يمكن أن نترك الأبواب مـفتوحة عـلى مصاريعهـا أمام الغـزو الثـقـافي، ونقف منه مـوقـف المتـفـرج. وبالطبع لا يعني ذلك الانغلاق الفكري والعزلة عن العالم المحيط بنا، وإنما يلزم ضـرورة الاختيار للعناصـر والمواد الصـالحـة، وترك الطالح منهـا، نختار ما يُلائم أسس ثقافتنا العربية والإسلامية، ومـا يـتـفق مع ظروفـنا وأهدافنا الراهـنة في بناء الشخصية العربية المعاصرة على أسس من الدين القويم والعلـم النافع، والتحلي بالجدية والمثابرة والطمـوح، وتحـمل التبـعـة، والكفـاح والجهـاد والنضـال من أجل التـقـدم، ومن أجل حـراسـة المكاسب التي حققتها إرادة الشعوب المناضلة في التحرر والاستقلال والتنمية والرخاء.

وأتفق مع د. زيد فيما أورده من أن الهدف الأسـاسي من الإعلام هـو تحقـيق النمـو السليم للأجيـال الصاعـدة، وكذلك تنميـة ضـمائرهم الوطنيـة وحـسـهم الأخـلاقي، ولذلك لا بد أن تكون المادة المعـروضـــة ذات أهداف تربـوية وإصـلاحيـة وإرشادية، وإن كـان ذلك لا يلغي المتعة الرفيعـة والترفيه البـريء والنظيف، دون إثارة الغـرائز ومخـاطبـتـهـا بعرض مواد إباحيـة وانحلاليـة، وموضوعات جـنسية فاضـحة دون أدنى مـسـوّغ فني أو علمـيّ؛ اللهم إلا الترويج الرخيص لهذه السلعة الرخيصة.

وأسـتـنكر، ولاشك، تلـك البـرامـج التي تشـحذ الضـحك عنوة وافتعـالاً من جـمهـور المشـــاهدين بـالســخـرية مـن بسطاء الـناس واستـغفالهم في شكل برامج «الكاميرا الخفية» أو برنامج «الحـبـوط» الذي تم بثـه في شـهـر رمضان الماضي؛ إذ مـا معنى أن يخطئ شخص بسيط ومـواطن متواضع الـثـقافة فـي نطق كلمة أجنبية حديثـة «مثل ثقب الأوزون» مثلا، أو أن يقـوم رجـل طيب بمسـاعـدة فـتـاة تطـلب منه العون؟ لا بد من احترام كـيان المشاهد واحترام عقليته والحفاظ على كرامته إذا قرنا أن الإعلام مدرسـة جامعـة تربي كل أبناء المجتـمع بمختلف طوائفـه وطبـقـاته. ولا يمكن للإعـلام أن يكون أداةً لغـرس مشـاعـر الاغتـراب، وإثارة مـشاعـر الحقد الطبـقي من طريق ما تتضمنـه برامجه من القـصـور الشـاهـقـة، ومظاهر الترف الزائد على الحد، والأبهة المبالغ فيـها التي تثير تطلع المواطن العـادي وحـقده، كـمـا يحـدث في كثـيـر من البرامج. كـذلك فإنني أضم رأيي المتواضع إلى رأي د. زيد في مـقـاله القيم بضـرورة احـتـرام كـيـان المرأة العـربيـة والمحـافظة عليـهـا، وعـدم استـخـدامـهـا سلعـة لترويج أغـاني المطربين، والظهور، بلا داعٍ، مـصاحبةً لمشـاهد الأغنية لا لشيء سـوى لجذب الأنظار لـلمـغني وكـأنهـا وسـيلة لذلك؛ مع إن إسـلامنا قـد بوأها ـ على حد قول الأستاذ الدكتور زيد ـ مكانة كبيرة في المجتمع بوصفـها مربيـة تتشـرب منها الأجيـال القـيـم والمبـادئ الأصـيلة في المراحل الأولى للتنشـئة الاجتـمـاعيـة، ولكونها ركنًا رئيسًا في مؤسـسـة الأسرة التي تمثل الأسـاس في تشكيل وجدان النشء وترسيخ بنائه القيمي.

ولا تختـلـف صـورة المرأة في مـصـاحـبـة الأغـانـي عن صـورتهـا في الإعـلانات لـلسلع المختلفـة، ومـا يصـاحـب ذلك من حـركـات وسلوكيات مبتذلة. كذلك فإن البث الإعلامي يتناقض مع أهداف المجتمع الراهنة فـي سعيـه نحـو ترشيـد الاستـهلاك وخـفض المصروفـات وتقليل الـنفـقـات؛ حـيث تعـمـد الإعـلانات، وبصورة مـتكررة وملحة ومـستـفزة، إلى حض الناس ودفـعـهم دفـعًا لشـراء السلـع التي يُعلن عنها، وبخاصة الأطفال الذين يتمسكون بشراء هذه السلع. وفوق أنهـا إنفاق باهظ واستـهلاك وتبـذير زائد على الحـد؛ فـإن بعض المأكـولات المحفـوظة والحلويات يضر بصحـة الطفل ويغلق شهيته عن الطعام الجيد والمتوازن، وذلك بحكم ما فـيه من مـواد حـافظة، ومواد ملـونة. يضاف إلى ذلـك أن تكـاليـف الإعـــلان عـن السـلع يتحملها من يشتري هذه السلع قهرًا وقسرًا.

ولقـد أثار الدكـتور زيد في نفسي وحـسي ووجـداني كثـيرًا من الأمـور التي أرفضـهـا في العروض التلفازية؛ من ذلك تحريض الأبناء على الجدال الوقـح مع آبائهم وأمهـاتهم، واستـخدام الحوار الجـاف والجارح معهم، والبـعد من آداب الإسـلام وخلـق العـروبة في احـــتـرام الآباء وتقديرهم مهما كان الأمر.

كذلك فإن البث الإعلامي قد يستعرض حالات بالغة الشذوذ والغرابة، ويصورها على أنها حالات شائعة، وليس في مصلحة أحد أن تُصوَّر تلك الحالات المرضية والشاذة، وأن نغرسها في حس الشباب ووجدانه على أنها حالات عامة وشائعة، كالشذوذ في التعامل مع الناس. ومن الناحية التنظيمية يعاب على البث طول فترته، بحيث لا يترك هذا البث، الذي يلاحق المواطن حتى في غرفة نومه؛ لا يترك له أو لأطفاله، فرصة للراحة والتقاط الأنفاس أو قضاء المصالح أو القيام بالواجبات الأخرى، مما يساعد على تحويل عادة المشاهدة إلى «إدمان» خطير.

ومن ذلك أيضًا تعمد عرض مشاهد خادشة للحياء دون أي ضرورة درامية أو فنية، وينسى منظمو هذه البرامج أن نساءً ومراهقات وأطفالاً في سن الزهور وفي عنفوان الشباب سوف يشاهدون هذه المناظر المخلة التي تثير الغرائز. ولا تجدي مقولة بعض المسؤولين بأنه على رب الأسرة أن يغلق مفتاح التلفاز حين لا يرغب في مشاهدة بناته أو صبيانه لبرنامج معين، لأن هذا الأمر مستحيل واقعيًا، إذ قد يعمد الأطفال إلى المشاهدة في غياب الأب أو الأم أو حين نومهما. كذلك فإن المؤسسة المسؤولة عن الإعلام تقوم مقام ولي الأمر المنوط به حماية المجتمع وقيمه ومثله ومعاييره، يضاف إلى ذلك الإسراف في عرض مشاهد العنف؛ مما يدفع الأطفال إلى تقليد هذا العنف المتلفز في واقع حياتهم العملية. والإنسان ميَّال بطبعه إلى التقليد والمحاكاة. ولقد دلت الدراسات الميدانية على تأثير مشاهد العنف، حتى في الأفلام الكرتونية، في سلوك الأطفال الفعلي، بل إن الدراسات دلت على أن هناك من الكبار من قام بتنفيذ الجريمة التي شاهدها في بعض الأفلام، من قتل وسطو واغتصاب، كما حدث مع مواطن أمريكي شاهد فيلم «حفنة أشرار» وقام بتقليد دور القاتل في الحياة الواقعية.

وعلى الجملة: المقال مدرسة رائدة في عالم الإعلام أدعو المسؤولين عن الإعلام في بلادنا العربية إلى تحويله إلى حيز الوجود والتطبيق الفعلي، لما انطوى عليه من توجيه سديد لهذا المرفق الحيوي والثقافي والتربوي، وهو الإعلام. ومما يوحي به المقال ضرورة عرض المادة التلفازية على لجان من علماء الدين وعلم النفس والتربية والاجتماع والأمن والقانون لتحديد الآثار الممكنة للعروض قبل عرضها، وغربلتها من الشوائب والحشو الممل والممقوت، ولتطهيرها من الرذائل والفواحش والقبح والخبث والخبائث، وضمان تجديدها وتطويرها وتشويقها؛ ذلك لأن الإبداع والابتكار ـ على حد قول الدكتور زيد ـ في القوالب الفنية الشائعة والملائمة لتقديم الأفكار الجديدة يظل أمرًا ملحًا، لأن كل مكرور مملول، وصدق المثل القائل «ليس للملول صديق».

فتحية للمقال ولصاحبه الغيور على وطنه وأمته وثقافته وحضارته، وعلى أبناء وطنه الكبير والصغير، تحية للأستاذ الدكتور زيد الحسين، وتحية لأسرة الفيصل الغراء.

د. عبدالرحمن العيسوي
أستاذ علم النفس
كلية الآداب، جامعة الإسكندرية،
مصر.

العودة إلى الأرقام العربية التراثية



قرأت في العدد ٢٥٤ من مجلة «الفيصل» إطلالة الدكتور زيد الحسين رئيس التحرير حول موضوع الأرقام الغبارية قراءة معمقة، فجزاه الله كل الخير. وقد بيَّن في هذه الإطلالة الشائقة كيف تطورت الأرقام؛ حيث لم يكن اختراع الإنسان للأرقام أمرًا يسيرًا، وإنما مرَّ في مرحلة علوم ومعارف كثيرة حتى وصل بالأرقام إلى ما هي عليه اليوم تناسبًا مع التطور الحضاري، وكيف أن العرب دونوا الأعداد بالكلمات ثم استخدموا الحروف الأبجدية للدلالة على الأرقام واستخدامها في الحساب. وقد ذكر القرآن الكريم الأعداد بأسمائها العربية؛ مما يدل على أصالة نسبتها، وقد طور العرب الأرقام التي أخذوها عن الهنود بما يناسب الحرف العربي، وأتقنوا هذا التطور حتى لم تعد هناك علاقة بين أشكال الأرقام العربية والهندية.

وقد أخذت هذه الأرقام طريقها إلى التداول حتى طورها العرب عام ٧٧٣م عندما قدم إلى الخليفة المنصور وفد من علماء الهند حاملاً كتابًا في الحساب؛ حيث نقله إلى العربية محمد بن إبراهيم الفزاري بأمر من الخليفة. وظل العلماء العرب يعكفون على دراسة هذا الكتاب إلى أن أعاد الخوارزمي تأليفه عام ٨٢٥م، وقد ضمنه كثيرًا من علمه؛ مما بسَّط العمليات الحسابية التي كانت تبدو معقدة للعامة.. وقد طور الخوارزمي أشكالاً عديدة للأرقام حتى تكونت سلسلتان من الأرقام عُرفت إحداهما بالهندية والأخرى بالغبارية، واستُخدمت الأولى في الشرق العربي؛ بينما استُخدمت الثانية في بلاد المغرب العربي والأندلس حتى وصلت إلى أوربا حيث أصبحت تُعرف بالأرقام العربية وذلك إلى يومنا هذا.

وقـد عـمل العـرب على تطويرها إلى أن غـدت بسيطة الشكل سـهلة الفـهـم.. ومن واجب الأجيـال العربية أن تعرف مـا لأجدادها من إسهامات في تطور الحضارة الإنسانية، وأن الحضارة السائدة في هذا العصر ما قـامت إلا على العطاءات التي قـدمـهـا علمـاء العـرب والمسلمين في المجالات المختلفة حتى ازدهرت الحضارة وانفتحت على غيرها من الحضارات؛ مستفيدة منها ومضيفة إليها من إبداع علمائها ومفكريهـا، وذلك على قـاعـدة أسـاسـيـة في الإسلام.. وكما يقال: الحكمة ضالة المؤمن أنّى وجدهـا التقطهـا. وعلى هذا الأسـاس أخـذ المسلمـون من الآخـرين مـا لديهم من عطاء حضاري، وأخضعوه للمعايير الإسلامية.. وقد استعمل الكثير من العرب والمسلمين الأرقام الغبـارية على أسـاس أنهـا أرقـام عـربيـة، والتي يستعملهـا الغرب اليوم، وقد تبين أخيـراً أن اسـتـعـمـال هذه الأرقـام في المعـاجم ودوائر المعارف الأجنبية إنما يتم بنسبهـا العربي. إلا أن الصهيونيـة تحاول طمس كل معلم من معالم العطاء الحضـاري العربي والإسـلامي، لهـذا كانت هناك ردود أفعال متباينة حول متابعة استعمال الأرقام الغبـارية حتى تأكـدت أصالة استعمال الأرقام العربية التي ذهب بعضهم إلى أن الخوارزمي حين اقتبس الأرقـام مـن الهند أعطاها الشكل المعروف في الأرقـام الغبـارية.. هذا وقـد ظهـر أول مـخطوط عـربي مكتـوب بالأرقـام العـربيـة المعروفـة بالهـنـدية في القـرن الثـالث الهجري/ التاسع الميلادي، بينما أقـدم مـخطوط للأرقـام الـغـبـارية كـان في الـقـرن السـادس الهـجـري؛ مما يثبت أصـالـة الأرقـام العربيـة المعروفة بالهندية وقـدمها وحضـارتها.. حيث تطورت مع الحرف العربي حتى أخذت شكلها الحـالي، وهي في مقام الكلمـات المعربة التي ورد ذكـرها في القرآن الكريم، إضافة إلى أن كـثـيـراً من التـراث المخطوط والمصـاحـف والتـفـاسـير والمعـاجم ومـخطوطات الحسـاب والموسـوعـات التي تسـتخـدمـهـا أغلبيـة الدول العربية والإسلامية قـد استعملت الأرقام الهندية العربية؛ مما يعني إعـادة طبع مئـات الآلاف من الكتب إذا تم التخلي عن الأرقام العربية المعروفة بالهنـدية، وعندها سنقـع في اضطراب ثقـافي وحضاري كبير.

ونظراً لما تقـدم، ولـمـا أقـره العلمـاء نتـيـجـة البحث والتـمـحيص كـان لا بد من الإبقـاء على استـعمـال الأرقـام العـربيـة (الهندية)؛ حيث أيّد مـجـمع الفـقـه الإسـلامي التـابع لرابطة العـالم الإسـلامي هذا التـوجـه، ولاسيـمـا أن جـمـيع المصاحف والتـفـاسـير والمعاجم والكـتب المؤلفة تستعمل الأرقام الموصوفة بالهندية في ترقيمها وفي الإشـارة إلى المراجع. وكم كنت سعيـداً جداً بعودة مجلة الفيصل الغراء لاستعمال الأرقام العربية الموصوفة بالهندية، وقد كنت من المطالبين بهذا الموضوع حيث كتبت إلى المجلة خلال العام المنصـرم للعودة إلى الكتـابة بالأرقام العـربيـة الموصوفة بالهندية، وها قد تحققت هذه الرغبة لي وللمـلايين من العـرب والمسلمين في هذا الموضوع. والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

تامر عبداللطيف إدريس
الإنشاءات، حمص، سورية.

الدكتور ظاظا والضحك اليهودي



اطلعت في العـدد ٢٤٣ على مـقـالة الدكـتـور حـسن ظاظا حـول الضحك اليهودي. ولقد توقفت كثيراً عند عبـارتين استـغربتـهـمـا منه. الأولى: تتـعلق بيـوشع بن نون عليـه السـلام؛ إذ علّق على مـاورد في التـوراة من أن يوشع بن نون [لم يقل عليه السلام] أرسل جواسيسه فدخلوا القـدس وجنّدُوا غـانيـة، إلى آخـر القـصـة. وعلّق على ذلك بأن هذا يبين عراقـة هؤلاء الناس في هذا الـعـمل من أقدم العـصـور! واستـغربت أن يصـدر مثل هذه العبـارة من الدكتور، ولم أجد تفسيراً إلا أن الدكتور لا يعلم أن يوشع بن نون أحـد الأنبيـاء الذين يؤمن بهم المسلمـون. جاء في مسند الإمام أحـمـد: عن أبي هريرة رضي الله عنه قـال: قـال رسـول الله صلى اللـه عليـه وسلم: «إن الشمس لم تُحبس لبشـر إلا ليوشع ليالي سار إلى بيت المقـدس». قـال الحـافظ ابن كـثـيـر: «انفرد به أحـمـد من هـذا الوجـه، وهو على شرط البخاري، وفيه دلالة على أن الذي فتح بيت المقدس هو يوشع بن نون عليـه السلام، لا موسى»(١).

واستوقفني أيضا قـول الدكتور حسن في أثناء مقـالته من أن قـبر موسى لا يُعرف على التـحديد وأن قبره في بوادي الأردن! بينمـا جـاء في حـديث أبي هريرة رضي الله عنه الوارد في صحيـحي البخاري ومـسلم، قال: «أُرسل ملك الموت إلى مـوسى عـليـهـمـا السـلام. فلمـا جـاءه صكه. فرجع إلى ربه، فـقال: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت! فـرد

الله عليه عينه. وقال: ارجع فقل له يضع يده على متن ثور. فله بكل ما غطت به يده، بكل شعرة سنة. قال: أي رب! ثم ماذا؟ قال: ثمَّ الموت. قال: فالآن. فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر». قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فلو كنت ثَمَّ لأريتكم قبره إلى جانب الطريق، عند الكثيب الأحمر». رواه الشيخان.

ويبدو أن الدكتور يجهل كثيرًا مما ورد في الأحاديث والآثار من الحقائق التي تناقض ما يورده من كتب اليهود التي قلما يشير إلى أنها افتراء؛ بل إنه يعلق تعليقًا يوحي لنا بإقراره لها!

هذا ما أردت الإشارة إليه، راجيًا منكم نشره. والله من وراء القصد.

الهوامش:

١- البداية والنهاية لابن كثير، (١-٢) صفحة ٣٣٣، دار زمزم.

محمد الدوسري
الرياض ١١٥٢١، ص.ب ٤١٠١٠



وجهة نظر حول:

التعريب والمصطلح العلمي

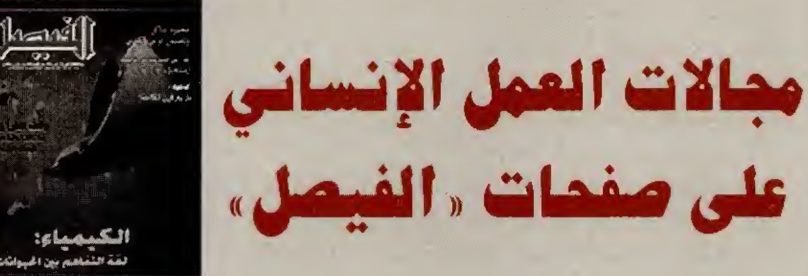
قرأت في العدد ٢٥٤ في زاوية مناقشات وتعليقات وجهة نظر د. مهندس محمد محفوض على إثر قراءته لمقال د. نجيب غزاوي في العدد ٢٥١ «التعريب والمصطلح العلمي». وهي وجهة نظر تُحترم بطبيعة الحال، ونحن نلمس فيها الغيرة الحقيقية على الحضارة والشخصية العربيتين، لكنني أحسست أن الأخ الدكتور قد بالغ في تشاؤمه، وأخطأ في تقديره للأمور؛ إذ إنه عدّ تدريس الجامعات للعلوم باللغات الأجنبية مشكلة تزداد خطورة وتعقيدًا بنزول المصطلحات العلمية الأجنبية إلى المصنع والورشة والمتجر..

نحن العرب من طبيعتنا - البعض منا - أن نسقط أسباب إخفاقنا على الآخر أو على الظواهر التي يُعدّ مصدرًا لها، وهذا يظهر جليًا من خلال التأويلات والأقاويل والمقالات والكتب العربية التي تتحدث عن تخلفنا وأسبابه، ولا نحاول أن نقوم بنقد ذاتي، أو أن نبحث عن السبب الحقيقي لضعفنا الاقتصادي وضعف انتشار لغتنا وثقافتنا. حقيقة أن اللغة العربية قادرة على استيعاب العلوم وتتميز بكل ما يقال عنها، لكن الواقع الآن يجعل البقاء للأقوى، فالدول التي تهيمن اقتصاديًا وسياسيًا وعسكريًا هي التي تغدو لغاتها أكثر انتشارًا، وهذا طبيعي إذا أضفنا أن العلم الذي نعمل على دراسته يتم إنتاجه في هذه الدول القوية. إذن الفهم والاستيعاب الأسرع والجيّد للنظريات المنتجة يرتبط بمدى إتقان لغتها، أما إذا انتظرنا الترجمة ونتائجها فسوف نظل تابعين منهمكين فقط في النقاش حول المصطلح الملائم لمقابلة المصطلح الأصلي، ومن ثم يكون تخصصنا كشعب في هذه الدنيا هو ممارسة الترجمة.

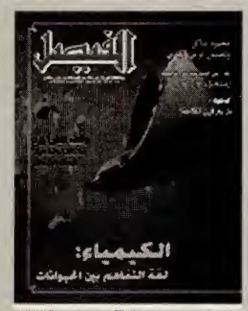
إننا الآن بحاجة إلى الآخر، والمسؤول عن هذا الوضع هو نحن؛ إذ إن الإهمال الذي مارسناه ولا زلنا نمارسه لا بد أن تكون له نتائج وخيمة. أما الترجمة فليست هي الأساس الوحيد الذي لا بد منه للتقدم العلمي، لأن إنتاج العلوم يتم بلغة الآخر، وكلنا يعلم أن الترجمة قبل كل شيء لا تؤدي دورها دائمًا، كما يجب؛ إذ إنه لا يمكن أن نجد لكل كلمة مقابلها الصحيح باللغة المراد الترجمة إليها، ومهما ترجمنا من مصطلحات، فإن الأساليب والصياغات لا نستطيع دومًا الوصول إليها من خلال الترجمة. والواقع يفرض كذلك أن يكون المصطلح الذي يطلق على الشيء أو الظاهرة، أول مرة، أكثر احتمالاً ليبقى هو نفسه مهما ترجمنا نظرًا لعوامل عديدة منها: شهرة الشيء أو الظاهرة مع الاسم في الوقت نفسه، واعتياد هذا الاسم وقدرته على إبراز نفسه، فمثلاً مصطلح «الإيدز» أو السيدا S.I.D.A يفرض نفسه بنفسه، فمن غير المعقول أن يترك الإنسان كلمة من ستة أو سبعة أحرف لينطق بعبارة طويلة جدًا هي: داء فقدان المناعة المكتسب. إن هذه الأمور البسيطة كان الأجدر بنا ألاَّ ننغمس فيها بهذا الشكل، فالكثير من الكلمات العربية يوجد في اللغات الأجنبية ولا يتضايق أهلها. وبما أننا بلدان ضعيفة لا تعرف إنتاجًا علميًا بل تكتفي بالاستهلاك فقط، فعلينا إمَّا اللحاق بالركب الحضاري والبحث عن

وسائل وسُبل فعالة وحقيقية للتقدم والإنتاج العلمي للأفكار والنظريات، ومن ثم نشر لغتنا العربية، وإما أن ننكب على الجدال حول الكلمات وأصولها ومشتقاتها؛ بينما الآخرون يبحثون عن وسائل تطويع مناخات كواكب بعيدة بآلاف الكيلومترات للعيش عليها، ويبحثون في كيفية وآلية انتقال الجينات الوراثية، ويقومون بتطوير آلات الإنتاج لتحسين المردود.

عزيز الحمدوني
٢٤ درب بنيسي،
القصبة الزرقاء
فاس المدينة، المغرب.



مجالات العمل الإنساني على صفحات «الفيصل»



سعدت بإطلالتكم الإنسانية البليغة التي مست شغاف قلوبنا، ودعوتكم النبيلة بالعدد ٢٥٧ من «الفيصل» الغراء والمعنونة «ففي المرنعة لكل كريم مفنعة»، وإيضاحكم السهل الممتنع الممتع عن حقيقة التفاعل التي ينبغي لها أن تكون بين الفرد والمجتمع، والتي أقرها الإسلام بسماحته ويسره.

وأرجو أن تسمحوا لي في سطور عجلى أن أعرض قضية حيوية أخرى تحتاج منا إلى تكاتف وتآزر بما يوثق الترابط الاجتماعي والإنساني بين أبناء الوطن الواحد، وبخاصة في وقت المحن التي يتعرض لها أيٌّ منا، وعن قناعة منا بأن ميادين الخير تظل متسعة مهما تعددت الأنشطة. وأعمال الخير الإنساني متعددة أرى أن في مقدمتها على الاطلاق «التبرع بالدم»؛ ذلك العمل الذي أتمنى ألا تخمد جذوة الدعوة في وسائل الإعلام كافة إليه أبدًا، فقد اعتدنا ألا نتحمس له إلا بعد وقوع ما لا تُحمد عقباه، ثم سرعان ما يصيبنا الفتور، ومن هنا فإنني أطالب بتكوين مراكز متحركة للتبرع بالدم تطوف بأماكن التجمعات الشبابية والطلابية والعمالية كالأندية والجامعات ومراكز الشباب والمصانع والشركات، وفق برنامج علمي مدروس تؤازره ندوات توعية علمية تركز على أهمية هذا العمل الإنساني العظيم، ومدى ما يستفيده المتبرع من هذا العمل صحيًا وطبيًا بعد تبرعه بتلك القطرات الغالية من دمه، ولاسيما إذا أخذنا في الحسبان أن الكثيرين من هؤلاء ربما لا تسمح لهم ظروفهم الوقتية والعملية والمعيشية بالذهاب إلى مراكز التبرع بالدم وترك أعمالهم من تلقاء أنفسهم.

إن بذرة الخير موجودة في نفوسنا ولكنها تحتاج إلى من يحرك جنينها لينمو ويعطي ثمارًا.

أما القضية الحيوية الثانية التي أثارتها «الفيصل» الغراء فهي «مشكلة الفراغ لدى الشباب» بقلم أستاذنا الجليل الدكتور عثمان سيد أحمد خليل. فعلى الرغم من تناول كل المنابر الإعلامية في الثلث الأخير من القرن العشرين لمشكلة الفراغ لدى الشباب، إلا أنني أرى أنها تناست ـ عندما فجرت الحديث عن تلك المشكلة منذ أكثر من ثلاثين عامًا ـ أن هؤلاء الشباب أصبحوا الآن في سن الشيخوخة، وبمرور السنوات ينضم إليهم المزيد والمزيد حتى أصبح «الكبار» الذين يحسون «بالفراغ» يشكلون نسبة كبيرة في مجتمعاتنا، وبخاصة بعد رحيل غالبية آبائهم وأمهاتهم إلى رحاب الله، وزواج أبنائهم، ورحيل غالبيتهم للإقامة بعيدًا عنهم، مما يلقي بأعباء نفسية واجتماعية جسيمة على حياتهم وتصرفاتهم، مع أنهم يمرون بأجمل سنوات العمر، بعدما تخففوا من أعباء ومسؤوليات كبيرة كانت تقف حائلاً بينهم وبين تحقيق الكثير من طموحاتهم.

إن مشكلتنا في العالم العربي: أننا عندما نتجاوز سن الشباب، وبمجرد أن نتعلق بأطراف سن الشيخوخة (الخمسين وما بعدها) نقول: لا بد للمرء من أن يستريح. وهنا تبدأ المتاعب النفسية والمرضية ومنها قلة الحركة. وهنا ننتبه إلى أن الشيوخ يعانون أيضًا من الفراغ.. وهو ما كنت أرجو أن يتعرض له كاتبنا الجليل عند حديثه عن مشكلة الفراغ.

ويسرني أن أنهي إلى «الفيصل» الغراء فراغي من كتابة سلسلة من «المشروعات التنموية الصغيرة» التي يمكننا أن ننشرها بين شبابنا وشيوخنا للتغلب على مشكلة الفراغ القاتل الذي يعاني منه الجميع؛ متمنيًا أن ترى النور على صفحات «الفيصل» الغراء.

مهندس زراعي
عبدالمقصود السعيد عبدالمقصود
الإدارة الزراعية بالمنصورة، محافظة الدقهلية، مصر.



تداعيات !!



محيي الدين فارس

الكائنات من حولنا تموج طوفانًا بعد طوفان، ولها معتركها الصاخب الساكن، تشكل فيه حياتها حسب ظروفها الخاصة، وفي نظام دقيق. ولانفطن إلى ما في ذلك من دلالات عميقة ورموز خفية، ولا نكاد نحس بكثافتها وضوضائها، ولا نسمع صدى أصواتها الخافتة، مع أنها تصافح آذاننا، وتوشك أن تخاطبنا بألسنة فصيحة!!

ومن خلال قوة الملاحظة، اكتشف الإنسان كثيرًا من قوانين الطبيعة المبثوثة في ملكوت الله هنا.. وهناك، فكانت مصدر سعادة الإنسان وشقائه أيضًا. ومن طول تأملاتي في عالم الغابات الغامض في أثناء رحلاتي إليها التي أحبها كثيرًا، لاحظت أن هناك صيدليات (أجزخانات) في الطبيعة، تسرع إليها الحيوانات لتلوك نوعًا معينًا من الأشجار فتُشفى من لدغة عقرب أو ثعبان، وقوة الملاحظة تكسب الإنسان معارف كثيرة:

إمرأة بارحت أصيل العمر، ووقفت على أعتاب مغيبه تضرب لنا مثلاً في قوة الملاحظة. صحيح أن وجهها قد امتلأ بالتجاعيد؛ إلا أن نفسها كانت خالية من تجاعيد الزمن، مفعمة بالإيمان المطلق وبعظمة الخالق. إنها تعتمد على الساعة الداخلية، التي تنظم لها نبض الزمن على نحو خاص، تاركة زمان الناس.. للناس!

في بيتها الريفي كانت تعيش مع حَفَدتها في جو أسري دافئ. ولأنها تنحدر من أسرة دينية عريقة، كانت في البيت أشبه بالقديس المحافظ، الذي يُطاع أمره، لذلك كانت تشرف على كل شيء بنفسها، تخطط لينفذ الحفدة دون اعتراض أو مساءلة، ولاسيما في الأمور الدينية، أو القضايا التي تخفى حكمتها عليهم. في ذات يوم لاحظت العجوز في إحدى زوايا البيت خيوط عنكبوت، وبداخل شباكها أكثر من مئة ذبابة، وعندما هَمَّ أحد الحفدة بإزالة العناكب أوقفته العجوز. ولأول مرة يعترض الحفيد؛ لأنه ينفذ أوامر روتينية معروفة. أقرته على ذلك، وطيَّبت خاطره، ثم هدَّأت من روعه، وأجلسته قبالتها، وشرحت له وجهة نظرها في اكتشاف ملاحظة أو نظرية جديدة.

قالت له في إيجاز وهي تستخلص معلومة مهمة: ما دام الهدهد صديق الفلاح، وطيور النورس تساعد التمساح على التخلص من فضلات اللحوم؛ فإن العناكب منذ اليوم ستكون صديقتنا. حدّق فيها الحفيد طالبًا الإيضاح، ففهمت العجوز ما يعني واسترسلت تقول: العناكب قد أدت لنا خدمة جليلة، وقامت بدور عظيم. وكان ينبغي أن نفطن إلى ذلك منذ زمن بعيد. ألا ترى الذباب الذي جمعته العناكب في شباكها؟ وأخرجت نظارة مكبرة وأحصت الذباب الميت فإذا هو مئة ذبابة، وقالت له: طبعًا قتلى الذباب أكثر من ذلك، فما أحصيته هو الجزء المرئي، أما غير المرئي، فربما كان أضعاف ذلك! ومن ذلك اليوم لم تستعمل العجوز (مبيد الحشرات) الذي كان يكلفها في العام الكثير.

ليست هذه دعوة لتربية العناكب وتسمينها؛ وإنما هي نظرة تأمل في قوة ملاحظة هذه العجوز؛ فكم من الأشياء تمر بنا، وهي تدعونا للتأمل فيها، غير أننا نمط شفاه عدم المبالاة، وعقولنا لا تحدق في كل الزوايا والاتجاهات وهي مشغولة بالمتاح من المرئيات.

وقصة هذه المرأة تذكرني بقصة عشتها عندما كنت أدرس «الستين»، والكورسات الخاصة في كلية بخت الرضا عام ١٩٧٣م. أذكر جيدًا «عم جبرة» التاجر اليماني، بوجهه الوقور وعينيه الهادئتين المفعمتين بالصفاء، وسبحته الكهرمانية ذات اللون الشمّامي. وقد تعودت التعامل معه في حدود عشرة جنيهات شهريًا، أدفعها مقدمًا لشراء مستلزمات الشهر. ومن عادتي أن أشتري كل مدة معقولة صفيحة زيت. وكانت عشرة الجنيهات آنذاك ذات قوة شرائية عالية، وكان الجنيه السوداني في عافيته!!

ولقد لاحظت أن صفيحة الزيت كل مرة تُسرِّب من قاعها زيتًا كثيرًا، فحدثته عن ذلك، فأقسم لي أن صفائحه سليمة مئة في المئة، وأنه لم يلاحظ شيئًا من ذلك في مخزن الزيوت.

وذات مرة راجعت صفيحة الزيت من جميع الجوانب فلاحظت أنها صحيحة الجسم متماسكة البنيان، وتركتها مقدار نصف ساعة أو أكثر على بلاطة مربعة؛ ريثما يأتي سائق (الكونتاك) لنعود إلى بخت الرضا بعد التسوق من سوق الدويم، ولم ألاحظ أي تسرب من قعر الصفيحة. بعد العودة تركتها فوق بلاطة ملساء أيامًا، ثم راجعتها مرة ثانية عند تحويلها إلى حجرة المعيشة للاستعمال، وبعد أيام تحت تسرب الزيت منها، فنقلتها «للحوش» وجلست على «بنبر»(١) تحت شجرة ظليلة وأنا أشرب الجَبَنَة(٢) وأتأمل الصفيحة. وفوجئت بأن تحتها شيئًا هرميًا يشبه برادة الحديد، يتحرك جيئة وذهابًا، وحولت الصفيحة من مكانها بهدوء، وتأملت ذلك الشئ الهرمي؛ فإذا هو مجموعة عظيمة من النمال السليمانية، تراكبت بعضها فوق بعض في شكل هندسي بديع مكونة منشارًا متسامتًا مع فتحة في بلاطة. وأغلب الظن أن تلك الفتحة هي الباب المفضي إلى حجرات مخازنها الأرضية. ومن طبائع النمال تخزين مؤونة الشتاء، وكأنها تقول: «العيش الأبيض لليوم الأسود». وقد لاحظت، في أثناء تأملي، أنها كفَّت عن الحركة وبقيت ساكنة كقطعة من حجر. ثم أرجعت الصفيحة إلى مكانها بهدوء؛ وإذا بالحركة تعود مرة ثانية، وجلست أتابع النمال وهي تمارس عملية النشر كالعمال المهرة، وعندما تسربت كمية حددتها هي نفسها، وبدأت تفك الاشتباك السلمي؛ رفعتُ الصفيحة فإذا هي مثقوبة ثقبًا رهيفًا مستطيلاً، وأخذت النمال تتساقط الواحدة تلو الأخرى في نظام دقيق كما لو كانت حبات خرز تتساقط من سلكها حبة.. بعد حبة.. ثم ماذا؟ لم أترك مقعدي في صالة العرض، وصممت على البقاء حتى نهاية المشهد وإسدال الستار. كانت جيوش النمل السليماني في حركة دائبة وهي تنقل إلى قراها الأرضية بحيرة الزيت وما يلزمها من مؤن في دقائق إلى حصونها المتينة.

كانت الأرض ملساء كما لو كانت بساطًا مسحته آلة كهربائية، وتعمدت كل مرة أن أضع صفيحة زيت صغيرة في حجم «الكوز» تاركًا لجيوش النمل موائد سخية، ولاسيما حين يكون فصل الشتاء على الأبواب. وهذه الكائنات التي تشبه سكان الإسكيمو في جَلَدهم.. وصبرهم، وهم يحتون في فتحات الجليد عن (الفقمات) لماذا لا أساعدها؟ فكما نأكل البروتين كقطع غيار لأنسجتنا التالفة، لا بأس أن نعطي أصدقاءنا النمال شرائح منها. لقد صادقت النمال كما صادقت المرأة العجوز جماعات العناكب.

ولقد ضاعت أصوات الاحتجاج من أسرتي الصغيرة آنذاك أدراج الرياح، لأنني صممت على إطعام هذه الكائنات الذكية تقديرًا لها على كفاحها المشروع.

الهوامش:

١- مقعد شعبي صغير.
٢- القهوة.